الإعجاز القرآني

في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث

دراسة تاريخية وتطبيقات معاصرة

الداعية الإسلامي
مروان وحيد شعبان التفتنازي

دار المعرفة


بسم الله الرحمن الرحیم

الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث

کاتب:

مروان وحید شعبان

نشرت فی الطباعهٔ:

دارالمعرفهٔ

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث

اشارة

نـام كتـاب: الإعجـاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحـديث نويسـنده: مروان وحيـد شـعبان موضوع: اعجاز علمى تاريـخ وفات مؤلف: معاصر زبان: عربى تعداد جلد: ۱ ناشر: دارالمعرفة مكان چاپ: بيروت سال چاپ: ۱۴۲۷ / ۲۰۰۶ نوبت چاپ: اوّل

الإهداء

الإهداء إلى الروح الغالية التى سـهرت الليالى و السـنوات و هى تكافح و تكابد الحياة لإنشاء أسرة تكتب فى سجل الخادمين لشرع اللّه و دينه ... أمى. إلى الـذى أحـاطنى بعطفه الحـارّ و حنانه الفوّار، صاحب الفضل الكبير، و القلب الرحيم .. أبى. إلى إخوتى و أخواتى، الـذين عشت معهم مرحلـة التأسيس فى درب الهـدى و الوفاء و الإيمان ... إلى كل من يطوف حول كعبـة الحقيقـة المقدسـة من بنى البشر أهدى هذا العمل المتواضع ... الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ٧

مقدمة بقلم: الشيخ محمد على الصابونى

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم مقدمة بقلم: الشيخ محمد على الصابونى نحمده تعالى و نصلى و نسلم على رسوله الكريم محمد بن عبد اللّه، خاتم النبيين، و بعد ... فعصـرنا الذى نعيش فيه، عصـر العجائب و الغرائب، عصر الخوارق و المدهشات! لا تكاد العين ترى فيه إلا كلّ طريف و جديـد! مـا كان مسـتحيلا و غير معقول منـذ قرون ... أصـبح واقعا فى هـذه الأيام!! و لا عجب فى ذلك، فهو عصـر الازدهار العلمى، و التقدم الحضارى، عصـر المكتشـفات و المخترعات، عصـر الذرة، و عصـر الأقمار الصـناعية و المراكب الفضائية، عصر غزو الفضـاء، و يمكننـا أن نقول جـازمين: إنه عصـر (ظهور معجزة القرآن) تحقيقـا لقول اللّه العلى الكبير: سَنُرِيهِمْ آياتِنـا فِى الْآفـاقِ وَ فِى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ «١». اللّه أكبر إن دين محمـد و كتابه أهدى و أقوم قيلا لا تـذكر الكتب السوالف عنـده طلع الصـباح فأطفئ القنديلا لقد أيّد اللّه خاتم الأنبياء محمدا صـلى اللّه عليه و سـلم بالمعجزة القرآنية الخالـدة، و جعل هـذا القرآن أجلّ و أعظم برهان على صدق رسالته .. فهو نبى أميّ لا يعرف القراءة و لا الكتابة، و لا يعرف أن يفكّ حرفـا عن حرف حتى آخر حياته صـلوات اللّه عليه، و هـذا ما أكـده القرآن الكريم فى صـفة هـذا النبى العظيم حين قال سـبحانه: وَ ما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتـابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتـابَ الْمُبْطِلُونَ (۴٨) بَلْ هُوَ آيـاتٌ بَيِّنـاتٌ فِى صُـدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ ما يَجْحَدُ بِآياتِنـا إِلَّا الظَّالِمُونَ (۴٩) «٢».

(١) سورة فصلت، الآية: ۵٣. (٢) سورة العنكبوت، الآيتـان: ۴٨، ۴٩. الإعجـاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحـديث، ص: ٨ و كأنى بالقرآن يهتف و ينادى أصحاب النهى و العقول فيقول لهم: فكّروا فى شأن هذا النبى الأمى الذى جاءكم بهذا الكتاب المعجز، أ يعقل أن يكون هـذا الكتاب من صـنعه و تأليفه؟ و هو لم يتتلمـذ على يد أحد، و لم يقرأ كتابا، و لا خطّ بيده حرفا، ثم جاءكم بكتاب حوى العجائب من علوم، و فنون، و قصـص، و أخبار، و أمور غيبيّة، و أخبركم عن مكتشفات لم تعرفوا عنها شيئا إلّا فى عصركم هذا، أ فلا يكون ذلك أعظم برهان على عظمته و صدقه!؟ تصوروا أن عشـرة أطباء اجتمعوا على تشخيص داء مريض، و كلّ منهم نابغة فى تخصـصه، و عجزوا جميعا عن معرفـة المرض، و وصف العلاج و الـدواء له! و جاءهم رجل من الباديـة، لا يعرف شـيئا عن الطب، و لم يمـارس هـذه الصـنعة مطلقا، و بمجرد إلقاء نظرة على المريض، و وضع يـده على جسـده، عرف المرض و وصف له الـدواء، و شـفى المريض بتناول العلاج الـذى عجز عن معرفته كبار الأطباء، أ ليس هذا الأمر يدعو إلى الدهشة؟ و الإجلال و الإكبار لهذا الذى وصـل

إلیه نبوغ هـذا الرجل، و الإقرار له بالحذاقهٔ و قوهٔ المعرفهٔ!؟ هذا هو مثل خاتم الأنبیاء مع کبار الأطباء!! أتاهم بعلوم و معارف قبل أربعهٔ عشـر قرنا من الزمان، لم یصـلوا إلی معرفهٔ بعضها إلا فی هذا العصر، عصر ظهور (المخترعات و المکتشفات). و حین طلب المشرکون من سـید الخلق معجزهٔ تـدلّ علی صـدقه، جاء القرآن یقرّعهم و یوبّخهم علی ترکهم التدبر لآیات هذا الکتاب الحکیم الذی جاءهم به نبی أمّی من عنـد الرحمن، بأفصح حجهٔ و أوضح بیان، فقال جلّ ثناؤه: أَ وَ لَمْ یَکْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَیْکَ الْکِتابَ یُتْلی عَلَیْهِمْ إِنَّ فِی ذلِکَ لَرَحْمَـهًٔ وَ ذِکْری لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ «۱». نبی أمّی جاءکم بکتاب جمع شـتات العلوم، و کشف لهم عن حقائق علمیـهٔ ما عرفها البشـر إلّا منذ زمن قریب، و قال لهم: إن معجزتی إلیکم هـذا الکتاب المبین، فاتوا بمثل سورهٔ واحدهٔ منه إن کنتم صادقین. أ لا یکفی هذا أن یکون برهانا قاطعا ساطعا علی صـدق دعواه؟ لقـد بهر القرآن العرب برونقه و جماله و عـذوبته و حلاوته و بـذلک الأسـلوب الرائع الخلاب!

(____١) سـورهٔ العنکبـوت، الآیــهٔ: ۵۱.

الإعجـاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحـدیث، ص: ۹ و اسـمعوا هـذه القصهٔ: روی عن جبیر بن مطعم أنه قال: قدمت المدینهٔ المنورهٔ لأسأل رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فی أساری بدر، فوافیته یقرأ فی صلاهٔ المغرب وَ الطُّورِ (۱) وَ کِتابٍ مَسْطُورٍ (۲) فِی رَقٍّ مَنْشُورٍ (۳) «۱». یقول فلما قرأ: إِنَّ عَـذابَ رَبِّکَ لَواقِعٌ (۷) مـا لَهُ مِنْ دافِعٍ (۸) «۲» شـعرت کأنما صدع قلبی .. فأسـلمت خوفا من نزول العذاب، فلما انتهی رسول اللّه صـلی اللّه علیه و سلم إلی هذه الآیهٔ: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَیْرِ شَیْءٍ أَمْ هُمُ الْخالِقُونَ (۳۵) أَمْ خَلَقُوا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بَلْ لا یُوقِنُونَ (۳۶) «۳» أحسـست أن قلبی کاد یطیر)!! و بهر القرآن «علماء الکون» حین رأوا فیه بعض ما توصلوا إلیه بعد جهد جهیـد، من مکتشـفات رائعـهٔ سـبقهم إلیها القرآن الکریم، سواء أ کان ذلک فی علوم الطبیعـهٔ، أو الطب، أو الفلک، أو الأجنـهٔ، أو فی علوم (جیولوجیـا الأـرض)!! و قـد اطلعت علی بعض فصول، مما کتبه أخونا الفاضل الشیـخ «مروان شـعبان» حفظه اللّه حول: «الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحـدیث» فألفیته بحثا قیما، فیه جهد مشـکور ینبغی أن یطبع، و أن یسـتفید منه من یرید أن یعرف عظمـهٔ هـذا الـدین، و روعـهٔ هـذا القرآن، الذی جاء معجزهٔ خالدهٔ، تنطق بصدق رسالهٔ النبی الأمی (محمد بن عبد اللّه) صـلوات اللّه و سلامه علیه، سواء أ کان المطّلع علیه مسلما أو رجلا لا یدین بالإسلام، فإن ما حواه الکتاب المنیر من علوم و معارف، و بدائع و روائع، حریّ بکل إنسان منصف أن یعرفه و أن یـدرسه لیتبیّن له صـدق معجزهٔ خاتم النبیین، و صـدق اللّه العظیم حیث یقول: قَدْ جاءَکُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ کِتـابٌ مُبِینٌ (۱۵) یَهْـدِی بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُـبُلَ السَّلامِ وَ یُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ بِإِذْنِهِ وَ یَهْدِیهِمْ إِلی صِـراطٍ مُسْتَقِیمٍ (۱۶) «۴». خـادم الکتـاب و السـنهٔ الشـیخ محمـد علی الصابونی ۱۴ صـفر الخیر سـنهٔ ۱۴۲۱ ه الموافـق ۱۶ / ۵/ سـنهٔ ۲۰۰۰ م

(____١) سـورهٔ الطور، الآیـات: ۱- ۳. (۲) سورهٔ الطور، الآیتان: ۷، ۸. (۳) سورهٔ الطور، الآیتان: ۳۵، ۳۶. (۴) سورهٔ المائدهٔ، الآیتان: ۱۵، ۱۶. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۰

مقدمهٔ بقلم: د. إبراهیم الشیخ محمد حسن

مقدمهٔ بقلم: د. إبراهیم الشیـخ محمد حسن بسم اللّه الرّحمن الرّحیم الحمد للّه و کفی، و سـلام علی عباده الذین اصـطفی، و بعد فقد طلب منی الأخ فی اللّه حقا و المحبّ صدقا الشیخ مروان شعبان إلقاء نظرهٔ سریعهٔ فی کتابه القیم «الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث» و بعد تجوال النظر فی صـفاته وجدت فیه الترتیب و التنسیق مع التعزیز بأسـرار الإعجاز بثوب جدید فی أسـلوبه أنیقا فی مظهره نـادرا فی مخبره، لیسـتفید النـاظر فیه بمطـالعته لأنه من أمثل ما جمع فی هـذا الباب، و أن هـذا الأسـلوب الجدیـد یلائم حقا مسـتوی العصـر و یراعی ما اتصف به الجیل الجدید من تطلع إلی فهم أسرار الکون و معرفهٔ موقف الإسلام من المکتشفات- التی هی سرّ إبـداع اللّه تبارک و تعالی الخالق العظیم من خلقه علی أیدی المسـلمین و غیرهم، و لا یخفی أن علماء الإسـلام کانوا سـباقین إلی مثـل هـذه العلوم و المعـارف. و مـا جهود الرازی و الحسن بن الهیثم و ابن سـینا و القـاسم و الیعقوبی و الإدریسـی- صاحب الکشـف

الجغرافی و اقتحام المحیطات- لیس ببعید، و هذا مما یدل علی أن الإسلام هو مصدر الحضارة الحقیقة، و أن علماء الإسلام ساهموا بأروع ما فی هذه الحضارة للبشریة سائلین اللّه تعالی المزید من التوفیق للباحث لما یحبه و یرضاه، و أن ینفع بجهوده العلمیّة طلاب العلم الشریف، و رواد الحق و الحقیقة فی عصر الشتات و التمزق، إنه سمیع مجیب. د. إبراهیم الشیخ محمد حسن مفتی محافظة الحسکة عضو مجلس الإفتاء الأعلی فی دمشق الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۱

مقدمة بقلم: الشیخ محمد حکمت المعلم

مقدمة بقلم: الشیخ محمد حکمت المعلم بسم اللّه الرّحمن الرّحیم الحمد للّه الذی علم بالقلم، و أوحی بالملک، و هدی بالفطرة. الحمد للّه مستوجب الحمد و الثناء بإنزاله الکتاب علی عبده، الحمد للّه الذی أنزل الکتاب علی عبده و لم یجعل له عوجا قیما و الصلاة و السلام علی النبی الأمی الذی بلغ هذا الکتاب علی أکمل وجه و أدی الرسالة و نصح الأمة فجزاه اللّه عنا خیر الجزاء. و بعد ... فقد اطلعت علی کتاب: «الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث» لمؤلفه مروان وحید شعبان التفتنازی فوجدته کتابا جامعا لمظاهر الإعجاز فی کتاب اللّه، جید فی أسلوبه، جمیل فی تبویبه قیّم فی حسن العرض و الأداء و التشویق. و إذا کان العلماء قد وضعوا لتفسیر کتاب اللّه قواعد و مناهج و ضوابط فقالوا: تفسیر القرآن بالقرآن، ثم تفسیره بالسنة القولیة و الفعلیة المأثورة عن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، ثم بأقوال الصحابة رضوان اللّه علیهم فهذا لا یمنع من التدبیر فی کتاب اللّه و التفکیر بآیاته و رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم القائل حین نزلت خواتیم آل عمران: «ویل لمن یقرأها و لا یتدبرها و یتفکر فی معانیها» و القرآن هو المعجزة الأبدیة المتجددة فی کل آن إلی قیام الساعة لأنه دستور البشریة إلی أن یرث اللّه الأرض و من علیها، و وجوه الإعجاز فی کتاب اللّه متعددة فی التنظیم و الأسلوب و الترکیب و فی إخباره عن المغیبات و فی تشریعاته. نزل القرآن علی قوم برعوا بالفصاحة و البلاغة و قرض الشعر فارتجزوه و علّقوه علی أستار الکعبة و سجدوا له، فلما سمعوا القرآن ذهلوا و أسقط فی أیدیهم و قال کبیرهم: إن لهذا القرآن لحلاوة و إن علیه لطلاوة و إن أعلاه لمثمر و إن أسفله لمغدق و إنه لیعلو و لا یعلی علیه. و قد ألّف الکثیر من العلماء فی وجوه إعجاز القرآن المؤلفات الکثیرة و جاء فی هذا العصر الفتنة بالعلم فألهوا المادة و أعمتهم الحضارة الحدیثة فوضعوها فی المقام الأول، و ربما قدموا النظریات العلمیة علی الحقائق الدینیة، فإذا عرضت لمسألة دینیة أو حکم شرعی قالوا لک: و لکن هذا لا یقره العلم و لا یوافق علیه و ما دروا أن الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۲ الحقائق الدینیة یقینیّة و أن النظریات العلمیة مبنیة علی الظن و الحدس وَ لَوْ کانَ مِنْ عِنْدِ غَیْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِیهِ اخْتِلافاً کَثِیراً «۱»، فلا یمکن للنظرة العلمیة أن تتصادم مع الحقائق الدینیّة، لأن مصدر الدین و العلم واحد قال تعالی: وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ «۲» و قال: شَرَعَ لَکُمْ مِنَ الدِّینِ ما وَصَّی بِهِ نُوحاً «۳» فی هذا الجو المحموم من الفتنة بالعلم کان لا بد من التصدی لوثنیة العلم و عولمة الإلحاد فجاء هذا الکتاب لعرض الحقائق العلمیة المبثوثة فی کتاب اللّه ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْءٍ «۴» کل آیة من کتاب اللّه لها منطوق و مفهوم و المستفاد بالعبارة و الإشارة و القرآن حمّال معانی إلی قیام الساعة له دلالة بالنص و العبارة و له دلالة بالإشارة بالمنطوق و المفهوم قوله تعالی: وَ عَلَی الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَ کِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ «۵» نص بالنفقة علی الوالد و قوله: المولود له مع مولود لهما إشارة إلی أن النسب للأب، و فی قوله تعالی: بَلی قادِرِینَ عَلی أَنْ نُسَوِّیَ بَنانَهُ «۶» فی معرض التحدی و الرد علی منکری البعث، العین أعقد ترکیبا من البنان و لکن المراد إن لکل إنسان بنانه الخاص و بصمته التی تمیزه عن سواه، و من آیاته أیضا اختلاف ألسنتکم و ألوانکم، و إعجاز القرآن یتجلی بأنه کتاب هدایة و علم أدنی العامة فهما یقرأه فیهتدی بمواعظه و أعلی الخاصة فهما یقرأه فیجد فیه الفلسفة العمیقة و العلم الدقیق. و ختاما جزی اللّه المؤلف خیر الجزاء، و نفع به و بمؤلفه المؤمنین و المسلمین، و جعل هذا الکتاب دستور هدایة لکل طالب للحقیقة و بدایة لمزید من الکشف و البحث، فهو الکتاب الذی لا تفنی عجائبه، و لا تنفد غرائبه، و لا یشبع منه العلماء، و لا یمله الحکماء، و لا یبلی علی کثیر و الرد ... و السلام. الشیخ محمد حکمت المعلم

(____۱) سورة النساء، الآية: ۸۲. (۲) سورة البقرة، الآية: ۳۱. (۳) سورة الشورى، الآية: ۱۳. (۴) سورة الأنعام، الآية: ۳۸. (۵) سورة البقرة، الآية: ۲۳۳. (۶) سورة القيامة، الآية: ۴.

الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۳

المقدمة

اشارة

المقدمة بسم اللّه الرّحمن الرّحيم الحمد للّه رب العالمين، و الصلاة و السلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيّدنا محمّد و على آله و صحبه و من سار على نهجهم و اتبع هداهم إلى يوم الدين و بعد: لقد تبوّأ القرآن الكريم سدّة الصدارة فى حياة المسلمين، فتحلّق حوله المسلمون ينهلون من ينابيعه الصافية و يتزوّدون من معينه الذى لا ينضب، فكان نورا لعقولهم، و مرشدا فى حياتهم، و قبسا وضّاء لأرواحهم و نفوسهم ... و القرآن الكريم منذ نزل من السماء رسم معالم الطريق للبشرية، و ضبط سلوكهم بتشريعه و إرشاداته، فكان المحور الذى تدور حوله أهداف المفكرين و العباقرة، و الدافع الحيّ لأساطين العلم و التأليف على الاستمرار و التواصل فى مسيرة الاستنباط و الكتابة و التعليم ... و هو صمام الأمان من كل زلل، و العصمة الواقية، و الحجة البالغة، و النور الساطع؛ يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً «۱». و لقد قام جهابذة العلم قديما و حديثا بدراسة القرآن الكريم، و تشرفوا بخدمته، فبرع المفسرون لآيات الذكر الحكيم، يعرضون أسباب النزول و يبينون الناسخ و المنسوخ، و يوضحون المحكم منه و المتشابه، فأثرت دراساتهم هذه المكتبة العربية، بل و فاضت الكتب، تأليفا و تصنيفا و تبويبا و تحقيقا، حول القرآن و علومه ... و لقد فكرت مليا، و أنا الضعيف القاصر فى آيات كتاب اللّه، فرأيت أن تكون خدمتى لكتاب اللّه فى الوقوف عند الآيات الكونية فيه «۲»، فهى جديرة بالبحث و التحليل و الكشف عن بعض أسرارها، فأسرار القرآن الكريم ذاخرة فى كل آية من آياته، و عطاء هذا الكتاب متجدّد على ممر الأحقاب و ترادف الدهور (____ ... ۱) سورة النساء، الآية: ۱۷۴. (۲) تعنى الآيات القرآنية التى تتحدّث عن المظاهر الكونية، كالسماء و النجوم و الأفلاك و الأرض و غيرها.

الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۴ و من أهم الأسباب التى دفعتنى لاختيار هذا الموضوع و للكتابة فيه، أننا نعيش فى عصر الثورة العلمية، و ينبغى أن نسخّر طاقاتنا و كل ما نملك فى عصر السرعة هذا فى سبيل دعوة الناس إلى اللّه تعالى، و الدعوة إلى اللّه تعالى تتعدّد سبلها و تختلف وسائلها تبعا لاختلاف الزمان و المكان و الحال، و هذا هو السر فى تباين وسائل الدعوة و أدواتها لدى الأنبياء و المرسلين عليهم السّلام، فكانت بيناتهم تنسجم و تتناسب مع المستوى العلمى و العقلى لأقوامهم، لكن تلك البينات كانت حياتها مرهونة بحياة أصحابها من الأنبياء، فبرحيلهم عن هذا العالم، رحلت معهم بيناتهم، إلا ما خلدته الكتب السماوية و التاريخ. و لئن كان علماؤنا اشترطوا مطابقة الدعوة للحال، فإن أبرز ظاهرة تميّز بها عصرنا أنه عصر الاكتشافات العلمية، و الثورة التقنية التكنولوجية، فالإعجاز العلمى بناء على ذلك هو أهم وسيلة دعوية تتلاءم مع معطيات زماننا، ذلك لأن الإيمان بالله تعالى ما هو إلا ثمرة تحريك العقل و إعمال الفكر قبل أن يكون مسألة عاطفية شعورية. و مما لا يخفى على أحد، أن الداعية ينبغى أن يتسلّح بسلاح المنطق السليم و البرهان القويم، ليقيم الحجة و يثبت صدق دعوته، و إن السلاح العلمى المادى يعتبر من أقوى الأدلة المقنّعة للمكلفين، ذلك لأنه مشاهد و مرئى و لا يستطيع أحد أن ينكره ... و إبراز مظاهر الإعجاز العلمى فى هذا الصدد، و التى تتمثل فى عرض الآيات الكونية العلمية مقارنة مع المكتشفات العصرية، لهو أعظم أسلوب يتفق مع ما توصل إليه الإنسان فى هذا العصر، و الذى يمعن النظر فى آى القرآن الكريم، و ما ورد مما صح عن النبى الكريم صلى اللّه عليه و سلم يلاحظ أن عددا ليس بالقليل من الآيات و الأحاديث توجه عقولنا لدراسة الآيات الكونية مع معطيات العلوم الإنسانية، ليقف الإنسان بعد ذلك على مشاهد الجلال فى كتاب

اللّه تعالى حيث يتضح له السبق القرآنى فى ميدان إثبات الحقائق العلمية، و هذه الحقائق تتضح و تنجلى كلما تقدم العلم، و انكشفت أستار الكون و اتضحت غوامضه و بانت خفاياه، قال تعالى: سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ «۱». و يشار إلى أن هناك عددا ليس بالقليل من الكتب التى استفدت منها، سواء فى الدراسة التاريخية أم فى التطبيقات المعاصرة، و من هذه الكتب: «مباحث فى إعجاز (________________________________ ۱)

سورة فصلت، الآية: ۵۳. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۵ القرآن» «۱» للدكتور «مصطفى مسلم»، و «الإعجاز فى دراسات السابقين» «۲» «لعبد الكريم الخطيب»، و «فكرة إعجاز القرآن» «۳» «لنعيم الحمصى»، و «المعجزة الكبرى» «۴» «لمحمد أبو زهرة»، و «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» «۵» «للقاضى عياض»، و «إعجاز القرآن» «۶» «للباقلانى»، و فى التطبيقات المعاصرة كتاب «الأرض مقدمة للجيولوجيا الطبيعية» «۷» «لتاربوك لوتجنز»، و «الدقائق الثلاث الأولى من عمر الكون» «۸» «لستيفن ونبرغ»، و «علم المحيطات» «۹» «لريتشارد فيتر»، و «علم الفلك» «۱۰» «لبيرسى سيمور»، و «الكون» «۱۱» «لسان ساغان»، و غيرها كثير. إلاـ أن ما يلاحظ على ما كتبه و توصل إليه السابقون ما يلى: - معظم الذين كتبوا فى هذا المجال، كانوا لا يرجعون إلى المصادر العلمية (________________________________ ۱) مباحث فى إعجاز القرآن،

مصطفى مسلم، جدة، دار المنارة، الطبعة الأولى، ۱۴۰۸ ه/ ۱۹۸۸. (۲) الإعجاز فى دراسات السابقين، عبد الكريم الخطيب، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الثانية، ۱۳۹۵ ه/ ۱۹۷۵. (۳) فكرة إعجاز القرآن، للشيخ نعيم الحمصى، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ۱۴۰۰ ه/ ۱۹۸۰. (۴) المعجزة الكبرى، محمد أبو زهرة، القاهرة، دار الفكر العربى، د. ت. (۵) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضى أبى الفضل عياض بن موسى اليحصبى، بيروت، دار الكتاب العربى، تحقيق: على محمد البجاوى، د. ت. (۶) إعجاز القرآن، محمد بن الطيب الباقلانى، بيروت، دار إحياء العلوم، تعليق: محمد سكر، الطبعة الثالثة، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴. (۷) الأرض مقدمة للجيولوجيا الطبيعية، تاربوك و لوتجنز، ترجمة: عمر سليمان حمودة و آخرون، طبع فى مالطا، ۱۹۸۴. (۸) الدقائق الثلاث الأولى من عمر الكون، ستيفن وينبرغ، ترجمة: محمد وائل الأتاسى، دمشق، الدار المتحدة، الطبعة الأولى، ۱۹۸۶. (۹) علم المحيطات، ريتشارد فيتر، ترجمة: ميشيل تكلاـ القاهرة، مطبوعات كتابى، د. ت. (۱۰) علم الفلك، بيرسى سيمور، ترجمة: أحمد حمادة و محمد حسّان، بيروت، نشر دلمون، الطبعة الأولى، ۱۹۸۹. (۱۱) عالم المعرفة، الكون، كارل ساغان، ترجمة: نافع أيوب لبس، الكويت، المجلس الوطنى للثقافة، ۱۴۱۴ ه/ ۱۹۹۳. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۶ الأصلية أعنى العلوم التطبيقية، فكانوا يتناقلون المعلومات فيما بينهم، و هنا آثرت أن أرجع إلى الكتب العلمية التى كتبها الغربيون أنفسهم و غيرهم من أهل الاختصاص و أتناول المادة من مصادرها الأصلية. - كثير من الكتب تخصّصت فى الحديث عن العلوم و الاكتشافات العصرية دون الإشارة إلى الناحية التاريخية، و قليل منها تحدث عن الناحية التاريخية دون الإشارة إلى القضايا التطبيقية، لكنى حاولت أن أجمع بينهما. - معظم الذين كتبوا فى هذا المجال لم يلتزموا بالضوابط و الموازين التى وضعها العلماء للتفسير العلمى، بل اعتمدوا فى بحوثهم على النظريات و الفرضيات، و أقحموا المعارف الكونية إقحاما، أو أثنوا أعناق الآيات لتفسيراتهم، و كما هو معلوم أن النظريات تتغير و تتبدل، و لكننى اعتمدت فى بحثى على القضايا اليقينية التى ارتقت إلى مستوى القطعية و ما أكثرها .. و هذا هو السبب فى أننى لم أخصص الرسالة فى جانب معين، و الذين خصصوا أبحاثهم فى جانب معين تجاوزوا الحدود و الضوابط، فالذى كتب فى الطب القرآنى مثلا، أكثر من ذكر القضايا الطبية، و كأن الكتاب كتاب طب، و هكذا فى سائر العلوم، فمن أجل المحافظة على مقاصد الآيات، اكتفيت هنا بالحديث عن الإشارات القرآنية، و لم أجعل من القرآن الكريم كتاب علم فقط. و المنهج المعتمد فى هذه الدراسة، هو منهج الاستنباط و المقابلة، فإننا نستنبط من الآيات القرآنية ما نقف عليه من القضايا الكونية الثابتة عند المقابلة الدقيقة، و لسوف يكون مجال الدراسة هو رياض القرآن الكريم و معطيات العلوم الكونية. و لا يخفى أن أى طالب أو باحث تعتريه خلال خطوات بحثه صعوبات و إشكالات تعرقل له مسيرة بحثه، لكن بفضل اللّه تعالى، ثم بفضل توجيهات الأستاذ المشرف و غيره من أهل العلم و الاختصاص، تذلل هذه الصعوبات و

يتسنّى للطالب القدرة على تركيب مفردات القضية المدروسة ثم بناؤها بالشكل الدقيق. و من أبرز ما استوقفنى من المصاعب خلال مراحل البحث، محاولة هضم القضايا العلمية و الإحاطة بمصطلحاتها المتنوعة، فكنت أطيل القراءة فى الكتب العلمية لفهم مصطلح معين أو قضية ما، و لا شك أن توفر كل وسائل البحث و الكتب المطلوبة أمر صعب للغاية، مما حتّم علىّ السفر و التنقل المستمر للحصول على المراجع المطلوبة، فضلا عمّا هو متوفر فى المكتبات العامة، و قد سافرت إلى العديد من البلدان، و استفدت بفضل اللّه تعالى من هذه التنقلات. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۷ و فى المقابل فإن المستجدات العصرية التقنية المتطورة سهلت علىّ كثيرا من المشاكل، و من أهمها شبكة (الإنترنت) التى استفدت من مواقعها بشكل كبير، و خاصة فى الجوانب العلمية البحتة، كذلك فى الدخول على مواقع العلماء فى التخصّصات المختلفة و الاستفادة منهم، أضف إلى ذلك القضايا العلمية المدونة باللغة الإنكليزية و التى قمت بترجمتها و الاستفادة منها، متوخيا فى كل ذلك الدقة فى المعلومة و التوثيق لما أسجله من بيانات و اقتباسات من الكتب المعتمدة، و يذكر أن الاستبيانات الشخصية من العلماء و الالتقاء بهم، كان دافعا للبحث إلى الأمام.

خطّة البحث:

خطّة البحث: الخطة التى وفّقنى المولى عزّ و جلّ لأسير عليها، تتضمن مقدمة، و عشرة فصول، و خاتمة، و كانت الفصول الثلاثة الأولى عبارة عن دراسة تاريخية لقضية إعجاز القرآن الكريم عبر التاريخ، و سبعة فصول عن التطبيقات المعاصرة للإعجاز العلمى فى القرآن الكريم. المقدمة: و تحدثت فيها عن أهمية البحث و سبب اختيارى للموضوع، و أشرت إلى من سبق و أن كتب فى هذا الموضوع، و الجهد الذى توصلوا إليه مبينا نتائج عملهم من مزايا و مآخذ، و ذكرت عددا من أبرز المراجع التى ارتكز البحث عليها، كما أننى أوضحت المنهج المتبع فى هذه الرسالة، و أشرت إلى بعض الصعوبات التى اكتنفت البحث خلال مراحله، و فى المقابل بيّنت ما قدم للبحث من تسهيلات. الفصل الأول: و تضمن الحديث عن مفهوم المعجزة، و الفرق بين معجزة رسولنا محمد صلى اللّه عليه و سلم و معجزات الأنبياء من قبله عليهم السّلام، و عن التسلسل التى مرت به مراحل التحدى بالقرآن الكريم و كيف أن المشركين أعلنوا عجزهم و اعترافهم بعظمة كتاب اللّه تعالى. الفصل الثانى: و جاء فيه الحديث عن نشأة الإعجاز فى القرآن الكريم، و ما هى العوامل التى أدّت لظهور مصطلح الإعجاز، و أشرت إلى قضية «الصرفة» و أبرز القائلين بها، ثم نقد مذهب الصرفة من الناحية النقلية و العقلية، و بيّنت أوجه إعجاز القرآن و آراء العلماء فى ذلك. الفصل الثالث: تعرض للحديث عن الإعجاز العلمى فى القرآن بين المؤيدين له و المعارضين و ذكرت أبرز العلماء المؤيدين من القدامى و المعاصرين، و كذلك أبرز الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۸ العلماء المعارضين من القدامى و المعاصرين، و أوضحت وجهة نظر كل من الفريقين، ثم أوردت أدلة كل منهما، و ذكرت الترجيح بعد مناقشة موضوعية. الفصل الرابع: صدّر هذا الفصل بمدخل ارتكز على ثلاثة محاور هى: الإسلام دين العلم و الإعجاز العلمى كسبيل من سبل الدعوة، و الضوابط العلمية لتفسير القرآن على أساس العلم و تضمن هذا الفصل الحديث عن علم الفلك فى القرآن الكريم، من حيث نشأة الكون، و تمدده، و نهايته، كل ذلك بين النصوص القرآنية و الحقائق العلمية. الفصل الخامس: تحدثت فيه عن نجم الشمس و طبيعة تكوينه، و عن حركات الشمس و تنقّلاتها و تطرقت للحديث عن هذا النجم المتوهج و الملتهب و سبب ذلك، و عن تعدد الشموس و الأقمار فى هذا الكون الرحيب، و النظام الإلهى الدقيق الذى يلف الكون بأسره. الفصل السادس: و جاء فيه الحديث عن القمر و لما ذا هو منير و ليس ملتهبا، و عن حادثة انشقاق القمر ثم رتقه، و مآل القمر أنه سيجمع مع الشمس يوما ما. الفصل السابع: و تضمن الحديث عن كوكبنا الأرض و ما فيه من آيات، و عن حركة الأرض و دورانها، و أشرت إلى قوة الجاذبية الأرضية و ما فيها من أسرار، كما تعرضت للغلاف الجوى للأرض من أكثر من زاوية، و عن نهاية الأرض و نقصانها و تآكلها بين القرآن و العلم. الفصل الثامن: و تناولت فيه قضية الرياح، كتلك التى تبشر بالخير و الرحمة مثل «اللواقح و المبشرات» و أشرت إلى تكوين السحب و أنواعها، و إلى اللفتات العلمية فى البرد و الرعد. الفصل التاسع: تعرض للحديث

عن علم الجبال، من حیث کیفیة نشأة و تکوین الجبال، و کیف أن الجبال کانت کالوتد تحافظ علی توازن الکرة الأرضیة و استقرارها، و عن السر فی الربط بین شهوق الجبال و غزارة المیاه، و عن تعدد صخور الجبال و تعدد أنواعها و أشکالها. الفصل العاشر: و جاء للحدیث عن عالم البحار و الماء، و کیف أن الظلمات تتنوع و تتفاوت فی البحار، و أشرت إلی وجود أمواج سطحیة و أخری جوفیة، و عن اختلاط ماء البحر مع ماء النهر دون امتزاج، و أوضحت أن البحار مسجّرة فی قاعها، و لما ذا تهتز الأرض بنزول ماء السماء بین القرآن و العلم. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۹ الخاتمة: و ضمنتها أهم نتائج البحث مع ذکر بعض التوصیات. و إنی أتوجه بالشکر الجزیل إلی الأساتذة و العلماء و الإداریین فی کل من کلیة الإمام الأوزاعی فی بیروت، و جامعة الشارقة، و جامعة أم درمان الإسلامیة فی الخرطوم، و إلی کل الأساتذة المتخصصین الذین تکرموا بمراجعة الرسالة و ترمیم ما فیها من هنات، کما أشکر الإخوة الکرام الدکتور حسین الأمیری و الأخویین الغالیین أحمد الحسن و رضوان شعبان لإسهامهم فی إخراج هذه الرسالة، فجزی اللّه الجمیع عنی کل خیر. و أخیرا، فإن ما قدمته من جهد متواضع أسأل اللّه العلی القدیر أن ینفع به الناس، و أن یجعله اللّه فی میزان حسناتی، و سببا لمغفرة زلاتی إنه جواد کریم. و أتوجه إلی العلی القدیر، أن یجعلنی بجهدی المتواضع هذا من خدام کتابه المجید، و سنة نبیه الکریم صلی اللّه علیه و سلم إنه ولی ذلک و القادر علیه و الحمد للّه رب العالمین. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۱

الفصل الأوّل مفهوم المعجزة

اشارة

الفصل الأوّل مفهوم المعجزة تمهید. المبحث الأول: تعریف المعجزة لغة و اصطلاحا. المبحث الثانی: الفرق بین معجزة النبی محمد صلی اللّه علیه و سلم و معجزات الأنبیاء السابقین. المبحث الثالث: مراحل التحدی بالقرآن الکریم. المبحث الرابع: عجز المشرکین و اعترافهم بعظمة القرآن الکریم. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۳

تمهید

تمهید إن المدقق فی کتاب اللّه المجید، و المتتبع لآیات الذکر الحکیم، لن یقف علی لفظة المعجزة أبدا و کذلک الأمر ذاته فی السنة المطهرة، و فی أقوال الصحابة الکرام، غیر أن القرآن الکریم استعمل ألفاظا أخری تدل علی مفهوم المعجزة، و ذلک فی سیاق إثبات نبوة الأنبیاء علیهم السّلام، فمن تلک الألفاظ التی استعملها القرآن الکریم لغرض إثبات صدق الرسل لفظة: البینة، الآیة، البرهان، و غیرها من الألفاظ الواردة فی ثنایا قصص الأنبیاء أو فی معرض إقامة الحجة و البرهان فی شتی المجالات. یقول ابن تیمیة «۱»: (و الآیات و البراهین الدالة علی نبوة محمد کثیرة متنوعة و هی أکثر و أعظم من آیات غیره من الأنبیاء، و یسمیها من یسمیها من النظار معجزات، و تسمی دلائل النبوة و أعلام النبوة، و هذه الألفاظ إذا سمیت بها آیات الأنبیاء کانت أدل علی المقصود من لفظ المعجزات و لهذا لم یکن لفظ المعجزات موجودا فی الکتاب و السنة و إنما فیه لفظ الآیة و البینة و البرهان) «۲». (و إنما ظهر مصطلح المعجزة، فی وقت متأخر بعض الشیء، عند ما دونت العلوم، و منها علوم العقائد فی أواخر القرن الثانی الهجری و بدایة الثالث) «۳».

(____۱) ابن تیمیة: الشیخ الإمام الحافظ الناقد الفقیه المجتهد المفسر البارع، شیخ الإسلام، أحمد بن المفتی شهاب الدین عبد الحلیم ابن الإمام الحرانی، أحد الأعلام، ولد فی ربیع الأول سنة إحدی و ستین و ستمائة، عنی بالحدیث، و خرّج، و انتقی، و برع فی الرجال، و علل الحدیث، و فقهه، و فی علوم الإسلام، و علم الکلام و غیر ذلک، مات فی العشرین من ذی القعدة، سنة ثمان و عشرین و سبعمائة. طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن

أبى بكر السيوطى، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ۱۴۰۳ ه، ۱/ ۵۲۰. (۲) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الرياض، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ۱۴۱۴ ه، تحقيق على حسن ناصر و آخرون، ۵/ ۴۱۲، و انظر: النبوات، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، القاهرة، المطبعة السلفية، د. ت، ۱/ ۳. (۳) مباحث فى إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ص، ۱۳. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۴ و سوف يذكر فى هذا الفصل إن شاء اللّه تعريف المعجزة فى اللغة و الاصطلاح، و بيان الفرق بين معجزة نبينا محمد صلى اللّه عليه و سلم و غيره من الأنبياء، ثم يعرج للحديث عن إعجاز القرآن و تحديه للعرب و الناس جميعا و يوضح عجز العالم عن مجاراة هذا الكتاب العظيم، و شهادتهم فى ذلك. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۵

المبحث الأول تعريف المعجزة

اشارة

المبحث الأول تعريف المعجزة المعجزة لغة: تحدث علماء اللغة عن الفعل: عجز، و مضارعه: يعجز، و المصدر منه: إعجاز، فعند ابن منظور (العجز: نقيض الحزم، عجز عن الأمر يعجز و عجز عجزا فيهما، و عجز فلان رأى فلان إذا نسبه إلى خلاف الحزم، كأنه نسبه إلى العجز، و العجز: الضعف) «۱». و فى معجم مقاييس اللغة: (عجز عن الشيء يعجز عجزا، فهو عاجز، أى ضعيف، و قولهم: إن العجز نقيض الحزم فمن هذا، لأنه يضعف رأيه و يقولون: المرء يعجز لا- محالة، و يقال: أعجزنى فلان إذا عجزت عن طلبه و إدراكه و لن يعجز اللّه تعالى شيء، أى لا- يعجز اللّه تعالى عنه متى شاء، و فى القرآن: وَ أَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَ لَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً «۲» «۳»، و يشير الفيروزآبادى إلى أن معنى العجز هو التثبيط فيقول: (التعجيز: التثبيط، و النسبة إلى العجز، و معجزة النبى صلى اللّه عليه و سلم ما أعجز به الخصم عند التحدى) «۴». و فى «تاج العروس»: (العجوز، بالضم كعقود: الضعف و عدم القدرة، و فى المفردات للراغب و البصائر و غيرهما، العجز: أصله التأخر عن الشيء و حصوله عند عجز الأمر أى مؤخره كما ذكر الدبر، و صار فى العرف اسما للقصور عن فعل الشيء (____ ۱)

لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى، د. ت، ۵/ ۳۶۹. (۲) سورة الجن، الآية: ۱۲. (۳) معجم مقاييس اللغة، لأبى الحسين أحمد بن فارس، بيروت، دار الجيل، تحقيق، عبد السلام هارون، د. ت، ۴/ ۲۳۲. (۴) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، بيروت، دار الفكر، ۱۹۹۵، ص، ۴۶۴. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۶ و هو ضد القدرة، و فى حديث عمر: لا تلتّوا بدار معجزة، أى لا تقيموا ببلدة تعجزون فيها عن الاكتساب و التعيش) «۱».

المعجزة اصطلاحا:

المعجزة اصطلاحا: رأينا أن مدلول كلمة: عجز، أعطانا عدة معانى، و إن تباينت بعض الشيء تبعا لاشتقاقاتها إلا أنها تدل بمجملها على الضعف، و هذا المصطلح مفتقر إلى قرينة تدل على معناه عند ما يرد فى سياق الكلام ذلك لأنه مبهم إذا ما جرد عن القرائن، و يتضح هذا الذى نقول عند ما نطلق كلمة العجز على شخص، فنقول على سبيل المثال: زيد من الناس أصابه عجز، فما هو هذا العجز يا ترى؟ هل عجز فى جسده، و ما هو نوعه و صفته، أم أنه عجز مالى، أم أنه عجز فى الإدراك و التفكير و كذلك الأمر إذا أطلق هذا اللفظ فى شتى جوانب الحياة، غير أن علماء الكلام إذا أطلقوا مصطلح «المعجزة» فإنهم يعنون به المعنى الاصطلاحى الذى نثبته هنا، يقول السيوطى: (المعجزة، أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدى، سالم من المعارضة، يظهره اللّه على يد رسله) «۲». و هكذا عرّف المعجزة ابن خلدون فى مقدمته، حيث يقول: (إن المعجزات هى أفعال يعجز البشر عن مثلها فسميت بذلك معجزة، و ليست من جنس

مقـدور العباد، و إنما تقع فی غیر محل قدرتهم) «۳». و من خلال اسـتعراض تعریف المعجزة، یمکن لنا أن نتبین شروطها، و سترد هذه الشـروط کمـا ذکرهـا الإیـجی «۴» فی المواقـف بشـکل مـوجز:

(۱) تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدین السید محمد مرتضی الحسینی الزبیدی، بیروت، دار الفکر، تحقیق: علی شیری ۱۴۱۴ ه، ۸/ ۸۹- ۹۰. (۲) الإتقان فی علوم القرآن، جلال الدین السیوطی، بیروت، عالم الکتاب، د. ت، ۲/ ۱۱۶. (۳) المقدمة، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، بیروت- صیدا، المکتبة العصریة، تحقیق، درویش جویدی، ۱۴۲۲ ه، ص، ۹۰. (۴) ت ۷۵۶ ه، عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار قاضی قضاة الشرق و شیخ العلماء بتلک البلاد العلامة عضد الدین الإیجی الشیرازی شارح مختصر ابن الحاجب الشرح المشهور و غیر ذلک من المؤلفات المشهورة فی العلوم الکلامیة و العقلیة، کان إماما فی علوم متعددة محققا مدققا ذا تصانیف مشهورة منها شرح المختصر لابن الحاجب، و المواقف، و الجواهر، و غیرها فی علم الکلام، مولده بإیج بعد سنة ثمان و سبعمائة. انظر: طبقات الشافعیة، لأبی بکر أحمد بن محمد ابن عمر، بیروت، عالم الکتاب تحقیق، الحافظ عبد العلیم خان، الطبعة الأولی، ۱۴۰۷ ه، ۳/ ۲۷، بتصرف. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۷ الشرط الأول: أن یکون فعل اللّه أو ما یقوم مقامه من المتروک، و إنما اشترط ذلک لأن التصدیق من اللّه تعالی لا یحصل بما لیس من قبله، و قولنا: أو ما یقوم مقامه لیتناول التعریف مثل ما إذا قال: معجزتی أن أضع یدی علی رأسی و أنتم لا تقدرون علیه ففعل و عجزوا، فإنه معجز دال علی صدقه، و معنی المتروک، أی عدم الفعل، کعدم إحراق النار لسیدنا إبراهیم علیه السّلام. الثانی: أن یکون المعجز خارقا للعادة، إذ لا إعجاز دونه، فإن المعجز ینزل من اللّه منزلة التصدیق بالقول، و ما لا یکون خارقا للعادة بل معتادا، کطلوع الشمس فی کل یوم، و بدوّ الأزهار فی کل ربیع، فإنه لا یدل علی الصدق لمساواة غیره إیاه فی ذلک. الثالث: أن یتعذر معارضته، فإن ذلک حقیقة الإعجاز. الرابع: أن یکون ظاهرا علی ید مدعی النبوة. الخامس: أن یکون موافقا للدعوی، فلو قال: معجزتی أن أحی میتا ففعل خارقا آخر کنتق الجبل مثلا لم یدل علی صدقه. السادس: أن لا یکون ما دعاه و أظهره من المعجزة مکذبا له فلو قال: معجزتی أن ینطق هذا الضب فقال: إنه کاذب، لم یعلم به صدقه بل ازداد اعتقاد کذبه. السابع: أن لا یکون المعجز متقدما علی الدعوی بل مقارنا لها، لأن المعجز تصدیق من اللّه و رسوله فلا یتصور أن یأتی التصدیق قبل دعوی النبوة «۱». و تجدر الإشارة إلی أهم صفات المعجزة فی القرآن الکریم، حیث إنها من لدن الحق عزّ و جلّ و الله سبحانه و تعالی یؤید بها رسله لتکون آیة علی صدق دعواهم، و برهانا ساطعا علی أن ما أتوا به هو من عند اللّه، و دورهم هو التبلیغ و البیان، فلا یملک رسول من الرسل قدرة علی إیجاد المعجزة من تلقاء نفسه، و لا یستطیع خرق ناموس من نوامیس الحیاة بقوة ذاتیة تصدر من کیانه إلا بأمر اللّه و مشیئته، و هذا المعنی نطق به کتاب اللّه تعالی فی غیر ما موضع، من ذلک علی سبیل المثال، قول اللّه تعالی علی لسان عیسی بن مریم علیه السّلام: وَ رَسُولًا إِلی بَنِی إِسْرائِیلَ أَنِّی قَدْ جِئْتُکُمْ بِآیَةٍ مِنْ رَبِّکُمْ أَنِّی أَخْلُقُ لَکُمْ مِنَ الطِّینِ کَهَیْئَةِ الطَّیْرِ فَأَنْفُخُ فِیهِ فَیَکُونُ طَیْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُبْرِئُ الْأَکْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ

(۱) انظر: شرح المواقف، لعلی بن محمد الجرجانی، القاهرة، منشورات الشریف الرضی، الطبعة الثانیة، ۱۳۷۳ ه، ۸/ ۲۲۳ و ما بعدها بتصرف. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۸ وَ أُحْیِ الْمَوْتی بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُنَبِّئُکُمْ بِما تَأْکُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِی بُیُوتِکُمْ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ «۱». و فی هذا الصدد یقول الحق عز و جل: وَ ما کانَ لِرَسُولٍ أَنْ یَأْتِیَ بِآیَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِکُلِّ أَجَلٍ کِتابٌ «۲». و یؤکد الحق عز و جل علی نفی طاقة النبی و عجزه عن أن یأتی بمعجزة من عنده و إن کان أشرف الخلق و أکرمهم علی الحق، إلا أن ذلک الشرف لا یتعد طوق البشر لیصل إلی درجة الخلق أو الخرق، و إلی هذا یشیر بیان اللّه بقوله وَ إِنْ کانَ کَبُرَ عَلَیْکَ إِعْراضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِیَ نَفَقاً فِی الْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِی السَّماءِ فَتَأْتِیَهُمْ بِآیَةٍ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَی الْهُدی فَلا تَکُونَنَّ مِنَ الْجاهِلِینَ «۳». یعلق الشیخ رشید رضا «۴» علی هذه الآیة فیقول: (... و إن کان شأنک معهم أنه کبر علیک إعراضهم عن الإیمان و عن الآیات القرآنیة و

العقلية الدالة عليه، و ظننت أن إتيانهم بآية مما اقترحوا يدحض حجتهم، و يكشف شبهتهم، فيعتصمون بعروة الإيمان عن بينة ملزمة و برهان، فإن استطعت أن تبتغى لنفسك نفقا كائنا فى الأرض، أو معناه تطلبه فى الأرض فتذهب فى أعماقها، أو سلما فى جو السماء ترقى عليه إلى ما فوقها فتأتيهم بآية مما اقترحوا عليك منهما، فأت بما يدخل فى طوع قدرتك من ذلك. أى و ليس ذلك فى قدرة البشر و إن كان رسولا، لأن الرسالة لا تخرج الرسول عن طور البشر فى صفاتهم البشرية كالقدرة و الاستطاعة، فهم لا يستطيعون إيجاد شىء مما يعجز عنه البشر و لا يقدر عليه إلا الخالق تعالى) «۵».

(____۱) سورة آل عمران، الآية: ۴۹. (۲)

سورة الرعد، الآية: ۳۸. (۳) سورة الأنعام، الآية: ۳۵. (۴) ۱۲۸۲– ۱۳۵۴ ه ۱۸۶۵– ۱۹۳۵ ه، محمد رشيد بن على رضا القلمونى، من العلماء بالحديث و الأدب و التفسير، صاحب مجلة المنار و أحد رجال الإصلاح الإسلامى، ولد و نشأ فى القلمون «من أعمال طرابلس الشام» و أنشأ فى مصر مدرسة الدعوة و الإرشاد توفى فى مصر، من مؤلفاته: تفسير المنار، و الوحى المحمدى، و الخلافة، و غيرها. انظر: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين، خير الدين الزركلى، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة السادسة، ۱۹۸۴، ۶/ ۱۲۶، بتصرف. (۵) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، بيروت، دار الفكر، الطبعة الثالثة، د. ت، ۷/ ۳۸۲. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۹

المبحث الثانى الفرق بين معجزة النبى و معجزات الأنبياء السابقين عليهم السّلام

أولا: معجزات الأنبياء عليهم السّلام

أولا- معجزات الأنبياء عليهم السّلام من القضايا البدهية فى تاريخ الأديان و سير الأنبياء و المرسلين، أن الحق تبارك و تعالى جعل لكل نبى من الأنبياء آية أو معجزة تدل على صدق دعواه، و تفتح هذه المعجزة باب التحدى للقوم المرسل إليهم، لتبرز لهم وجوه الإعجاز التى لم يسبق لهم و أن تعاهدوها فى سالف حياتهم أو حاضرهم. و من كمال الحكمة أن تكون تلك المعجزة منسجمة و ملائمة لما نبغ فيه القوم و شاع فى أوساطهم، فى مختلف المجالات و شتّى مرافق الحياة، و الباعث على هذه الملائمة تعزيز إدراك كنه المعجزة و طبيعتها، و الكشف عن خواصها و حقيقتها، ليتسنّى للقوم المرسل إليهم معرفة وجه الحق من الباطل، و لن يتمكنوا من اتخاذ موقف حيال هذه الدعوى التى عرضت عليهم إلا بعد معرفتها فإذا ما تجلت لهم و اتضحت، استطاعوا يوم ذاك أن يصدروا الحكم عليها سلبا أو إيجابا لأن الحكم على الشىء فرع عن تصوره كما هو معلوم. و لا غرابة أن يؤيد النبى بأكثر من معجزة، بل إن فى ذلك ترسيخا لصدق مدعيها و تأكيدا على وجوب الخضوع لسلطانها و الانقياد لمستلزماتها. (فموسى عليه السّلام قد حمل إلى بنى إسرائيل عصا كانت تتفجّر منها المعجزات ... يلقى بها من يده فتنقلب حية تسعى، و يضرب بها البحر فينفلق عن طريق يبس بين جبال عالية من الماء ... و يضرب بها وجه الحجر فيتفجر منه الماء، و تسيل العيون ... ثم كان معه إلى جانب تلك العصا و معجزاتها معجزة أخرى هى يده، يدخلها فى جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء ... ثم من معجزاته كذلك سوق آيات النقمة و البلاء على الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۰ فرعون و قومه) «۱». فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ وَ الْجَرادَ وَ الْقُمَّلَ وَ الضَّفادِعَ وَ الدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَ كانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ «۲». و كذلك عيسى عليه السّلام كانت معجزاته متنوعة، كما قال الحق عز و جل: وَ رَسُولًا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُحْيِ الْمَوْتى بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ «۳». و قد تقرن المعجزة بتنزل الوحى من أول مرة، من غير سابق علم أو معرفة أو سؤال و هذا ما جرى لكليم اللّه موسى عليه السّلام كما أخبر القرآن بذلك، قال تعالى: فَلَمَّا قَضى مُوسَى الْأَجَلَ وَ سارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جانِبِ الطُّورِ ناراً قالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ ناراً لَعَلِّي

آتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (۲۹) فَلَمَّا أَتاها نُودِيَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يا مُوسى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ (۳۰) وَ أَنْ أَلْقِ عَصاكَ فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ كَأَنَّها جانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَ لَمْ يُعَقِّبْ يا مُوسى أَقْبِلْ وَ لا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (۳۱) اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَ اضْمُمْ إِلَيْكَ جَناحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذانِكَ بُرْهانانِ مِنْ رَبِّكَ إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ (۳۲) «۴». و يؤيد الرسول بالمعجزة بعد دعوة قومه إلى الهدى و الإيمان، فيكذبونه و يعرضون عن دعوته و تعاليم السماء، ثم يطلبون منه المعجزة الدالة على صدقه فيعطاها، و هذا ما جرى لمعظم الأنبياء و المرسلين عليهم السّلام. قال تعالى: وَ إِلى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَ فَلا تَتَّقُونَ (۶۵) قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَراكَ فِي سَفاهَةٍ وَ إِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكاذِبِينَ (۶۶) قالَ يا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفاهَةٌ وَ لكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (۶۷) أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَ أَنَا لَكُمْ ناصِحٌ (______________________________ ۱)

الإعجاز فى دراسات السابقين، عبد الكريم الخطيب، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الثانية، ۱۳۹۵ ه/ ۱۹۷۵، ص ۸۹، و انظر: دلائل الإعجاز فى علم المعانى، للإمام البلاغى عبد القاهر الجرجانى، بيروت- صيدا، المكتبة العصرية، تحقيق، ياسين الأيوبى، الطبعة الأولى، ۱۴۲۱ ه/ ۲۰۰۰، ص، ۴۳۳. (۲) سورة الأعراف، الآية: ۱۳۳. (۳) سورة آل عمران، الآية: ۴۹. (۴) سورة القصص، الآيات ۲۹- ۳۲. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۱ أَمِينٌ (۶۸) أَ وَ عَجِبْتُمْ أَنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَ زادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (۶۹) قالُوا أَ جِئْتَنا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَ نَذَرَ ما كانَ يَعْبُدُ آباؤُنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (۷۰) «۱». و هكذا مع سائر الأنبياء ... و كيفما كان الحال، فإن المعجزة عطية من اللّه تعالى لرسوله يختارها له فى الكيفية التى يشاؤها و لمن يريدها. إذا علمنا هذا، فإننا من خلال عرض و استقراء معجزات الأنبياء السابقين يتضح أن معجزاتهم على نوعين: النوع الأول: حسية، و قد أيد جميع رسل اللّه بها. النوع الثانى: كتب و صحف منزلة، إلا أن هذه الصحف و تلك الكتب منها ما قد اندثر فى غياهب الزمان، و انحجب عنا فأصبح أثرا بعد عين، كصحف إبراهيم و الزبور و غيره، و منها ما قد تسرب إليه التبديل و التحريف و لم يسلم منه إلا القليل، كالتوراة و الإنجيل. و هذه المعجزات كما علمنا كانت منسجمة مع البيئة و المحيط الذى ظهرت فيه، و متناسبة مع المستوى العقلى و العلمى و الاجتماعى لدى القوم الذين خوطبوا بها، إلاـ أن تلك المعجزات المادية كانت حياتها مرتبطة بحياة أصحابها من الأنبياء، فلما رحل الأنبياء إلى دار القرار، ذهب وجه الإعجاز لتلك البينات من حيز الواقع المشاهد و المرئى، و لم يبق منها إلاـ النقول و الأخبار عبر وحى اللّه تعالى تقريرا و تحقيقا، و عبر التاريخ رواية. و الشواهد كثيرة فى كتاب اللّه تعالى على ما ذكرنا ... (فالأنبياء الذين عاشوا فى البلاد العربية كانت معجزاتهم مناسبة لبيئة العرب الصحراوية، فمعجزة صالح عليه السّلام كانت ناقة غريبة المنشأ و المولد بين نوق أهل البادية) «۲». قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (۱۵۳) ما أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (۱۵۴) (______________________________ ۱) سورة الأعراف، الآيات ۶۵- ۷۰.

(۲) مباحث فى إعجاز القرآن، مصطفى مسلم ص ۲۲، و انظر: فكرة إعجاز القرآن، نعيم الحمصى، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ۱۴۰۰ ه/ ۱۹۸۰، ص: ۱۳. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۲ قالَ هذِهِ ناقَةٌ لَها شِرْبٌ وَ لَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (۱۵۵) وَ لا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (۱۵۶) «۱». و من الملاحظ أن معجزة صالح كانت من جنس ما شاع فى أرجاء الجزيرة العربية من تربية الأنعام و رعيها، فلو أن صالحا أتاهم بمعجزة غريبة عنهم كعصا موسى مثلا، أو كإحياء الموتى لاستهجنها القوم و استنكروها و لقالوا بلسان واحد: نحن أمة لا نعرف سحرا و لا طبا، و لو كان لدينا علم بأعمال السحرة و أساليبهم لدحضنا ما جئت به و أبطلنا معجزتك. و هذا موسى عليه السّلام فلقد اشتهر أهل مصر بالسحر و أفانين السحرة، و من هنا كان لزاما أن يؤيد موسى بمعجزة من نوع ما تعارف عليه قومه ليقيم الحجة عليهم و يثبت صدق ما ادعاه، و من أبرز معجزاته: العصا و اليد، قال تعالى: وَ ما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى (۱۷) قالَ هِيَ عَصايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْها وَ أَهُشُّ بِها عَلى غَنَمِي وَ لِيَ فِيها مَآرِبُ أُخْرى (۱۸) قالَ أَلْقِها يا

مُوسى (١٩) فَأَلْقاها فَإِذا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعى (٢٠) قالَ خُذْها وَ لا تَخَفْ سَنُعِيدُها سِيرَتَهَا الْأُولى (٢١) وَ اضْمُمْ يَدَكَ إِلى جَناحِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرى (٢٢) «٢». (فلو أن موسى عليه السّلام ذهب إلى فرعون و قومه بمعجزة لغوية كمعجزة النبى صلى اللّه عليه و سلم فى القرآن و قرأها عليهم، لقالوا له: إن ما جئتنا به كلام عادى، ليس فيه إعجاز، و لا يدل على صدقك و لو كنا نعرف العربية أو نتقنها كالعرب، لأتيناك بكلام أبلغ من الكلام الذى جئتنا به و لما أفلحت معهم معجزته البلاغية، و ما ذاك إلا لأنهم لا يعرفون العربية، و لو عرفوها لكانت معرفتهم لها معرفة بسيطة لا تمكنهم من الوقوف على وجه الإعجاز فى القرآن، و لذلك كان لا بد من معجزة تتناسب مع معارفهم و علومهم) «٣». (و بعد موسى عليه السّلام انتشرت الفلسفة الأيونية، و هى أساس الفلسفة اليونانية فيما بعد و كانت تقوم على الأخذ بالأسباب و المسببات، و تولد العلة من المعلول فى انتظام قائم لا يتخلف فجاءت معجزات أنبياء بنى إسرائيل فى هذا العصر خارقة للأسباب

(١) سورة الشعراء، الآيات ١٥٣- ١٥٦.

(٢) سورة طه، الآيات ١٧- ٢٢. (٣) المعجزة القرآنية، محمد حسن هيتو، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ ه/ ١٩٨٩، ص: ٢٣. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ٣٣ و المسببات، لتثبت أن الكون كله بإرادة مختار، لا يفعل إلا ما يريد و لا يصدر عنه بغير إرادته الثابتة شىء) «١». و إننا نلحظ هذا المعنى من تعليم اللّه تعالى نبيه سليمان عليه السّلام منطق الطير و الحيوانات الأخرى كالنمل مثلا، قال تعالى: وَ وَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ وَ قالَ يا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَ أُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) وَ حُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّى إِذا أَتَوْا عَلى وادِ النَّمْلِ قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضاحِكاً مِنْ قَوْلِها وَ قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَ عَلى والِدَيَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَ أَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩) «٢». و تسخير الريح له، قال سبحانه: وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَ رَواحُها شَهْرٌ وَ أَسَلْنا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ «٣». و فى عصر عيسى عليه السّلام نبغ قومه و برعوا بالطب، فكانت المعجزات التى أجراها الحق تبارك و تعالى على يده من جنس ما اشتهر به القوم، و لقد كانت حياة عيسى عليه السّلام حافلة بالمعجزات الربانية بدءا من حمله و حتى رفعه إلى السماء. فلقد جرت سنة اللّه فى خلقه أن يكون الوالدان سببا فى إنجاب المولود، فجاءت ولادة عيسى عليه السّلام معجزة خارقة لتلك السنن المعتادة، و فى ذلك يقول مولانا تبارك و تعالى: إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا وَ مِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قالَ كَذلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ ما يَشاءُ إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٧) وَ يُعَلِّمُهُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ (٤٨) «٤». و عند الولادة سطّر القرآن الكريم معجزة نطقه فى المهد بالحكمة و فصيح البيان، و كانت كلماته عليه السّلام معجزة فى نطقه، و إلجاما لأفواه الذين أرادوا أن ينالوا من أمه

(١) المعجزة الكبرى، محمد أبو زهرة، القاهرة، دار الفكر العربى، د. ت، ص: ٤٣٧. (٢) سورة النمل، الآيات: ١٦- ١٩. (٣) سورة سبأ، الآية: ١٢. (٤) سورة آل عمران، الآيات: ٤٥- ٤٨. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ٣٤ العذراء عليها السّلام قال تعالى: فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَها تَحْمِلُهُ قالُوا يا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا (٢٧) يا أُخْتَ هارُونَ ما كانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَ ما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشارَتْ إِلَيْهِ قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَ جَعَلَنِي مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ وَ أَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَ بَرًّا بِوالِدَتِي وَ لَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيًّا (٣٢) «١». و من معجزاته التى أجراها اللّه على يديه كذلك، ما ذكر الحق بقوله: إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَ عَلى والِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا وَ إِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَ تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَ إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتى بِإِذْنِي وَ إِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ

مُبِينٌ «۲». و هکذا نری أن معجزات الأنبیاء السابقین علیهم الصلاة و السّلام کانت منسجمة مع ما نبغ فیه قومهم، لتثبت الحجة علیهم و یقوم البرهان علی صدق دعوی الرسل، و لکن کما أشرنا سابقا أن هذه المعجزات کانت محصورة فی زمن محدد و مرتبطة بوجود أصحابها من الرسل، و بعد التحاقهم بالرفیق الأعلی، غدت معجزاتهم تاریخا یذکر للعظة و العبرة.

ثانیا: معجزات نبینا محمد صلّی اللّه علیه و سلّم.

اشارة

ثانیا: معجزات نبینا محمد صلّی اللّه علیه و سلّم. أیّد اللّه سبحانه و تعالی نبیه محمدا صلی اللّه علیه و سلّم بمعجزات حسیة مدرکة، و بالمعجزة الخالدة القرآن الکریم، و ستذکر لمحة سریعة عن المعجزات الحسیة، لیرکز بعدها علی المعجزة الخالدة.

المعجزات الحسیة:

اشارة

المعجزات الحسیة: بین معجزة نبینا محمد صلی اللّه علیه و سلم و معجزات الأنبیاء السابقین، قاسم مشترک من جهة المعجزات الحسیة فلقد أیّد الحق عز و جل رسوله الکریم صلی اللّه علیه و سلم بمعجزات حسیة ورد ذکرها فی القرآن الکریم و السنّة المطهرة، من ذلک نبع الماء من بین أصابعه صلی اللّه علیه و سلم، و تکثیر

(______________________________ ۱) سورة مریم، الآیات ۲۷- ۳۲. (۲)

سورة المائدة، الآیة: ۱۱۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۵ الطعام القلیل، و حنین الجذع، و انشقاق القمر و غیرها، و لنوجز العرض فی الحدیث عن هذه المعجزات.

۱- نبع الماء:

۱- نبع الماء: روی البخاری فی صحیحه من حدیث أنس بن مالک رضی اللّه عنه أنه قال: (رأیت رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و حانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء فلم یجدوه، فأتی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم بوضوء، فوضع رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم یده فی ذلک الإناء، و أمر الناس یتوضئوا منه فرأیت الماء ینبع من تحت أصابعه حتی توضئوا من عند آخرهم) «۱». و فی روایة، قال قتادة: (قلت لأنس: کم کنتم قال: ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة) «۲». و روی البخاری فی صحیحه کذلک من حدیث جابر بن عبد اللّه رضی اللّه عنه قال: (عطش الناس یوم الحدیبیة، و النبی صلی اللّه علیه و سلم بین یدیه رکوة فتوضأ، جهش الناس نحوه، فقال: «ما لکم»؟ قالوا: لیس عندنا ماء نتوضأ و لا نشرب إلا ما بین یدیک، فوضع یده فی الرکوة فجعل الماء یثور بین أصابعه کأمثال العیون، فشربنا و توضأنا، قلت: کم کنتم؟ قال: لو کنا مائة ألف لکفانا، إنا کنا خمس عشرة مائة) «۳».

(______________________________ ۱) صحیح البخاری، محمد بن إسماعیل البخاری، بیروت، دار الیمامة، تحقیق، د. مصطفی البغا، الطبعة الثالثة، ۱۴۰۷/ ۱۹۸۷، باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة، رقم (۱۶۷)، ۱/ ۷۴، و صحیح مسلم، مسلم بن الحجاج القشیری النیسابوری، بیروت، دار إحیاء التراث العربی، تحقیق، محمد فؤاد عبد الباقی، د. ت، رواه فی الفضائل، باب معجزات النبی صلی اللّه علیه و سلم رقم (۲۲۷۹)، ۴/ ۱۷۸۳، و سنن الترمذی، محمد بن عیسی

الترمـذی السـلمی، بیروت، دار إحیاء التراث العربی، تحقیق، أحمد شاکر و آخرون، د. ت، رواه فی المناقب رقم: (۳۶۳۱)، ۵/ ۵۹۶، و موطأ مالک، مالک بن أنس الأصبحی، القاهرة، دار إحیاء التراث العربی، تحقیق، محمـد فؤاد عبـد الباقی، د. ت رقم (۶۲)، ۱/ ۳۲، و مسـند الشافعی، محمـد بن إدریس الشافعی، بیروت، دار الکتب العلمیـة، د. ت، ۱/ ۵۱، و سـنن البیهقی الکبری أحمد بن الحسـین بن علی بن موسـی البیهقی، مکـة المکرمـة، دار البـاز، تحقیق، محمـد عبـد القـادر عطا، ۱۴۱۴ ه/ ۱۹۹۴، رقـم (۸۷۸) ۱/ ۱۹۳. (۲) رواه البخاری، فی المناقب، باب علامات النبوة، رقم (۳۳۷۹)، ۳/ ۱۳۰۹. (۳) رواه البخاری، فی المناقب، باب علامات النبوة، رقم (۳۳۸۰)، ۳/ ۱۳۱۰، و مسند أحمد، أحمد ابن حنبل الشیبانی، القاهرة، مؤسسة قرطبة، د. ت، فی مسند جابر بن عبد الله، رقم (۱۴۵۶۲)، ۳/ ۳۲۹، و صـحیح ابن حبـان، محمـد بن حبـان بن أحمـد التمیمی البستی،- الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحـدیث، ص: ۳۶ و نحن نلحظ أن هذه المعجزة العظیمة أقامت الدلیل القاطع علی صدق نبوة محمد ابن عبد اللّه صـلی اللّه علیه و سلم ذلک لأنها خرقت قوانین البشـر، و مـا اعتـادوا علیه فی حیـاتهم، و أظهرت لهم وجه الإعجـاز العظیم، فالماء تراه الأعین کیف ینبع و یفور من بین أصابعه صلی اللّه علیه و سـلم و أیدی الصـحابة الکرام تغترف منه و تتوضّأ و الناس شربوا منه حتی ارتووا و انطفأ لهیب ظمأهم. یقول القاضی عیاض: (و مثل هذا فی هذه المواطن الحافلة و الجموع الکثیرة، لا تتطرق التهمة إلی المحدث به، لأنهم کانوا أسـرع شیء إلی تکذیبه لمـا جبلت النفوس علیه من ذلـک، و لأنـهم کانوا ممن لا یسـکت علی باطل، فهؤلاء قـد رووا هـذا، و أشاعوه و نسـبوا حضور الجمّاء الغفیر له، و لم ینکر أحد من الناس علیهم ما حدثوا به عنهم أنهم فعلوا و شاهدوه، فصار کتصدیق جمیعهم له) «۱».

۲- تکثیر الطعام:

۲- تکثیر الطعـام: (عن عبـد الرحمن بن أبی بکر رضـی اللّه عنهمـا قال: کنا مع النبی صـلی اللّه علیه و سـلم ثلاثین و مائـة، فقال النبی صلی اللّه علیه و سـلم: «هل مع أحد منکم طعام»؟ فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه، فعجن، ثم جاء رجل مشـرک، مشعان طویل، بغنم یسوقها، فقال النبی صـلی اللّه علیه و سـلم: «بیعا أم عطیـة» أو قال: «أم هبـة» قال: لا بل بیع، فاشتری منه شاة، فصـنعت، و أمر النبی صلی اللّه علیه و سـلم بسواد البطن أن یشوی و أیم اللّه، ما فی الثلاثین و المائة إلا قد حز النبی صـلی اللّه علیه و سـلم له حزة من سواد بطنها، إن کان شاهدا أعطاها إیاه، و إن کان غائبا خبأ له، فجعل منها قصعتین، فأکلوا أجمعون و شبعنا، ففضلت القصعتان فحملناه علی البعیر) «۲ - ___». بیروت، مؤسسة الرسالة، تحقیق، شـعیب الأرناءوط، الطبعة الثانیة، ۱۴۱۴ ه/ ۱۹۹۳ رقم: (۶۵۴۱)، ۱۴/ ۴۷۹، و صـحیح ابن خزیمة، محمد بن إسحاق بن خزیمة النیسـابوری، بیروت، المکتب الإسـلامی، تحقیق، محمـد مصـطفی الأعظمی، ۱۳۹۰ ه رقـم: (۱۲۴) ۱/ ۶۵. (۱) الشـفا بتعریف حقوق المصـطفی، للقاضی أبی الفضل عیاض بن موسی الیحصبی، بیروت، دار الکتاب العربی، تحقیق، علی محمد البجاوی، د. ت، ۱/ ۴۰۵. (۲) رواه البخاری، فی الهبة، باب قبول الهدیة من المشرکین، رقم (۲۴۷۴)، ۲/ ۹۲۳، و رواه مسلم، فی الأشربة، باب إکرام الضیف رقم (۲۰۵۶)، ۳/ ۱۶۲۶، و الآحـاد و المثـانی، أحمـد ابن عمرو بن الضـحاک الشـیبانی، الریـاض، دار الرایـة، تحقیق، باسم فیصل الجوابرة الطبعة الأولی، ۱۴۱۱ ه، رقم (۶۵۶)، ۱/ ۴۷۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحـدیث، ص: ۳۷ (و عن إسـحاق بن عبد اللّه بن أبی طلحة: أنه سـمع أنس بن مالک یقول: قال أبو طلحة لأم سـلیم لقد سـمعت صوت رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم ضعیفا، أعرف فیه الجوع، فهـل عنـدک من شـیء؟ قـالت: نعم فأخرجت أقراصا من شـعیر، ثم أخرجت خمارا لها فلفّت الخبز ببعضه ثم دسـته تحت یـدی و لاثتنی ببعضه، ثم أرسـلتنی إلی رسول اللّه صـلی اللّه علیه و سـلم، قال: فذهبت به، فوجدت رسول اللّه صـلی اللّه علیه و سلـم فی المسـجد و معه النـاس فقمت علیهم، فقـال لی رسـول اللّه صـلی اللّه علیه و سـلم: «أ أرسـلک أبـو طلحـة»؟ فقلت: نعم، قـال: «بطعـام»؟ قلـت: نعـم، فقـال رسـول اللّه صـلی اللّه علیه و سـلم لمن معه: «قومـوا» فـانطلق و انطلقت بین أیـدیهم، حتی جئت أبـا طلحة

فأخبرته، فقال أبو طلحهٔ: يا أم سليم، قد جاء رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بالناس، و ليس عندنا ما نطعمهم؟ فقالت: اللّه و رسوله أعلم، فانطلق أبو طلحهٔ حتى لقى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، فأقبل رسول صلى اللّه عليه و سلم و أبو طلحهٔ معه، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «هلمى يا أم سليم ما عندك» فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ففتّ، و عصرت أم سليم عكّهٔ فأدمته، ثم قال رسول اللّه فيه ما شاء أن يقول، ثم قال: «ائذن لعشرهٔ»، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرهٔ» فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرهٔ» فأكل القوم كلهم و شبعوا، و القوم سبعون أو ثمانون رجلا) «۱». و هناك غير هاتين الروايتين فى السنن الصحيحهٔ تدل بمجملها على تكثير الطعام القليل بين يديه صلى اللّه عليه و سلم، و هذه من دلائل نبوته صلى اللّه عليه و سلم، و إلا فهل يعقل عادهٔ أن كسارهٔ خبز من شعير، تكفى لسبعين رجل أشداء أقوياء، و يأكلون حتى يشبعوا و يزيد؟.

۳- حنين الجذع:

۳- حنين الجذع: حديث حنين الجذع حديث مشهور معروف، و قد أخرجه أهل الصحيح و رواه عدد من الصحابهٔ الكرام ... من ذلك ما رواه البخارى من حديث جابر بن عبد اللّه رضى اللّه عنه قال: (كان المسجد

(____۱) رواه البخارى، فى الأطعمهٔ، باب من أكل حتى شبع، رقم (۶۳۱۰)، ۶/ ۲۴۶۱، و مسلم فى الأشربهٔ، باب استحباب الاجتماع على الطعام، رقم (۲۰۴۰)، ۳/ ۱۶۱۲، مسند عبد بن الحميد، عبد بن حميد بن نصر الكسى، القاهرهٔ، مكتبهٔ السنهٔ، تحقيق، صبحى السامرائى و محمود الصعيدى، الطبعهٔ الأولى، ۱۴۰۸ ه/ ۱۹۸۸، رقم (۱۲۳۸)، ۱/ ۳۷۱، و المعجم الكبير، للإمام سليمان بن أحمد الطبرانى، الموصل، مكتبهٔ العلوم و الحكم، تحقيق، حمدى السلفى، الطبعهٔ الثانيهٔ، د. ت، رقم (۲۷۶)، ۲۵/ ۱۰۷. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۸ مسقوفا على جذوع من نخل، فكان النبى صلى اللّه عليه و سلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر و كان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار، حتى جاء النبى صلى اللّه عليه و سلم فوضع يده عليها فسكنت) «۱». و روايهٔ أخرى لجابر بن عبد اللّه (أن النبى صلى اللّه عليه و سلم كان يقوم يوم الجمعهٔ إلى شجرهٔ أو نخلهٔ فقالت امرأهٔ من الأنصار، أو رجل: يا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أ لا نجعل لك منبرا؟ قال: «إن شئتم» فجعلوا له منبرا فلما كان يوم الجمعهٔ دفع إلى المنبر، فصاحت النخلهٔ صياح الصبى، ثم نزل النبى صلى اللّه عليه و سلم فضمه إليه يئن أنين الصبى، الذى يسكن، قال: «كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها» «۲». قال صاحب «فتح البارى» معقبا: (... و فى الحديث دلالهٔ على أن الجمادات قد يخلق اللّه لها إدراكا كالحيوان بل كأشرف الحيوان، و فيه تأييد لقول من يحمل وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ على ظاهره، و قد نقل ابن أبى حاتم فى مناقب الشافعى، عن أبيه عن عمرو بن سواد عن الشافعى قال: ما أعطى اللّه نبيا ما أعطى محمدا صلى اللّه عليه و سلم، فقلت: أعطى عيسى إحياء الموتى، قال: أعطى محمدا حنين الجذع حتى سمع صوته، فهل أكبر من ذلك) «۳».

۴- انشقاق القمر:

۴- انشقاق القمر: معجزهٔ انشقاق القمر من أعظم معجزاته الحسيهٔ صلى اللّه عليه و سلم التى خلّدها القرآن الكريم و ثبتت فى الصحاح، و هى مكرمهٔ إلهيهٔ لرسوله صلى اللّه عليه و سلم، و لم ينشقّ القمر لأحد من قبله من أنبياء اللّه و مرسليه، و قد رآها الناس رأى العين، و شاهدوا انفلاق القمر إلى فلقتين فى كبد السماء، و سألوا أهل البوادى و القوافل الرّحالهٔ عن ذلك فما أنكر منهم أحد،

إلا من ركب رأسه، و آثر الجحود السافر على دلائل الحق و براهين الهدى.

(۱) رواه البخارى، فى المناقب، باب علامات النبوة، رقم (۳۳۹۱)، ۳/ ۱۳۱۴، و رواه أحمد، رقم (۱۴۱۵۱)، ۳/ ۲۹۳، و سنن الدارمى، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى، بيروت، دار الكتاب العربى، تحقيق، خالد العلى، الطبعة الأولى، ۱۴۰۷ ه رقم (۱۵۶۲) ۱/ ۴۴۲. (۲) رواه البخارى، فى المناقب، باب علامات النبوة، رقم (۳۳۹۲)، ۳/ ۱۳۱۴، و البيهقى فى سننه، رقم (۵۴۸۷)، ۳/ ۱۹۵. (۳) فتح البارى شرح صحيح البخارى، أحمد بن على بن حجر العسقلانى، القاهرة، دار الريان، تعليق، محمد فؤاد عبد الباقى، الطبعة الثانية، ۱۹۸۸ م، ۸/ ۵۰۴. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۹ و يثبت القرآن هذه المعجزة فى سورة من كتابه العزيز، سماها سورة «القمر» و كان مطلع استهلالها قول الحق: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ «۱». روى الطبرى بسنده فى تفسيره، عن أبى عبد الرحمن السلمى قال: (نزلنا المدائن فكنا منها على فرسخ، فجاءت الجمعة، فحضر أبىّ، و حضرت معه، فخطبنا حذيفة فقال ألا إن اللّه يقول: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ ألا و إن الساعة قد اقتربت، ألا و إن القمر قد انشق، ألا و إن الدنيا قد أذنت بفراق و إن اليوم مضمار و غدا السباق ...) «۲». يقول الحافظ ابن كثير: وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ قد كان هذا فى زمان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كما ورد ذلك فى الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة، و قد ثبت فى الصحيح عن ابن مسعود أنه قال خمس قد مضين، الروم و الدخان و اللزام و البطشة و القمر، و هذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع فى زمان النبى صلى اللّه عليه و سلم و أنه كان إحدى معجزاته الباهرات) «۳». و كما ذكر الحافظ ابن كثير بأن الأحاديث فى هذه المعجزة ثابتة و كثيرة، و منها ما ورد فى صحيح البخارى من حديث ابن عبد اللّه رضى اللّه عنه قال: (انشق القمر و نحن مع النبى صلى اللّه عليه و سلم، بمنى فقال: اشهدوا، و ذهبت فرقة نحو الجبل) «۴». قال الخطابى كما ورد فى «فتح البارى»: (انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شىء من آيات الأنبياء، و ذلك أنه ظهر فى ملكوت السماء خارجا عن جملة طباع ما فى هذا العالم المركب من الطبائع، فليس مما يطمع فى الوصول إليه بحيلة، فلذلك صار البرهان به أظهر) «۵». ثم إن حادثة انشقاق القمر على الرغم من استفاضة الأخبار حولها، و تخليد القرآن لها و كفى بالقرآن شاهدا على وقوعها، و ما نقل فى الصحيح عن النبى صلى اللّه عليه و سلم على الرغم

(۱) سورة القمر، الآية: ۱. (۲) جامع البيان عن تأويل آى القرآن، محمد بن جرير بن يزيد الطبرى، بيروت، دار الفكر، ۱۴۰۵ ه، ۱۲ / ۵۱. (۳) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، بيروت، دار الفكر، ۱۴۰۱ ه، ۴/ ۴۲۷. (۴) رواه البخارى، فى فضائل الصحابة، باب انشقاق القمر، رقم (۳۶۵۶) ، ۳/ ۱۴۰۴، و أحمد فى مسنده، رقم (۴۳۵۷) ، ۱/ ۴۵۶. (۵) فتح البارى، لابن حجر، ۹/ ۴۱. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۴۰ من هذا كله، فإن العلم يأتى اليوم ليثبت وقوعها، و ذلك عند ما وطأ رواد الفضاء القمر و درسوا خصائصه و ظروفه بكل أنواعها، و كان مما انكشف لهم معجزة انشقاق القمر و سيأتى الحديث عن هذه القضية خلال عرضنا للصور التطبيقية حول الإعجاز العلمى فى مبحث القمر إن شاء اللّه تعالى. و بعد هذا العرض الموجز لطائفة من معجزات رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم الحسية، هناك معجزات أخرى كثيرة وردت فى الصحاح يمكن الرجوع إليها و الاستزادة و الاستفادة من أخبارها، و من أبرزها معجزة الإسراء و المعراج و غيرها ... و يلفت الانتباه هنا إلى قضية لها بالغ الأهمية فى هذا الصدد ألا و هى أن المعجزات التى ذكرنا، منها ما قد جرت مجرى إثبات و إظهار صدق رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى دعواه و دون معارضة أو تحد، و منها ما قد تحدى اللّه به القوم، و فى كلتا الحالتين دليل ساطع على أن اللّه تبارك و تعالى قد أجرى على يد رسوله الكريم صلى اللّه عليه و سلم معجزات كانت خارقة لنواميس الكون و ما اعتاده البشر فى حياتهم، و فى نفس الوقت هى دليل على أن ما جاء به محمد صلى اللّه عليه و سلم هو من عند اللّه تبارك و تعالى ... و فى هذا يقول ابن حجر: (... و أما ما عدا القرآن من نبع الماء من بين أصابعه و تكثير الطعام و انشقاق القمر و نطق الجماد، فمنه ما وقع التحدى به، و منه ما وقع دالا على صدقه من غير سبق تحد، و مجموع ذلك يفيد

القطع بأنه ظهر علی یده صلی اللّه علیه و سلم من خوارق العادات شیء كثیر) «۱». ثم إن هذه المعجزات الحسیة التی وردت إن وقع بها التحدی للقوم الذین كذبوا النبی كانت معجزة، لأنه یشترط فی المعجزة و كما مرّ معنا التحدی، و إن لم یقع بها التحدی، كتكثیر الطعام و نبع الماء من بین أصابعه الشریفة صلی اللّه علیه و سلم، فهذه تدخل فی نطاق دلائل و علامات النبوة، لأنه لا تحدی أی هی مما یعجز القوم عن الإتیان به، فمن من البشر ینبع الماء من بین أصابعه عند ما یشاء؟ و هذا ما أوضحه ابن حجر فی مستهل حدیثه عن علامات النبوة فقال: (العلامات جمع علامة و عبر بها المصنف لكون ما یورده من ذلك أعم من المعجزة و الكرامة و الفرق بینهما أن المعجزة أخص و لأنه یشترط فیها أن یتحدی النبی من یكذبه بأن

(۱) المصدر نفسه، ۷/ ۴۷۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۱

یقول: إن فعلت كذلك أتصدق بأنی صادق، أو یقول من یتحداه: لا أصدقك حتی تفعل كذا، و یشترط أن یكون المتحدی به مما یعجز عنه البشر فی العادة المستمرة، و قد وقع النوعان للنبی صلی اللّه علیه و سلم فی عدة مواطن، و سمیت المعجزة، لعجز من یقع عندهم ذلك عن معارضتها) «۱».

(۱) فتح الباری، لابن حجر العسقلانی، ۸/ ۴۷۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۲

المبحث الثالث مراحل التحدی بالقرآن الكریم

اشارة

المبحث الثالث مراحل التحدی بالقرآن الكریم سبقت الإشارة إلی أن من شروط المعجزة التحدی، و بما أن القرآن الكریم هو المعجزة الخالدة و هو الآیة الساطعة الناطقة بنبوة محمد صلی اللّه علیه و سلم، فكان لزاما أن یمیط اللثام عن مزاعم القوم، و ضعفهم و عجزهم أمام عظمته و إعجازه، فلذلك دخل معهم ساحة التحدی، و میدان المبارزة ... و نلحظ ذلك فی غیر ما موضع من كتاب اللّه تعالی، حیث مهّد للتحدی بآیات عظیمة تعلن أن مصدر هذا القرآن هو من عند اللّه عز و جل، و من المحال أن یصدر من أدمغة البشر مهما ترقوا فی مدارج العبقرة و التأمل ... و ها هو ذا یؤكد هذا المعنی من جهة، و یبدد سحب الظلام التی تغشّت سماء عقول القوم من جهة أخری حول مصدر القرآن الكریم، قال تعالی: وَ ما كانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ یُفْتَری مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لكِنْ تَصْدِیقَ الَّذِی بَیْنَ یَدَیْهِ ... «۱». جاء فی «فتح القدیر» عند هذه الآیة: (أی و ما صح و ما استقام أن یكون هذا القرآن المشتمل علی الحجج البینة و البراهین الواضحة یفتری من الخلق من دون اللّه، و إنما هو من عند اللّه عز و جل و كیف یصح أن یكون مفتری، و قد عجز عن الإتیان بسورة منه، القوم الذین هم أفصح العرب لسانا و أدقهم أذهانا وَ لكِنْ كان هذا القرآن تَصْدِیقَ الَّذِی بَیْنَ یَدَیْهِ من الكتب المنزلة علی الأنبیاء، و نفس هذا التصدیق معجزة مستقلة، لأن أقاصیصه موافقة لما فی الكتب المتقدمة، مع أن النبی صلی اللّه علیه و سلم لم یطلع علی ذلك و لا تعلمه و لا سأل عنه و لا اتصل بمن له علم بذلك) «۲». ثم یقلب وجوه عموم هذا التحدی، و ذلك من خلال التنبیه علی أن هذا الكتاب

(۱) سورة یونس، الآیة: ۳۷. (۲) فتح القدیر، محمد بن علی الشوكانی، بیروت، دار إحیاء التراث العربی، د. ت، ۲/ ۶۴۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۳

الذی ضمّ بین دفتیه آیات و سورا كثیرة، و ما انطوت علیه هذه السور من أحكام الحلال و الحرام، و قصص الأقوام الغابرة، و سبل ترسیخ العقیدة فی النفوس، و معالم الآداب و الأخلاق الرفیعة ... كل ذلك ذكر فی القرآن الكریم بدقة بالغة، و حكمة عالیة و وضوح لا یعتریه لبس، و إحكام لا یتسرب إلیه تناقض قال تعالی: أَ فَلا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَیْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِیهِ اخْتِلافاً كَثِیراً «۱». و فی موضع آخر یوضح الحق سفور جهلهم، و شدة مغالطتهم لأنفسهم و إنكارهم

لواقعهم و ماضيهم، و ذلک من خلال توصيدهم أبواب الزمن أمام أربعين سنة عاشها رسول اللّه بين ظهرانيهم و الجميع موقن أنه أمی لا يقرأ و لا يكتب، فأنی له هـذا القرآن؟ قُلْ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَ لا أَدْراكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ «٢». يا سبحان اللّه، لقد كان بوسعه صلى اللّه عليه و سلم أن لا يتلوه عليهم و لا يقرأ شيئا منه إن كان من عنده، و لكنه وحی من عند اللّه تبارک و تعالی، ينبغی أن يبلغه، و يجب عليه أن يبين لهم أحكامه و توجيهاته كما أنزلت، و كما نصّ عليها الحكيم الخبير سبحانه و تعالی. (لقد شعروا بعجزهم فی قراءة أنفسهم عند ما دعوا إلی معارضة القرآن و الإتيان بمثله، و لكنهم عاندوا و استكبروا و لم يستجيبوا لنداء العقل و أحاسيس الفطرة التی يستشعرونها فی داخلهم، و قالوا عند سماع آيات القرآن تقرع مسامعهم و تتحداهم) «٣»؟ وَ إِذا تُتْلی عَلَيْهِمْ آياتُنا قالُوا قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا إِنْ هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ «۴». (و هـذا كما تری غاية المكابرة، و نهاية العناد، و كيف لا- و لو استطاعوا شيئا من ذلک فما الذی كان يمنعهم من المشيئة، و قد تحدوا عشر سنين و قرعوا علی العجز

(____١) سورة النساء، الآية: ٨٢. (٢) سورة يونس، الآية: ١۶. (٣) مباحث فی إعجاز القرآن، مصطفی مسلم، ص ٣٢، و انظر: مباحث فی علوم القرآن، د. صبحی الصالح، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة العشرون، ١٩٩٧ م، ص: ٣١٣. (۴) سورة الأنفال، الآية: ٣١. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۴۴

و ذاقوا من ذلک الأمرّين، ثم قورعوا بالسيف فلم يعارضوا بما سواه مع أنفتهم و فرط استنكافهم أن يغلبوا لا سيما فی باب البيان) «١». ثم إنهم راحوا يتهمون رسول اللّه صلی اللّه عليه و سلم بأنه متقوّل مفتر علی الحق عزّ و جلّ، و ذلک من خلال التدرج فی أحكام القرآن، و النسخ الحكيم الذی لا تكاد تخلو منه شريعة سماوية أو منهج وصفی قال اللّه تعالی: وَ إِذا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُنَزِّلُ قالُوا إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٠١) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هُدیً وَ بُشْری لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) «٢». و للأستاذ المراغی «٣» تعليق جميل فی تفسيره لهذه الآية، يقول: (و إذا نسخنا حكم آية فأبدلنا مكانه حكم آية أخری و الله أعلم بالذی هو أصلح لخلقه فيما يبدل من أحكامه قال المشركون المكذبون لرسوله: إنما أنت متقول علی اللّه تأمر بشیء ثم تنهی عنه، و أكثرهم لا- يعلمون ما فی التبديل من حكم بالغة، و قليل منهم يعلمون ذلک و ينكرون الفائدة عنادا و استكبارا ... ثم يبين لهؤلاء المعترضين علی حكمة النسخ، الزاعمين أن ذلک لم يكن من عند اللّه، و أن رسوله صلی اللّه عليه و سلم قد افتراه) «۴» فقال الحق سبحانه تعالی: قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هُدیً وَ بُشْری لِلْمُسْلِمِينَ «۵». (و عند ما ضاقت عليهم الحيلة و سدّت فی وجوههم السبل طرقوا كل باب فی الادعاء و الافتراء و البهتان لشدة حرصهم علی إبطال شأن القرآن و التشكيک فی ربانية مصدره فقالوا: وَ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلی عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا «۶»، و لكی

(____١) إرشاد العقل السليم تفسير القرآن الكريم، محمد بن مصطفی العمادی أبو السعود، بيروت، دار إحياء التراث العربی، د. ت، ۴/ ١٩. (٢) سورة النحل، الآيتان ١٠١، ١٠٢. (٣) (...- ١٣٧١ ه ...- ١٩۵٢، أحمد بن مصطفی المراغی، مفسر مصری، من العلماء، تخرج بدار العلوم سنة ١٩٠٩، ثم كان مدرس الشريعة الإسلامية بها، توفی بالقاهرة سنة ١٩۵٢، له كتب منها: الحسبة فی الإسلام، و الوجيز فی أصول الفقه، و تفسير المراغی و غيرها). انظر: الأعلام، للزركلی، ١/ ٢۵٨، بتصرف. (۴) تفسير المراغی، أحمد مصطفی مراغی، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولی، ١۴١٨ ه، ١٩٩٨، ١۴/ ١۴٣. (۵) سورة النحل، الآية: ١٠٢. (۶) سورة الفرقان، الآية: ۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۴۵

يلقوا ظلالا من الشكوک علی افترائهم لعلها تكون مستساغة عند الجاهلين بواقع الأمور قالوا: إن الذی يعلمه ليس من قريش، و إنما هو رجل لديه علم لم تعلمه قريش، و لكن أنّی لأعجمی أن يأتی ببيان معجز للعرب الفصحاء) «١»؟!؟ وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذِی يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَ هذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ «٢». و لم يكتف القوم بهذا الهراء البليد، بل إنهم راحوا يروجون علی الملأ، و بشتی وسائل إعلامهم فی ذلک الزمان، أن الذی يجری علی لسان محمد بن عبد اللّه ما هو إلا شعر نسج خيوطه و رتّب قوافيه فی هدأة من الليل المحندس، أو علی أقل تقدير هو سحر استقاه من شعوذة الدجالين و الكهنة. و تتنزل

آيات القرآن الكريم، لتمزّق أستار هذا الوهم، و تبدد أوصال هذه السذاجة و تصرخ فى وجوه المبطلين قائلة: وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلًا ما تُؤْمِنُونَ (۴۱) وَ لا بِقَوْلِ كاهِنٍ قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ (۴۲) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (۴۳) وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ (۴۴) لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (۴۵) ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ (۴۶) فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ (۴۷) وَ إِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (۴۸) وَ إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (۴۹) وَ إِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكافِرِينَ (۵۰) وَ إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (۵۱) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (۵۲) «۳». و لم يكتف الحق بذلك لكنه أعلن التحدى بالقرآن الكريم إعلان المظهر لعجزهم، المسفّه لعقولهم و هى المرحلة الأولى فى التحدى.

المرحلة الأولى:

المرحلة الأولى: كان التحدى فى هذه المرحلة بكل ما تنزل من السماء من القرآن العظيم، قال تعالى: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً «۴». (أى قل لهم متحديا: و اللّه لئن اجتمعت الإنس و الجن كلهم و اتفقوا على أن يأتوا (______ ۱)

مباحث فى إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ص ۳۲، و انظر: بحوث منهجية فى علوم القرآن، موسى إبراهيم، عمّان، دار عمار الطبعة الثانية، ۱۴۱۶ ه/ ۱۹۹۶، ص: ۱۲۴. (۲) سورة النحل، الآية: ۱۰۳. (۳) سورة الحاقة، الآيات ۴۱- ۵۲. (۴) سورة الإسراء، الآية: ۸۸. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۴۶ بمثل ما أنزل على رسوله بلاغة، و حسن معنى و تصرفا و أحكاما و نحو ذلك، لا يأتون بمثله و فيهم العرب العظماء و أرباب البيان، و لو تعاونوا و تظاهروا، فإن هذا غير ميسور لهم، فكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق الذى لا نظير له و لا مثيل ...) «۱». (إلا أننا وجدنا العرب أرباب الفصاحة و البلاغة و البيان يعجزون جميعا عن الإتيان بمثل هذا القرآن، الذى تتلى آية التحدى فيه صباح مساء، على رءوس الأشهاد، و كأنها تثير فيهم الحمية لمجابهة هذا التحدى، إلا أنهم رغم هذا و رغم كل ما يبذلونه من محاولة للقضاء على القرآن و دعوته لم يجدوا إلى تحدّى القرآن أى سبيل، و لو وجدوا لفعلوا ... إلا أنه العجز البشرى، أمام القدرة الإلهية التى لا تتحدّى ...) «۲». (و فى تقاصر قوى هؤلاء جميعهم عن ذلك، مع طول الزمن دليل قاطع على أنه ليس مما اعتيد صدوره عن البشر، بل هو كلام عالم الغيب و الشهادة ...) «۳».

المرحلة الثانية:

المرحلة الثانية: و تبدأ المرحلة الثانية، و هى مرحلة التحدى بعشر سور من القرآن الكريم، فبما أن القوم تعثرت عبقريتهم فى طريقها لتحدى القرآن، و تقوّضت أركان الفكر و البيان لديهم و راح العجز يحيطهم من كل مكان عن الإتيان بمثل هذا القرآن، أرخى الحق لهم العنان و طالبهم بعشر سور من مثل هذا البيان، فقال تعالى: أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ «۴». و يصف الدكتور مصطفى مسلم هذه المرحلة فيقول: (و لم يبق للمشركين أرض يقفون عليها و لا حجة يستندون إليها، فقالوا: إن هذه العلوم و الأمور الغيبية و الهدايات الواردة فى القرآن لا عهد لنا بها، و هذا سبب عجزنا عن معارضة القرآن، قالوا ذلك و هم لا يدرون أن هذا حجة عليهم لأن محمدا صلى اللّه عليه و سلم ما هو إلا رجل منهم عاش بين أظهرهم و لم يزد فى العلوم الاكتسابية عليهم بشىء، فأرخى القرآن الكريم لهم العنان (______ ۱) تفسير المراغى، أحمد مصطفى

المراغى، ۱۴/ ۹۲. (۲) المعجزة القرآنية، د. محمد حسن هيتو، ص: ۳۳. (۳) محاسن التأويل، محمد القاسمى، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، ۱۹۷۸، ۱۰/ ۲۹۶. (۴) سورة هود، الآية: ۱۳. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۴۷ و تنازل معهم فى المحاورة إلى مجال يتوهمون إحراز قصب السبق فيه و لم يطالبهم بشىء من حقائق الكون و التاريخ، و من قصص الأنبياء الغابرين و شأن الألوهية و كمالاتها و أمهات الأخلاق و مقومات الحضارات و رقىّ المجتمعات، و إنما عليهم أن يأتوا بمثل عشر سور

من سور القرآن، و لیفتروا موضوعاتها کما یشاءون علی أن تکون فی فصاحة القرآن و بلاغته) «۱». و نجد تعلیقا جمیلا علی هذه الآیة فی تفسیر «إرشاد العقل السلیم» (أی، بل یقولون افتراه و لیس من عند اللّه قُلْ إن کان الأمر کما تقولون فَأْتُوا أنتم أیضا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ فی البلاغة و حسن النظم ... مُفْتَرَیاتٍ صفة أخری لسور أخرت عن وصفها بالمماثلة لما یوحی لأنها الصفة المقصودة بالتکلیف إذ بها یظهر عجزهم و قعودهم عن المعارضة، و أما وصف الافتراء فلا یتعلق به غرض یدور علیه شیء فی مقام التحدی و إنما ذکر علی نهج المساهلة و إرخاء العنان، و لأنه لو عکس الترتیب لربما توهم أن المراد هو المماثلة فی الافتراء، و المعنی: فأتوا بعشر سور مماثلة له فی البلاغة، مختلقات من عند أنفسکم إن صح أنی اخلقته من عندی، فإنکم أقدر علی ذلک منی لأنکم عرب فصحاء بلغاء قد مارستم مبادی ذلک من الخطب و الأشعار و حفظتم الوقائع و الأیام و زاولتم أسالیب النظم و النثر) «۲». و لقد هشمت هذه الآیة کبریاء المشرکین، و فضحت عجزهم، و أردتهم فی مهاوی الذل و الخذلان فما استطاع أحد أن یتفوه ببنت شفه، و لقد استعجمت ألسنتهم عن النطق بمثل هذا الکلام البدیع و ذلکم النظم المتألق الفرید ... (أما زلتم تقیمون علی الزعم بأن محمدا افتری هذا القرآن علی اللّه ...؟ أم أنکم لم تبرحوا تتقوّلون أن القرآن أساطیر الأولین اکتتبها محمد فهی تملی علیه بکرة و أصیلا، لئن دار بعض هذا فی خلدکم فخلوا عنکم أخباره الغیبیة و علومه اللدنیة، فلن یکون أسهل علیکم حسب زعمکم من اختلاق عشر سور تماثله بلاغة أسلوب و فصاحة بیان، فأنتم العرب سادة الفصاحة و البلاغة؟ و قد دعیتم إلی مثله فی النظم فی أی معنی أردتم مطلقا غیر مقید، موسعا غیر مضیق، فلیس إلی معانی القرآن دعیتم، و لکن إلی بلاغة أسلوبه و فصاحة عباراته ... أما و قد عجزتم، و باء جمعکم بالخزی و الخذلان (________________ ۱) مباحث فی إعجاز القرآن الکریم، مصطفی مسلم، ص: ۲۳. (۲) إرشاد العقل السلیم، محمد بن مصطفی العمادی أبو السعود، ۴/ ۱۹۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۸ و لم یبق لدیکم بعد شائبة شبهة فی صدق هذا الرسول، و حقیّة القرآن، و بطلان ما أنتم علیه من شرک، فهل تغادرون المکابرة و العناد و تدخلون الإسلام دین اللّه أفواجا) «۱».

المرحلة الثالثة:

المرحلة الثالثة: و فی هذه المرحلة وسّع لهم الحق عز و جلّ، فتحداهم بسورة واحدة من القرآن الکریم حتی و لو کانت من أقصر سوره، فقال تعالی: أَمْ یَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ «۲». و للشوکانی رحمة اللّه کلام نفیس حول هذه الآیة نثبته هنا، یقول: (... و التقدیر، أ یقولون افتراه و الاستفهام للتقریع و التوبیخ، ثم أمره اللّه سبحانه و تعالی أن یتحداهم حتی یظهر عجزهم، و یتبین ضعفهم، فقال: قل: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ أی إن کان الأمر کما تزعمون من أن محمدا افتراه فأتوا أنتم علی جهة الافتراء بسورة مثله فی البلاغة، و جودة الصناعة، فأنتم مثله فی معرفة لغة العرب و فصاحة الألسن، و بلاغة الکلام وَ ادْعُوا بمظاهریکم و معاونیکم مَنِ اسْتَطَعْتُمْ دعاءه و الاستعانة به من قبائل العرب، و من آلهتکم التی تجعلونها شرکاء للّه، ثم یقول: و سبحان اللّه العظیم ما أقوی هذه الحجة، و أوضحها و أظهرها للعقول، فإنهم لما نسبوا الافتراء إلی واحد منهم فی البشریة و العربیة، قال لهم: هذا الذی نسبتموه إلیّ و أنا واحد منکم لیس علیکم إلا أن تأتوا و أنتم الجمع الجمّ بسورة مماثلة لسورة من سوره، و استعینوا بمن شئتم من أهل هذه اللسان العربیة علی کثرتهم و تباین مساکنهم، أو من غیرهم من بنی آدم، أو من الجن أو من الأصنام، فإن فعلتم هذا بعد اللتیا و التی فأنتم صادقون فیما نسبتموه إلیّ و ألصقتموه بی ... فلم یأتوا عند سماع هذا الکلام المنصف، و التنزل البالغ بکلمة و لا نطقوا ببنت شفة، بل کاعوا عن الجواب، و تشبثوا بأذیال العناد البارد، و المکابرة المجردة عن الحجة) «۳». و لکی یبرهن الحق تبارک و تعالی علی صدق نبوة محمد بن عبد اللّه صلوات اللّه (________________ ۱) المعجزة الخالدة، حسن ضیاء الدین عتر، بیروت، دار ابن حزم، الطبعة الثانیة، ۱۴۰۹/ ۱۹۸۹، ص: ۱۱۹. (۲) سورة یونس، الآیة: ۳۸. (۳) فتح القدیر، للشوکانی ۲/

۶۴۵- ۶۴۶. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۹ و سلامه علیه و یثبت عظمهٔ القرآن، و لقطع (دابر وساوس الشیطان و نزغات أهل الباطن المرجفین، و لکی لا یقال إن محمدا تحدی أهل مکهٔ، و الأمیّهٔ فاشیهٔ فیهم، و لا علم لهم بعلوم الأدیان و بالأنبیاء و الکتب، و لو أنه تحدی غیرهم لأمکنهم أن یأتوا بمثل قرآنه، کرر فی المرحلهٔ المدنیهٔ و بین ظهرانی أهل الکتاب، و سجل العجز المطلق لکل المخلوقین إلی یوم القیامهٔ، و لا زالت أصداؤه فی أذن الزمن علی مرّ العصور لیبرهن علی خلود الرسالهٔ و صدق صاحبها) «۱» وَ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلی عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُهَداءَکُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ (۲۳) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِی وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْکافِرِینَ (۲۴) «۲». إنه تحدّ بعد تحد، و من جرّاء تکرار هذا التحدی طبع الحق عز و جلّ علیهم طابع العجز و القصور، لیحولهم إلی کتلهٔ من الذل و الصغار، هیا شمّروا عن ساعد الجد و العنفوان، بکل وسائلکم و حیلکم، و استعینوا بمن شئتم و کیفما شئتم، و أتوا بسورهٔ تماثل هذا الکلام الإلهی الأخّاذ. یقول رشید رضا فی هذا المقام: (یا أیها الناس علیکم بعد أن تنسلوا من مضایق الوساوس و تتسللوا من مآزق الهواجس، و تنزعوا ما طوقکم به التقلید من القلائد و تکسروا مقاطر ما ورثتم من العوائد، أن تهرعوا إلی الحق فتطلبوه ببرهانه، و أن تبادروا إلی ما دعیتم إلیه فتأخذوه بربانه، فإن خفی علیکم الحق بذاته، فهذه آیهٔ من أظهر آیاته و هی عجزکم عن الإتیان بسورهٔ من مثل سور القرآن من رجل أمی مثل الذی جاءکم به، و هو عبدنا و رسولنا محمد صلی اللّه علیه و سلم، و إن عجزتم عن الإتیان بسورهٔ من مثله تساوی سورهٔ فی هدایتها، و تضارعها فی أسلوبها و بلاغتها، و أنتم فرسان البلاغهٔ و عصرکم أرقی عصور الفصاحهٔ، و قد اشتهر کثیر منکم بالسبق فی هذا المیدان، و لم یکن محمد صلی اللّه علیه و سلم ممن یسابقکم من قبل هذا البرهان، لأنه لم یؤت هذا الاستعداد بنفسه و لم یتمرن علیه أو یتکلفه لمباراهٔ أهله، فاعلموا أن ما جاء به بعد أربعین سنهٔ فأعجزکم بعد سبقکم، لم یکن إلا بوحی إلهی و إمداد سماوی لم یسم عقله إلی علمه، و لا بیانه إلی أسلوبه و نظمه) «۳».

(______________________________

۱) مباحث فی إعجاز القرآن، مصطفی مسلم، ص: ۳۴. (۲) سورهٔ البقرهٔ، الآیتان ۲۳. ۲۴. (۳) تفسیر المنار، رشید رضا، ۱/ ۱۹۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۵۰ و بعد هذا التحدی العظیم الذی قصم الظهور، و أذلّ الأعناق، ما استطاع أحد منهم أن یتجرأ أو یتلفّظ بسورهٔ تشابه کلام اللّه تعالی، بل راحوا یتساقطون و ینهزمون، بعجز سافر و ضعف ذلیل، لقد مدّ الیأس سلطانه علی نفوسهم، و امتلأت أقطار نفوسهم بالإحباط و الفشل، و رأوا أنفسهم ذرهٔ أمام قلعهٔ شماء شامخهٔ، إنها قلعهٔ البیان و صرح القرآن، إنه المعجزهٔ الخالدهٔ علی مرّ العصور و الأزمان، إنه کلام اللّه. تلک هی مراحل التحدی، و لقد أشار الحافظ ابن کثیر إلی ترتیبها، علی النحو الذی ذکرنا عند تفسیره لقوله سبحانه و تعالی: أَمْ یَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ «۱» یقول: (فأتوا أنتم بسورهٔ من مثله، أی من جنس هذا القرآن و استعینوا علی ذلک بکل من قدرتم علیه من إنس و جن، و هذا هو المقام الثالث فی التحدّی، فإنه تعالی تحدّاهم و دعاهم، إن کانوا صادقین فی دعواهم أنه من عند محمد، فلیعارضوه، بنظیر ما جاء به وحده و لیستعینوا بمن شاءوا، و أخیرا أنهم لا یقدرون علی ذلک و لا سبیل لهم إلیه فقال سبحانه تعالی: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلی أَنْ یَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا یَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ کانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِیراً «۲» ثم تقاصر معهم إلی عشر سور منه فقال فی أول سورهٔ هود: أَمْ یَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَیاتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ «۳». ثم تنازل إلی سورهٔ فقال فی هذه السورهٔ «۴»: أَمْ یَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ «۵». رأینا من خلال هذا العرض، عظمهٔ القرآن و هو یتحدّی العرب، و کیف أنه یطاولهم فی المعارضهٔ ثم إنه قد تنازل لهم فی تحدیهم بجمیع القرآن إلی التحدی بعشر سور مثله، و من ثم إلی التحدی و لو بسورهٔ واحدهٔ، و هم مع ذلک یتقلبون فی أطوار کلیلهٔ هزیلهٔ من عجز إلی عجز و من نکص إلی نکص، و القرآن یتألق فی کل مرحلهٔ و ینتقل من فوز إلی فوز، و من ألق إلی ألق.

(______________________________

۱) سورهٔ یونس، الآیهٔ: ۳۸. (۲) سورهٔ

الإسراء، الآية: ٨٨. (٣) سورة هود، الآية: ١٣. (۴) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ۴ / ٣٠۴، و انظر: لوامع الأنوار البهية، محمد السفارينى الحنبلى، بيروت، المكتب الإسلامى، الطبعة الثالثة، ١۴١١ ه/ ١٩٩١، ١/ ١٧٠. (۵) سورة يونس، الآية: ٣٨. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۵١ و لكن بعد هزيمة العرب و عجزهم عن تحدى القرآن الكريم، ما هو القدر المعجز من القرآن الكريم؟

[القدر المعجز من القرآن الكريم

[قدر المعجز عند الأشعريين

[قدر المعجز عند الأشعريين أورد القاضى الباقلانى فى كتابه «إعجاز القرآن» خلاف العلماء فى ذلك فقال: (قدر المعجز عند الأشعريين: الذى ذهب إليه عامة أصحابنا، و هو قول أبى الحسن الأشعرى فى كتبه، أن أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة، قصيرة كانت أم طويلة، أو ما كان بقدرها، قال: فإذا كانت الآية بقدر حروف السورة، و إن كانت سورة الكوثر، فذلك معجز. قال: و لم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة فى أقل من هذا القدر.

القدر المعجز عند المعتزلة:

القدر المعجز عند المعتزلة: و ذهب المعتزلة إلى أن كل سورة برأسها فهى معجزة ... و قد حكى عنهم نحو قولنا، إلا أن منهم من لم يشترط كون الآية بقدر السورة، بل شرط الآيات الكثيرة و قد علمنا أنه تحداهم تحديا إلى السور كلها و لم يخص، و لم يأتوا لشىء منها بمثل، فعلم أن جميع ذلك معجز) «١». و يرى الشيخ الزرقانى «٢» أن (القدر المعجز من القرآن هو ما يقدر بأقصر سورة منه، و أن القائلين بأن المعجز هو كل القرآن لا بعضه، و هم المعتزلة، و القائلين بأن المعجز كل ما يصدق عليه أنه قرآن و لو كان أقل من سورة، كل أولئك بمنأى عن الصواب) «٣». و يؤكد هذا الدكتور مصطفى مسلم فيقول: (و بما أن السورة جاءت بلفظ نكرة بسورة، فهى تشمل كل سورة فى القرآن طويلة أو قصيرة، فيكون القدر المعجز من القرآن هو السورة من القرآن الكريم طويلة أو قصيرة، هذا هو رأى جمهور العلماء، إلا أن بعضهم زاد على ذلك: أن مقدار السورة القصيرة، هى ثلاث آيات معجز أيضا) «۴».

____

(١) إعجاز القرآن، محمد بن الطيب الباقلانى، بيروت، دار إحياء العلوم، تعليق، محمد سكر، الطبعة الثالثة، ١۴١۵ ه/ ١٩٩۴، ص: ٣٢۴. (٢) (...- ١٣۶٧ ه ...- ١٩۴٨، محمد عبد العظيم الزرقانى، من علماء الأزهر بمصر، تخرج بكلية أصول الدين، و عمل بها مدرسا لعلوم القرآن و الحديث، و توفى بالقاهرة، من كتبه: مناهل العرفان فى علوم القرآن). انظر: الأعلام، للزركلى، ۶/ ٢١۵، بتصرف. (٣) مناهل العرفان فى علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقانى، بيروت، دار الفكر، تحقيق، مكتب البحوث و الدراسات، الطبعة الأولى ١٩٩۶، ٢ / ٢٣٠. (۴) مباحث فى إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ص: ٣۵. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۵٢ استدراك: هناك استدراك بسيط يلفت الانتباه إليه هنا، و هو أن الجمهور ذهبوا إلى أن القدر المعجز من القرآن هو السورة، سواء كانت طويلة أم قصيرة كسورة الكوثر، لكن الذى زاد على هذا الذى ذهب إليه الجمهور- كما سلف- فقال: أو مقدار السورة القصيرة، و هى ثلاث آيات معجز أيضا، هذا الرأى يحتاج إلى تمحيص و تحقيق ... فالحق سبحانه و تعالى قال: وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ (٢۴) «١» فاللّه تبارك و تعالى تحداهم بِسُورَةٍ و هى نكرة فهى تشمل السورة القصيرة و الطويلة، لكنه لم يقل: أو مقدارها، فمقدار أقصر سورة و هى سورة الكوثر ثلاث آيات، هل هو معجز؟. الجواب: نحن نعلم من خلال دراستنا لأسلوب القرآن الكريم فى

عرض السورة، أن السورة لها بناء متكامل، و وحدة موضوعية دقيقة، و تناسق و تساوق فى إبراز معالم القضية المعروضة من مقدمة و لب و خاتمة، و لربما تبسط القضية فتأخذ شوطا واسعا أو تكون مقتضبة، و فى كل الأحوال فإنها تعبر عن شخصية متكاملة، و هذا هو الميزان الذى ينبغى أن نحتكم إليه عند ما نقول: أو ما يماثل السورة من الآيات، فإن كانت هذه الآيات التى تماثل السورة خاضعة لهذا الميزان ففيها الإعجاز و إلا فالقول ما قاله ربنا بِسُورَةٍ، و هذا لا يعنى أن فى مقدور أحد من البشر أن يأتى بمقدار أقصر سورة من الآيات، أى بثلاث آيات، لا و إنما نركز و نقيد قدر السورة بالوحدة الموضوعية، و البناء المت ناسق الذى هو شرط للقول بالإعجاز.
(____ ١) سورة البقرة، الآيتان، ٢٣ – ٢٤.

الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ٥٣

المبحث الرابع عجز المشركين و اعترافهم بعظمة القرآن

اشارة

المبحث الرابع عجز المشركين و اعترافهم بعظمة القرآن بعد ما استعرض الحق آيات التحدى فى كتابه العظيم، و طلب منهم أن يأتوا بسورة من مثله و فيهم فحول الشعراء و الخطباء الذين ذاع صيتهم و انتشر خبرهم بين الناس، و إذا بالقوم تستعجم ألسنتهم، و تهتز أركان البلاغة و البيان لديهم، فراحوا يتهربون و يتهافتون و منهم من قد تسربل بقناع الأنفة و الاستكبار، فقال هو و أمثاله كما وصفهم ربنا تبارك و تعالى: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذا إِلَّا إِفْكٌ افْتَراهُ وَ أَعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جاؤُ ظُلْماً وَ زُوراً (۴) وَ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا (۵) «۱». و قولهم: وَ قالُوا يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ «۲». (و هكذا التمسوا لأنفسهم عذر القعود عن معارضته بأنه أساطير الأولين، أو قول شاعر مجنون أو هو كذب أعانه على اختلاقه أناس آخرون، و اعتبروا اتهامهم هذا عذرا يسوّغ صمتهم، و يبرر عجزهم الفاضح عن المعارضة ... يا للمنطق السديد؟ أ لا ترى أن هذا التهرب من مواجهة التحدى و من تقديم المعارضة ليس فى الواقع إلا إقرارا منهم بالعجز و أى إقرار) «۳»؟ يقول الإمام الباقلانى: (فلو كان هذا القرآن من ذلك القبيل: الشّعر أو من الجنس الذى ألفوه، لم تزل أطماعهم عنه، و لم يدهشوا عند وروده عليهم، فكيف و قد أمهلهم و فسح لهم فى الوقت، و كان يدعو إليه سنين كثيرة، قال عز من قائل: أَ وَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَ جاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ «۴» (____). ۱) سورة الفرقان، الآيتان ۴، ۵. (۲) سورة الحجر، الآية: ۶. (۳) المعجزة الخالدة، حسن ضياء الدين عتر، ص: ۱۲۸– ۱۲۹. (۴) سورة فاطر، الآية: ۳۷.
الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۵۴ و بظهور العجز عنه بعد طول التقريع و التحدى بان أنه خارج عن عاداتهم، و أنهم لا يقدرون عليه، و قد ذكرنا أن العرب كانت تعرف ما يباين عاداتها من الكلام البليغ لأن ذلك طبعهم و لغتهم، فلم يحتاجوا إلى تجربة عند سماع القرآن، و هذا فى البلغاء منهم دون المتأخرين فى الصنعة) «۱». و يؤكد هذا المعنى الجرجانى فيقول: (و إذا ثبت أنهم– أى العرب– الأصل و القدوة فإن علمهم العلم، فبنا أن ننظر فى دلائل أحوالهم و أقوالهم حين تلى عليهم القرآن و تحدوا إليه، و ملئت مسامعهم من المطالبة بأن يأتوا بمثله، و من التقريع بالعجز عنه، و بت الحكم بأنهم لا يستطيعونه و لا يقدرون عليه، و إذا نظرنا وجدناها تفصح بأنهم لم يشكّوا فى عجزهم عن معارضته و الإتيان بمثله، و لم تحدثهم أنفسهم بأن لهم إلى ذلك سبيلا على وجه من الوجوه، أما الأحوال فدلت من حيث كان المتعارف من عادات الناس التى لا تختلف و طباعهم التى لا تتبدل أن لا يسلموا لخصومهم الفضيلة، و هم يجدون سبيلا إلى دفعها، و لا ينتحلون العجز و هم يستطيعون قهرهم و الظهور عليهم، كيف و أن الشاعر أو الخطيب أو الكاتب يبلغه أن بأقصى الإقليم الذى هو فيه يبأى «۲» بنفسه، و يدل بشعر يقوله، أو خطبة يقوم بها، أو رسالة يعملها، فيدخله من الأنفة و الحمية ما يدعوه إلى معارضته، و إلى أن يظهر ما عنده من الفضل، و يبذل ما لديه من المنة، حتى إنه

لیتوصل إلی أن یكتب إلیه و أن یعرض كلامه علیه ببعض العلل، و بنوع من التمحل «۳»، هذا و هو لم یر ذلك الإنسان قط و لم یكن منه إلیه ما یهز و یحرك و یهیج علی تلك المعارضة، و یدعو إلی ذلك التعرض، و إن كان المدعی ذلك بمرأی منه و مسمع، كان ذلك أدعی له إلی مباراته و إلی إظهار ما عنده) «۴». (... فكیف یجوز أن یظهر فی صمیم العرب، و فی مثل قریش ذوی الأنفس الأبیة و الهمم العلیة و الأنفة و الحمیة، من یدعی النبوة و یخبر أنه مبعوث من اللّه تعالی إلی

(____۱) إعجاز القرآن، للباقلانی، ص: ۲۸۹. (۲) (بأی: البأواء، هی العظمة، و یبأی: فخر، و بأیت علیهم أبأی، فخرت علیهم). لسان العرب، لابن منظور، ۱۴/ ۶۳. (۳) (التمحل: المكر و الاحتیال). لسان العرب، لابن منظور، ۲/ ۱۸۸. (۴) ثلاث رسائل فی الإعجاز، الرسالة الشافیة، للجرجانی، تحقیق، محمد خلف الله و محمد سلام، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانیة ۱۳۸۷ ه/ ۱۹۶۸، ص: ۱۱۸ – ۱۱۹. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحدیث، ص: ۵۵ الخلق كافة، و أنه بشیر بالجنة و نذیر بالنار، و أنه قد نسخ به كل شریعة تقدمته، و دین دان به الناس شرقا و غربا، و أنه خاتم النبیین، و أنه لا نبی بعده، إلی آخر ما صدع به رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم ثم یقول: و حجتی أن اللّه تعالی قد أنزل علیّ كتابا عربیا مبینا، تعرفون ألفاظه، و تفهمون معانیه، إلا أنكم لا تقدرون علی أن تأتوا بمثله و لا بعشر سور منه، و لا بسورة واحدة و لو جهدتم جهدكم، و اجتمع معكم الجن و الإنس، ثم لا تدعوهم نفوسهم إلی أن یعارضوه، و یبینوا شرفه فی دعواه، مع إمكان ذلك، و مع أنهم لم یسمعوا إلا ما عندهم مثله أو قریب منه) «۱»؟ یتضح لنا مما سبق أن القوم قد عجزوا عن مجاراة القرآن، و أن ما أوتوه من بلغة و حنكة و فطنة تذوب و تتضاءل أمام روعة القرآن و بیانه، فمنهم من واجهه بكل قبیح و وقفوا له بكل سبیل، و هم موقنون فی قرارة أنفسهم بعجزهم عن الإتیان و لو بسورة من مثله، و منهم من قد اهتزت مشاعرهم لسماعه، و تفاعلت أحاسیسهم لآیاته، و استثارت كلماته من أقاصی أفئدتهم صبابة و كلفا، و هؤلاء علی قسمین، فمنهم الذین أخبتوا للّه و حكّموا عقولهم، و نبذوا العصبیة الحالكة فآمنوا بالله ربا و بمحمد نبیا و بالقرآن كتابا منزّلا، و منهم من استعبدهم الاستكبار و العناد و ركبوا رءوسهم فعرفوا الحق ثم حادوا عنه، و رأوا النور لكنهم آثروا الظلام، و كلا الفریقین قد أقرّ بعظمة القرآن و لكن شتان بین من قد أقرّ فآمن، و بین من قد أقرّ ثم نكص و كفر و فرّ، و لنستعرض بعض الأمثلة للفریقین.

۱– اعتراف بلغاء المشركین بإعجاز القرآن

أولا– عتبة بن ربیعة:

أولا– عتبة بن ربیعة: روی ابن إسحاق: (أن عتبة بن ربیعة و كان سیدا قال یوما و هو جالس فی نادی قریش و رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم جالس فی المسجد وحده: یا معشر قریش أ لا أقوم إلی محمد فأكلمه و أعرض علیه أمورا لعله یقبل بعضها فنعطیه أیها شاء و یكف عنا؟ و ذلك حین أسلم حمزة و رأوا أصحاب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم یزیدون و یكثرون، فقال: بلی یا أبا الولید قم إلیه فكلمه، فقام إلیه عتبة حتی جلس إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فقال: یا ابن أخی، إنك منا حیث قد علمت من السلطة فی العشیرة، و المكان فی النسب، و إنك أتیت قومك بأمر عظیم

(____۱) المصدر نفسه، ص: ۱۲۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحدیث، ص: ۵۶ فرقت به جماعتهم و سفهت به أحلامهم و عبت به آلهتهم و دینهم و كفرت به من مضی من آبائهم، فاسمع منی أعرض علیك أمورا تنظر فیها لعلك تقبل منها بعضها، قال: فقال له رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: «قل یا أبا الولید أسمع»، قال: یا ابن أخی، إن كنت إنما ترید بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتی تكون أكثرنا مالا، و إن كنت ترید به شرفا سوّدناك علینا حتی لا نقطع أمرا دونك، و إن كنت ترید به ملكا ملّكناك علینا، و إن كان هذا الذی

یأتیک رئیا تراه لا تستطیع رده عن نفسک، طلبنا لک الطب و بذلنا فیه أموالنا حتی نبرئک منه، فإنه ربما غلب التابع علی الرجل حتی یداوی منه أو کما قال له، حتی إذا فرغ عتبهٔ و رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم یستمع منه قال: «أ قد فرغت یا أبا الولید» قال: نعم: قال: «فاسمع منی» قال: أفعل، فقال: بسم اللّه الرحمن الرحیم حم (۱) تَنْزِیلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ (۲) کِتابٌ فُصِّلَتْ آیاتُهُ قُرْآناً عَرَبِیًّا لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ (۳) بَشِیراً وَ نَذِیراً فَأَعْرَضَ أَکْثَرُهُمْ فَهُمْ لا یَسْمَعُونَ (۴) وَ قالُوا قُلُوبُنا فِی أَکِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَیْهِ «۱» ثم مضی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم بهـا یقرؤها علیه فلما سمعها منه عتبهٔ أنصت لها و ألقی یدیه خلف ظهره معتمدا علیهما یسمع منه، ثم انتهی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم إلی السجدهٔ منها فسجد، ثم قال: «قد سمعت یا أبا الولید ما سمعت فأنت و ذاک»، فقام عتبهٔ إلی أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءکم أبو الولید بغیر الوجه الذی ذهب به، فلما جلس إلیهم قالوا: ما وراءک یا أبا الولید؟ قال: ورائی أنی قد سمعت قولا و الله ما سمعت مثله قط، و الله ما هو بالشعر و لا بالسحر و لا بالکهانهٔ یا معشر قریش أطیعونی و اجعلوها لی و خلوا بین هذا الرجل و بین ما هو فیه فاعتزلوه، فو الله لیکونن لقوله الذی سمعت منه نبأ عظیم، فإن تصبه العرب فقد کفیتموه بغیرکم، و إن یظهر علی العرب فملکه ملککم و عزه عزکم، و کنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرک و الله یا أبا الولید بلسانه، قال: هذا رأیی فیه فاصنعوا ما بدا لکم) «۲». هذه القصهٔ توضح لنا بکل جلاء اعتراف سید من سادات قریش، أمام صنادید الکفر و صنادید البلاغهٔ و البیان، بإعجاز القرآن و أثره فی النفوس، و وقعه فی القلوب و الأفئدهٔ.

(۱) سورهٔ فصلت، الآیات ۱- ۵. (۲) السیرهٔ النبویهٔ، عبد الملک بن هشام الحمیری، بیروت، دار الجیل، تحقیق، طه سعد، الطبعهٔ الأولی، ۱۴۱۱ ه، ۱/ ۱۳۰- ۱۳۲ و أورده کذلک ابن کثیر فی تفسیره، ۴/ ۹۰- ۹۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۵۷

ثانیا- الولید بن المغیرهٔ:

ثانیا- الولید بن المغیرهٔ: و هو من أشد المشرکین عداوهٔ لرسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، و من أکثر الذین ناصبوا رسالهٔ الإسلام العداء فقد أشعل حربا سافرهٔ لاهبهٔ منذ بزوغ فجر الدعوهٔ الإسلامیهٔ، لکنه یوم سمع القرآن الکریم افتتن ببلاغته، و سحر بإعجازه و بیانه، و لنسمع إعلانه الذی یدل علی تأثره أمام قریش، یروی ابن عباس رضی اللّه عنه (أن الولید بن المغیرهٔ اجتمع إلیه نفر من قریش و کان ذا سن فیهم و قد حضر الموسم فقال لهم: یا معشر قریش، إنه قد حضر هذا الموسم و إن وفود العرب ستقدم علیکم فیه، و قد سمعوا بأمر صاحبکم هذا، فاجمعوا فیه رأیا واحدا و لا تختلفوا فیکذب بعضکم بعضا، فقالوا: أنت فقل و أتم لنا به رأیا نقول به، قال: لا- بل أنتم قولوا لأسمع، قالوا: نقول کاهن، قال: ما هو بکاهن، لقد رأینا الکهان فما هو بزمزمهٔ الکهان و لا بسجعهم، قالوا: فنقول مجنون، قال: ما هو بمجنون، لقد رأینا الجنون و عرفناه فما هو بخنقه ... قالوا: فنقول شاعر، قال: ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر کله رجزه و هزجه و قریضه و مقبوضه و مبسوطه، فما هو بالشعر، قالوا: فنقول ساحر، قال: ما هو بساحر لقد رأینا السحار و سحرهم، فما هو بنفثه، و لا بعقده، قالوا: فما ذا نقول؟ قال: و الله إن لقوله لحلاوهٔ، و إن علیه لطلاوهٔ، و إن أصله لعذق، و إن فرعه لجناهٔ، فما أنتم بقائلین من هذا شیئا إلا عرف أنه باطل، و إن أقرب القول أن تقولوا: هو ساحر یفرق بین المرء و أبیه، و بین المرء و أخیه، و بین المرء و زوجته، و بین المرء و عشیرته فتفرقوا عنه بذلک) «۱». یعلق الإمام الزرکشی رحمه اللّه علی هذه القصهٔ فیقول: (... ثمّ صار المعاندون له ممن کفر به و أنکره یقولون مرهٔ: إنه شعر لما رأوه منظوما، و مرهٔ إنه سحر لما رأوه معجوزا عنه غیر مقدور علیه و قد کانوا یجدون له وقعا فی القلب، و قرعا فی النفس یریبهم و یحیرهم، فلم یتمالکوا أن یعترفوا به نوعا من الاعتراف و لذلک قالوا: إن له لحلاوهٔ و إن علیه لطلاوهٔ، و کانوا مرهٔ لجهلهم و حیرتهم یقولون: وَ قالُوا أَساطِیرُ الْأَوَّلِینَ اکْتَتَبَها فَهِیَ تُمْلی عَلَیْهِ بُکْرَةً وَ أَصِیلًا «۲» مع علمهم أن صاحبهم أمی و لیس

(۱) الدر المنثور، عبد الرحمن بن جلال الدین السیوطی، بیروت، دار الفکر، ۱۹۹۳، ۵/ ۹۸، و انظر: السیرهٔ الحلبیهٔ، علی بن برهان الدین الحلبی، بیروت، دار

المعرفهٔ، ۱۴۰۰ ه، ۳/ ۳۴۴، و لباب النقول فی أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبی بکر بن محمد السیوطی، بیروت، دار إحیاء العلوم، د. ت، ۱/ ۲۲۴. (۲) سورهٔ الفرقان، الآیهٔ: ۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۵۸ بحضرته من یملی أو یکتب شیئا و نحو ذلک من الأمور التی أوجبها العناد و الجهل و العجز، و قد حکی اللّه عن بعض مردتهم و هو الولید بن المغیرهٔ المخزومی، أنه لما طال فکره فی القرآن، و کثر ضجره منه، و ضرب له الأخماس من رأیه فی الأسداس، فلم یقدر علی أکثر من قوله: إِنْ هذا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ «۱» عنادا و جهلا به و ذهابا عن الحجهٔ و انقطاعا دونها) «۲».

ثالثا- النضر بن الحارث:

اشارهٔ

ثالثا- النضر بن الحارث: قال ابن هشام: (و یقال: النضر بن الحارث بن علقمهٔ بن کلدهٔ بن عبد مناف، قال ابن اسحاق: فقال: یا معشر قریش إنه و الله قد نزل بکم أمر ما أتیتم له بحیلهٔ بعد قد کان محمد فیکم غلاما حدثا أرضاکم فیکم، و أصدقکم حدیثا، و أعظمکم أمانهٔ، حتی إذا رأیتم فی صدغیه الشیب، و جاءکم بما جاءکم به، قلتم ساحر؟ لا و الله ما هو بساحر، لقد رأینا السحرهٔ و نفثهم و عقدهم، و قلتم کاهن؟ لا و الله ما هو بکاهن، لقد رأینا الکهنهٔ و تخالجهم و سمعنا سجعهم، و قلتم شاعر؟ لا و الله ما هو بشاعر لقد رأینا الشعر و سمعنا أصنافه کلها هزجه و رجزه، و قلتم مجنون؟ لا و الله ما هو بمجنون، لقد رأینا الجنون فما هو بخنقه و لا وسوسته و لا تخلیطه، یا معشر قریش: فانظروا فی شأنکم، فإنه و الله لقد نزل بکم أمر عظیم.

أذی النضر للرسول صلی اللّه علیه و سلم:

أذی النضر للرسول صلی اللّه علیه و سلم: و کان النضر بن الحارث من شیاطین قریش و ممن کان یؤذی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و ینصب له العداوهٔ، و کان قد قدم الحیرهٔ و تعلم بها أحادیث ملوک الفرس و أحادیث رستم ... فکان إذا جلس رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم مجلسا فذکّر فیه بالله و حذّر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمهٔ اللّه، خلفه فی مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا و الله یا معشر قریش أحسن حدیثا منه فهلم إلیّ، فأنا أحدثکم أحسن من حدیثه، ثم یحدثهم عن ملوک فارس و رستم ... ثم یقول: بما ذا محمد أحسن حدیثا منی) «۳». هذا هو إقرار و اعتراف کبار بلغاء قریش و فصحائها، و غیر هؤلاء کثیر ممن خفقت (____ ۱) سورهٔ المدثر، الآیهٔ: ۲۵. (۲)

البرهان فی علوم القرآن، محمد بن عبد اللّه الزرکشی، بیروت، دار المعرفهٔ، تحقیق، محمد إبراهیم، ۱۳۹۱ ه، ۲/ ۱۰۱. (۳) السیرهٔ النبویهٔ، لابن هشام، ۲/ ۱۳۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۵۹ قلوبهم، و ثارت عواطفهم، و تفاعلت أحاسیسهم بصدی القرآن و وقعه علی مسامعهم فإنهم قد استیقنوا أن هذا الکلام هو کلام اللّه، و لا یمکن أن یکون من تألیف إنس أو جن، لأن الفرق بین کلام البشر و کلام اللّه کالفرق بیننا و بین اللّه، بل إن المشرکین کانوا یتوقون فی کل لحظهٔ لسماع کلام الحق و تضیق علیهم الأرض بما رحبت إن هم انقطعوا عن الاستماع للقرآن. (و لذلک کان النفر من قریش یتعاهدون علی عدم سماع القرآن حتی لا یتأثروا به، و یذهبون إلی بیوتهم، إلا أن الواحد منهم لا یلبث أن یرجع إلی الکعبهٔ لیسمع القرآن، الذی ملک علیه عقله و قلبه فیجد أن صاحبه الذی کان قد عاهده، قد سبقه إلی العودهٔ لسماع القرآن المعجز، ندیا من صوت محمد صلی اللّه علیه و سلم فیجتمعان أمام الکعبهٔ و کل منهم قد نقض ما عاهد علیه صاحبه! و حق لهم هذا ... فمن ذا الذی یری المعجزهٔ و یملک نفسه أن

لاـ یتأثر بها ...؟ إذ لو کان الناس یملکون هـذا، لما کان للمعجزة ذلک الأثر) «۱». و هذا ما أورده أصـحاب السـیر فی سیرهم، من أن المشـرکین کـانوا یتلصـصون فی هـدأة اللیـل، أو هاجرة النهار، لیسـتمتعوا و ینتشوا بسـماع کلام الحیّ القیوم، فقـد روی ابن هشام فی سیرته: (قـال ابن إسـحاق: و حـدثنی محمـد بن مسـلم بن شـهاب الزهری، أنه حـدث أن أبـا سـفیان بن حرب و أبـا جهـل بن هشام و الأخنس بن شـریق بن عمرو بن وهب الثقفی حلیف بنی زهرة، خرجوا لیلة لیسـتمعوا من رسول اللّه صـلی اللّه علیه و سـلم و هو یصلی من اللیـل فی بیته فأخـذ کـل رجل منهم مجلسا یسـتمع فیه و کل لا یعلم بمکان صاحبه، فباتوا یسـتمعون له حتی إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطریق فتلاوموا و قال بعضـهم لبعض: لا تعودوا فلو رآکم بعض سـفهائکم لأوقعتم فی نفسه شیئا، ثم انصرفوا حتی إذا کانت اللیلـة الثانیة عاد کل رجل منهم إلی مجلسه فباتوا یسـتمعون له، حتی إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطریق فقال بعضـهم لبعض مثل ما قـالوا أول مرة، ثم انصـرفوا حتی إذا کـانت اللیلـة الثالثـة أخـذ کـل رجـل منهم مجلسه فبـاتوا یسـتمعون له، حتی إذا طلع الفجر تفرّقوا فجمعهم الطریق، فقـال بعضـهم لبعض: لاـ نبرح حتی نتعاهـد ألا نعود علی ذلک ثم تفرقوا، فأراد الأخنس أن یسـتفهم عما سـمعه فلما أصـبح الأـخنس بـن شـریق، أخـذ عصـاه ثـم خرج حتـی أتی أبـا سـفیان فی بیتـه فقـال: أخـبرنی یـا أبـا حنظلـة عـن رأیـک فیما

(۱) المعجزة القرآنیـة، محمـد حسـن هیتو، ص: ۳۹. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۶۰

سـمعت من محمد؟ فقال: یا أبا ثعلبة، و الله لقد سمعت أشـیاء أعرفها و أعرف ما یراد بها، و سمعت أشیاء ما عرفت معناها و لا ما یراد بها، قال الأخنس: و أنا و الذی حلفت به، قال: ثم خرج من عنده حتی أتی أبا جهل فدخل علیه بیته فقال یا أبا الحکم: ما رأیک فیما سمعت من محمد؟ فقال: ما ذا سمعت تنازعنا نحن و بنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، و حملوا فحملنا، و أعطوا فأعطینا، حتی إذا تحاذینا علی الرکب و کنا کفرسی رهان، قالوا: منا نبی یـأتیه الوحی من السـماء فمتی نـدرک مثـل هـذه و الله لاـ نؤمن به أبـدا و لاـ نصـدقه، قال: فقام عنه الأخنس و ترکه) «۱». هذه بعض الروایـات الـتی تحکی حـال أولئـک القـوم الـذین بهروا بجمـال القرآن، و سـحروا ببیـانه و أقروا بإعجـازه، و ترجمـوا هـذه المشـاعر بمقولاتهم التی سـجّلها التاریـخ لهم، و أثبتناها هاهنا، و لکنه العناد السافر الـذی أعمی أبصارهم، و غلف قلوبهم فأظلمت و صـدئت و قست ثم مـاتت، فکـانوا أضـل من الأنعـام الشـاردة، و أغواهم الشـیطان بمکائـده و حباله، فجحـدوا الحق و کفروا به بعـد ما عرفوه، و سیکون علیهم یوم القیامة حسرة و ندامة.

۲- اعتراف فصحاء العرب المؤمنین بإعجاز القرآن

اشارة

۲- اعتراف فصـحاء العرب المؤمنین بإعجـاز القرآن و سنصـغی الآن إلی الـذین لامس القرآن الکریم شـغاف قلوبهم، و وقعت کلماته الربانیـة فی نفوسـهم، فملـک علیهم عقولهم، و سـیطر علی کیـانهم، فاستجابت له جوارحهم و انسـجمت مع إرشاداته سـلوکیاتهم، و سجدت نباهتهم لبلاغته، و طأطئوا الرءوس إجلالا لإعجازه فهداهم اللّه إلی الحق و النور المبین.

أولا- عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه:

أولا- عمر بن الخطاب رضـی اللّه عنه: قال ابن إسحاق: (و کان إسلام عمر فیما بلغنی أن أخته فاطمة بنت الخطاب و کانت عند سعید بن زید بن عمرو بن نفیل، و کانت قد أسـلمت و أسـلم بعلها سـعید بن زید، و هما مستخفیان بإسلامهما من عمر، و کان نعیم بن عبد اللّه النحام من مکـة رجل من قومه من بنی عـدی بن کعب قـد أسـلم، و کان أیضا یسـتخفی بإسـلامه فرقا من قومه، و کان خباب ابن الأرت یختلف إلی فاطمة بنت الخطاب، یقرئها القرآن، فخرج عمر یوما متوشـحا سـیفه یرید رسول اللّه صـلی اللّه علیه و سـلم و رهطا

مـــــــــن أصـــــــــحابه قـــــــــد ذكروا لـــــــــه أنهـــــــــم قـــــــــد اجتمعـــــــــوا فی

(____١) السـيرة النبويـة، لابن هشـام، ٢/

١٥٦ – ١٥٧. الإعجـاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحـديث، ص: ٦١ بيت عنـد الصـفا، و هم قريب من أربعين مـا بين رجال و نساء، و مع رسول صلى اللّه عليه و سلم عمه حمزة ابن عبد المطلب، و أبو بكر بن أبی قحافة الصديق، و علی بن أبی طالب، فی رجال من المسـلمين رضـى اللّه عنهم ممن كان أقام مع رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلم بمكـة، و لم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشـة، فلقيه نعيم بن عبـد اللّه فقـال له: أين تريـد يا عمر؟ فقال: أريـد محمـدا هـذا الصابئ و الـذی فرق أمر قريش، و سـفّه أحلامها، و عاب دينهـا، و سب آلهتهـا، فـأقتله، فقال له نعيم: و الله لقـد غرتک نفسک من نفسک يا عمر، أ ترى بنی عبـد مناف تاركيک تمشـی على الأرض و قـد قتلت محمـدا! أ فلا ترجع إلى أهل بيتک فتقيم أمرهم، قال: و أی أهل بيتی؟ قال: ختنک و ابن عمک سعيد بن زيد بن عمرو و أختک فاطمة بنت الخطاب، فقد و اللّه أسـلما و تابعا محمدا على دينه، فعليک بهما، قال: فرجع عمر عامدا إلى أخته و ختنه و عندهما خباب بن الأرت معه صـحيفة فيها: طه يقرئهما إياها، فلما سـمعوا حسّ عمر، تغيب خباب فی مخدع لهم أو فی بعض البيت، و أخذت فاطمة بنت الخطاب الصـحيفة فجعلتها تحت فخذها، و قد سـمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما، فلما دخل قال: ما هـذه الهينمـة التی سـمعت؟ قالا له: ما سـمعت شـيئا قال: بلى و الله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه و بطش بختنه سـعيد بن زيـد، فقامت إليه أخته فاطمـة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضـربها فشـجها فلما فعل ذلک قالت له أخته و ختنه: نعم لقـد أسـلمنا و آمنا بالله و رسوله فاصـنع ما بـدا لک، فلما رأى عمر ما بأخته من الـدم نـدم على ما صـنع فارعوى و قال لأخته: أعطينی هذه الصـحيفة التی سمعتكم تقرءون آنفا أنظر ما هذا الذی جاء به محمد، و كان عمر كاتبا، فلما قال ذلک، قالت له أخته: إنا نخشاک عليها، قال: لا تخافی، و حلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها إليها، فلما قال ذلک طمعت فی إسـلامه فقالت له: يا أخی إنک نجس على شـركک و إنه لا يمسـها إلا الطاهر، فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة و فيها: طه فقرأها، فلما قرأ منها صدرا قال: ما أحسن هذا الكلام و أكرمه، فلما سمع ذلـک خبـاب خرج عليه فقـال له: يـا عمر و الله إنی لأـرجو أن يكون اللّه قـد خصک بـدعوة نبيه فإنی سـمعته أمس و هو يقول: «اللهم أيّـد الإسـلام بأبی الحكم بن هشام أو بعمر ابن الخطاب»، فالله اللّه يا عمر، فقال له عنـد ذلک عمر: فـدلنی يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم، فقال له خباب: هو فی بيت عند الصفا معه فيه نفر من أصحابه، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و أصحابه، فضرب عليهم الباب فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فنظر من خلل الباب فرآه متوشـحا السيف الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ٦٢ فرجع إلى رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سلم و هو فزع فقال: يا رسول اللّه هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف، فقال حمزة بن عبد المطلب: فأذن له فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له، و إن كان يريد شـرا قتلناه بسيفه، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «ائذن له»، فأذن له الرجل، و نهض إليه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم حتى لقيه فی الحجرة، فأخذ حجزته أو بمجمع ردائه ثم جبذه به جبذة شديدة و قال: «ما جاء بک يا بن الخطاب؟ فو الله ما أرى أن تنتهی حتى ينزل اللّه بک قارعة»، فقال عمر: يا رسول اللّه جئتک لأومن بالله و برسوله و بما جاء من عند اللّه، قال فكبر رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصـحاب رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلم أن عمر قد أسـلم، فتفرق أصـحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من مكانهم، و قد عزوا فی أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة، و عرفوا أنهما سيمنعان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و ينتصفون بهما من عدوهم) «١».

ثانيا – الطفيل بن عمرو الدوسی:

ثانيا – الطفيل بن عمرو الدوسی: و ما حدث لعمر بن الخطاب حدث للطفيل بن عمرو الدوسی، و شعره لا يخفى على العرب و قصائده التی كان يتجمهر الناس فی المحافل العامة و الأسواق لسماعها ليست بخافية، و مع ذلک عند ما قرع القرآن مغاليق قلبه، خفت شعره و

التهبت مشاعره بالإيمان فكان فى زمرة الموحدين، و ها هو ذا يحدثنا عن تأثير القرآن و وقعه فى قلبه يوم سمعه غضا طريا نديا من النبى صلى اللّه عليه و سلم. (... أن الطفيل بن عمرو قال: كنت رجلا شاعرا سيدا فى قومى، فقدمت مكة فمشيت إلى رجالات قريش فقالوا: إنك امرؤ شاعر سيد و إنا قد خشينا أن يلقاك هذا الرجل فيصيبك ببعض حديثه، فإنما حديثه كالسحر فاحذره أن يدخل عليك و على قومك ما أدخل علينا، فإنه فرق بين المرء و أخيه، و بين المرء و زوجته، و بين المرء و ابنه، فو الله ما زالوا يحدثونى شأنه و ينهونى أن أسمع منه حتى قلت: و الله لا أدخل المسجد إلا و أنا ساد أذنى، قال: فعمدت إلى أذنى فحشوتها كرسفا، ثم غدوت إلى المسجد فإذا برسول صلى اللّه عليه و سلم قائما فى المسجد، فقمت قريبا منه و أبى اللّه إلا أن يسمعنى بعض قوله، فقلت فى نفسى: و الله إن هذا للعجز و إنى امرؤ ثبت ما تخفى علىّ الأمور حسنها و قبيحها، و الله لأتسمعن منه فإن كان أمره رشدا أخذت منه و إلا اجتنبته، فنزعت الكرسفة، فلم أسمع قط كلاما أحسن من كلام يتكلم به فقلت: يا سبحان اللّه ما (____) ١) السيرة النبوية، لابن هشام، ٢/ ١٨٩- ١٩٠. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۶۳ سمعت كاليوم لفظا أحسن و لا أجمل منه، فلما انصرف تبعته فدخلت معه بيته، فقلت: يا محمد إن قومك جاءونى فقالوا لى كذا و كذا فأخبرته بما قالوا و قد أبى اللّه إلا أن أسمعنى منك ما تقول، و قد وقع فى نفسى أنه حق فاعرض علىّ دينك فعرض علىّ الإسلام فأسلمت ...) «١».

ثالثا- لبيد بن ربيعة:

ثالثا- لبيد بن ربيعة: (يعتبر لبيد أحد أصحاب المعلقات السبعة، الذين سارت بشعرهم الركبان، و من أشراف الشعراء المجيدين الفرسان، يفد على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و يسمع كلامه، و يسلم، و لكن ما ذا فعل بالشعر الذى جرى فى كيانه مجرى الدم من عروقه، و جبلت به نفسه، و عرفت به حياته، و تناقله الناس عنه يتفاخرون به و يتمايلون طربا لسماعه، بل يصل بهم الأمر لدرجة الجنون لأجله ... لقد ذهل هذا الرجل الفصيح البليغ، الذى فتن الناس بشعره، لقد ذهل عن نفسه و شعره، فلم يعد يتمكن من قول الشعر، إذ أفحمته عظمة القرآن و بلاغته فلم يقل بعد إسلامه إلا بيتا واحدا، و هو قوله: الحمد للّه إذ لم يأتنى أجلى حتى لبست من الإسلام سربالا) «٢» لقد تذوق لبيد حلاوة البيان، و تشربت عروقه منه، و فاض الشعر و الأدب فى كيانه منذ نعومة أظافره، و لكنه يوم سمع القرآن تقوضت أركان البيان لديه، و امتدت أروقة البلاغة القرآنية فى داخله حتى ملئت أقطار نفسه، و عرف الحق فوقف عنده، و انصاع لمستلزماته و أوامره، و أصبح يستحى أن ينبث ببنت شفة فى حضرة كلام رب الأرباب ... و يكفى أن نعلم ما للبيد من ثقل عظيم فى دنيا الشعر، و ساحات الأدب و البيان، من أن الرسول صلى اللّه عليه و سلم قال فيه مدحا و ثناء و هو على المنبر: «أشعر كلمة قالتها العرب قول لبيد بن ربيعة ألا كل شيء ما خلا اللّه باطل» «٣»، و ليس بعد شهادة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم شهادة، و لا يعرف الفضل إلا ذووه و مع تألق لبيد فى بلاغته، و تفرده فى شعره، أيقن أن كلامه يتساقط، و يتناثر أوزاعا، بل و لا يذكر أمام سلطان القرآن و هيمنته على النفوس و الأرواح.

(____) ١) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، بيروت، مؤسسة الرسالة، تحقيق، شعيب الأرناءوط و محمد نعيم العرقسوسى، الطبعة التاسعة، ١۴١٣ ه، ١/ ٣۴۵. (٢) المعجزة القرآنية، محمد حسن هيتو، ص: ۴٣. (٣) أخرجه أحمد فى مسنده، ٢/ ۴۴۴، رقم: (٩٧٣۵). الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۶۴

رابعا- أنيس أخو أبى ذر الغفارى:

رابعا- أنیس أخو أبی ذر الغفاری: کذلک الأمر بالنسبة لأنیس و لغیره ممن سمع القرآن، فقد مزق القرآن أستار الغفلة فی کیانه و قشع سحب الظلام التی تلبّدت فی سماء عقله، و رأی نور الحق، و ضیاء الهدی ببضع آیات طرقت مسمعه من فم الحبیب صلی اللّه علیه و سلم، علما أن أنیسا کان من أبرز شعراء العرب و خطبائها، و ممن کان لهم صولة و جولة فی ساحات الهجاء و الثناء إذا ما تباری المتبارون، و ها هو ذا یصف القرآن و ما شعر عند سماع آیاته، و الحدیث طویل فی صحیح مسلم و نأخذ موطن الشاهد فیه: (... فانطلق أنیس حتی أتی مکة فراث علی ثم جاء، فقلت: ما صنعت، قال: لقیت رجلا بمکة علی دینک یزعم أن اللّه أرسله، قلت: فما یقول الناس؟ قال: یقولون شاعر، کاهن، ساحر، و کان أنیس أحد الشعراء، قال أنیس: لقد سمعت قول الکهنة فما هو بقولهم، و لقد وضعت قوله علی أقراء الشعر فما یلتئم علی لسان أحد بعدی إنه شعر، و الله إنه لصادق و إنهم لکاذبون) «۱». (أ رأیت کیف اعترف المخالفون من المشرکین بسموّ مکانة القرآن، و کیف أثنی علیه أناس تحولوا بسببه من الشرک إلی الإسلام بیقین فإنه لم یصدر ثناء هؤلاء و اعتراف أولئک المشرکین حین صدر إلا تنویها بأمر یعرفه ذوو الخبرة، فهو إخبار عن شیء باد للعیون لا یرسل أحدهم بصره إلا ـ رآه، فقد أطلق کل من القائلین قوله و هو واثق أنه معلوم للجمیع فلیس من منصف بصیر بمراتب الفضل فی اللغة مؤمنا کان أم جاحدا إلا وجد نفسه مسوقا للاعتراف بإعجازه، شاء أم أبی، لظهوره عند نظرائه لشدة وضوحه، لذا فإن أقوالهم دلیل بالغ علی إعجاز القرآن) «۲». و یذیّل هذا المبحث بذکر تصریحات أبرز أساطین العلم و المعرفة، و رائدی النهضة الحضاریة الغربیة المعاصرة الذین قرءوا القرآن بتدبر و رویّ، فأفرزت دراساتهم هذه مجموعة طیبة و کبیرة من شهادتهم بإعجاز القرآن، و بغض النظر عمّن آمن منهم، أو من قال ذلک علی سبیل الإنصاف و الحق.

(____ ۱) رواه مسلم، فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبی ذر رضی اللّه عنه، ۴/ ۱۹۲۰ رقم: (۲۴۷۳)، و الذهبی، سیر أعلام النبلاء، ۲/ ۵۱. (۲) الرسالة الشافیة، للجرجانی، ثلاث رسائل فی الإعجاز، ص: ۱۱۴- ۱۱۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۶۵ ذیل کتاب «إشارات الإعجاز» بطائفة من الأقوال و الآراء لکبار مفکری الغرب، یتحدثون و یقرّون بعظمة القرآن و إعجازاته و لنثبت بعضها هنا. یقول: «واشنجون إیرفنج «۱» w .gnivrI»: (کانت التوراة فی یوم ما هی مرشد الإنسان و أساس سلوکه، حتی إذا ظهر المسیح علیه السلام اتبع المسیحیون تعالیم الإنجیل، ثم حلّ القرآن مکانهما فقد کان القرآن أکثر شمولا و تفصیلا من الکتابین السابقین، کما صحّح القرآن ما قد أدخل علی هذین الکتابین من تغییر و تبدیل، و حوی القرآن کل شیء، و حوی جمیع القوانین، إذ أنه خاتم الکتب السماویة ...) «۲». و یقول «بلاشیر» «۳»: (لا ـ جرم فی أنه إذا کان ثمة شیء تعجز الترجمة عن أدائه فإنما هو الإعجاز البیانی و اللفظی و الجرس الإیقاعی فی الآیات المنزلة فی ذلک العهد .. إن خصوم محمد صلی اللّه علیه و سلم قد أخطئوا عند ما لم یشاءوا أن یروا فی هذا إلّا أغانی سحریة و تعویذیة، و بالرغم من أننا علی علم استقرائیا فقط بتنبؤات الکهان، فمن الجائز لنا الاعتقاد مع ذلک بخطإ هذا الحکم و تهافته، فإن للآیات التی أعاد صلی اللّه علیه و سلم ذکرها فی هذه السور اندفاعا و ألقا و جلالة، تخلّف وراءها بعیدا أقوال فصحاء البشر کما یمکن استحضارها من خلال النصوص الموضوعة التی وصلتنا) «۴».

(____ ۱) ۱۷۸۳- ۱۸۵۹، واشنجون إیرفنج، قصصی و کاتب سیر أمریکی، اعتبره بعضهم أبا الأدب الأمریکی، و اعتبره آخرون مخترع الأقصوصة، من آثاره القصصیة: حکایات رحالة، و من کتبه: محمد و خلفاؤه. انظر: معجم أعلام المورد، منیر بعلبکی، بیروت، دار العلم للملایین، الطبعة الأولی، ۱۹۹۲، ص: ۷۹، بتصرف. (۲) إشارات الإعجاز فی مظان الإیجاز، سعید النورسی، بیروت، دار المحراب للطباعة، تحقیق، إحسان قاسم الصالحی د. ت، ص: ۲۵۰. (۳) ۱۳۱۸- ۱۳۹۳ ه، ۱۹۰۰- ۱۹۷۳، بلاشیر ریجیس، من علماء المستشرقین و من أعضاء المجمع العلمی العربی بدمشق، و مجمع الفرنسی الأعلی الأنستیتو بباریس، فرنسی، ضلیع فی العربیة، ولد فی مونروج، من ضواحی باریس، تلقی دروسه الثانویة فی الدار البیضاء بالمغرب و تخرج بکلیة الآداب فی الجزائر، ألف بالفرنسیة کتبا کثیرة و ترجم بعضها إلی العربیة، من کتبه:

ترجمة القرآن الكريم، و تاريخ الأدب العربی، و قواعد العربية الفصحی. انظر: الأعلام، للزركلی، ۲ / ۷۲، بتصرف. (۴) إشارات الإعجاز، سعيد النورسی، ص: ۲۵۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۶۶ و يقول «بكثول» «۱»: (القرآن هو الذی دفع العرب إلی فتح العالم، و مكنهم من إنشاء إمبراطورية فاقت إمبراطوريات إسكندر الكبير، و الإمبراطورية الرومانية، سعة و قوة و عمرانا و حضارة و دواما ...). و يقول «غوته» «۲»: إذا اتجهنا إلی القرآن نفرنا منه فی البداية، و لكن سرعان ما يذهلنا ثم يجبرنا علی تقديره فی النهاية، أما أسلوبه و هدفه فعظيم و رهيب و سام، و لذا سيظل هذا الكتاب ذا تأثير فعّال علی مدی الأجيال، و القرآن سيحافظ علی تأثيره إلی الأبد، لأن تعاليمه عملية ... و الإنسان منا إذا قرأ القرآن يری فيه و لأول مرة شيئا جديدا لم يألفه و لكنه كلما ازداد فی قراءته ازداد حبا له و اجتذابا إليه، حتی أخيرا يقول إلی إكباره و إجلاله) «۳». هؤلاء المفكرون العالميون درسوا الإسلام دراسة عميقة و شاملة، فأحبه بعضهم و آزره و آمن به آخرون و أعلنوا إسلامهم، و إذا رجعنا إلی الوراء قليلا ـ فلسوف نجد أن الحروب الصليبية كانت من أبرز الدعائم التی نهضت عليها هذه الدراسات و التصورات حول القرآن الكريم، و هی سبب من أهم الأسباب الأولی التی جعلت الكثير من الغربيين يغيرون وجهة نظرهم فيما يخص الشرق بشكل عام و شامل و الإسلام بشكل خاص، ذلك لأن الغربيين يوم التحموا بالمسلمين رأوا منهم صفات النبل و الشهامة و الأخلاق و السلوك المستقيم و أيقنوا أن دين الشرق ليس كما يصوره الاستعمار من الانحطاط و التخلف، حينها انكب الأوربيون يدرسون و بشكل متسلسل الشرق، الذی كان

(____ ۱) ۱۸۷۵- ۱۹۳۶، بكثول مارمادوك

وليم، ولد فی لندن و حال ضعف صحته دون إتمام دراسته، فأرسلته أمه إلی سوريا فتعلم العربية و درس عادات أهلها و أخلاقهم، ثم استدعاه اللورد كرومر إلی مصر حيث أقام مدة، و صنف فيها كتابيه «أبناء النيل، و النساء المحجبات» و نشر المقالات فی الدفاع عن الإسلام، ثم سافر إلی تركيا و عند عودته منها أشهر إسلامه، ثم تولی منصب إمام المسلمين فی لندن، و قضی ثلاث سنوات فی ترجمة معانی القرآن الكريم. انظر: المستشرقون، نجيب العقيقی، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الرابعة د. ت، ۲/ ۱۰۲، بتصرف. (۲) ۱۷۴۹ – ۱۸۳۲، غوته جوهان، كبير شعراء الألمان، و أحد عمالقة الأدب العربی، تميز بتعدد المواهب، فكان شاعرا و ناقدا و روائيا و كاتبا و مسرحيا و عالما، له روايات شهرية هی أحزان فرتر الشاب. انظر: معجم أعلام المورد، منير البعلبكی، ص: ۳۰۳، بتصرف. (۳) قالوا فی الإسلام و القرآن و الرسول، حسين سليم، ص: ۸۹. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۶۷ لا يحرك فی عقولهم و نفوسهم إلا ما قد تأصّل فيها من عداوة و اشمئزاز، نتيجة ما قد رسمه لهم أشخاص حاقدون. و لا أدل علی هذا الذی نقول من أن الرحلات المتعددة، و الصلة المباشرة المستمرة مع الشرق كانت وثيقة متينة، و كان من نتائجها أنها قشعت الأوهام المظلمة التی تلبّدت فی سماء عقول الغرب تجاه المسلمين و قرآنهم و نبيهم، فمن من كتّاب الغرب الذين يحترمون أقلامهم و أفكارهم، يجرؤ أن يكتب أو يقول بأن محمدا صلی اللّه عليه و سلم هو إله المسلمين كما كان يسوغ هذا لكتّاب غربيين مضوا؟. و عند ما كتب الشيخ رشيد رضا مقدمة لكتاب «إعجاز القرآن» كان من جملة ما قال: (فإن من أوتی حظّا من بيان هذه اللغة، و فاز بسهم رابح من آدابها حتی استحكمت له ملكة الذوق فيها لا يملك أن يدفع عن نفسه عقيدة إعجاز القرآن، ببلاغته و فصاحته و بأسلوبه فی نظم عبارته و قد صرّح بهذا من أدباء النصرانية المتأخرين الأستاذ جبر ضومط مدرّس علوم البلاغة بالجامعة الأمريكانية فی كتابه الخواطر الحسان) «۱». و الذی يستقصی هذه الأقوال المنصفة من علماء الغرب المنصفين يجدها كثيرة جدا، و تدل بمجملها علی أن هؤلاء حين قرءوا القرآن جذبهم إليه، و شغل قلوبهم و عقولهم، و قذف فی أعماق فكرهم و ضميرهم يقينا جازما بأن هذا الكتاب إنما هو كلام اللّه تعالی، و أنه فوق كل المعجزات، و أنه معجزة خالدة تبرهن بنفسها علی نفسها، و لا يمكن أن يصل طوق أحد من البشر مهما أوتی من بلغة و فصل خطاب، إلی شیء يسير من بيان القرآن و إعجازه. و لكن و بعد هذا العرض الذی عشنا أجواءه و تضاعيفه، لنا أن نتساءل، متی نشأ مصطلح إعجاز القرآن؟ و كيف كانت بدايته؟ و ما هی الدوافع الأساسية الأولی التی حفّزت علماء المسلمين لئن يكتبوا مدونات فی هذا المجال؟ هذا ما سيبحث فی الفصل القادم إن شاء اللّه تعالی.

(____۱) مقدمـة کتـاب، إعجـاز القرآن و البلاغـة النبویـة، لمصـطفی صـادق الرافعی، بیروت، دار الکتـاب العربی، د. ت، ص: ۷. الإعجـاز القرآنی فی ضوء الاکتشـاف العلمی الحدیث، ص: ۶۹

الفصل الثانی نشأة مصطلح إعجاز القرآن

اشارة

الفصل الثانی نشأة مصـطلح إعجاز القرآن تمهیـد. المبحث الأول: الصّیرفة و القائلون بها. المبحث الثانی: نقد مذهب الصّیرفة. المبحث الثالث: أوجه إعجاز القرآن. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۷۱

تمهید

تمهیـد مما لا شک فیه أن للقرآن الکریم جاذبیـة و هیمنة علی النفوس و العقول، کما أن لأسـلوبه و نظمه و بیانه سـحرا یسـتولی علی الأفکـار و الألبـاب، و قـد أدرک ذلـک العرب إبـان نزوله، فالمؤمن منهم کانت النشوة القرآنیـة تنسـکب فی فؤاده، فیشـعر بسـعادة لا تفوقها سعادة، حتی الکافر و الجاحد منهم، کان یدرک و یستیقن أن هناک فرقا کبیرا بین کلام الخالق و کلام المخلوق، و أن ما جاء به محمد صـلی اللّه علیه و سلم إنما هو کلام اللّه تعالی ... و لا غرو و لا عجب من ذلک، فالعرب قد بلغوا من الفصاحة و البیان درجة سامقة باسقة، اتزنت فیها أسالیبهم الکلامیة إفرادا و ترکیبا، و زودهم اللّه بأدوات لغویة تمکنهم من قول الشـعر البلیغ و رصف الخطب الرنانـة، و الحـذق فی البلاغـة و البیان. فسـلامة الـذوق العربی، و جودة القریحـة، و براعة الاسـتهلال و الأداء، و إدراک کنه الألفاظ و أبعادهـا دفعت العرب بشـعور و إدراک عمیقین، أو بلا شـعور أحیانا إلی تقـدیس القرآن و الخضوع لحسن بیانه و عـذب کلامه ... و ظلت هـذه المعانی ماثلـة فی الأذهان، قائمـة فی الکیان، فی عصـر النبوة و الخلفاء الراشدین و فسـحة من عصـر الدولة الأمویة، غیر أن اتساع رقعـة الإسـلام و دخول الأعاجم فی هـذا الـدین و امتزاجهم بالمجتمع العربی، أثّر فی لغـة العرب، و بـدأت السـلیقة العربیة تفقد رونقهـا و جمالهـا، لأـن المسـلمین من غیر العرب قـد وفـدوا و معهم أفکـار و تیـارات و تصورات مختلفـة حول الإـله و الـدین فراحوا یفکّرون بطریقـة منطقیـة عقلیـة مجردة عن التذوق المتألق لمعانی اللغة الصافیة. فی هذه الأثناء و تلکم الأجواء، ظهر الحدیث عن وجه إعجـاز القرآن، و لمـا ذا عجز العرب عن الإتیـان و لو بسورة من مثله، و مـا هو سرّ قصورهم عن ذلـک، و کـان أول ما بـدأ ذلک فی البصـرة، التی کانت تحتضن مجموعة من المذاهب الکلامیة و الفکریة المتعددة عندها برز مصطلح إعجاز القرآن بین الناس و تداولته الألسنة، و کان أول من قال به الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۷۲ النّظام و هو من کبار شیوخ المعتزلة عند ما قال: إن إعجاز القرآن لیس بشـیء ذاتی فیه و إنما هو بصـرف اللّه تفکیر الناس عن معارضـته، و هـذا القول الغریب نجد أنه قد ذاع فی البصرة، و عرف هذا القول «بالصّرفة». عندها انبری العلماء للرد علی هذا القول المتهافت، و بدءوا یفنّدونه و یبینون خطأه و خطره و أوضـحوا أن إعجاز القرآن شـیء قائم بـذاته، و أن اللّه تحدی به العرب فعجزوا عن الإتیان و لو بسورة من مثله، و لم یصـرف عقولهم عن التفکیر فی معارضـته ... فکتبوا کتبا کثیرة فی ذلک، و نقـدوا مذهب الصـرفة، و تحدّثوا عن أوجه إعجاز القرآن، إلا أنهم اختلفوا فی تحدیـد أوجه إعجـاز القرآن، کما أنهم اختلفوا فی ثبات الإعجاز العلمی علی التحدیـد إلی مؤیـدین و معارضـین، غیر أنهم اتفقوا جمیعـا علی بطلاـن القول بالصـرفة، و هـذا مجمـل ما سـنجده فی هـذا الفصل إن شاء اللّه تعالی. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۷۳

المبحث الأول الصّرفة و القائلون بها

اشارهٔ

المبحث الأول الصّرفهٔ و القائلون بها سبقت الإشارهٔ إلی أن نشأهٔ مصطلح «إعجاز القرآن» تساورت مع القول بالصرفهٔ، بل إن القول بالصرفهٔ كان هو الباعث الأول للحديث عن وجوه إعجاز القرآن الكريم، و قبل أن نتحدث عمّن صدر هذا القول، و من الذی تبناه و دعا إليه، أود أن أبدأ بتعريف كلمهٔ «الصرفهٔ» فی اللغهٔ و الاصطلاح، خلافا لمعظم الباحثين الذين يخوضون فی الحديث عن الصرفهٔ و مصدرها، دون الاستهلال بتعريفها.

الصّرفهٔ لغهٔ:

الصّرفهٔ لغهٔ: بفتح الصاد و تسكين الراء، يقول ابن منظور: (الصرف: رد الشیء عن وجهه صرفه يصرفه صرفا فانصرف، و صارف نفسه عن الشیء، صرفها عنه، و قوله تعالی: ثُمَّ انْصَرَفُوا رجعوا عن المكان الذی استمعوا فيه، و قيل: انصرفوا عن العمل بشیء مما سمعوا. صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ أی أضلهم اللّه مجازاهٔ علی فعلهم، و صرفت الرجل عنی فانصرف، و المنصرف قد يكون مكانا، و قد يكون مصدرا، و قوله عز و جلّ: سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ أی أجعل جزاءهم الإضلال عن هدايهٔ آياتی، و صرف اللّه عنك الأذی و استصرفت اللّه المكاره، و صرف الشیء، أعمله فی غير وجهه كأنه يصرفه عن وجه إلی وجه، و تصرف هو، و تصاريف الأمور: تخاليفها، و منه تصاريف الرياح و السحاب) «۱ (____». ۱)

لسان العرب، لابن منظور، ۹/ ۱۸۹، و انظر: مختار الصحاح، محمد بن أبی بكر الرازی، بيروت، مكتبهٔ لبنان ناشرون، تحقيق محمود خاطر، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۵، ۱/ ۱۵۲، و الفائق فی غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشری، بيروت، دار المعرفهٔ، تحقيق: علی البجاوی، و محمد إبراهيم، الطبعهٔ الثانيهٔ، د. ت، ۲/ ۲۹۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۷۴ و فی «التوقيف علی مهمات التعريف»: (الصرف: بالفتح رد الشیء من حالهٔ إلی أخری، أو إبداله بغيره و تصريف الرياح: صرفها من حال إلی حال، و منه تصريف الكلام و الدراهم، و الصريف اللبن إذا سكنت رغوته كأنه صرفت الرغوهٔ عنه، و الصرف بالكسر: صبغ أحمر خالص، ثم قيل لكل خالص من غيره صرف كأنه صرف عنه ما يشوبه) «۱».

الصرفهٔ اصطلاحا:

الصرفهٔ اصطلاحا: معناها (أن اللّه صرف العرب عن معارضهٔ القرآن، و سلب علومهم، و كان مقدورا لهم، لكن عاقهم أمر خارجی فصار كسائر المعجزات) «۲». هذا معنی الصرفهٔ، و لكن منشأ القول بالصرفهٔ، و ما هی ملامح الجوّ الذی صدر عنه هذا الفكر و العوامل التی كوّنت هذا التصور فی أدمغهٔ أصحابها؟ هذا ما أوضحه الإمام محمد أبو زهرهٔ رحمه اللّه إذ يقول: (إن بعض المتفلسفين من علماء المسلمين اطلعوا علی أقوال البراهمهٔ فی كتابهم «الفيدا» و هو الذی يشتمل علی مجموعهٔ من الأشعار، ليس فی كلام الناس ما يماثلها فی زعمهم و يقول جمهور علمائهم: إن البشر يعجزون عن أن يأتوا بمثلها، لأن براهما صرفهم عن أن يأتوا بمثلها ... و عند ما دخلت الأفكار الهنديهٔ فی عهد أبی جعفر المنصور ثانی خلفاء بنی العباس و من والاه من حكام بنی العباس تلقف الذين يحبون كل وافد من الأفكار، و يركنون إلی الاستغراب فی أقوالهم فدفعتهم الفلسفهٔ إلی أن يعتنقوا ذلك القول «الصرفهٔ» و يطبقوه علی القرآن و إن كان لا ينطبق، فقال قائلهم: إن العرب إذ عجزوا عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ما كان عجزهم لأمر ذاتی من ألفاظه و معانيه و نسجه و نظمه، بل كان لأن اللّه تعالی صرفهم عن أن يأتوا بمثله، و إن رواج تلك الفكرهٔ يؤدّی إلی أمرين أولهما: أن القرآن الكريم ليس فی درجهٔ من البلاغهٔ و الفصاحهٔ تمنع محاكاته و تعجز القدرهٔ البشريهٔ عن أن تأتی بمثله، فالعجز ليس من صفات القرآن الذاتيهٔ، و ثانيهما: الحكم بأنه ككلام الناس لا يزيد عليه شیء فی بلاغته أو فی معانيه) «۳».

(______________________________________ ۱) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرءوف المناوى، دمشق- بيروت، دار الفكر المعاصر، تحقيق، محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى، ۱۴۱۰ ه، ۱/ ۴۵۴. (۲) الإتقان، للسيوطى، ۲/ ۳۱۴، و البرهان، للزركشى، ۲/ ۹۵. (۳) المعجزة الكبرى، محمد أبو زهرة، ص: ۷۹، و انظر: البيان فی علوم القرآن، محمد علی الحسن، بيروت، دار الفكر العربی، الطبعة الأولى، ۱۹۹۸، ص: ۳۹. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۷۵ و قد ذهب إلی هذا القول النّظّام من المعتزلة، و نسب إلی ابن المرتضی من الشيعة، و ابن سنان الخفاجی، و ابن حزم الظاهری الأندلسی، و هؤلاء هم أبرز من قال بالصرفة، و سوف نقتصر الحديث عليهم، و عمّا قالوه فی هذا المجال تباعا.

القائلون بالصرفة:

۱- النّظّام «۱»:

۱- النّظّام «۱»: و هو أول من جهر بالقول بالصرفة، و هو من رءوس المعتزلة، و لقد أشار الإمام أبو الحسن الأشعری إلی مقولة النّظّام فی الصرفة فی كتابه «مقالات الإسلاميين» فقال: (و قال النظام: فأما التأليف و النظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد، لو لا أن اللّه منعهم بمنع و عجز أحدثهما فيهم) «۲». و يحدثنا الإمام أبو منصور البغدادی فی كتابه «الفرق بين الفرق» عن النظام، و عن الظروف و العوامل التی كانت سببا فی تكوين هذا الفكر لديه، و عن طرف من معتقداته البالية، و خاصة فی الصرفة، فيقول: (إنما كان ينظم الخرز فی سوق البصرة، و لأجل ذلك قيل له «النّظّام» و كان فی زمان شبابه قد عاشر قوما من الثنوية، و قوما من السمنية القائلين بتكافؤ الأدلة، و خالط بعد كبره قوما من ملحدة الفلاسفة، ثم خالط هاشم بن الحكم الرافضی، فأخذ عن هاشم و عن ملحدة الفلاسفة قوله بإبطال الجزء الذی لا يتجزأ ثم بنی عليه قوله بالطفرة التی لم يسبق إليها و هم أحد قبله، و أخذ من الثنوية قوله بأن فاعل العدل لا يقدر على فعل الجور و الكذب، و أخذ عن هاشم ابن الحكم أيضا قوله بأن الألوان و الطعوم و الروائح و الأصوات أجسام، و بنی على هذه البدعة قوله (______________________________________ ۱) ت ۲۳۱ ه، إبراهيم بن سيار النظّام، إليه تنسب فرقة النظامية، الذين قالوا: إن الله لا يقدر أن يفعل بعباده فی الدنيا ما لا صلاح لهم فيه و لا أن يزيد و ينقص من عقاب و ثواب، و كونه مريدا لفعله خالقه و لفعل العبد كونه أمر به، و الإنسان هو الروح و البدن و الأعراض و الأجسام لا تبقی، و الجسم مؤلف من الأعراض، و العلم و الجهل المركب مثلان، و الإيمان و الكفر كذلك، و أن الله خلق الخلق دفعة و التقدم و التأخر فی الكون و الظهور، و نظم القرآن ليس بمعجز، و التواتر يحتمل الكذب، و الإجماع و القياس ليس بحجة و أوجبوا النص على الإمام، و ثبوته لعلی، لكن كتمه عمر. انظر: لوامع الأنوار البهية، للسفارينی، ۱/ ۷۸، بتصرف. (۲) مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين، أبو الحسن علی بن إسماعيل الأشعری، صيدا- بيروت، المكتبة العصرية، تحقيق، محی الدين عبد الحميد، د. ت، ۱/ ۲۹۶. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۷۶ بتداخل الأجسام فی حيّز واحد، و دوّن مذاهب الثنوية و بدع الفلاسفة و شبه الملحدة فی دين الإسلام و أعجب بقول البراهمة بإبطال النبوات، و لم يجسر على إظهار هذا القول خوفا من السيف، فأنكر إعجاز القرآن فی نظمه، و أنكر ما روی من معجزات نبينا صلی اللّه عليه و سلم من انشقاق القمر، و تسبيح الحصی فی يده، و نبوع الماء من بين أصابعه، ليتوصل بإنكار معجزات نبينا صلی اللّه عليه و سلم إلی إنكار نبوته، ثم إنه استثقل أحكام شريعة الإسلام فی فروعها و لم يجسر على إظهار دفعها، فأبطل الطرق الدالة عليها، فأنكر لأجل ذلك حجة الإجماع، و حجية القياس فی الفروع الشرعية ...) «۱». ثم عرض بعد هذا البغدادی سلسلة طويلة من انحرافاته و ضلالاته، و أسماها «بالفضائح» بسط الكلام فيما أوجزناه و أثبتناه هاهنا، و غير البغدادی كثير من علماء الإسلام الذين أماطوا اللثام عن زيف و وهم ما ذهب إليه النظام، و ركّزوا على الصرفة التی جاهر بها، من ذلك ما أورده الإمام الشهرستانی فی كتابه «الملل و النحل» إذ يقول: (إبراهيم بن سيّار النظّام قد طالع كثيرا من كتب

الفلاسفة، و خلط كلامهم بكلام المعتزلة، و انفرد عن أصحابه بمسائل ... و ذكر ثلاثة عشر مسألة أوضح فیها ضلاله و زیفه، منها قضیة الصرفة) «۲». و من خلال استقراء حیاة النظام یتبین لنا أنه كان شعلة من الذكاء و النباهة، حتی قال فیه الجاحظ: (قد أنهج- أی للمتكلمین- لهم سبلا، و فتق لهم أمورا، و اختصر لهم أبوابا ظهرت فیها النعمة و شملتهم بها المنفعة) «۳».

(۱) الفرق بین الفرق، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادی، بیروت، دار المعرفة، تحقیق، محمد محی الدین عبد الحمید، د. ت، ص ۱۳۱- ۱۳۲. (۲) الملل و النحل، محمد بن عبد الكریم الشهرستانی، بیروت، دار المعرفة، تحقیق، محمد كیلانی، ۱۴۰۴ ه، ۱/ ۵۳، و انظر الفصل فی الملل و الأهواء و النحل، علی بن أحمد بن حزم الظاهری، بیروت، دار المعرفة، الطبعة الثانیة، ۱۳۹۵ ه/ ۱۹۷۵، ۱/ ۶۷، و انظر: عقائد الثلاث و السبعین فرقة، لأبی محمد الیمنی، المدینة المنورة، مكتبة العلوم و الحكم، تحقیق، محمد الغامدی، الطبعة الثانیة ۱۴۲۲ ه/ ۲۰۰۱ ۱/ ۳۳۳ و انظر: معجم الفرق الإسلامیة، شریف یحیی الأمین، بیروت، دار الأضواء، الطبعة الأولی، ۱۴۰۶ ه/ ۱۹۸۶ ص ۲۵۰. (۳) الحیوان، عمر بن بحر بن محبوب الجاحظ، بیروت، دار الهلال، تحقیق، یحیی الشامی، الطبعة الثالثة، ۱۹۹۷، ۴/ ۶۹. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحدیث، ص: ۷۷ و قال عنه الجاحظ أیضا: (و كان لا یرتاب بحدیث النّظام إذا حكی عن سماع أو عیان) «۱». و وصفه أحمد أمین «۲» بأنه (عقلیة قویة سابقة لزمنها، فیها الركنان الأساسیان اللذان سببا النهضة الحدیثة فی أوروبا و هما: الشك و التجربة) «۳». لكن مع كل هذا الثناء و المدیح سواء كان مبالغا فیه أم لا (لم یستخدم النّظام قدرته العقلیة و طاقاته المعرفیة و الذكائیة فی خدمة الشریعة الغراء، و الكشف عن أسرارها و حكمها و شمولیتها للكون و الحیاة و الإنسان، بل علی العكس من ذلك تماما، فقد سلط قلمه و لسانه علی الشرع السمح و استهتر بقضایا الدین، و طعن فی أصول الشریعة كما طعن فی فتوی أعلام الصحابة ...) «۴». علاوة علی ذلك فإنه كان منحرف السلوك، سیّئ الخلق، و هذا وصف ابن قتیبة له یقول: (وجدنا النّظام شاطرا من الشّطّار، یغدو علی سكر و یروح علی سكر، و یبیت علی جرائرها، و یدخل فی الأدناس، و یرتكب الفواحش و الشائنات، و هو القائل: ما زلت آخذ الزقّ فی لطف و أستبیح دما من غیر مجروح حتی انثنیت و لی روحان فی جسدی و الزقّ مطّرح جسم بلا روح ثم نجد أصحابه یعدون من خطئه قوله: إن اللّه عز و جلّ یحدث الدنیا و ما فیها، فی كل وقت من غیر إفنائها ...) «۵». و قد اتفق أكثر المعتزلة علی تكفیر النّظام كما قال البغدادی: (و قد قال بتكفیره أكثر شیوخ المعتزلة، منهم أبو الهذیل، فإنه قال بتكفیره فی كتابه المعروف «بالرد علی

(۱) المصدر نفسه، ۴ / ۱۰۶. (۲) ۱۲۹۵ - ۱۳۷۳ ه ۱۸۷۸- ۱۹۵۴، أحمد أمین ابن الشیخ إبراهیم الطباخ، عالم بالأدب غزیر الاطلاع علی التاریخ، من كبار الكتاب، مولده و وفاته بالقاهرة، قرأ بالأزهر و تخرج بمدرسة القضاء الشرعی، تولی الكثیر من المناصب، من مؤلفاته، فجر الإسلام و ضحی الإسلام، و ظهر الإسلام، و غیرها. انظر: الأعلام، للزركلی، ۱/ ۱۰۱ بتصرف. (۳) ضحی الإسلام، أحمد أمین، القاهرة، النهضة المصریة، الطبعة السابعة، ۱۹۶۱، ۳/ ۱۱۲. (۴) انظر: الملل و النحل، للشهرستانی، ۱/ ۵۷، و لوامع الأنوار، للسفارینی، ۱/ ۷۸، بتصرف. (۵) تأویل مختلف الحدیث، عبد الله بن مسلم بن قتیبة، بیروت، المكتب الإسلامی، تحقیق، محمد الأصفر، الطبعة الأولی، ۱۹۸۹، ص ۲۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحدیث، ص: ۷۸ النظّام»، و فی كتابه علیه فی الأعراض، و الإنسان، و الجزء الذی لا یتجزأ، و منهم الجبائی، فقد كفّر النظام فی قوله: إن المتولدات فی أفعال اللّه بإیجاب الخلقة ... و منهم جعفر بن حرب فقد صنّف كتابا فی تكفیر النظّام بإبطاله الجزء الذی لا یتجزأ ... و أما كتب أهل السنة و الجماعة فی تكفیره فالله یحصیها، و لشیخنا أبی الحسن الأشعری رحمه اللّه فی تكفیر النظّام ثلاثة كتب، و للقلانسی علیه كتب و رسائل، و للقاضی أبی بكر محمد بن الطیب الأشعری رحمه اللّه كتاب كبیر فی نقض أصول النظام، و قد أشار إلی ضلالاته فی كتاب، إكفار المتأولین) «۱».

۲- الشریف المرتضی من الشیعة «۲»:

۲- الشریف المرتضی من الشیعة «۲»: و الصرفة عنده هی: أن اللّه سلبهم العلوم التی یحتاجون إلیها فی معارضة القرآن و الإتیان بمثله، أی إنهم قادرون علی أن یأتوا بمثل القرآن، و ذلک بما زودوا من فصاحة و بلغة و بیان، إلا أنهم عاجزون عن ذلک بسبب أن اللّه سلبهم هذه العلوم التی یحتاجون إلیها لمحاکاة القرآن و الإتیان بمثله. و هذا قوله کما نقله الرافعی «۳»: (و قال المرتضی من الشیعة: معنی الصرفة أن اللّه سلبهم العلوم التی یحتاج إلیها فی المعارضة لیجیئوا بمثل القرآن) «۴». و إلیه أشار یاقوت الحموی فی کتابه «معجم الأدباء» إذ یقول: (قرأت بخط عبد اللّه ابن محمد بن سعید بن سنان الخفاجی الشاعر فی کتاب ألفه فی الصرفة، زعم فیه أن (______________________________۱) الفرق بین الفرق، للبغدادی، ص ۱۳۳. (۲) ۳۵۵- ۴۳۶ ه، ۹۶۶- ۱۰۴۴، علی بن الحسن بن موسی بن إبراهیم أبو القاسم، من أحفاد الحسین بن علی بن أبی طالب نقیب الطالبیین و أحد الأئمة فی علم الکلام و الأدب و الشعر، یقول بالاعتزال، مولده و وفاته ببغداد، له تصانیف کثیرة منها: الغرر و الدرر و یعرف بأمالی المرتضی، و الشهاب فی الشیب و الشباب، و الشافی فی الإمامة، و تنزیه الأنبیاء و الانتصار ... و کثیر من مترجمیه یرون أنه هو جامع «نهج البلاغة» و من طالعه جزم بأنه مکذوب علی أمیر المؤمنین. انظر: الأعلام، للزرکلی، ۴ / ۲۷۸، بتصرف. (۳) ۱۲۹۸- ۱۳۵۶ ه، ۱۸۸۱- ۱۹۳۷، مصطفی صادق بن عبد الرزاق بن سعید الرافعی، عالم بالأدب، شاعر، من کبار الکتاب أصله من طرابلس الشام، و وفاته فی طنطا بمصر، له دیوان شعر، و تاریخ آداب العرب، و إعجاز القرآن و البلاغة النبویة، و غیرها من الکتب. انظر الأعلام، للزرکلی، ۷/ ۲۳۵، بتصرف. (۴) إعجاز القرآن، للرافعی، ص ۱۴۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۷۹ القرآن لم یخرق العادة بالفصاحة حتی صار معجزة للنبی صلی اللّه علیه و سلم و أن کل فصیح بلیغ قادر علی الإتیان بمثله، إلا أنهم صرفوا عن ذلک، لا أن یکون القرآن فی نفسه معجز الفصاحة، و هو مذهب الجماعة من المتکلمین و الرافضة منهم بشر المریسی، و المرتضی أبو القاسم ...) «۱». و یقول السفارینی «۲»: (و کان المرتضی العلوی یقول بالصرفة، یعنی أن اللّه تعالی صرف العرب عن الإتیان بمثله ...) «۳». و هکذا یتضح لنا الفرق الدقیق بین ما ذهب إلیه النظّام فی الصرفة، و ما ذهب إلیه المرتضی فالنظّام یری بأن الصرفة هی: عدم معارضتهم للقرآن مع قدرتهم علیها، لکن اللّه صرفهم عنها، أما عند المرتضی فالصرفة هی: عدم قدرتهم علی الإتیان بمثل القرآن، لأن اللّه سلبهم العلوم التی یحتاجون إلیها لمحاکاة القرآن و الإتیان بمثله، بعد أن کانت متأصّلة فیهم.

۳- ابن حزم الأندلسی الفقیه الظاهری «۴»:

۳- ابن حزم الأندلسی الفقیه الظاهری «۴»: ابن حزم ممن قال بالصرفة فی کتابه «الفصل فی الملل و الأهواء و النحل» تحت (______________________________۱) معجم الأدباء، یاقوت بن عبد الله الرومی البغدادی، بیروت، دار صادر، د. ت، ۳/ ۱۳۹. (۲) ۱۱۱۴- ۱۱۸۸ ه، ۱۷۰۲- ۱۷۷۴، محمد بن أحمد بن سالم السفارینی، عالم بالحدیث و الأصول و الأدب، ولد فی سفارین من قری «نابلس» و رحل إلی دمشق و أخذ عن علمائها، و عاد إلی نابلس فدرس و أفتی و توفی فیها، من کتبه: الدراری المصنوعات فی اختصار الموضوعات، و کشف اللثام شرح عمدة الأحکام، و لوامع الأنوار البهیة، و غیرها. انظر: الأعلام، للزرکلی، ۶/ ۱۴، بتصرف. (۳) لوامع الأنوار البهیة، للسفارینی، ۱/ ۱۷۴. (۴) ۳۸۴- ۴۵۶ ه، ۹۹۴- ۱۰۶۴، علی بن أحمد بن سعید بن حزم الظاهری عالم الأندلس فی عصره، و أحد أئمة الإسلام، کان فی الأندلس خلق کثیر ینتسبون إلی مذهبه، یقال لهم «الحزمیة» ولد بقرطبة، و کانت له و لأبیه من قبله رئاسة الوزارة، و تدبیر المملکة، فزهد بها و انصرف إلی العلم و التألیف، فکان من صدور الباحثین، فقیها حافظا یستنبط الأحکام من الکتاب و السنة بعیدا عن المصانعة و انتقد کثیرا من العلماء و الفقهاء فتمالئوا علی بغضه، و أجمعوا علی تضلیله، و حذروا سلاطینهم من فتنته، و نهوا عوامهم عن الدنوّ منه فأقصته الملوک و طاردته، فرحل إلی بادیة لبلة من بلاد الأندلس، فتوفی فیها ... أشهر مصنفاته: الفصل فی الملل و الأهواء و النحل، و المحلی و جمهرة الأنساب، و

الناسخ و المنسوخ، و حجة الوداع، و ديوان شعر. انظر: الأعلام، للزركلى، ۴/ ۲۵۴، بتصرف. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۸۰ عنوان: الكلام فى إعجاز القرآن، حيث يذكر عدة أقوال، و العديد من المسائل فى إعجاز القرآن و يناقشها مع انتقاده لأكثرها، و هو يرى (أن القرآن فى أعلى درجات البلاغة، حيث إن اللّه قد بلغ به ما أراد، فهو فى هذا المعنى فى الغاية التى لا شيء أبلغ منها، و ليس هو فى أعلى درجات البلاغة فى كلام المخلوقين، لأنه ليس من نوع كلامهم، لا من أعلاه و لا من أدناه و لا من متوسّطه ... ثمّ يعلن الصرفة فيقول: فصحّ أنه ليس من نوع بلاغة الناس أصلا، و أن اللّه تعالى منع الخلق من مثله، و كساه الإعجاز، و سلبه جميع كلام الخلق ... إذ لم يقل أحد من أهل الإسلام أن كلام غير اللّه تعالى معجز، لكن لما قاله اللّه تعالى و جعله كلاما له، أصاره معجزا، و منع من مماثلته، و هذا برهان كان لا يحتاج إلى غيره) «۱». (و على هذا فإن ابن حزم لا يرى القرآن معجزا ببلاغته، و أن فى استطاعة الناس أن يأتوا بمثل بلاغته، مع اعترافه بأنه فى أعلى طبقات البلاغة، و نراه من جهة ثانية يخالف طريقة المتكلمين، فهم يجعلون إعجاز القرآن وسيلة إلى إثبات أنه منزل من عند اللّه و إثبات النبوة، و هو يعكس الأمر فيجعله معجزا لأنه كلام اللّه) «۲». و للشيخ محمد أبو زهرة رحمة اللّه تعقيب نفيس على كلام ابن حزم الذى أوردناه آنفا يقول: (إن ذلك الكلام يبدو بادى الرأى غريبا من ابن حزم، و لكن المتأمل فيه يجده سائرا على مذهبه فى نفى الرأى، و الحكم بظاهر القول من غير تعليل، فالاتجاه إلى تعليل الإعجاز بأن السبب فيه بلاغته التى علت عن طاقة العرب، و التى جعلتهم يخرون صاغرين بين يديه من غير مراء و لا جدال يعد تعليلا و هو من باب الرأى الذى ينفيه و التعليل الذى يجافيه، فلا بد أن يبحث عن سبب غير ما ذكر اللّه تعالى) «۳».

۴- ابن سنان الخفاجى «۴»:

۴- ابن سنان الخفاجى «۴»: و من الذين قالوا بالصرفة الخفاجى فى كتابه «سرّ الفصاحة» فهو يرى أن أسلوب

(____

۱) الفصل فى الملل و الأهواء و النحل، لابن حزم، ۳/ ۲۹. (۲) فكرة إعجاز القرآن، نعيم الحمصى، ص ۸۴. (۳) المعجزة الكبرى، محمد أبو زهرة، ص ۸۲- ۸۳. (۴) ۴۲۳- ۴۶۶ ه، ۱۰۳۲- ۱۰۷۳ م، عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجى الحلبى، شاعر، أخذ الأدب عن أبى العلاء المعرى و غيره و كانت له ولاية بقلعة «عزاز» من أعمال حلب، و عصى بها، فاحتيل عليه فسمّ فمات، له ديوان شعر، و سر الفصاحة. انظر: الأعلام للزركلى، ۴/ ۱۲۲، بتصرف. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۸۱ القرآن لم يبعد كثيرا عن فصيح الكلام المختار من كلام العرب، و أن العرب عند ما عجزوا عن الإتيان بمثله، كان ذلك راجعا إلى أنهم سلبوا العلوم التى كانوا يتمكنون بها من معارضته ... يقول الخفاجى و هو يردّ على أبى الحسن الرمانى الذى يرى أن إعجاز القرآن راجع إلى بلاغته و فصاحته و تلاؤم نظمه ... يقول: (و لا فرق بين القرآن و بين فصيح الكلام فى هذه القضية، و متى رجع الإنسان إلى نفسه و كان معه أدنى معرفة بالتأليف المختار، وجد فى كلام العرب ما يضاهى القرآن فى تأليفه، و لعل أبا الحسن الرمانى يتخيل أن الإعجاز فى القرآن لا يتم إلا بمثل هذه الدعوى الفاسدة ... ثم يعلن القول بالصرفة فيقول: و إذا عدنا إلى التحقيق وجدنا وجه إعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته، بأن سلبوا العلوم التى بها كانوا يتمكّنون من المعارضة فى وقت مرامهم ذلك) «۱». و قد زعم السفارينى أن القاضى عياض له ميل إلى القول بالصرفة فقال: (قلت: و فى شفاء أبى الفضل القاضى عياض بعض ميل للقول بالصرفة، فإنه قال: و ذهب الشيخ أبو الحسن الأشعرى إلى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر، و يقدرهم اللّه عليه، و لكنه لم يكن هذا، و لا يكون فمنعهم اللّه هذا و عجزهم عنه) «۲». و الحق أن القاضى عياض لم يمل إلى الصرفة، لا من قريب و لا من بعيد، و إنما استعرض أقوال العلماء فى وجوه الإعجاز، سواء من أثبت الصرفة أو من نفاها، ثم إننا نجده قد بسط الحديث فى إعجاز القرآن، و تحديه للعرب و للناس جميعا، و ذكر آيات التحدى تباعا و أوضح بإسهاب خصائص اللغة العربية، و ما كان عليه العرب من فصاحة و بلاغة و بيان و مع كل هذا، و القرآن يتحداهم، نجدهم عاجزين ناكصين ... و هذا ما قاله القاضى عياض و هو يعرض أقوال العلماء فى وجوه الإعجاز يقول: (و قد اختلف

أئمـة أهـل السـنة فی وجه عجزهم عنه، فـأکثرهم یقول: إنه مـا جمع فی قوة جزالته و نصاعـة ألفاظه، و حسن نظمه، و إیجازه، و بـدیع تـألیفه و أسـلوبه لاـ یصـح أن یکـون فی مقـدور البشـر و أنـه مـن بـاب الخـوارق الممتنعـة عن إقـدار الخلـق علیهـا، کإحیـاء المـوتی، (____) سـر الفصاحـة، عبـد الله بن سـنان الخفـاجی الحلبی، بیروت، دار الکتب العلمیـة، الطبعـة الأولی، ۱۴۰ ه/ ۱۹۸۲، ص ۹۹- ۱۰۰. (۲) لوامع الأنوار البهیة، للسـفارینی، ۱/ ۱۷۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۸۲ و قلب العصا، و تسبیح الحصی و ذهب الشیخ أبو الحسن إلی أنه مما یمکن أن یدخل مثله تحت مقدور البشـر و یقدرهم اللّه علیه، و لکنه لم یکن هذا و لا یکون، فمنعهم اللّه هذا و عجزهم عنه) «۱»، فنحن نمیل إلی الاعتقاد بأنه قد عرض القولین مجرد عرض، بل إنه قد جزم بإعجاز القرآن بالتحدی لا بالصرفة «۲». هؤلاء هم أبرز من قال بالصـرفة، بل هم الـذین وضـعوا التصور الواضـح لمفهوم الصـرفة، و یتضـح لنا بعد أن تعرفنا علی ما ذهبوا إلیه أن آرائهم تتلخص بمـذهبین: أولا: النظّام و من سار علی نهجه، و هؤلاء یرون أن العرب صـرفوا عن معارضـة القرآن و لم یحاولوا معارضـته، و لو حاولوا لاسـتطاعوا أن یـأتوا بمثله. ثانیا: الشـریف المرتضـی و الخفاجی و من سار علی نهجهما، و هؤلاء یرون أن اللّه سـلب من العرب العلوم التی یحتـاجون إلیهـا لمعارضـة القرآن الکریم، و لو حاولوا معارضـته لفشـلوا بسـبب سـلب العلوم التی تمکنهم من معارضـته و الإتیان بمثلـه. و کلاـ المـذهبین مردود بأدلـة قاطعـة و واضـحة، و هـذا مـا سـیتناول فی المبحـث القـادم إن شـاء اللّـه تعـالی. (____) الشـفا بتعریف حقوق المصـطفی، للقاضـی أبی الفضل عیاض بن موسـی بن عیاض الیحصبی، بیروت، دار الکتاب العربی، تحقیق مصـطفی عطی، الطبعة الأولی، ۱۹۹۰، ۱/ ۳۷۳. (۲) و الذی یراجع ما کتبه القاضی عیاض فی هذا الصدد فی کتابه الشفا، ص: ۳۷۰ و ما بعدها یجد مصداق ما قلناه. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۸۳

المبحث الثانی نقد مذهب الصرفة

اشارة

المبحث الثانی نقد مذهب الصرفة یتسنّی لنا من خلال ما بسطناه من الحدیث عن الصرفة و قائلیها، و ما تلخص لنا من مجموع ما ذهبوا إلیه أن نرکز النقد علی هذا القول الشاذ بما یلی:

أولا: الرد علی النظام و من حذی حذوه:

أولا: الرد علی النظام و من حـذی حـذوه: و الذین قالوا: إن اللّه صـرف العرب عن المعارضة، و لو فکروا و حاولوا لاسـتطاعوا أن یأتوا بمثل هذا القرآن. ۱- بدایـة نقول: یلزم من القول بالصـرفة أن الإعجـاز لیس ذاتیـا فی القرآن، و إنما الإعجاز فی المنع أی فی غیره، و هذا القول باطل لأن اللّه سبحانه و تعالی وصف القرآن بأوصاف تدل علی أنه معجز بذاته و أول و أهم هذه الأوصاف أنه قد تحداهم أن یـأتوا بمثله، کمـا قال تعالی: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلی أَنْ یَأْتُوا بِمِثْلِ هـذَا الْقُرْآنِ لا یَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ کانَ بَعْضُـهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِیراً «۱» و أیضـا قوله تعـالی: وَ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِمَّا نَزَّلْنـا عَلی عَبْـدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُـهَداءَکُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ «۲» و قوله جـلّ ثنـاؤه: أَمْ یَقُولُونَ افْتَراهُ قُـلْ فَأْتُوا بِعَشْـرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَیاتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْـتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ «۳»، فقد قرر سـبحانه و تعالی فی الآیة الأولی أن الإنس و الجن مهما تضافرت قواهم، و تآزرت جهودهم لیعارضوه لم و لن یسـتطیعوا أن یـأتوا و لو بسورة من مثله، فلو کان الإعجاز بالصـرفة کما یقولون لاقتضـی سـیاق الخطاب أن یأتی هکـذا «لو اجتمع الإنس و الجن علی أن یأتوا بمثله لصرفهم اللّه عن ذلک» و لکن لم یرد مثل هذا أبدا، بل إن الحق جعل التحدی فی الإعجاز بالقرآن ذاته لا بالمنع و

الصـرف (____ ... ۱) سورة الإسـراء، الآيـة: ۸۸. (۲) سورة البقرة، الآية: ۲۳. (۳) سورة هود، الآية: ۱۳. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۸۴ كذلك فإن الآيـة الثانيـة و الثالثـة، تـدلان على أن القرآن معجز بذاته لا بغيره، و ذلك لأن اللّه جل جلاله أودع فيه من المزايا و الصـفات السامية، التى لا يمكن أن يصل إلى مستواها طوق أحـد من الخلق ليعارضـها و ليجاريها، و من هنا كان التحدى بالقرآن نفسه و نستبين ذلك من أن القرآن سلسل آيات التحدى لهم، و سفّه عقولهم و أثار حميتهم، فلو كان الإعجاز بالصرفة، لما عرض آيات التحدى، إنما كان يكفيه أن يقول لهم: إن دليل صـدقى هو منعكم عن المعارضـة، فالمعجزة تكون نفس المنع عن المعارضة و ليس القرآن و لكننا نجد أن الحق عرض آيات التحـدى تباعا بصورة جازمة على أن المتحدى به هو القرآن ذاته، و أنه المعجز لمزايا أودعها فى ذاته، و ليسـت هذه الصفات خاصة عنه. ۲- وردت آيات كثيرة تدل على أن القرآن معجز بذاته، و ذلك بسبب قوة تأثيره فى النفوس و هيمنته على الأفئدة، و من أجل هذا كان الكفرة يهمس بعضهم فى البعض لئلا يصغوا إلى القرآن حتى لا يسحرهم جماله و بيانه، قال تعالى: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ «۱» كما أن القرآن كان له تأثير عجيب فى نفوس المسـلمين الخاشعين و إلى هـذا يشير مولانـا تبـارك و تعـالى: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَ قُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللَّهِ ذلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِى بِهِ مَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ «۲». يقول الشيخ محمد أبو زهرة: (إن العرب عند ما تلقوا القرآن راعهم بيانه، و أثار إعجابهم أسلوبه و عباراته، و قالوا: ما رأينا مثله شعرا و لا نثرا، فكان العجز لذاته، لا لشـىء خـارج عنه، و مـا لنـا نفترض مـا لم يقولوا، و مـا لم يفعلوا، و ما لم يقـدروا، إلا أن يكون ذلك تمويها و إنكارا للواقع المسـتقر بفرض وهمىّ ... و أيضا فإنه لو كان العجز لأمر خارجى لا لأمر ذاتى فيه، بأن تكون عنـدهم القدرة على أن يأتوا بمثله و لكن صـرفوا، فإن ذلك يقتضـى أن يثبت أولا أنهم قادرون على مثله، و هم أولا قـد نفوا ذلك عن قدرهم، و ليس لنا أن نفرض لهم قدرة قد نفوها عن أنفسـهم، و لو كـانوا قـادرين لكـان من كلامهم قبل نزول القرآن عليهم و ما يكون متماثلا فى نسـقه و نسجه، و لهم مثل رنينه و صـوره البيانيـة فى شـعر (________________________________ ۱) سـورة فصلت، الآية: ۲۶. (۲) سورة الزمر، الآيـة: ۲۳. الإعجـاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحـديث، ص: ۸۵ أو نـثر، و لكن المتتبع للمأثورات العربيـة فى الجاهليـة و الإسـلام لا يجـد فيها ما يقارب القرآن فى ألفاظه أو معانيه أو صوره البيانية) «۱». ۳- و أما الرد على النظّام و من معه فإنا نقول: (كيف يصـح القول أن همتهم لم تتجه للإتيان بمثل القرآن، و هم الذين لم يتركوا سبيلا للقضاء على دعوة محمد صـلى اللّه عليه و سلم و سلكوا كل طريق شاق، و حاربوه و ناوءوه و قاطعوه، و آذوه مع إبطاله لمعتقداتهم، و إثارته لحفيظتهم، و اسـتفزازه لمشاعرهم، و إلهابه لغيرتهم و أصاب موضع عزتهم و فخارهم، و قـد مكّنهم من نفسه لو اسـتطاعوا فـدعاهم و تحداهم أن يأتوا بمثل سورة من القرآن و لو كان فيهم أدنى قـدرة، أو عرفوا أحدا يملكها فى أقصـى الأرض لبعثوا إليه كما بعثوا لليهود يسألونهم عمّا يسألون محمـدا صـلى اللّه عليه و سـلم عنه ليحرجوه، فلا يصح بعد هذا أن يقال: إن همتهم لم تتجه للإتيان بمثله) «۲». ثم إن أول من رد على النظّام تلميـذه الجاحظ، و الجاحظ كما نعلم معتزلى، و لكنه كان حافلا بالصـياغة اللغوية، و ممن يجعلون لصـفاء العبارة و رونقها شأنا فى البلاغـة، كـذلك هو كما وصـفه ابن النـديم فى الفهرست: (بأنه لم يقع بيده كتاب قط إلا اسـتوفى قراءته كائنا ما كان حتى إنه كان يكترى دكاكين الوراقين و يثبت فيها للنظر) «۳». و ها هو ذا الجاحظ يتحدّث عن إعجاز القرآن و نظمه و أسلوبه البيانى، رادّا فى ذلك على أستاذه النظّام يقول: (بعث اللّه محمدا أكثر ما كانت العرب شاعرا و خطيبا، و أحكم ما كانت لغة، و أشد ما كانت عـدّة، فـدعا أقصاها و أدناها إلى توحيـد اللّه و تصديق رسالته فدعاهم بالحجة، فلما قطع العذر و أزال الشـبهة و صار الذى يمنعهم من الإقرار الهوى و الحميّة دون الجهل و الحيرة، حملهم على حظّهم بالسـيف، فنصب لهم الحرب و نصبوا له و قتل من عليتهم و أعلامهم و أعمـــــامهم و بنى أعمـــــــامهم، و هـــــــــو فى ذلك (________________________________ ۱) المعجزة الكـبرى، لمحمـد أبو

زهرة، ص: ۸۳. (۲) دراسات فی علوم القرآن الکریم، د. فهد الرومی، الریاض، مکتبة التوبة، الطبعة السابعة، ۱۴۱۹ ه/ ۱۹۹۸، ص ۲۷۴، و انظر روح المعانی و السبع المثانی، محمد الألوسی أبو الفضل بیروت، دار إحیاء التراث العربی، د. ت، ۱/ ۲۹. (۳) الفهرست، محمد بن إسحاق أبو الفرج الندیم، بیروت، دار المعرفة، ۱۳۹۸ ه/ ۱۹۷۸، ۱/ ۱۶۹، و انظر: أبجد العلوم فی بیان أحوال العلوم، صدیق بن حسن القنوجی، بیروت، دار الکتب العلمیة، تحقیق، عبد الجبار زکار، ۱۹۷۸، ۲/ ۲۶۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۸۶ یحتجّ علیهم بالقرآن و یدعوهم صباحا و مساء إلی أن یعارضوه إن کان کاذبا بسورة. واحدة أو بآیات یسیرة فکلما ازداد تحدیا لهم بها و تقریعا لعجزهم عنها، تکشّف من نقصهم ما کان مستورا و ظهر منه ما کان خفیا، فحین لم یجدوا حیلة و لا حجة قالوا له: أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف، فلذلک یمکنک ما لا یمکننا، قال فهاتوها مفتریات، فلم یرم ذلک خطیب و لا طمع فیه شاعر و لا طمع فیه لتکلفه، و لو تکلفه لظهر ذلک، و لو ظهر لوجد من یستجیده و یحامی علیه و یکاید فیه، یزعم أنه قد عارض و قابل و ناقض، فدل ذلک العاقل علی عجز القوم مع کثرة کلامهم، و استحالة لغتهم، و سهولة ذلک علیهم، و کثرة شعرائهم، و کثرة من هجاه منهم، و عارض شعراء أصحابه و خطباء أمته، لأن سورة واحدة و آیات یسیرة کانت أنقض لقوله و أفسد لأمره و أبلغ فی تکذیبه و أسرع فی تفریق أتباعه من بذل النفوس و الخروج من الأوطان و إنفاق الأموال، و هذا من جلیل التدبیر الذی لا یخفی علی من هو دون قریش و العرب فی الرأی و العقل بطبقات، و لهم القصید العجیب و الرجز الفاخر، و الخطب الطوال البلیغة و القصار الموجزة، و لهم الأسجاع و المزدوج، و اللفظ المنثور ثم یتحدی به أقصاهم بعد أن أظهر عجز أدناهم، فمحال- أکرمک اللّه- أن یجتمع هؤلاء کلهم علی الغلط فی الأمر الظاهر و الخطأ المکشوف البین، مع التقریع بالنقص و التوقیف علی العجز، و هم أشد الخلق أنفة، و أکثرهم مفاخرة، و الکلام سید عملهم، و قد احتاجوا إلیه و الحاجة تبعث علی الحیلة فی الأمر الغامض فکیف بالظاهر الجلیل المنفعة، و کما أنه محال أن یطبقوا ثلاثا و عشرین سنة علی الغلط فی الأمر الجلیل المنفعة، فکذلک محال أن یترکوه و هم یعرفونه و یجدون السبیل إلیه و هم یبذلون أکثر منه) «۱». (ذلک هو رأی الجاحظ فی إقامة الحجّة علی وقوع الإعجاز بالقرآن، و هو رأی کما تری تقوم بین یدیه حجج مشرقة، و أدلة قاطعة و إن أکثر الذین أقاموا الحجة علی إعجاز القرآن من هذا الوجه إنما نظروا إلی رأی الجاحظ هذا، و اعتمدوا علیه، و داروا حوله) «۲». ۴- و یرد الزرقانی ردا دقیقا علی من قال بالصرفة، و ذلک بعد ما عرض شبهة القائلین بها و بدأ بتفنیدها فقال: (... فینقضه الواقع التاریخی أیضا، و دلیلنا علی هذا ما

____ (۱) انظر: الإتقان، للسیوطی، ۴/ ۳۱۳- ۳۱۴. (۲) الإعجاز فی دراسات السابقین، عبد الکریم الخطیب، ص: ۱۶۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۸۷ تواترت به الأنباء من أن بواعث العرب إلی المعارضة قد وجدت سبیلها إلی نفوسهم، و نالت منالها من عزائمهم، فهبوا هبّة رجل واحد یحاولون القضاء علی دعوة القرآن بمختلف الوسائل فلم یترکوا طریقا إلا سلکوه، و لم یدعوا بابا إلا دخلوه، لقد آذوه و آذوا أصحابه فسبوا من سبوا، و عذّبوا من عذبوا، و قتلوا من قتلوا، و لقد طلبوا إلی عمه أبی طالب أن یکفه و إلا نازلوه و إیاه، و لقد قاطعوه و قاطعوا أسرته الکریمة، لا یبیعون لهم و لا یبتاعون، و لا یتزوجون منهم و لا یزوجون، و اشتد الأمر حتی أکلت الأسرة الکریمة ورق الشجر و لقد فاوضوه أثناء هذه المقاطعة التی تلین الحدید مفاوضات عدة، و عرضوا علیه عروضا سخیة مغریة، منها أن یعطوه حتی یکون أکثرهم مالا، و أن یعقدوا له لواء الزعامة فلا یقطعوا أمرا دونه، و أن یتوجوه ملکا علیهم إن کان یرید ملکا، و أن یلتمسوا له الطب إن کان به مس من الجن، کل ذلک فی نظیر أن یترک هذا الذی جاء به، و لما أبی علیهم ذلک، عرضوا علیه أن یهادنهم و یداهنهم فیعبد آلهتهم سنة و یعبدون إلهه سنة، فأبی أیضا، و نزل قول اللّه: قُلْ أَ فَغَیْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّی أَعْبُدُ أَیُّهَا الْجاهِلُونَ «۱» و نزلت کذلک سورة الکافرون، و لقد اتهموه مرة بالسحر و أخری بالشعر و ثالثه بالجنون و رابعة بالکهانة، و کانوا یتعقبونه و هو یعرض نفسه علی قبائل العرب أیام الموسم، فیبهتونه و یکذّبونه أمام من لا یعرفونه، و لقد شدّوا وطأتهم علی أتباعه حتی اضطروهم أن یهاجروا من وطنهم و یترکوا أهلهم و أولادهم و أموالهم فرارا إلی اللّه بدینهم، و لقد تآمروا علی الرسول صلی اللّه علیه و سلم أن یثبتوه أو یقتلوه

أو يخرجوه لو لا أن حفظه اللّه و حماه من مكرهم، و أمره بالهجرة من بينهم، و لقد أرسلوا إليه الأذى بعد ذلك فى مهاجره، فنشبت الحرب بينه و بينهم فى خمس و سبعين موقعة، منها سبع و عشرون غزوة، و ثمان و أربعون سرية، فهل يرضى عاقل لنفسه أن يقول بعد ذلك كله إن العرب كانوا مصروفين عن معارضة القرآن و نبى القرآن، و إنهم كانوا مخلدين إلى العجز و الكسل زاهدين فى النزول إلى هذا الميدان، و هل يصح مع هذا كله أن يقال: إنهم كانوا فى تشاغل عن القرآن غير معنيين به و لا آبهين له، و إذا كان أمر القرآن لم يحركهم و لم يسترع انتباههم فلما ذا كانت جميع هذه المهاترات و المصاولات مع أن خصمهم الذى يزعمون خصومته قد قصر لهم المسافة، و دلهم على أن سبيلهم إلى إسكاته هو أن يأتوا بمثل أقصر سورة مما جاءهم به، أ ليس ذلك دليلا ماديا على أن قعودهم عن (______________________________ ۱) سورة الزمر، الآية:

۶۱. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۸۸ معارضة القرآن ليست إلا بسبب شعورهم بعجزهم عن هذه المعارضة و اقتناعهم بإعجاز القرآن، و إلا فلما ذا آثروا الملاكمة على المكالمة، و المقارعة بالسيوف على المعارضة بالحروف) «۱».

۵- كما أن الزركشى يورد ردا هاما فى هذا الصدد، لأنه يعتبر القول بالصرفة قولا فاسدا لأن القول بالصرفة هو (زوال الإعجاز بزوال زمان التحدى، و خلوّ القرآن من الإعجاز و فى ذلك خرق لإجماع الأمة، فإنهم أجمعوا على بقاء معجزة الرسول صلى اللّه عليه و سلم العظمى، و لا معجزة له باقية سوى القرآن، و خلّوه من الإعجاز يبطل كونه معجزة) «۲». هذه مجموعة من الردود الموجزة على النظّام و من تبعه، و قد تبين من خلال استعراضها بطلان القول بالصرفة التى زعمها هذا الفريق، و أما بالنسبة للرد على الفريق الثانى الذى يتمثل بالمرتضى و من تبعه، فهاك هو:

ثانيا: الرد على المرتضى و من شايعه:

ثانيا: الرد على المرتضى و من شايعه: فهؤلاء زعموا أن اللّه سلب من العرب العلوم التى يحتاجونها فى معارضة القرآن و يتلخّص الرد عليهم بما يلى: ۱- نقول: (و هل انحطت علومهم و عقولهم بعد التحدى كما كانت عليه قبل التحدى؟! إننا إذا قارنا بين أساليبهم فى الكلام قبل بعثة محمد صلى اللّه عليه و سلم و بعد البعثة، لم نجد تفاوتا بين أساليبهم، و على هذا الزعم كان ينبغى أن تسفّه أساليبهم بعد التحدى، و لو أن العلوم سلبت منهم فلما ذا لم يلجئوا إلى كلام فصحائهم من القدماء الذين لم يحضروا عصر التنزيل، و لم تسلب منهم العلوم، فيأتوا بقطعة شعرية أو خطبة محفلية فيعارضوا بها القرآن؟ و لما ذا لم ينطقوا بهذا السلب و يشيعوا بأنهم سلبوا علومهم فلا يقدرون على معارضة القرآن؟ و لا يقال: إن ذلك سيكون حجّة عليهم ملزمة لهم لتصديقه، لأن باب الافتراء كان مفتوحا عندهم، فكانوا يستطيعون أن يدّعوا أن علومهم______________________________

(۱) انظر: مناهل العرفان، للزرقانى، ۲/ ۳۰۲ و انظر: الإتقان، للسيوطى، ۲/ ۳۱۴- ۳۱۵، و انظر: تفسير القرآن العظيم، للإمام ابن كثير، ۱/ ۶۳. (۲) البرهان فى علوم القرآن، للزركشى، ۲/ ۹۵، و ۲/ ۱۲۳، و انظر: البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، كمال الدين عبد الواحد الزملكانى، بغداد، مطبعة العانى، تحقيق، أحمد مطلوب و خديجة الحديثى، الطبعة الأولى، ۱۳۹۴ ه/ ۱۹۷۴، ص: ۵۳ و ما بعدها. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۸۹ سلبت بطريق السحر كما افتروا: إن تأثير القرآن على الأنفس إنما هو من قبيل السحر) «۱». ۲- ثم إن قوله تعالى: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً «۲» ففى الآية دليل على أن عجزهم كان مع وجود قدرتهم، و إلا فهل يمكن أن يستقيم التحدى و يتمّ مع المنع و العجز، و كذلك فإن إشارة الآية إلى المظاهرة و المعاونة دليل آخر على تكاتف القوى، و تآزر الجموع، و هل يكون هذا إلا مع بقاء القدرة، و فى نفس الوقت دليل على العجز مع القدرة، فلو سلبت منهم العلوم كما يزعم المرتضى لما صحّ البتة التحدى لا عقلا و لا شرعا. ۳- ثم إن (استعظام العرب لفصاحة القرآن و بلاغته، و تعجبهم من ذلك لهو دليل على بطلان الصرفة، فلو كانوا مصروفين عن المعارضة بنوع من الصرف لكان تعجّبهم للصرف لا للبيان المعجز و كلامهم قبله، كالفرق بين كلامهم بعد التحدى و بين القرآن، و

لمّا لم يكن كـذلك بطل القول بالصـرفة) «۳»، و التاريـخ يثبت أن العرب أبـدا لم تفقـد عقولهم بعـد التحدى، لأن سـلب العلوم وقت التحـدى يؤدى إلى زوال العقول و إلى الجنون، و لكنّ شـيئا من هـذا لم يحـدث أبدا، بل بقيت العقول بعد التحدى كما كانت قبله، و كذلك العلوم. ۴- و نجد أن للآلوسـى فى «روح المعانى» ردا على المرتضـى مختصـرا و معبرا يقول: (و هو خاص بمذهب المرتضى أنه لو كـان الإعجـاز بفقـدهم العلوم لتناطقوا به، و لو تناطقوا لشاع إذ العادة جاريـة بالتحـدث بالخوارق فحيث لم يكن، دلّ على فساد الصـرفة بهذا الاعتبار و اسـتدل بعضهم على فساد القول بها بقوله تعالى: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا ـ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُ هُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً «۴» فإنه يـدل على عجزهم مع بقاء قـدرهم، و لو سـلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم، لأنه بمنزلة اجتماع الموتى، و ليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره) «۵». (______________________________________ ۱) مباحث فى إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ص: ۶۰. (۲) سورة الإسراء، الآية: ۸۸. (۳) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، محمد بن أبى بكر بن أيوب الزرعى ابن القيم، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴، ص: ۳۸۶. (۴) سورة الإسراء، الآية: ۸۸. (۵) روح المعانى، للآلوسى، ۱/ ۳۰. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحـديث، ص: ۹۰ ۵- و بالنسبة لزعم هذا الفريق بأن علوم العرب سـلبت، يشير الـدكتور مصـطفى مسـلم إلى لفتـة هامـة هاهنا فيقول: (و إن كان القرآن غير معجز بشـىء ذاتى فيه، و إنما لم يعارضه العرب بصـرف دواعيهم عن المعارضة، أو بسـلب العلوم منهم، فهل أحسّ النظّام و المرتضـى بما وصـفوا العرب به من صرف و سلب؟ فلما ذا لم يأتيا بمعارضـة للقرآن، و كـان النظّام من الأذكيـاء و المـاهرين كما يشـهد له تلميـذه الجاحظ، و المرتضـى مشـهود له أنه كان من فرسان البلاغـة و البيان) «۱». و يـذيّل هـذا المبحث باسـتدراكين هامين حول نقـد مـذهب الصـرفة، الأول للباقلانى و الثانى للجرجانى، يقول الباقلانى: (و مما يبطل ما ذكروه من القول بالصـرفة، أنه لو كانت المعارضـة ممكنـة و إنما منع منها الصـرفة، لم يكن الكلام معجزا و إنمـا يكون المنع معجزا، فلا يتضـمن الكلام فضـيلة على غيره فى نفسه) «۲». و يقول الجرجانى: (... ثم إن هـذه الشـناعات التى تقـدّم ذكرها، تلزم أصحاب الصرفة أيضا و ذلك أنه لو لم يكن عجزهم عن معارضة القرآن، و عن أن يأتوا بمثله لأنه معجز فى نفسه، لكان لأن أدخل عليهم العجز عنه، و صرفت هممهم و خواطرهم عن تأليف كلام مثله، و كان حالهم على الجملة حال من أعدم العلم بشىء قد كان يعلمه، و حيل بينه و بين أمر قد كان يتسع له، لكان ينبغى ألا يتعاظمهم، و لا يكون منهم ما يدل على إكبارهم أمره و تعجبهم منه، و على أنه قـد بهرهم، و عظم كـل العظم عنـدهم، و لكان التعجب للـذى دخل من العجز عليهم، و لما رأوه من تغير حالهم، و من أن حيل بينهم و بين شـىء قد كان عليهم سـهلا، و أن سد دونه باب كان لهم مفتوحا، أ رأيت لو أن نبيا قال لقومه: إن آيتى أن أضع يـدى على رأسـى، و كان الأمر كما قال، ممّ يكون تعجب القوم؟ أ من وضـعه يـده على رأسه، أم من عجزهم أن يضـعوا أيديهم على رءوسهم) «۳». و فى خاتمـة المبحث يتضـح أن الـذى ذهب إلى القول بالصـرفة، إنما هو إنسان ماكر مخادع، جاف فى تـذوقه لمعانى القرآن العذبة، ذلك لأن من قرأ القرآن بحسه و روحه، و عقله و فكره وجد نفسه يعيش فى روضة من رياض الجنة، و يشـعر أن كلام الحق يـثير فى (______________________________________ ۱) مباحث فى إعجاز القرآن، مصـطفى مسلم، ص: ۶۰، و انظر: مبـاحث فى علوم القرآن، منّاع القطـان، الرياض، مكتبـة المعارف الطبعـة الأولى، ۱۴۱۳ ه/ ۱۹۹۲، ص: ۲۶۹. (۲) إعجـاز القرآن، للباقلانى، ص: ۵۸. (۳) دلائـل الإعجـاز، للجرجـانى، ص: ۳۷۳. الإعجـاز القرآنى فى ضـوء الاكتشاف العلمى الحـديث، ص: ۹۱ أقاصـى نفسه مشـاعر الحب و الولاء للّه تبـارك و تعالى، فضـلا عما يساور نفسه من نشوة يجد متعتها و هو يتلو القرآن الكريم ... زيادة على ذلك فقـد صـدق من قال: رب ضارّة نافعة، نعم فلقد كان للقول بالصـرفة أثر واضح فى دفع العلمـاء للرد عليه، و ذلـك من خلال الاتجاه إلى البحث و الكتابـة و التأليف فى ميادين البلاغـة القرآنيـة، و الكمّ الكبير من كتب البلاغة الذى نراه اليوم، إنما كان انعكاسا واضـحا للمجهود الذى قدمه السـلف الصالح، و هم يردون على القول بالصـرفة، و ذلك من خلال دراسة أسـرار الإعجاز فى كتاب اللّه تعالى، و التأمل فى أسـلوبه البيانى، و إيقاعه النفسى ... فكانت هذه الكتب ثروة ذخرت بها

المكتبة العربية و الإسلامية، و يعتقد أن أحدا من الناس اليوم لا ـ يمكن أن يجرؤ على القول بالصرفة أو ينادى به، لأن من نادى به قديما إنما تذرع بفكرة عدم معارضته من الناحية البيانية، أما اليوم، و بعد انكشاف أسرار الكون، و الكشف عن غوامضه و خفاياه، و وقوف العلماء على الإعجاز العلمى الذى يبرهن على أن ما توصل إليه علماء اليوم من كثير من الحقائق الكونية، كان القرآن الكريم قد سبقهم لتسطير أسسها و تسجيل قواعدها قبل أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمن و الدارس لهذا الجانب العلمى من القرآن الكريم بدقة و أناة لا بد إلا و أن يطأطأ الرأس إجلالا و إخباتا لعظمة هذا الكتاب، على أننا نؤكد أن الجانب البيانى إنما هو معجز أبد الدهر و أنه الرباط العام لكل مناحى و أوجه الإعجاز فى كتاب اللّه ... فالقول بالصرفة وهم لا يستند إلى دليل أو برهان، بل هو مردود بأدلة نقلية و أخرى عقلية كما ورد ذلك فى ثنايا البحث، كما أنه مردود بتكذيب الواقع التاريخى له، و الذى أوضح سفور الصرفة و بطلانها .... و بإمكاننا الآن و قد طوينا ملف الصرفة و نقدها، أن ننتقل لموضوع أشمل من هذا، ألا و هو: أوجه إعجاز القرآن، و الذى سيدرس فى المبحث القادم إن شاء اللّه تعالى. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۹۲

المبحث الثالث أوجه إعجاز القرآن

اشارة

المبحث الثالث أوجه إعجاز القرآن اتضح من خلال المباحث السابقة، أن القرآن الكريم معجزة الدهر، و أن العرب قد خضعوا لسلطانه، و أقروا بإعجازه، و اعترفوا أنهم قاصرون عن مطاولته، و أنهم عاجزون عن الإتيان بأقصر سورة من مثله، ثم إن هذا الإعجاز نابع من ذاته، و ليس بسبب خارجى عنه ... و إذا كان شأن إعجاز القرآن هذا، فلما ذا نجد أن العلماء اختلفوا قديما و حديثا فى تحديد وجوه إعجاز القرآن و الجهات التى منها كان الإعجاز؟. القرآن معجز، نعم، و لا خلاف فى ذلك أبدا، لما دلت عليه البراهين الواضحة، و الدلائل الساطعة، التى سيقت لإشباع الحديث عن إعجاز القرآن، و لكن لسائل أن يتساءل فيقول: من أىّ جهة يمكن لنا أن نقف على إعجاز القرآن؟.

هل من جهة أسلوبه و دقة عبارته و كلامه؟

هل من جهة أسلوبه و دقة عبارته و كلامه؟ و لما ذا؟ و كتاب اللّه لم يندّ على قواعد اللغة العربية، و لا على تركيب عبارات و جمل و أساليب الكلام العربى الذى استخدموه فيما بينهم، و أقروه على أنه لغة الخطاب المستعملة فيما بينهم؟.

أم أن الإعجاز جاء من جهة ألفاظه؟

أم أن الإعجاز جاء من جهة ألفاظه؟ و لما ذا؟ و القرآن كانت صياغته من نفس الألفاظ التى يستخدمها العرب فى صياغة خطبهم و أشعارهم و مدائحهم و قصائدهم، و أفانين الكلام الجذّاب لديهم؟.

أم أن الإعجاز جاء من جهة المعانى التى تضمنها القرآن الكريم؟

اشارة

أم أن الإعجاز جاء من جهة المعانى التى تضمنها القرآن الكريم؟ و لما ذا؟ و هل كانت المعانى التى ارتكزت عليها آيات القرآن غريبة على العرب ...؟ عند ما يتحدث القرآن عمّا سلف من قصص الأمم الغابرة، و ما جرى لتلك الشعوب البائدة، فهل يصعب على

العربی فهم القصهٔ و مغزاها و محتواها؟ و عند ما الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۹۳ یتحدث عن التربیهٔ و التهذیب فی الأخلاق و السلوک و المعاملات، فهل یتعسّر علی العربی فهم هذه الأخلاقیات المطروحهٔ و المعروفهٔ؟. و هکذا عند ما یتحدث عن باقی الجوانب الحیاتیهٔ و التشریعیهٔ و غیرهما، فإن العرب کانوا بسلیقتهم الصافیهٔ یدرکون و بسهولهٔ کل هذه المعانی القرآنیهٔ ... من أین جاء الإعجاز إذن؟ إن القرآن لم یبعد عن کلام العرب و لغتهم، و المادهٔ التی یتألف منها کلامهم؟ هذا ما یطوف فی أذهان کثیر من الناس، و لکن یقرر أن القرآن معجز ... إنّه معجزهٔ خالدهٔ، مع کل ما ذکر، فإن العرب قد عجزوا عن الإتیان و لو بأقصر سورهٔ من مثله. و لهذا الذی ذکر، فإن العلماء قدیما و حدیثا انکبّوا علی دراسهٔ القرآن، و الکشف عن أسراره و وجوه الإعجاز فیه، فاتجهت أبحاثهم و دراساتهم الغزیرهٔ لکی یقفوا علی السر الذی به کان القرآن معجزهٔ کبری، و تبوّأ مکانهٔ سامیهٔ و عظیمهٔ تنزوی لدیه الرقاب، و تقصر عن مطاولته النفوس و الطمع للوصول إلی عشر معشاره همم جهابذهٔ الناس، مع أنه کلام من جنس کلامهم ... و راح العلماء یکتبون فی وجوه إعجاز القرآن، فمن الذین أفاضوا الحدیث عن إعجاز القرآن الإمام «الباقلانی» فی کتابه «إعجاز القرآن» «۱»، و الإمام البلاغیّ الکبیر «عبد القاهر الجرجانی» فی کتابه «دلائل الإعجاز» «۲»، و کذلک القاضی «عیاض» فی کتابه القیّم «الشفا بتعریف حقوق المصطفی» «۳» فقد تحدث عن وجوه إعجاز القرآن، و الإمام «القرطبی» و غیرهم ... و من المعاصرین الذین تحدثوا عن وجوه إعجاز القرآن، حجهٔ الأدب فی العصر الحدیث «مصطفی صادق الرافعی»، فی کتابه «إعجاز القرآن» «۴»، و قد أفرد الشهید «سید قطب» کتابا کاملا تحدث فیه عن وجه واحد من وجوه إعجاز القرآن هو «التصویر الفنی فی القرآن الکریم» «۵»، و غیر هؤلاء کثیر ممن جنّدوا أقلامهم، و أسهروا لیلهم لیقعوا علی أسرار وجوه الإعجاز فی کتاب اللّه تعالی. (________________________________ ۱) إعجاز القرآن، محمد بن الطیب الباقلانی. (۲) دلائل الإعجاز فی علم المعانی، للإمام البلاغی عبد القاهر الجرجانی. (۳) الشفا بتعریف حقوق المصطفی، للقاضی أبی الفضل عیاض بن موسی الیحصبی. (۴) إعجاز القرآن و البلاغهٔ النبویهٔ، لمصطفی صادق الرافعی. (۵) التصویر الفنی فی القرآن الکریم، لسید قطب، القاهرهٔ، دار الشروق، ۱۹۹۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۹۴ و سیقتصر الحدیث علی رأی اثنین من العلماء فی وجوه الإعجاز، ثم یبین الراجح من مذاهبهم مع تعقیب و نقد و مناقشهٔ لکل مذهب علی حدهٔ، ثم أقرر و أعدد تعدادا ما قد ألهمنی اللّه إیاه فی تحدید أوجه إعجاز القرآن الکریم.

أولا- وجوه إعجاز القرآن کما حددها الإمام الباقلانی «۱»:

أولا- وجوه إعجاز القرآن کما حددها الإمام الباقلانی «۱»: ذهب الإمام الباقلانی فی تحدیده لأوجه إعجاز القرآن إلی ثلاثهٔ أوجه و هی: (أ- یتضمن الإخبار عن الغیوب، و ذلک مما لا یقدر علیه البشر، و لا سبیل إلیه، ثم أنه قد أدرج تحت هذا البند نوعین من إعجاز القرآن و هما: غیب المستقبل، و الوفاء بالوعد، و ساق طائفهٔ من الأمثلهٔ التی تدل علی ما ذهب إلیه. ب- ذکر فی هذا الوجه الثانی، ما یدل علی أن القرآن أخبر عن غیوب ماضیهٔ، علما أن الرسول صلی اللّه علیه و سلم کان أمیا لا یکتب و لا یحسن أن یقرأ. ج- فی الوجه الثالث تحدث عن القرآن من حیث أنه بدیع النظم، عجیب التألیف، متناه فی البلاغهٔ إلی الحد الذی یعلم عجز الخلق عنه، ثم إنه قد فصّل الوجه الثالث فی عشرهٔ نقاط نذکرها هنا کما أوردها هو رحمه اللّه تعالی. یقول: منها ما یرجع إلی الجملهٔ و ذلک أن نظم القرآن علی تصرف وجوهه و تباین مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جمیع کلامهم، و مباین للمألوف من ترتیب خطابهم، و له أسلوب یختص به و یتمیز فی تصرفه عن أسالیب الکلام المعتاد، و ذلک أن الطرق التی یتقید بها الکلام البدیع المنظوم تنقسم إلی أعاریض الشعر علی اختلاف أنواعه، ثم إلی أنواع الکلام الموزون غیر المقفّی، ثم إلی أصناف الکلام المعدل المسجع، ثم إلی معدل موزون غیر مسجع، ثم إلی ما یرسل إرسالا فتطلب فیه الإصابهٔ و الإفادهٔ و إفهام المعانی المعترضهٔ علی وجه بدیع و ترتیب لطیف، و إن لم یکن معتدلا فی وزنه و ذلک شبیه بجملهٔ الکلام الذی لا یتعمل فیه، و لا یتصنع له، و قد علمنا أن القرآن خارج عن هذه

الوجـــــــــوه، و مبــــــــاين لهــــــــذه الطرق، و يبقى علينــــــــا أن نــــــــبين أنــــــه ليس من

(____١) ت ۴۰۳ ه، القاضى أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى، ولـد فى البصـرة، و توفى فى بغـداد، من كبار العلماء فى علوم القرآن و صاحب كتاب «إعجاز القرآن» الذى يعتبر من أبرز و أهم المراجع فى الإعجاز. طبقات المفسـرين، للأدنـۀوى، ۱/ ۴۳۹، و انظر مقدمۀ الشـيخ محمد سكر لكتاب: إعجاز القرآن، للباقلانى، ص: ۷، بتصـرف. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحـديث، ص: ۹۵ باب مسـجع، و لا فيه شـىء منه و كذلك ليس من قبيل الشعر، لأن من الناس من زعم أنه كلام السجع، و منهم من يدعى فيه شعرا كثيرا و الكلام عليهم يذكر بعد هذا الموضع، فهذا إذا تأمله المتأمل تبين بخروجه عن أصـناف كلامهم و أساليب خطابهم، أنه خارج عن العادة، و أنه معجز و هذه خصوصـيۀ ترجع إلى جملـۀ القرآن، و تميز حاصل فى جميعه. و منها: أنه ليس للعرب كلام مشـتمل على هـذه الفصاحـۀ و الغرابۀ و التصـرف البديع، و المعانى اللطيفـۀ و الفوائد الغزيرۀ، و الحكم الكثير، و التناسب فى البلاغۀ، و التشابه فى البراعۀ على هذا الطول و على هذا القدر، و إنما تنسب إلى حكيمهم كلمات معدودۀ، و ألفاظ قليلۀ، و إلى شاعرهم قصائد محصورۀ يقع فيها ما نبينه بعد هذا من الاختلال، و يعترضها ما نكشـفه من الاختلاف، و يشـملها ما نبديه من التعمل و التكلف و التجوز و التعسف، و قد حصل القرآن على كثرته و طوله متناسبا فى الفصاحۀ على ما وصـفه اللّه تعالى به فقال عز من قائل: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَ قُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللَّهِ ذلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ «١» و قـوله: أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً «٢» فأخبر سـبحانه أن كلام الآدمى إن امتد وقع فيه التفاوت و بان عليه الاختلال، و هـذا المعنى هو غير المعنى الأول الـذى بـدأنا بـذكره فتأمله تعرف الفصل. و فى ذلك معنى ثالث و هو: أن عجيب نظمه و بـديع تـأليفه لاـ يتفاوت و لا يتباين على ما يتصـرف إليه من الوجوه التى يتصـرف فيها من ذكر قصـص و مواعظ و احتجاج، و حكم و أحكام، و إعذار و إنذار، و وعد و وعيد و تبشـير و تخويف، و أوصاف و تعليم أخلاق كريمۀ، و شـيم رفيعۀ، و سـير مأثورۀ و غير ذلـك من الوجوه التى يشـتمل عليها، و نجـد كلام البليغ الكامل و الشاعر المفلق و الخطيب المصـقع يختلف على حسب اختلاف هـذه الأمور، فمن الشـعراء من يجود فى المدح دون الهجو، و منهم من يبرز فى الهجو دون المدح، و منهم من يسـبق فى التقريظ دون التـأبين، و منهم مـن يجـود فى التـأبين دون التقريـظ ... و مـتى تـأملت شـعر الشـاعر البليـغ، رأيـت التفـاوت فى شـعره على حســب

(____١) سورۀ الزمر، الآيـۀ: ٢٣. (٢) سورۀ النساء، الآيۀ: ٨٢. الإعجـاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحـديث، ص: ٩۶ الأحوال التى يتصـرف فيها، فيأتى بالغايۀ فى البراعۀ فى معنى، فإذا جاء إلى غيره قصـر عنه، و وقف دونه، و بان الاختلاف على شـعره و قد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما يتصـرف فيه من الوجوه التى قدمنا ذكرها على حد واحد فى حسن النظم، و بديع التأليف و الرصف، لا تفاوت فيه و لا انحطاط عن المنزلۀ العليا، و لا إسـفاف فيه إلى الرتبـۀ الـدنيا، و كـذلك قـد تأملنا ما يتصـرف إليه وجوه الخطاب من الآيات الطويلۀ و القصـيرۀ، فرأينا الإعجاز فى جميعهـا على حـد واحـد لاـ يختلف. و معنى رابع و هو: أن كلاـم الفصـحاء يتفاوت تفاوتا بيّنا فى الفصل و الوصل، و العلو و النزول و التقريب و التبعيـد، و غير ذلـك ممـا ينقسم إليه الخطـاب عنـد النظم و يتصـرف فيه القول عنـد الضم و الجمع، أ لاـ ترى أن كثيرا من الشـعراء قـد وصف بالنقص عنـد التنقل من معنى إلى غيره، و الخروج من باب إلى سواه، حتى إن أهل الصـنعۀ قد اتفقوا على تقصـير البحترى مع جودۀ نظمه و حسن وصـفه فى الخروج من النسـيب إلى المديـح، و أطبقوا على أنه لا يحسنـه و لا يأتى فيه بشـىء، و إنما اتفق له فى مواضع معدودۀ خروج يرتضـى و تنقل يسـتحسن، و كذلك يختلف سبيل غيره عند الخروج من شـىء إلى شىء و التحول من بـاب إلى باب، و نحن نفصل بعـد هـذا، و نفسـر هـذه الجملـۀ، و نبين أن القرآن على اختلاف فنونه، و ما يتصـرف فيه من الوجوه الكثيرۀ، و الطرق المختلفـۀ يجعل المختلف كالمؤتلف، و المتباين كالمتناسب، و المتنافر فى الأفراد إلى حد الآحاد، و هذا أمر عجيب تبين به الفصاحـۀ، و تظهر به البلاغـۀ و يخرج معه الكلاـم عن حـد العـادۀ، و يتجاوز العرف. و معنى خامس و هو: أن نظم القرآن وقع

موقعا فی البلاغة یخرج عن عادة کلام الجن، کما یخرج عن عادة کلام الإنس، فهم یعجزون عن الإتیان بمثله کعجزنا، و یقصرون دونه کقصورنا، و قد قال اللّه عز و جلّ: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلی أَنْ یَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا یَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ کانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِیراً «۱» فإن قیل هذه دعوی منکم و ذلک أنه لا سبیل لنا إلی أن نعلم عجز الجن عن الإتیان بمثله و قد یجوز أن یکونوا قادرین علی الإتیان بمثله، و إن کنا عاجزین کما أنهم قد یقدرون علی أمور لطیفة و أسباب غامضة دقیقة لا نقدر نحن علیها، و لا سبیل لنا للطفها إلیها، و إذا کان کذلک لم یکن إلی علم ما ادعیتم سبیل؟ قیل: قد یمکن أن نعرف ذلک بخبر اللّه عز و جلّ، و قد (______________________________۱) سورة الإسراء، الآیة: ۸۸. الإعجاز

القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۹۷ یمکن أن یقال إن هذا الکلام خرج علی ما کانت العرب تعتقده من مخاطبة الجن، و ما یروون لهم من الشعر، و یحکون عنهم من الکلام، و قد علمنا أن ذلک محفوظ عندهم، منقول عنهم، و القدر الذی نقلوه من ذلک قد تأملناه، فهو فی الفصاحة لا یتجاوز حد فصاحة الإنس، و لعله یقصر عنها، و لا یمتنع أن یسمع کلامهم، و یقع بینهم و بینهم محاورات فی عهد الأنبیاء صلوات اللّه علیهم، و ذلک الزمان مما لا یمتنع فیه وجود ما ینقض العادات، علی أن القوم إلی الآن یعتقدون مخاطبة الغیلان، و لهم أشعار محفوظة مدونة فی دواوینهم. و معنی سادس و هو: أن الذی ینقسم علیه الخطاب من البسط و الاقتصاد، و الجمع و التفریق و الاستعارة و التصریح، و التجوز و التحقیق، و نحو ذلک من الوجوه التی توجد فی کلامهم موجودة فی القرآن، و کل ذلک مما یتجاوز حدود کلامهم المعتاد بینهم فی الفصاحة و الإبداع و البلاغة و قد ضمنا بیان ذلک من بعد لأن الوجه هاهنا ذکر المقدمات دون البسط و التفصیل. و معنی سابع و هو: أن المعانی التی تضمنها فی أصل وضع الشریعة و الأحکام و الاحتجاجات فی أصل الدین و الرد علی الملحدین علی تلک الألفاظ البدیعة، و موافقة بعضها بعضا فی اللطف و البراعة مما یتعذر علی البشر و یمتنع و ذلک أنه قد علم أن تخیر الألفاظ للمعانی المتداولة المألوفة، و الأسباب الدائرة بین الناس أسهل و أقرب من تخیر الألفاظ لمعان مبتکرة، و أسباب مؤسسة مستحدثة، فإذا برع اللفظ فی المعنی البارع کان ألطف و أعجب من أن یوجد اللفظ البارع فی المعنی المتداول المتکرر و الأمر المتقرر المتصور، ثم انضاف إلی ذلک التصرف البدیع فی الوجوه التی تتضمن تأیید ما یبتدأ تأسیسه و یراد تحقیقه بأن التفاضل فی البراعة و الفصاحة، ثم إذا وجدت الألفاظ وفق المعنی و المعانی وفقها لا یفضل أحدهما علی الآخر فالبراعة أظهر و الفصاحة أتم. و معنی ثامن و هو: أن الکلام یتبین فضله و رجحان فصاحته بأن تذکر منه الکلمة فی تضاعیف کلام أو تقذف ما بین شعر فتأخذها الأسماع، و تتشوف إلیها النفوس، و یری وجه رونقها بادیا غامرا سائر ما تقرن به، کالدرة التی تری فی سلک من خرز، و کالیاقوتة فی واسطة العقد، و أنت تری الکلمة من القرآن یتمثل بها فی تضاعیف کلام کثیر، و هی غرة جمیعه، و واسطة عقده، و المنادی علی نفسه بتمیزه، و تخصصه برونقه و جماله ... الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۹۸ و معنی تاسع و هو: أن الحروف التی بنی علیها کلام العرب تسعة و عشرون حرفا، و عدد السور التی افتتح فیها بذکر الحروف ثمان و عشرون سورة، و جملة ما ذکر من هذه الحروف فی أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة و هو أربعة عشر حرفا، لیدل بالمذکور علی غیره، و لیعرفوا أن هذا الکلام منتظم من الحروف التی ینظمون بها کلامهم، و الذی تنقسم إلیه هذه الحروف علی ما قسمة أهل العربیة، و بنوا علیها وجوهها. و معنی عاشر و هو: أنه سهل سبیله، فهو خارج عن الوحشی المستکره، و الغریب المستنکر، و عن الصنعة المتکلفة، و جعله قریبا إلی الإفهام، یبادر معناه لفظه إلی القلب، و یسابق المغزی منه عبارته إلی النفس، و هو مع ذلک ممتنع المطلب، عسیر المتناول، غیر مطمع مع قربه فی نفسه، و لا موهم مع دنوه فی موقعه أن یقدر علیه أو یظفر به، فأما الانحطاط عن هذه الرتبة إلی رتبة الکلام المبتذل و القول المسفسف، فلیس یصح أن تقع فیه فصاحة أو بلاغة، فیطلب فیه الممتنع، أو یوضع فیه الإعجاز و لکن لو وضع فی وحشی مستکره، أو غمر بوجوه الصنعة، و أطبق بأبواب التعسف و التکلف لکان لقائل أن یقول فیه، و یعتذر أو یعیب و یقرع و لکنه أوضح مناره، و قرب منهاجه، و سهل سبیله و جعله فی ذلک متشابها متماثلا ...) «۱». نلحظ فی تقسیم الإمام الباقلانی أنه جمع و ألمّ بما قیل فی وجوه الإعجاز حتی زمانه، و تناول أفکارا ذکرت قبله بالنقد و الرد، و

لعلّ الجدید الذی جاء به الباقلانی هو التفریع و التفصیل الذی ذکره هنا، کذلک المناقشة الموضوعیة الدقیقة لآراء عرضها ثم بیّن بطلانها، و یتضح هذا لو تأمّلنا فی الموازنة التی أقامها بین الشعر و السجع و القرآن، ثم نفی الشعر و السجع عن القرآن، و کذلک المقارنة بین ما ینسبه العرب إلی الجن من أقوال و بین القرآن ... ثم إننا نأخذ علیه أنه أسهب و بکثرة فی الحدیث عن الجانب البیانی و فروعه و شعبه، فی حین أنه أغفل عددا من وجوه القرآن لم یذکر منها إلا الغیبی، و الحق أن کتابه «إعجاز القرآن» یعتبر أول کتاب مستقلّ تحدث عن إعجاز القرآن، و هو من خیرة الکتب، بل من أهم الکتب التی یرجع إلیها الدارسون لقضیة الإعجاز حتی عصرنا هذا (________________. ۱) انظر: إعجاز القرآن، للباقلانی، ص: ۶۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۹۹

ثانیا- القاضی عیاض و وجوه إعجاز القرآن «۱»:

ثانیا- القاضی عیاض و وجوه إعجاز القرآن «۱»: أورد القاضی عیاض رحمه اللّه فی کتابه «الشفا فی التعریف بحقوق المصطفی» أوجه الإعجاز فی أربعة ثم أتبع بها وجهین حکم علیهما بالضعف، ثم ساق عدة أوجه و لم یعتد بها. الوجه الأول: (حسن تألیفه، و التئام کلمه، و فصاحته، و وجوه إیجازه، و بلاغته الخارقة لعادة العرب و ذلک أنهم کانوا أرباب هذا الشأن، و فرسان الکلام، فقد خصوا من البلاغة و الحکم بما لم یخص غیرهم من الأمم، و أوتوا من درایة اللسان ما لم یؤت إنسان، و من فصل الخطاب، ما یقید الألباب، جعل اللّه ذلک لهم طبعا و خلقة و فیهم غریزة و قوة ... فما راعهم إلا رسول کریم بکتاب عزیز، أحکمت آیاته و فصلت کلماته، و بهرت بلاغته العقول، و ظهرت فصاحته علی کل مقول و تظافر إیجازه و إعجازه ...) «۲». الوجه الثانی: (صورة نظمه العجیب، و الأسلوب الغریب المخالف لأسالیب کلام العرب و مناهج نظمها و نثرها الذی جاء علیه، و وقفت مقاطع آیة، و انتهت فواصل کلماته إلیه، و لم یوجد قبله و لا بعده نظیر له، و لا استطاع أحد مماثلة شیء منه، بل حارت فیه عقولهم، و تدلهت دونه أحلامهم، و لم یهتدوا إلی مثله فی جنس کلامهم من نثر أو نظم، أو سجع أو رجز أو شعر) «۳». الوجه الثالث: (ما انطوی علیه من الأخبار بالمغیبات، و ما لم یکن و لم یقع، فوجد کما ورد، و علی الوجه الذی أخبر به) «۴». الوجه الرابع: (ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة، و الأمم البائدة، و الشرائع الدائرة، مما کان لا یعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الکتاب الذی قطع (________________ ۱) ت ۵۴۴ ه، عیاض بن موسی السبتی، أحد مشایخ العلماء المالکیة و صاحب المصنفات الکثیرة المفیدة، منها الشفا، و شرح مسلم و مشارق الأنوار، و له شعر حسن، و کان إماما فی علوم کثیرة کالفقه و اللغة، انظر: سیر أعلام النبلاء، للذهبی ۱۲/ ۲۲۵ بتصرف. (۲) الشفا، للقاضی عیاض، ۱/ ۳۵۸. (۳) المصدر نفسه، ۱/ ۳۶۹. (۴) المصدر نفسه، ۱/ ۳۷۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۰۰ عمره فی تعلم ذلک، فیورده النبی صلی اللّه علیه و سلم علی وجهه و یأتی به علی نصه، فیعترف العالم بذلک بصحته و صدقه، و أن مثله لم ینله بتعلیم) «۱».

[الوجوه الالحاقی

[الوجوه الالحاقی أما الوجهان اللذان ألحقهما بالأوجه الأربعة فهما: (۱- الروعة التی تلحق قلوب سامعیه و أسماعهم عند سماعه، و الهیبة التی تعتریهم عند تلاوته لقوة حاله و أناقة خطره، و هی علی المکذبین به أعظم، حتی کانوا یستثقلون سماعه و تزیدهم نفورا) «۲». (۲- کونه آیة باقیة، لا تعدم ما بقیت الدنیا، مع تکفل اللّه بحفظه) «۳». أما الأوجه التی ساقها رحمه اللّه و لم یعتد بها، فهی کما یذکرها هو: (أن قارئه لا یمله، و سامعه لا یمجه، بل الإکباب علی تلاوته یزیده حلاوة، و تردیده یوجب له محبة لا یزال غضا طریا ...

و جمعه لعلوم و معارف لم تعهد العرب عامة، و لا محمد صلى اللّه عليه و سلم قبل نبوته خاصة، لمعرفتها، و لا القيام بها و لا يحيط بها أحد من علماء الأمم، و لا يشتمل عليها كتاب من كتبهم، فجمع فيه من بيان علم الشرائع و التنبيه على طرق الحجج العقليات، و الرد على فرق الأمم، ببراهين قوية، و أدلة بينة سهلة الألفاظ موجزة المقاصد ... و جمعه فيه بين الدليل و مدلوله، و ذلك أنه احتج بنظم القرآن و حسن رصفه، و إيجازه و بلاغته و أثناء هذه البلاغة أمره و نهيه، و وعده و وعيده، فالتالى له يفهم موضوع الحجة و التكليف معا من كلام واحد، و سورة منفردة. و جعله فى حيز المنظوم الذى لم يعهد، و لم يكن فى حيز المنثور، لأن المنظوم أسهل على النفوس و أوعى للقلوب، و أسمع فى الآذان، و أحلى على الأفهام، فالناس إليه أميل، و الأهواء إليه أسرع. و منها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه، و تقريبه على متحفظيه، قال اللّه تعالى: وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ «۴» و سائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منهم، فكيف الجمّاء على مرور السنين عليهم.

(۱) المصدر نفسه، ۱/ ۳۷۹. (۲) الشفا، للقاضى عياض، ۱ / ۳۸۴. (۳) المصدر نفسه، ۱ / ۳۸۸. (۴) سورة القمر، الآية: ۱۷. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۰۱ و مشاكلة بعض أجزائه بعضا، و حسن ائتلاف أنواعها، و التئام أقسامها، و حسن التخلص من قصة إلى أخرى، و الخروج من باب إلى غيره على اختلاف معانيه، و انقسام السورة الواحدة إلى أمر و نهى و خبر و استخبار، و وعد و وعيد، و إثبات نبوة، و توحيد و تفريد، و ترغيب و ترهيب، إلى غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله) «۱». ثم يذيّل القاضى عياض عرضه لهذه الأوجه بخاتمة ينبه فيها إلى أن كل ما سرده هنا إنما هو من خواص القرآن و فضائله، و القول الفصل هو ما حصره فى الأوجه الأربعة التى سبق و أن قررها، يقول فى ذلك: (و هذا كله و كثير مما ذكرنا، أنه ذكر فى إعجاز القرآن، إلى وجوه كثيرة ذكرها الأئمة لم نذكرها إذ أكثرها داخل فى باب بلاغته، فلا يجب أن يعد فنّا منفردا فى إعجازه، إلا فى باب تفصيل فنون البلاغة و كذلك كثيرا مما قدمنا ذكره عنهم يعد فى خواصه و فضائله، لا إعجازه) «۲». يتّضح لنا من خلال عرض رأى القاضى عياض رحمه اللّه فى أوجه إعجاز القرآن أنه لم يأت بجديد و إنما أجمل ما ذكره الإمام الباقلانى فى كتابه «إعجاز القرآن» مع إضافات يسيرة جاء بها كقوله: جمع القرآن علوما و معارف لم يجمعها كتاب قبله على إيجازه و غيرها ... ثم إننا نجد الوجه الثانى «نظم القرآن العجيب» هو الذى دار حوله أكثر العلماء الذين تناولوا قضية إعجاز القرآن، و ما انطوى عليه من أسرار، لأن نظم القرآن كان متفردا و بديعا، بحيث لم يقع العرب على مثله من قبله أبدا، بخلاف الوجه الأول الذى كان محطة نقاش و خلاف بين العلماء، هل يعتبرونه وجها من أوجه إعجاز القرآن، أم أنه دليل من دلائل الإعجاز؟. و مما يلاحظ على القاضى عياض أنه قد حصر أوجه إعجاز القرآن فى الأربعة المذكورة، و ألحقها بوجوه قالها الأئمة من قبله و لم يعتبرها هو أوجها إنما اعتبرها من خواص القرآن، من هذه الملحقات التى لا نوافقه على أنها ملحقة إلحاقا، و ليس وجها من أوجه الإعجاز قوله: و منها، أى من وجوه الإعجاز الروعة التى تلحق قلوب سامعيه و أسماعهم عند سماعه، و الهيبة التى تعتريهم عند تلاوته، لقوة حاله ... و الحق أن هذا

(۱) الشفا، للقاضى عياض، ۱ / ۳۸۹.

(۲) الشفا، للقاضى عياض، ۱/ ۳۹۶. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۰۲ الوجه يعتبر من أهم و أدق أوجه إعجاز القرآن، لأن الروعة التى تلحق قلوب سامعيه و الهيبة التى تعتريهم عند تلاوته، هى أساس الإعجاز التى قامت و ستبقى قائمة فى القرآن إلى يوم الدين. و لقد أورد المصنفون فى علوم القرآن أقوالا لعلماء هذه الأمة فى إعجاز القرآن، لا مجال لسردها و إنما نكتفى بما قد أورده و نقله السيوطى فى الإتقان عن علماء الأمة يقول: (... اختلف أهل العلم فى وجه إعجاز القرآن فذكروا فى ذلك وجوها كثيرة كلها حكمة و صواب، و ما بلغوا فى وجوه إعجازه جزءا واحدا من عشر معشاره، فقال قوم: هو الإيجاز مع البلاغة، و قال آخرون: هو البيان و الفصاحة، و قال آخرون: هو الرصف و النظم، و قال آخرون: هو كونه خارجا عن جنس كلام العرب من النظم و النثر و الخطب و الشعر، مع كون حروفه فى كلامهم، و معانيه فى خطابهم، و ألفاظه من جنس كلماتهم، و هو بذاته قبيل غير قبيل

كلامهم، و جنس آخر متميز عن أجناس خطابهم، حتى إن من اقتصـر على معانيه و غيّر حروفه أذهب رونقه، و من اقتصـر على حروفه و غيّر معانيه أبطل فائدته، فكان فی ذلک أبلغ دلالة على إعجازه، و قال آخرون: هو كون قارئه لا ـ يكل، و سامعه لا يمل، و إن تكررت عليه تلاوته و قال آخرون: هو ما فيه من الإخبار عن الأمور الماضية، و قال آخرون هو ما فيه من علم الغيب و الحكم على الأمور بالقطع، و قال آخرون هو كونه جامعا لعلوم يطول شرحها و يشقّ حصرها) «۱».

الرأی المختار فی تحدید أوجه إعجاز القرآن

الرأی المختار فی تحديد أوجه إعجاز القرآن يتبيّن من خلال ما عرض من أقوال العلماء فی أوجه إعجاز القرآن، أن سبب اختلافهم فی تحديد أوجه الإعجاز، هو عدم وجود ضابط أو تعريف لمعنى الوجه فی القرآن، و مرد ذلک إلى أن القرآن حمّال لأوجه كثيرة، و أن هذه الأوجه منها ما هو ظاهر للعيان فی كل عصر من العصور كأسلوب البيان فی القرآن، و منها ما قد يكتشفه و يقع عليه الناس مع مرور الزمن، و تعاقب الأجيال كالإعجاز العلمی فی القرآن الكريم، ثم إن التباين فی صفاء النفس، و ارتقائها فی مدارج الكمال، و من ثم تفاعلها مع كلام اللّه و العيش فی ظلال القرآن، و الكشف عن وجوهه و أسراره، يعتبر من أهم الدوافع التی تجعل صاحبها يحظى بـالتعرف على وجـوه جديـدة فی كتـاب اللّـه.

(______________________________ ۱) الإتقان فی علوم القرآن، للسيوطی، ۲/ ۳۲۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۱۰۳ و سأحاول بعون اللّه أن أصوغ تعريفا لمعنى الوجه القرآنی المعجز، و ذلک من مجموع ما قرأت و أجلت النظر فی كتب علماء البلاغة و البيان و التفسير و علوم القرآن، و من خلال ما قد استقرّ فی ذهنی من تصور للأبعاد و المسالک التی سلكها علماء المسلمين، و هم يحاولون تقرير وجوه القرآن و كذلک من خلال المرتكزات و القواعد التی نهضوا عليها و هم يشيّدون صرح هذه الوجوه الشامخة بأدلة و براهين تثبت ما ذهبوا إليه من جهة، و تدحض شبهات المعاندين من جهة أخرى. فالوجه القرآنی المعجز هو: كل صفة فی أسلوب القرآن أو لفظه أو معناه قد ندت عن قدرة البشر، فعجزوا عن الإتيان بمثلها. و الذی أعنيه بهذا التعريف، أن الصفة القرآنية الواحدة قد ينضوی تحت إطارها مجموعة من إعجازات القرآن التی أعلن البشر عجزهم عن مجاراتها، و هذه المجموعة يربطها رابط واحد مشترک يجعلها تندرج تحت هذه الصفة العامة، ليصدق عليها اسم وجه القرآن المعجز ... و لكی أوضح ما أردته من هذا التعريف أضرب مثالا على ذلک: الأخبار الغيبية التی وردت فی القرآن الكريم، سواء ما كان منها ماضيا أو مستقبليا، فإن هذه الأخبار كلها يربطها رابط واحد ألا و هو «الغيب» و بناء على ذلک فإنها تكون وجها واحدا، لا وجهين كما قسمهما كثير من العلماء القدامى و المعاصرين، فجعلوا الغيب الماضی وجها، و الغيب المستقبلی وجها آخر، و الحق أن الغيب بمجمله يعتبر وجها واحدا، لأنه يشترک فی وحدة الموضوع، و ذات المقصود، و مجموع ما أخبر عنه القرآن من أخبار غيبية، فی الماضی و الحاضر و المستقبل نعتبرها وجها واحدا، لأنها تندرج كلها تحت صفة واحدة ألا و هی «الإخبار بالمغيبات» و لم أجد فيما وقفت عليه من مصادر و مراجع للعلماء القدامى الذين أفاضوا الحديث عن إعجاز القرآن و وجوهه و لو تعريفا واحدا لمعنى الوجه، إذ بالتعريف يتسنّى لنا أن نحدد الضوابط و القيود للقضية المطروحة ... و بناء على هذا فإننا نستطيع الآن أن نثبت وجوه إعجاز القرآن كحد وسط بين الذين أكثروا و أسهبوا فی ذكر الوجه، حتى خرجوا عن معنى الوجه القرآنی إلى غيره، و بين الذين أقلوا فی ذكر الوجوه حتى أغفلوا أهمها و أبرزها ... و هی كما يلی: الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۱۰۴ ۱) الأسلوب البيانی فی القرآن. ۲) الإخبار عن الغيب فی القرآن. ۳) الإعجاز التشريعی الشامل فی القرآن. ۴) الإعجاز العلمی فی القرآن. ۵) التأثير النفسی فی القرآن. و هذه أدق وجوه إعجاز القرآن، و هی تعتبر حدا وسطا بين الفريقين، و قبل ذلک فإنها تقوم على مرتكزات و ضوابط التعريف الذی أثبتناه آنفا، و قد مر معنا فی ثنايا البحث و غضونه شرحا واضحا و أمثلة كثيرة لكل وجه من هذه الوجوه ... علاوة على المؤلفات الكثيرة التی أفردها العلماء لهذه الأوجه ما عدا الوجه العلمی

الذی سنسهب الحدیث عنه فی التطبیقات المعاصرة من هذه الرسالة إن شاء اللّه تعالی، و لکن هل هو محل اتفاق أی الإعجاز العلمی فی القرآن بین العلماء؟ و من من العلماء قد أقره و ما هی أدلته؟ و من من العلماء رده، و ما هی أدلته؟ و ما هو الرأی الراجح فی هذه المسألة؟ هذا ما سیدرس فی الفصل القادم بعون اللّه تبارک و تعالی. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۰۵

الفصل الثالث الإعجاز العلمی بین المؤیدین و المعارضین

اشارة

الفصل الثالث الإعجاز العلمی بین المؤیدین و المعارضین تمهید. المبحث الأول: أبرز المؤیدین من العلماء القدامی لإعجاز القرآن الکریم. المبحث الثانی: أبرز المؤیدین من العلماء المعاصرین لإعجاز القرآن الکریم. المبحث الثالث: أبرز المعارضین من العلماء القدامی و المعاصرین لإعجاز القرآن الکریم. المبحث الرابع: أدلة الفریقین مع الترجیح فی مسألة إعجاز القرآن الکریم. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۰۷

تمهید

تمهید القرآن الکریم کتاب هدایة و نور، أنزله اللّه سبحانه و تعالی لیخرج الناس من الظلمات إلی النور، و من الجهل إلی العلم، و من الفرقة و الشقاق إلی الوحدة و الإخاء، قال تعالی: الر کِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَیْکَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلی صِراطِ الْعَزِیزِ الْحَمِیدِ «۱». و هذه الهدایة القرآنیة عامة و شاملة لکل مناحی الحیاة و الکون و الإنسان، ذلک أن اللّه أودع فی القرآن من الرکائز الإیمانیة و الثوابت الیقینیة ما یحقق اتزان الإنسان، و استقرار نفسیته و سعادتها و أودع فیه من الشرائع و التوجیهات ما یکفل صلاح المجتمع الإنسانی و انضباطه، و سریان أسباب المودة و الرحمة فیه، و أودع فیه من الأخلاقیات و الآداب العامة ما یکفل استمرار الترابط البشری فی أعلی أصعدة الإخاء و المحبة و الوئام، کما أنه أودع فیه من المعارف و الحقائق الکونیة العلمیة التی أخذت شوطا کبیرا فیه ما یکفل خلق جوّ نزیه خلال سعی الإنسان لاکتشاف أسرار الکون و البحث عن غوامضه و خفایاه، لتذلیلها و تسخیرها له. إذن، هدایة القرآن متعددة الأبعاد، کثیرة الجوانب، و ما ینبغی أن تقصر علی جانب دون آخر إلا أن الجانب الأخیر الذی ذکر و هو الحقائق العلمیة فی القرآن، کان میدانا للأخذ و الرد بین العلماء عبر مرور الأزمان و کرّ الأیام، فقد طرح التساؤل التالی: هل النصوص القرآنیة قد اشتملت علی العلوم و المعارف کلها، أی علی علوم الطبیعة، و الفلک، و علم طبقات الأرض (الجیولوجیا) و علوم الحیاة (البیولوجیا) و علم الطب و التشریح، و علم الوظائف (الفسیولوجیا)، و الریاضیات ... أم أن القرآن کتاب هدایة و نور، جاء لیعزز الإیمان فی النفوس، و لیربط الخلق بالخالق و شرعه، و لا علاقة له بهذه المعارف؟.

(____۱) سورة إبراهیم، الآیة: ۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۰۸ اختلف العلماء إزاء هذه القضیة قدیما و حدیثا إلی طائفتین، الأولی: تری أن العلوم و المعارف قد أخذت مساحة کبیرة من القرآن، و خاصة عند ما یلفت القرآن نظرنا للحدیث عن السماء و الأرض و الجبال و البحار و الأنهار و الإنسان و النجوم و الطیور ... و علی هذا فإن هناک تطابقا بین الثوابت العلمیة التی وصل إلیها علماء العصر، و بین الآیات القرآنیة، غیر أن بعضهم بالغ حتی جعل من القرآن الکریم موسوعة علمیة تشتمل حتی علی المخترعات و المکتشفات بأنواعها. و الثانیة: تری أن القرآن الکریم کتاب هدایة و نور، و ما المعارف العلمیة إلا نتیجة من نتاج العقل البشری، و لا صلة لها بالقرآن. و سوف تعرض بعون اللّه تعالی أبرز هذه الآراء من العلماء القدامی و المعاصرین، سواء من ذهب إلی صحة التفسیر العلمی للقرآن الکریم، أو من عارض تفسیر القرآن علی أساس العلم، و بعد استعراض آراء کل طائفة، ستساق أدلة کل منها علی حدة، ثم یعقد

مبحث ختامى لهذا الفصل يثبت فيه الرأى الذى نميل و نطمئن إليه، مع بعض المناقشة و الاستدراكات. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۰۹

المبحث الأول أبرز المؤيّدين من العلماء القدامى

اشارة

المبحث الأول أبرز المؤيّدين من العلماء القدامى أبرز من تبنّى فكرة التفسير العلمى للقرآن أبو حامد الغزالى، و فخر الدين الرازى، و الزركشى و السيوطى، و سنستعرض آراء كل من هؤلاء الأئمة فى هذه القضية على حدة.

أولا- الإمام أبو حامد الغزالى «۱»:

أولا- الإمام أبو حامد الغزالى «۱»: (الكاتبون فى هذا الموضوع يذهبون إلى أن الإمام أبا حامد الغزالى المتوفّى سنة ۵۰۵ ه كان إلى عهده أكثر من استوفى هذا القول و أيده، و عمل على ترويجه فى الأوساط العلمية الإسلامية مما يدل على أن هذه الفكرة كانت موجودة قبل الغزالى منذ أن ترجمت العلوم المختلفة إلى اللغة العربية و دونت العلوم المختلفة، بل إننا نستطيع أن نقول: إن بذورها كانت موجودة فى عصر صحابة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فقد استدل هؤلاء العلماء بقول عبد اللّه بن مسعود رضى اللّه عنه: من أراد علم الأولين و الآخرين فليتدبر القرآن، و لكنها كانت فى بداياتها) «۲».

(____۱) ت ۵۰۵ ه، حجة الإسلام و زين الأنام، أبى حامد محمد بن محمد الغزالى، ولد بطوس سنة خمسين و أربعمائة، و ارتحل إلى إمام الحرمين بنيسابور فلازمه حتى صار أنظر أهل زمانه، و كان الإمام يحبه باطنا لما يصدر عنه من سرعة العبارة، و قوة الطبع، و ابتدأ بالتصانيف، و كان محط رجال العلماء و مقصد الأئمة و الفصحاء، و رجع إلى دمشق و أقام بها عشرة سنين بمنارة الجامع و صنف بها كتبا منها الإحياء، ثم سار إلى القدس و الإسكندرية، ثم عاد إلى وطنه طوس فأقبل على التصنيف و العبادة و الملازمة للتلاوة و نشر العلم و كانت وفاته بطوس. انظر: طبقات الفقهاء، إبراهيم بن على بن يوسف الشيرازى، بيروت، دار القلم، تحقيق، الشيخ خليل الميس د. ت ۱/ ۲۴۸، و شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، عبد الحى بن أحمد ابن العماد الحنبلى الدمشقى، بيروت، دار الكتب العلمية د. ت ۲/ ۳۸۳، بتصرف. (۲) التفسير العلمى للقرآن، أحمد عمر أبو حجر، دمشق، دار قتيبة، الطبعة الأولى، ۱۴۱۱ ه/ ۱۹۹۱، ص: ۱۴۶. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۱۰ إلا أن الإمام الغزالى يعتبر أول من أثار هذا الموضوع، و طرحه فى الأوساط، و لذلك نجده قد عقد فى كتابه الشهير «إحياء علوم الدين» بابا فى آداب تلاوة القرآن و عنونه «فى فهم القرآن و تفسيره بالرأى من غير نقل» و الذى قال فيه: (الأخبار و الآثار تدل على أن فى معانى القرآن متسعا لأرباب الفهم، قال على رضى اللّه عنه: إلا أن يؤتى اللّه عبدا فهما فى القرآن، فإن لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم؟ و قال: إن للقرآن ظهرا و بطنا و حدّا و مطلعا، ثم يسوق أثرا عن ابن مسعود فيقول: و قال ابن مسعود رضى اللّه عنه: من أراد علم الأوّلين و الآخرين فليتدبر القرآن و ذلك لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر، ثم يقول: و بالجملة، فالعلوم كلها داخلة فى أفعال اللّه عز و جلّ و صفاته و فى القرآن شرح ذاته و أفعاله و صفاته، و هذه العلوم لا نهاية لها، و فى القرآن إشارة إلى مجامعها و المقامات فى التعمق فى تفصيله راجع إلى فهم القرآن، و مجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك، بل كل ما أشكل فيه على النظار و اختلف فيه الخلائق فى النظريات و المعقولات، ففى القرآن إليه رموز و دلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها، فكيف يفى بذلك ترجمة ظاهره و تفسيره؟) «۱». و فى كتابه «جواهر القرآن» و الذى ألفه بعد الإحياء نرى الإمام الغزالى عاد إلى نفس الموضوع ليتوسع فيه، و قد ذكر فى الفصل الأول أن القرآن هو البحر المحيط و ينطوى على أصناف الجواهر و

النفائس يقول: (أ و ما بلغك أن القرآن هو البحر المحيط، و منه يتشعب علم الأولين و الآخرين كما يتشعب عن سواحل البحر المحيط أنهارها و جداولها؟) «۲». و فى الفصل الرابع من نفس الكتاب و الذى عنونه بكيفية انشعاب العلوم الدينية كلها عن الأقسام العشرة المذكورة، نجده قد قسّم علوم القرآن إلى قسمين: (القسم الأول: علم الصّدف، و اعتبر الصدف أول ما يظهر، ثم يقف بعض الواصلين إلى الصدف على الصدف، و بعضهم يفتق الصدف و يطالع الدرّ، فكذلك صدف جواهر القرآن ... و قد جعل منه علوم اللغة و النحو و القراءات، و علم مخارج

(۱) إحياء علوم الدين، الإمام أبى حامد محمد بن محمد بن الغزالى الطوسى، بيروت، دار الفكر، ۱۹۹۵، ۱/ ۲۷۲. (۲) جواهر القرآن، الإمام أبى حامد محمد بن محمد بن الغزالى الطوسى، بيروت، دار إحياء علوم الدين، تحقيق، محمد رشيد رضا القبانى، الطبعة الثانية، ۱۴۰۶ ه/ ۱۹۹۶، ص: ۲۳. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۱۱

الحروف، و علم التفسير الظاهر، ثم رتّبها على أساس القريب و البعيد من القشر و اللب. القسم الثانى: علم اللباب، و هو يتضمّن معرفة قصص القرآن، و ما يتعلق بالأنبياء، و ما يتعلق بالجاحدين و الأعداء، و علم الكلام، و علم الفقه و أصوله، و العلم باللّه و اليوم الآخر، و العلم بالصراط المستقيم ...) «۱». ثم يعنون الفصل الخامس انشعاب سائر العلوم من القرآن فيقول: (و لعلك تقول إن العلوم وراء هذه كثيرة، كعلم الطب، و النجوم، و هيئة العالم، و هيئة بدن الحيوان، و تشريح أعضائه، و علم السحر و الطلسمات و غير ذلك، فاعلم أنا إنما أشرنا إلى العلوم الدينية التى لا بد من وجود أصلها فى العالم حتى يتيسّر سلوك طريق اللّه تعالى و السفر إليه ... ثم هذه العلوم ما عددناها و ما لم نعدها ليست أوائلها خارجة عن القرآن فإن جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة اللّه تعالى، و هو بحر الأفعال و قد ذكرنا أنه بحر لا ساحل له، و أن البحر لو كان مدادا لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد، فمن أفعال اللّه تعالى، و هو بحر الأفعال مثلا الشفاء و المرض، كما قال اللّه تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السّلام: وَ إِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ «۲»، و هذا الفعل الواحد لا يعرفه إلا من عرف الطب بكماله إذ لا معنى للطب إلا معرفة المرض بكماله و علاماته، و معرفة الشفاء و أسبابه، و من أفعاله تبارك و تعالى تقدير معرفة الشمس و القمر و منازلهما بحسبان، و قد قال اللّه تعالى: الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبانٍ «۳» و قال تعالى: هُوَ الَّذِی جَعَلَ الشَّمْسَ ضِیاءً وَ الْقَمَرَ نُوراً وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِینَ وَ الْحِسابَ ما خَلَقَ اللَّهُ ذلِکَ إِلَّا بِالْحَقِّ یُفَصِّلُ الْآیاتِ لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ ... «۴» و لا يعرف حقيقة سير الشمس و القمر بحسبان و خسوفهما، و ولوج الليل فى النهار، و كيفية تكور أحدهما على الآخر، إلا من عرف هيئات تركيب السموات و الأرض، و هو علم برأسه، و لا يعرف كمال معنى قوله تعالى: یا أَیُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّکَ بِرَبِّکَ الْکَرِیمِ (۶) الَّذِی خَلَقَکَ فَسَوَّاکَ فَعَدَلَکَ (۷) فِی أَیِّ صُورَةٍ

(۱) المصدر نفسه، ص: ۳۵. (۲) سورة الشعراء، الآية: ۸۰. (۳) سورة الرحمن، الآية: ۵. (۴) سورة يونس، الآية: ۵. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۱۲

ما شاءَ رَکَّبَکَ «۱» لا من عرف تشريح الأعضاء من الإنسان ظاهرا و باطنا، و عددها و أنواعها و حكمتها و منافعها، و قد أشار فى القرآن فى مواضع إليها، و هى من علوم الأولين و الآخرين، و فى القرآن مجامع علم الأولين و الآخرين و كذلك لا يعرف كمال معنى قوله تعالى: فَإِذا سَوَّیْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ ساجِدِینَ «۲»، من لم يعلم التسوية و النفخ و الروح و وراءها علوم غامضة يغفل عن طلبها أكثر الخلق، و ربما لا يفهمونها أن سمعوها من العالم بها، و لو ذهبت أفصل ما تدل عليه آيات القرآن من تفاصيل الأفعال لطال، و لا تمكن الإشارة إلا إلى مجامعها، و قد أشرنا إليه حيث ذكرنا أن من جملة معرفة اللّه تعالى معرفة أفعاله فتلك الجملة تشتمل على هذه التفاصيل، و كذلك كل قسم أجملناه، لو شعب لا نشعب إلى تفاصيل كثيرة، فتفكّر فى القرآن، و التمس غرائبه، لتصادف فيه مجامع علم الأولين و الآخرين، و جملة أوائله و إنما التفكّر فيه للتوصل من جملته إلى تفصيله، و هو البحر الذى لا شاطئ له) «۳». و يلاحظ أن هذا المنهج الذى سلكه و رسم أطره الإمام الغزالى، إنما هو منهج دقيق و صحيح، ذلك أن من يريد أن يفسر القرآن على أساس العلوم الكونية يجب أن يكون جامعا لأصول العلوم الشرعية و اللغة العربية على اختلاف مناحيها، بجانب إلمامه

بالعلوم الطبيعية و الكونية و التطبيقية ... فمن جمع بين هذه العلوم يستطيع أن يوضح إشراقات الهداية الربانية فى القرآن الكريم، و بذلك يكون قد أدخل أداة أخرى لعلوم الكونية إلى دائرة الأدوات العلمية، و التى تتمثّل بالعلوم الشرعية أصولا و فروعا و علوم اللغة العربية و فروعها، و علوم الآلة، لفهم مقاصد النصوص القرآنية.

ثانيا- فخر الدين الرازى «۴»:

ثانيا- فخر الدين الرازى «۴»: ثم جاء بعد الغزالى الإمام الرازى، ليقيم موازنة و مقارنة بين ما انتشر فى وسطه من (______________________________ ۱) سورة الانفطار، الآيات ۶- ۸. (۲)

سورة الحجر، الآية: ۲۹. (۳) انظر: جواهر القرآن، للغزالى، ص ۴۴. (۴) ت ۶۰۶ ه، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على، العلامة سلطان المتكلمين فى زمانه فخر الدين أبو عبد الله القرشى البكرى التيمى الطبرستانى الأصل ثم الرازى، المفسّر المتكلم إمام وقته فى العلوم العقلية و أحد الأئمة فى علوم الشريعة، صاحب المصنّفات المشهورة و الفضائل الغزيرة المذكورة، ولد فى رمضان سنة أربع و أربعين و خمسمائة و قيل سنة ثلاث،- الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۱۳ علوم و معارف و ثقافة، سواء كانت وافدة و مترجمة عن الأمم الأخرى أو من تأليف المسلمين، و بيّن النصوص القرآنية، و المحور الذى يدور حوله الإمام الرازى من وراء تفسيره للقرآن على أساس العلم إنما هو ترسيخ فكرة التوحيد، و تقوية دعائم الكمال النفسى و الإيمان بالله تعالى، فكان تفسيره «مفاتيح الغيب» فيّاضا بالاستطرادات العلمية الكونية. و ها هو ذا الإمام الرازى يرد على من اعترض عليه بسبب إكثاره من القضايا الكونية و العلمية فى تفسيره فيقول: (و ربما جاء بعض الجهال و الحمقى و قال: إنك أكثرت فى تفسير كتاب اللّه من علم الهيئة و النجوم، و ذلك على خلاف المعتاد؟ فيقال لهذا المسكين: إنك لو تأملت فى كتاب اللّه حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته، و تقريره من وجوه: الأول: أن اللّه تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم و القدرة و الحكمة بأحوال السموات و الأرض، و تعاقب الليل و النهار، و كيفية أحوال الضياء و الظلام، و أحوال الشمس و القمر و النجوم، و ذكر هذه الأمور فى أكثر السور و كررها و أعادها مرة بعد أخرى، فلو لم يكن البحث عنها، و التأمل فى أحوالها جائزا لما ملأ اللّه كتابه منها، و الثانى: أنه تعالى قال: أَ فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناها وَ زَيَّنَّاها وَ ما لَها مِنْ فُرُوجٍ «۱» فهو تعالى حثّ على التأمل فى أنه كيف بناها و لا معنى لعلم الهيئة إلا التأمل فى أنه كيف بناها و كيف خلق كل واحد منها، و الثالث: أنه تعالى قال: لَخَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ «۲» فبيّن أن عجائب الخلقة و بدائع الفطرة فى أجرام السموات أكثر و أعظم و أكمل مما فى أبدان الناس، ثم أنه تعالى رغب فى التأمل فى أبدان الناس بقوله: وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ «۳» ______________________________ أتقن علوما كثيرة و برز فيها و تقدّم و

ساد، و قصده الطلبة من سائر البلاد، من مؤلفاته: مفاتيح الغيب، و كتاب المحصول، و المنتخب، و نهاية المعقول، و كانت وفاته بهراة يوم عيد الفطر. انظر: طبقات الشافعية، للشيرازى، ۲/ ۶۶، و شذرات الذهب لابن عماد الحنبلى، ۳/ ۲۲، و البداية و النهاية إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى أبو الفداء، بيروت، مكتبة المعارف، د. ت، ۱۳/ ۵۵، و العبر فى خبر من غبر، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، تحقيق صلاح الدين المنجد، الطبعة الثانية، ۱۹۴۸، ۴/ ۲۸۵، بتصرف. (۱) سورة ق، الآية: ۵. (۲) سورة غافر، الآية: ۵۷. (۳) سورة الذاريات، الآية: ۲۱. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۱۴ فما كان أعلى شأنا و أعظم برهانا منها أولى بأن يجب التأمل فى أحوالها و معرفة ما أودع اللّه فيها من العجائب و الغرائب، و الرابع: أنه تعالى مدح المتفكرين فى خلق السموات و الأرض فقال: وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا «۱» و لو كان ذلك ممنوعا منه لما فعل) «۲». و الحق أن الإمام الرازى قد توسع فى ذكر القضايا العلمية فى تفسيره، حتى يخرجك فى بعض الأحيان عن مقاصد النص القرآنى الذى يبحثه بسبب إسهابه فى ذكر المسائل الكونية و العلمية، و مع غزارة علم هذا الإمام، و الثروة

العلمية الهائلة التى تركها لنا فى تفسيره، و التى لا- يستغنى عنها أى باحث فى علوم القرآن و فهم دقائقه و معانيه، فإن عددا ليس بالقليل من المسائل العلمية و الكونية التى أوردها فى تفسيره قد أصبحت اليوم بعد الثورة العلمية غير دقيقة، لأنه إنما استقاها مما جدّ من ثقافة علمية فى عصره و بيئته التى عاش فيها، و على كل حال فإن الإمام الرازى يعتبر من أول من طبق هذا الاتجاه عمليا، بعد ما أورده الغزالى فى «إحيائه» بشكل نظرى. و لسنا بحاجة لإيراد أمثلة من تفسيره تدلنا على التطبيق العملى الذى قام به الرازى من تفسير النصوص القرآنية على أساس العلم، فتفسيره فياض بذلك، و لسوف نستشهد بآرائه و فهمه للنصوص القرآنية فى الجانب التطبيقى من هذه الرسالة بعونه تعالى.

ثالثا- الإمام الزركشى «۳»:

ثالثا- الإمام الزركشى «۳»: ثم يأتى الإمام الزركشى فى كتابه «البرهان فى علوم القرآن» ليقرّر إمكانية استخراج كل شيء من القرآن الكريم (____. ۱) سورة آل عمران، الآية: ۱۹۱. (۲) انظر: التفسير الكبير، محمد فخر الدين الرازى، بيروت، دار الفكر، ۱۹۹۳، ۱۴/ ۲۷۸. (۳) ت ۷۹۴ ه، محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشى الموصلى الشافعى بدر الدين، ولد فى سنة خمس و أربعين و سبعمائة، و ألّف تصانيف كثيرة فى عدّة فنون، و هو عالم فى الحديث و التفسير، و من مصنّفاته شرح البخارى، و التنقيح على البخارى، و شرح التنبيه و البرهان فى علوم القرآن، و تخريج أحاديث الرافعى. انظر: طبقات المفسرين، للأدنهوى، ۱/ ۳۰۲ و انظر، كشف الظنون للقسطنطينى ۱/ ۲۴۰، و الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، أحمد بن على ابن حجر العسقلانى، بيروت، دار الكتب العلمية، تحقيق، عبد الوارث محمد على، الطبعة الأولى، ۱۴۱۸ ه ۱۹۹۷، ۱/ ۱۲۴، بتصرف. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۱۵ و نراه يستدل على ذلك عند ما عقد فصلا فى كتابه المذكور و عنونه فى حاجة المفسر إلى الفهم و التبحر فى العلوم، و ينقل فيه أقوال بعض الصحابة فى ذلك، كما يسوق آراء الإمام الغزالى من كتابه «الإحياء» مدللا بكل ذلك على ما ذهب إليه. يقول: (كتاب اللّه بحره عميق و فهمه دقيق، لا يصل إلى فهمة إلا من تبحر فى العلوم، و عامل اللّه بتقواه فى السر و العلانية، و أجله عند مواقف الشبهات، و اللطائف و الحقائق لا يفهمها إلا من ألقى السمع و هو شهيد، فالعبارات للعموم و هى للسمع، و الإشارات للخصوص و هى للعقل، و اللطائف للأولياء و هى المشاهد، و الحقائق للأنبياء و هى الاستسلام، و للكل وصف ظاهر و باطن، و حد و مطلع فالظاهر التلاوة، و الباطن الفهم، و الحد أحكام الحلال و الحرام، و المطلع أى الإشراق من الوعد و الوعيد، فمن فهم هذه الملاحظة بان له بسط الموازنة و ظهر له حال المعاينة ... ثم يقول: و بالجملة فالعلوم كلها داخلة فى أفعال اللّه تعالى و صفاته، و فى القرآن شرح ذاته و صفاته و أفعاله، فهذه الأمور تدل على أن فهم معانى القرآن مجالا رحبا و متسعا بالغا، و أن المنقول من ظاهر التفسير ليس ينتهى الإدراك فيه بالنقل و السماع، لا بد منه فى ظاهر التفسير ليتقى به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع الفهم و الاستنباط، و الغرائب التى لا تفهم إلا باستماع فنون كثيرة، و لا بد من الإشارة إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها و يعلم أنه لا- يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أو لا، و لا مطمع فى الوصول إلى الباطن قبل أحكام الظاهر، و من ادعى فهم أسرار القرآن و لم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل تجاوز الباب، فظاهر التفسير يجرى مجرى تعلم اللغة التى لا- بد منها للفهم، و ما لا- بد فيها من استماع كثير ...) «۱». و مما يلاحظ على الإمام الزركشى أنه أوغل فى تحميل النصوص القرآنية بجزئيات المسائل الحسابية و الفلكية، مما أخرج نصوص القرآن عن مقاصدها الأساسية التى هى هداية البشر، و القرآن ذكر أسس و قواعد العلوم و أشار إليها إشارات، لكنه لم يكن موسوعة علمية تتضمن جزئيات العلوم و فروعه (____. ۱) البرهان فى علوم القرآن، للزركشى، ۲/ ۱۵۳. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۱۶

رابعا- الإمام السيوطى «۱»:

رابعا- الإمام السيوطى «۱»: ثم جاء الإمام جلال الدين السيوطى ليؤكد فى كتابيه «الإتقان فى علوم القرآن» و «معترك الأقران» ما ذهب إليه من قبله من العلماء، بأن القرآن يحتوى على علم الأولين و الآخرين، و نراه يسوق طائفة من الآيات و الأحاديث و الآثار و أقوال العلماء ليدلل على ما ذهب إليه. فمن الآيات قوله تعالى: وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ «۲» و قوله تعالى: وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً وَ بُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ «۳». و من الأحاديث ما روى عن على رضى اللّه عنه أنه قال: (سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يقول: «إنها ستكون فتنة» فقلت: ما المخرج منها يا رسول اللّه؟ قال: «كتاب اللّه فيه نبأ ما قبلكم، و خبر ما بعدكم و حكم ما بينكم، و هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه اللّه، و من ابتغى الهدى فى غيره أضله اللّه، و هو حبل اللّه المتين، و هو الذكر الحكيم، و هو الصراط المستقيم، هو الذى لا تزيغ به الأهواء و لا تلتبس به الألسنة، و لا يشبع منه العلماء، و لا يخلق عن كثرة الرد، و لا تنقضى عجائبه، هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به، من قال به صدق، و من عمل به أجر، و من حكم به عدل، و من دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم خذها إليك يا أعور) «۴». و من الآثار: (ما روى عن ابن مسعود أنه قال: من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين و الآخرين، و عن الحسن قال: أنزل اللّه مائة و أربعة كتب أودع علومها

(______________________________ ۱) ۸۴۹- ۹۱۱ ه، ۱۴۴۵- ۱۵۰۵، عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد الخضيرى السيوطى، إمام و حافظ و مؤرخ و أديب، كان من الأغنياء و الأمراء نشأ فى القاهرة يتيما، مات والده و عمره خمس سنوات، له نحو ۶۰۰ مصنف منها: الإتقان فى علوم القرآن، و الأرج فى الفرج، و الأشباه و النظائر، و غيرها. انظر: الأعلام، للزركلى، ۳/ ۳۰۱، بتصرف، و كشف الظنون، للقسطنطينى، ۱/ ۷۵، بتصرف. (۲) سورة الأنعام، الآية: ۳۸. (۳) سورة النحل، الآية: ۸۹. (۴) رواه الترمذى، ۵/ ۱۷۲، رقم: (۲۹۰۶)، و قال: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، و إسناده مجهول، و ورد فى سنن الدارمى عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى، بيروت، دار الكتاب العربى، الطبعة الأولى، ۱۴۰۷ ه، تحقيق، خالد العلى ۲/ ۵۲۶، رقم: (۳۳۳۱). الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۱۷ أربعة منها التوراة و الإنجيل و الزبور و الفرقان، ثم أودع علوم الثلاثة الفرقان، و قال الإمام الشافعى: جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة، و جميع السنة شرح للقرآن ... و قال أيضا: جميع ما حكم به النبى فهو مما فهمه من القرآن ... و عن ابن سراقة أنه حكى فى كتاب الإعجاز عن أبى بكر بن مجاهد أنه قال: ما شىء فى العالم إلا و هو فى كتاب اللّه فقيل له: فأين ذكر الخانات فيه، فقال: فى قوله: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيها مَتاعٌ لَكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما تَكْتُمُونَ «۱» فهى الخانات، و قال ابن الفضل المرسى فى تفسيره: جمع القرآن علوم الأولين و الآخرين بحيث لم يحط بها علما حقيقة إلا المتكلم بها، ثم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خلا ما استأثر به سبحانه و تعالى، ثم ورث ذلك عنه معظم سادات الصحابة و أعلامهم، مثل الخلفاء الأربعة، و ابن مسعود، و ابن عباس، حتى قال: لو ضاع لى عقال بعير لوجدته فى كتاب اللّه تعالى، ثم ورث عنهم التابعون بإحسان، و قال ابن سراقة: من بعض وجوه إعجاز القرآن ما ذكر اللّه فيه من أعداد الحساب و الجمع و القسمة و الضرب و الموافقة و التأليف و المناسبة و التنصيف و المضاعفة، ليعلم بذلك أهل العلم بالحساب أنه صادق فى قوله، و أن القرآن ليس من عنده، إذ لم يكن ممن خالط الفلاسفة، و لا تلقى الحساب و أهل الهندسة. ثم يعقب على ما أورده من أقوال العلماء فيقول: و أنا أقول قد اشتمل كتاب اللّه العزيز على كل شىء أما أنواع العلوم فليس منها باب و لا مسألة هى أصل إلا و فى القرآن ما يدل عليها و فيه عجائب المخلوقات و ملكوت السموات و الأرض و ما فى الأفق الأعلى و تحت الثرى و بدء الخلق و أسماء مشاهير الرسل و الملائكة و عيون أخبار الأمم السالفة ...) «۲». هذه آراء أشهر العلماء القدامى الذين أيّدوا تفسير القرآن على أساس العلم، و سننتقل فى المبحث القادم إلى أبرز من تناوله من العلماء المعاصرين و دافع عنه.

(______________________________ ۱) سورة النور، الآية: ۲۹. (۲) انظر:

الإتقان فی علوم القرآن، للسیوطی، ۲/ ۲۳۰– ۲۳۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۱۸

المبحث الثانی أبرز المؤیدین من العلماء المعاصرین

اشارهٔ

المبحث الثانی أبرز المؤیدین من العلماء المعاصرین قبل الشروع فی التعرف علی أبرز العلماء المعاصرین و علی رأیهم فی هذا الصدد، یلفت الانتباه إلی أن الهدف الأساسی الذی یسعی المؤیدون للتفسیر العلمی لتحقیقه إنما هو: استنباط بعض المعانی الجدیدهٔ من الآیات القرآنیهٔ علی أساس العلوم الکونیهٔ، لکن ضمن إطار النص القرآنی، و دون جرّ الآیات القرآنیهٔ إلی النظریات بشکل تعسفی، أو تحمیل النص القرآنی ما لا یحتمل، فإذا کان الأمر کذلک فإننا وجدنا فی العصر الحدیث من یحاول تفسیر النصوص القرآنیهٔ تفسیرا تعسفیا قد أخرجها عن مدلولاتها اللغویهٔ و معانیها الشرعیهٔ، فإذا ما سمع بنظریهٔ علمیهٔ أسرع لیجد لها من کتاب اللّه ما یؤکدها و لا ضیر إن ثنی أعناق الآیات و طوعها لهذه النظریهٔ، أو أنه أقحم هذه النظریهٔ إقحاما قسریا فی نصوص القرآن ... و من هنا سیعرض فی هذا المبحث لطائفتین من أقوال العلماء، الطائفهٔ الأولی: و هم العلماء المثبتون لقضیهٔ الإعجاز و لکن بمغالاهٔ و منهم: محمد عبده، عبد الرحمن الکواکبی، طنطاوی جوهری، و الطائفهٔ الثانیهٔ: و هم العلماء المثبتون لقضیهٔ الإعجاز و لکن باعتدال و منهم: مصطفی صادق الرافعی وحید الدین خان، محمد جمال الدین الفندی، مصطفی المراغی، و سنبدأ بالحدیث عن القسم الأول و هم المغالون.

[القسم الاول: العلماء المثبتون لقضیهٔ الإعجاز بمغالاهٔ]

أولا– الإمام محمد عبده «۱»:

أولا- الإمام محمد عبده «۱»: یعتبر الشیخ محمد عبده من رواد هذا الاتجاه فی تفسیر القرآن فی العصر الحدیث،

(۱) ۱۲۶۶– ۱۳۲۳ ه، ۱۸۴۹– ۱۹۰۵،

محمد عبده بن حسن خیر الله من آل الترکمانی، مفتی الدیار المصریهٔ، و من کبار رجال الإصلاح و التجدید فی الإسلام، ولد فی شنرا من قری الغربیهٔ فی مصر، تعلم بالأزهر و تصوف و تفلسف، أصدر مع صدیقه جمال الدین الأفغانی جریدهٔ العروهٔ الوثقی، ثم تولی منصب القضاء فی مصر عام ۱۸۸۸، ثم مفتیا للدیار المصریهٔ عام ۱۳۱۷ ه، و استمر إلی أن توفی بالإسکندریهٔ و دفن فی القاهرهٔ، له تفسیر القرآن الکریم، و رسالهٔ التوحید، و الفلسفهٔ و التصوف، و غیرها. انظر: الأعلام، لخیر الدین الزرکلی ۶/ ۲۵۲ بتصرف. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۱۹ بل من الذین أصدروا فتوی بجواز تفسیر نصوص القرآن بمستجدات العصر و ما یتمخض عنه من اکتشافات و ابتکارات، و إذا ما رجعنا إلی أفکار الشیخ محمد عبده فلسوف نجد المنهج العلمی التطبیقی الذی سلکه فی تحلیل آیات القرآن واضحا فی تفسیره لجزء «عم» و قد طبع فی کتاب منهجی لطلاب المدارس فی المراحل المتوسطهٔ، و مع غزارهٔ علمه و مکانته العلمیهٔ المرموقهٔ إلا أنه لم یترک خلفه سوی تفسیر جزء عم، و تفسیر واسع لسورهٔ العصر، و بعض المقالات الإسلامیهٔ، و نحن إذ نعرض طرفا من تفسیره فی جزء عم، فإننا نجد التجاوز الواضح، بل المغالاهٔ و هو یفسر بعض الآیات الکریمهٔ بما استجد فی عصره من علوم و معارف. فها هو ذا یفسر قوله تعالی: وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ «۱» فیقول: (أما تسجیر البحار فهو أن یفجر الزلزال ما بینها حتی تختلط و تعود بحرا واحدا، و هو بمعنی الملء فإن کل واحد منها یمتلئ حتی یفیض و یختلط بالآخر، و تسجیر البحار علی هذا المعنی لازم لما سبقه من تقطع أوصال الأرض، و انفصال الجبال و یدل علی رجحان هذا التأویل ظاهر قوله تعالی فی سورهٔ الانفطار وَ إِذَا الْبِحارُ فُجِّرَتْ «۲» و قد یکون تسجیرها إضرامها، فإن ما فی بطن الأرض من النار إذ ذاک

يظهر بتشققها و تمزق طبقاتها العليا، أما الماء فيذهب عند ذلك بخارا، و لا يبقى فى البحار إلا النار) «۳». و فى تفسير قوله تعالى: إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ «۴» يقول: (انشقاق السماء ... هو فساد تركيبها و اختلال نظامها عند ما يريد اللّه خراب هذا العالم الذى نحن فيه، و هو يكون بحادثة من الحوادث التى قد ينجر إليها سير العلم، كأن يمر كوكب فى سيره بالقرب من الآخر فيتجاذبا فيتصادما، فيضطرب نظام الشمس بأسره، و يحدث من ذلك غمام و أى غمام! يظهر فى مواضع متفرقة من الجوّ و الفضاء الواسع، فتكون السماء قد تشققت بالغمام و اختل نظامها حال ظهوره) «۵». (و قد انتقده بعض العلماء فى هذا التفسير لخراب العالم، لأن الكون أعظم من أن يختل نظامه بمجرد ضرب كوكب فى آخر من المجموعة الشمسية، فما أكثر

(____۱) سورة التكوير، الآية: ۶. (۲) سورة الانفطار، الآية: ۳. (۳) تفسير جزء عمّ، محمد عبده، بيروت، دار الهلال، ۱۹۸۵، ص ۳۰. (۴) سورة الانشقاق، الآية: ۱. (۵) تفسير جزء عمّ، محمد عبده، ص ۳۵. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۲۰ المجموعات الشمسية التى تتجاوز الأرقام الحسابية التى عرفها البشر! و ما أصغر أفكار البشر فى شأن مستقبل العالم خرابا أو عمارا فمثل ذلك يجب تفويض الأمر فيه إلى اللّه تعالى فهو علام الغيوب) «۱». و عند ما يفسر سورة الفيل نجد تجاوزا و تعسفا شديدين فى تفسير هذه السورة، يقول: (و فى اليوم الثانى فشا فى جند الحبش داء الجدرى و الحصبة، قال عكرمة: هو أول جدرى ظهر فى بلاد العرب و قال يعقوب بن عتبة: أول ما رؤيت الحصبة و الجدرى ببلاد العرب ذلك العام، ثم يقول: و هذا ما اتفقت عليه الروايات و يصح الاعتقاد به، و قد بيّنت لنا هذه السورة أن ذلك الجدرى أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير مما يرسله اللّه مع الريح، فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذى يحمل جراثيم بعض الأمراض ... و أن هذا الحيوان الصغير الذى يسمونه بالميكروب لا يخرج عنها، هذا ما يصح الاعتماد عليه فى تفسير السورة، و ما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله إلا بتأويل إن صحت روايته) «۲». لا أدرى من الذى سوّغ للإمام رحمه اللّه أن يقحم الميكروب فى تفسير السورة مكان الطير الأبابيل، و ما أظن أن فى اللغة العربية و مترادفاتها ما يسوّغ أن نطلق على لفظة الطير بالميكروب، أو بالجدرى أو بالحصبة ... ثم إن حماس الشيخ قد دفعه ليجزم قائلا: هذا ما يصح الاعتماد عليه فى تفسير السورة، و ما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله إلا بتأويل إن صحت روايته، و هذا كما هو واضح تحميل للنص القرآنى ما لا يحتمل و ما لا يطيق أبدا، و قد أكثر العلماء فى الرد عليه، و أرى أن المسألة من البطلان بحيث لا تستأهل تضييع الوقت فى الرد على مثل هذه التعسفات.

ثانيا- عبد الرحمن الكواكبى «۳»:

ثانيا- عبد الرحمن الكواكبى «۳»: عند ما يتحدث الكواكبى عن القرآن يصفه بأنه: شمس العلوم و كنز الحكم، و يعلل

(____۱) التفسير العلمى للقرآن، أحمد عمر أبو حجر، ص ۱۷۳. (۲) تفسير جزء عمّ، محمد عبده، ص ۱۶۲. (۳) ۱۲۶۵- ۱۳۲۰ ه، ۱۸۴۹- ۱۹۰۵، عبد الرحمن الكواكبى من الكتاب و الأدباء و من رجال الإصلاح، تعلم فى حلب، و أنشأ فيها جريدة الشهباء فأقفلتها الحكومة، و جريدة الاعتدال فعطلت، و أسندت إليه مناصب عديدة، ثم ضيق عليه أعداء الإصلاح فسعوا به فسجن، توفى فى مصر و له من المؤلفات: أم القرى، و طبائع الاستبداد. انظر: الأعلام، للزركلى، ۳/ ۲۸۹ بتصرف. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۲۱ السبب الذى جعل العلماء ينصرفون عن تفسير قسمى «الآلاء و الأخلاق» من القرآن تفسيرا علميا هو أنهم: (كانوا يخافون مخالفة رأى بعض السلف القاصرين فى العلم، فيكفرون فيقتلون، و هذه مسألة إعجاز القرآن و هى أهم مسألة فى الدين، لم يقدروا أن يوفوها حقها من البحث، و اقتصروا على ما قاله بعض السلف قولا مجملا من أنها قصور الطاقة عن الإتيان بمثله فى فصاحته و بلاغته، و أخباره عن أن الروم من بعد غلبهم سيغلبون، مع أنه لو أطلق للعلماء عنان التدقيق و حرية الرأى و التأليف كما أطلق لأهل التأويل و الخرافات، لرأوا فى ألوف

من آیـات القرآن ألوف آیـات من الإعجاز لرأوا فیه کل یوم آیـة تتجـدد مع الزمان و الحـدثان تبرهن إعجازه بصـدق قوله سـبحانه و تعالی: وَ لا رَطْبٍ وَ لا یابِسٍ إِلَّا فِی کِتابٍ مُبِینٍ «۱» برهان عیان لا مجرد تسلیم و إیمان) «۲». ثم یبدأ بسرد طائفة من الآیات القرآنیة، و یحللها و یفسرها تفسیرا علمیا فیقول: (و مثال ذلک أن العلم کشف فی هـذه القرون الأخیرة حقائق و طبائع کثیرة، تعزی لکاشـفیها و مخترعیها من علماء أوروبا و أمریکا، و المدقق فی القرآن یجد أکثرها ورد التصـریح أو التلمیح به فی القرآن منذ ثلاثة عشر قرنا، و ما بقیت مسـتورة تحت غشـاء من الخفاء إلا لتکون عنـد ظهورها معجزة للقرآن، شاهـدة بأنه کلام رب لا یعلم الغیب سواه، و ذلک أنهم قـد کشـفوا أن مـادة الکون هی الأـثیر، و قـد وصف القرآن بـدء التکوین فقـال: ثُمَّ اسْـتَوی إِلَی السَّمـاءِ وَ هِیَ دُخانٌ «۳» و کشـفوا أن الکائنات فی حرکـة دائمة دائبة و القرآن یقول: وَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْـبَحُونَ «۴» و حققوا أن الأرض منفتقة فی النظام الشمسـی و القرآن یقول: السَّمـاواتِ وَ الْأَرْضَ کانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما «۵» و حقّقوا أن القمر منشق من الأـرض، و القرآن یقول: اقْتَرَبَتِ السَّاعَـةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ «۶» ... و حققـوا أن طبقـات الأـرض سـبع و القرآن یقـول: اللَّهُ الَّذِی خَلَـقَ سَـبْعَ سَـماواتٍ وَ مِـنَ الْـأَرْضِ مِثْلَهُنَّ «۷» و کشـفوا

(_______________________________________۱) سورة الأنعام، الآیة: ۵۹. (۲) طبائع الاستبداد و مصارع الاستعباد، عبد الرحمن الکواکبی، بیروت، دار النفائس، الطبعة الأولی، ۱۹۸۴، ص ۴۷. (۳) سورة فصلت الآیة: ۱۱. (۴) سورة یس، الآیـة: ۴۰. (۵) سورة الأنبیاء، الآیـة: ۳۰. (۶) سورة القمر، الآیـة: ۱. (۷) سورة الطلاق، الآیـة: ۱۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحـدیث، ص: ۱۲۲ وجـود المیکروب و تـأثیره کالجـدری و غیره من المرض و القرآن یقول وَ أَرْسَـلَ عَلَیْهِمْ طَیْراً أَبابِیلَ «۱» أی متتابعة مجتمعة، تَرْمِیهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِـجِّیلٍ «۲» أی من طین المسـتنقعات الیـابس إلی غیر ذلک من الآیات الکثیرة المحققة لبعض مکتشفات علم الهیئة و النوامیس الطبیعیة، و بالقیاس علی ما تقدم ذکره یقتضی أن کثیرا من آیاته سینکشف سرها فی المستقبل فی وقتها المرهون، تجدیدا لإعجازه ما دام الزمان) «۳». (و إذا کان لنا من تعلیق علی قوله فإننا نقول: إنه قـد تأثر بهـذا اللون من التفسیر تأثّرا کبیرا حتی وصل به الأمر إلی حد الإفراط و المغالاة، و بسبب ذلک صار یتلمس لکل نظریة نصا من القرآن مدعیا أن هـذا وجه من وجوه صـدقه و دلائـل إعجـازه العلمی بعـد أن اقتصـر علماء السـلف علی حـد قوله علی أن فصاحته و بلاغته هی سـبب إعجازه، فانظر إلی اسـتدلاله علی أن القمر منشق من الأرض بقوله تعالی: اقْتَرَبَتِ السَّاعَـةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ فإن هذا المعنی المزعوم لا تدل علیه أی من الآیتین، و هو معنی بعید کل البعد عن معناهما، بالإضافة إلی أنه قد یستدل ببعض آیة تارکا ما قبلها و ما بعده) «۴». هذان من أبرز من تناول تفسیر القرآن بمغالاة، و هناک غیرهما کثیر مثل عبـد العزیز إسـماعیل فی کتابه «الإسـلام و الطب الحدیث» و عبد الرزاق نوفل فی عدة کتب له، و من أخطر و أجرأ من تعسف فی هذا الصدد هو طنطاوی جوهری فی تفسیره «الجواهر» الذی جاء فی خمسة و عشرین جزءا، و الذی یتحدث فیه: (لقد وضعت فی هذا التفسیر ما یحتاجه المسلم من الأحکام و الأخلاق و عجائب الکون و أثبت فیه غرائب العلوم، و عجائب الخلق، مما یشوق المسـلمین و المسلمات إلی الوقوف علی حقائق معانی الآیات البینات فی الحیوان و النبات و الأرض و السـموات و لتعلمنّ أیها الفطن أن هـذا التفسـیر نفحـة ربانیـة، و إشارة قدسـیة، و بشارة رمزیـة، و أمرت به بطریق الإلهـام، و أیقنت أن له شأنـا سـیعرفه الخلق، و سـیکون من أهم أسـباب رقیّ المستضـعفین فی الأرض) «۵». یقول فیه الدکتور حسـین الـــــذهبی: (و نجـــــده یضـــــع لنـــــا فی تفســـــیره کـــــثیرا مـــــن صـــــور النباتـــــات

(_______________________________________۱) سورة الفیـل، الآیـة: ۳. (۲) سورة الفیل، الآیة: ۴. (۳) انظر: طبائع الاسـتبداد، للکواکبی، ص ۴۸- ۴۹. (۴) التفسـیر العلمی للقرآن، أحمـد عمر أبو حجر، ص ۱۹۲. (۵) الجواهر فی تفسیر القرآن الکریم، طنطاوی جوهری، بیروت، دار إحیاء التراث العربی، الطبعـة الرابعة، ۱۴۱۲ ه/ ۱۹۹۱، ۱/ ۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشـاف العلمی الحـدیث، ص: ۱۲۳ و الحیوانات و مناظر الطبیعـة، و تجارب العلوم، بقصـد أن یوضـح للقارئ ما یقول، توضـیحا یجعل الحقیقـة أمامه کالأمر المشاهـد المحسوس، و لقـد أفرط فی ذلک، و جاز حد المجاز. و مما یؤخذ علیه: أنه قد یشـرح بعض الحقـائق الدینیـة بمـا جـاء عن أفلاطون فی جمهوریته أو بما جاء عن إخوان الصـفا فی رسائلهم، و هو حین ینقلها یبـدی

رضاه عنها و تصديقه بها فی حين أنها تخالف فی ظاهرها ما عليه أصحابه السلفيون و الأشاعرة. هذا، و إنا نجد المؤلف يفسر آيات القرآن تفسيرا يقوم على نظريات علمية حديثة غير مستقرة فی ذاتها، و لم تمض فترة التثبت منها، و هذا ضرب من التكلف ارتكبه المؤلف، إن لم يكن يذهب بغرض القرآن أحيانا، فلا أقل من أن يذهب بروائه و بهائه) «۱».

القسم الثانی: المثبتون من العلماء المعاصرين باعتدال

أولا– وحيد الدين خان «۲»:

أولا– وحيد الدين خان «۲»: و سوف نقف مع كتابه «الإسلام يتحدى» و الذی قدم له الدكتور عبد الصبور شاهين. عقد وحيد الدين خان فی كتابه المذكور مبحثا بعنوان: القرآن و الكشوف الحديثة، تحدّث فيه عن قضية الإعجاز العلمی فی القرآن الكريم، و وضع بعض الضوابط لهذا النمط من التفسير، و التی تدل على اعتدال الرجل و اتزانه إزاء هذه القضية، ثم ساق طائفة من الآيات القرآنية و فسّرها بناء على معطيات الحقائق العلمية، و بمنهج دقيق لا إفراط فيه و لا مغالاة. و ها هو ذا يبين أهم قيد من القيود التی يرتكز عليها هذا التفسير فيقول: (إن مطابقة كلمات القرآن و ألفاظه للكشوف العلمية الحديثة مبنية على أن العلم الحديث قد استطاع الكشف عن أسرار الواقعة موضوع البحث، فتوفرت لدينا مواد نافعة لتفسير الإشارات

(____ ۱) التفسير و المفسرون، محمد حسن الذهبی، القاهرة، دار الكتب الحديثة، الطبعة الأولی، ۱۳۸۱ ه، ۱۹۶۱، ۳/ ۱۸۴. (۲) من كبار علماء الهند و مفكّريها فی العصر الحديث، و من الذين يتولون قضية الإسلام أمام الزحف الفكری المعادی، له عدة مؤلفات منها، الإسلام يتحدی، و الدين. انظر: مقدمة الدكتور عبد الصبور شاهين لكتاب الإسلام يتحدی. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۱۲۴ القرآنية فی ذلك الموضوع، و لو أن دراسة المستقبل فی موضوع ما تبطل واقعة من وقائع العلم الحديث كليا أو جزئيا فليس هذا بضائر مطلقا صدق القرآن، بل معناه أن المفسر أخطأ فی محاولته لتفسير إشارة مجملة فی القرآن، و إننی لعلی يقين راسخ بأن الكشوف المقبلة سوف تكون أكثر إيضاحا لإشارات القرآن، و أكثر بيانا لمعانيه الكامنة) «۱». و يبدأ بضرب بعض الأمثلة على إعجاز القرآن، و سبقه فی تسجيل الحقائق العلمية التی وصل إليها علماء العصر، لكن بعد جهد جهيد، و عمل مضن و مستمر كلفهم أموالا طائلة فضلا عن سهر الليالی الطويل، فيقول: (۱– ذكر القرآن الكريم قانونا خاصا بالماء فی سورتين هما الفرقان و الرحمن، و جاء فی السورة الأولی قوله تعالی: وَ هُوَ الَّذِی مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَ جَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً «۲» و أما الآية التی وردت فی السورة الأخری فهی تقول: مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ (۱۹) بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ (۲۰) «۳». إن الظاهرة الطبيعية التی يذكرها القرآن فی هذه الآيات معروفة عند الإنسان منذ أقدم العصور و هی أنه إذا ما التقی نهران فی ممر مائی واحد، فماء أحدهما لا يدخل أی لا يذوب فی الآخر، و هناك على سبيل المثال، نهران يسيران فی «تشاتغام» بباكستان الشرقية إلی مدينة «أركان» فی «بورما» و يمكن مشاهدة النهرين، مستقلا أحدهما عن الآخر، و يبدو أن خيطا يمر بينهما حدا فاصلا، و الماء عذب فی جانب و ملح فی جانب آخر، و هذا هو شأن الأنهار القريبة من السواحل، فماء البحر يدخل ماء النهر عند حدوث المد البحری و لكنهما لا يختلطان، و يبقی الماء عذبا تحت الماء الأجاج، و هكذا شاهدت عند ملتقی نهری «الكنج و الجامونا» فی مدينة «الله‌آباد» فهما رغم التقائهما لم تختلط مياههما و يبدو أن خيطا فاصلا يميز أحدهما عن الآخر ... إن هذه الظاهرة كانت معروفة لدی الإنسان القديم ... و لكنا لم نكشف قانونها إلا منذ بضع عشرات من السنين، فقد أكدت المشاهدات و التجارب أن هناك قانونا ضابطا للأشياء السائلة، يسمی بقانون المط السطحی) ecafrus noisnet (و هو يفصل بين

(____ ۱) الإسلام يتحدی، وحيد الدين

خان، القاهرة، دار البحوث العلمية، ترجمة، ظفر الإسلام خان، الطبعة الثانية، ۱۳۹۳ ه/ ۱۹۷۳، ص: ۱۴۱. (۲) سورة الفرقان، الآية: ۵۳. (۳) سورة الرحمن، الآيتان ۱۹، ۲۰. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۲۵ السائلين، لأن تجاذب الجزئيات يختلف من سائل إلى آخر، و لذا يحتفظ كل سائل باستقلاله فى مجاله، و قد استفاد العلم الحديث كثيرا من هذا القانون، الذى عبر عنه القرآن الكريم بقوله سبحانه: بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا- يَبْغِيانِ و ملاحظة هذا البرزخ لم تخف عن أعين القدماء، كما لم تتعارض مع المشاهدة الحديثة. و نستطيع بكل ثقة أن نقول إن المراد من البرزخ إنما هو المط أو التمدد السطحى الذى يوجد فى الماءين و الذى يفصل أحدهما عن الآخر) «۱». ثم يستعرض عددا من الأمثلة فى عدة جوانب من العلوم مقارنا ذلك مع ما ورد فى كتاب اللّه تعالى، بدقة و موضوعية، ثم يقول: (لسنا نملك أمام هذا التوافق المدهش بين ما ورد فى الماضى البعيد و ما اكتشف بالأمس القريب، إلا أن نؤمن بأن هذا الكلام صادر عن موجود يحيط علمه بالماضى و الحال و المستقبل على السواء) «۲».

ثانيا- الدكتور محمد جمال الدين الفندى «۳»:

ثانيا- الدكتور محمد جمال الدين الفندى «۳»: يعرض الدكتور الفندى قضية الإعجاز العلمى فى القرآن لكن بتحفظ و تثبت دون مغالاة أو تجاوز و يقف عند حدود النص و مدلولاته اللغوية و الشرعية، و يعتمد المنهج الدقيق الصحيح، و هو: تفسير القرآن على أساس الحقائق العلمية الثابتة لا النظريات المتغيرة المتبدلة، و يسوق مجموعة من الأمثلة التى تثبت إعجاز القرآن الكريم، يقول: (و سوف نوضح كيف تمشّى العلم مع القرآن الكريم منذ نزل و تلك قاعدة عامة طالما كانت التعليقات العلمية أو التفسيرات مبنية على حقائق سليمة علمية و قاصرة على الحقائق بعيدا عن النظريات المتطورة، و من غير أن نكلف الآيات ما لا طاقة لها به من مجاز أو كناية) «۴» (____). ۱) انظر: الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، ص: ۱۴۲- ۱۴۳. (۲) المصدر نفسه، ص: ۱۵۱. (۳) رئيس قسم الفلك و أستاذ الطبيعة الجوية بكلية العلوم فى جامعة القاهرة، كما أنه عضو فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر، له العديد من المؤلفات العلمية و الدينية منها: قصة الكون، و الصعود إلى المريخ، و الإسلام و قوانين الوجود. عن مقدمة دار النشر لهذا الكتاب، الهيئة المصرية العامة للكتب. (۴) الإسلام و قوانين الوجود، محمد جمال الدين الفندى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتب، ۱۹۸۲، ص: ۵۵. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۲۶ و يبدأ بعرض أمثلة يوضح فيها سبق القرآن فى تسجيل بعض قواعد العلوم و إعجازه فى ذلك و من هذه الأمثلة التى ذكرها تعقيبه على قوله تعالى: وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ وَ ما أَنْتُمْ لَهُ بِخازِنِينَ «۱». فيقول: (قال الأقدمون فى ظل ما كان متوفرا لديهم من حقائق العلم أن لَواقِحَ هنا إنما تشير إلى تلقيح الرياح لبعض النباتات لكى تثمر أو يوجد الثمر، و هذه حقيقة قائمة لم تتغير لأن الرياح كانت و لا زالت و سوف تستمر فى تلقيح بعض النباتات لتوجد الثمر، و فى ظل الآفاق الواسعة التى فتحها أمامنا عصر العلم اتضح للعلماء و ثبت لديهم أن الرياح هى التى تثير السحاب و تكونه، مصدقا لبيانه تعالى: اللَّهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَيَبْسُطُهُ فِى السَّماءِ كَيْفَ يَشاءُ وَ يَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذا أَصابَ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ «۲» و القرآن الكريم هو أول كتاب على الإطلاق قرر تلك الحقيقة العلمية، و فى ظل تلك القضايا العلمية الهامة يستمر القرآن الكريم فيفرق بين السحاب الذى يمطر و السحاب الذى لا يمطر معلنا فى إعجاز علمى أخّاذ أن نزول المطر إنما يتم عن طريق تلقيح الرياح للسحاب، وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ و لقد ثبت علميا أن السحب لكى تمطر يجب أن تستمر الرياح و تدأب على تلقيحها أو إمدادها بجسيمات عناصر المطر و هى بخار الماء و نوى التكاثف و بخار الماء عبارة عن جزئيات منفصلة من الماء، تحملها الرياح من أسطح البحار و المحيطات و تصعد بها إلى مناطق إثارة السحب لكى تتجمع من جديد على جسيمات صغيرة أخرى تذروها الرياح و تعرف باسم «نوى التكاثف». و هذا التفسير الجديد إنما يربط بين أجزاء الآية الكريمة و يجعلها واضحة المعنى، حيث تكون الفاء فى قوله: فَأَنْزَلْنا هى فاء السببية، أى نجم عن هذا التلقيح إخصاب

السحاب، و من ثم نزول الماء العذب و هو المطر) «۳». ۲- و عند ما یفسر قوله تعالی: وَ السَّماءَ بَنَیْناها بِأَیْدٍ وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ «۴» یقول: (قال الأقدمون: إن هذه الآیة الکریمة تشیر إلی حقیقة ما لدی الخالق من عظیم القدرة (____۱) سورة الحجر، الآیة: ۲۲. (۲) سورة الروم، الآیة: ۴۸. (۳) انظر: الإسلام و قوانین الوجود، محمد جمال الفندی، ص: ۵۶. (۴) سورة الذاریات، الآیة: ۴۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۲۷ و اتساع الملک رغم ما أودعه فی الکون الفسیح من ألوان المادة و أجرام السماء، أی أن کلمة «موسعون» إنما تشیر إلی الیسر و الغنی ... و بتقدم آلات الرصد عرفت المجرات، و أقرب المجرات إلینا مجرة «المرأة المسلسلة» و هی تبعد عن مجرتنا بنحو ۷۰۰ ألف سنة ضوئیة «۱»، و ما زالت أبعاد الکون تتسع حتی عرف الناس الیوم أن هناک نجوما هی فی الواقع مجرات، تبدو لفرط بعدها عنا علی هیئة نقط مضیئة هی أشباه النجوم و تبعد عنا بنحو ۱۲ ألف ملیون سنة ضوئیة!. إننا مرة أخری نسلم بحقیقة المعنی الأول لکلمة «موسعون» کما أننا نسلم بصحة التفسیر الحدیث الذی سقناه، حیث إنه فعلا اتسعت أبعاد الکون المرئی أمام البشر اتساعا یکاد لا یصدقه العقل بتقدم آلات الرصد و التتبع، علی أن هناک معنی آخر یشیر إلی حقیقة أن الکون یتمدد، أی تزداد أبعاده بمرور الزمن و هذه إحدی نتائج حسابات النسبیة، إلا أن الآیة الکریمة إنما تضم هذه التفسیرات و الحقائق العلمیة السلیمة کلها، و رأینا إذا کیف سایر رکب العلم ما أثاره القرآن الکریم من قضایا العلم العامة ...) «۲».

ثالثا- الشیخ أحمد مصطفی المراغی:

ثالثا- الشیخ أحمد مصطفی المراغی: یعلن الشیخ المراغی فی مقدمة تفسیره عن المنهج الذی سلکه فی تفسیر القرآن الکریم، و یدقق علی أهمیة تلاقح المعرفة، بحیث یستند المفسر لکتاب اللّه فی قضایا العلم علی المختصین فی العلوم الکونیة و الطبیعیة، لیکون لکلامه وزن و ثقل و مصداقیة، و أن یواکب العلوم العصریة و مستجداتها و لا یرکن إلی ما قیل فی قضایا العلم قبل قرون ... یقول المراغی فی مقدمة تفسیره: (و قد سلکنا فی الوصول إلی فهم الآیات التی أشارت إلی بعض نظریات فی مختلف الفنون استطلاع آراء العارفین بها، فاستطلعنا آراء الطبیب النطاسی، و الفلکی العارف، و المؤرخ الثبت، و الحکیم البصیر لیدلی کل برأیه فیما تمهر فیه، لنعلم ما أثبته العلم و أنتجه الفکر، فیکون کلامنا معتزا بکرامة المعرفة التی تشرف بتفهم کتاب اللّه، فرجل الدین حامل لوائها علیه أن یسأل العلم دائما یستبصر بما ثبت لدیه، و یسایر عصره ما وجد إلی ذلک سبیلا، فإن قعدت به همته (____۱) السنة الضوئیة: (raey thgil) المسافة التی یقطعها الضوء خلال سنة. موجز فی تاریخ الزمان، ستیفن هوکنغ، ص: ۲۰۸. (۲) انظر: الإسلام و قوانین الوجود، محمد جمال الفندی، ص: ۵۸- ۵۹. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۲۸ إلی الموروث من قضایاه لدی الماضین رکب شططا و ازداد بعدا عن الحقیقة، و تضاءل أمام نفسه و أمام قارئی بحوثه و مؤلفاته) «۱». و إذا ما أردنا أن نتبین التطبیق العملی لهذا المنهج فلنستعرض بعض الأمثلة التی أوردها فی تفسیره و کیف وازن بین آیات القرآن الکریم و بین مستجدات العلم. ففی تفسیره لقول اللّه تعالی: وَ هُوَ الَّذِی مَدَّ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِیها رَواسِیَ وَ أَنْهاراً وَ مِنْ کُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فِیها زَوْجَیْنِ اثْنَیْنِ یُغْشِی اللَّیْلَ النَّهارَ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَتَفَکَّرُونَ (۳) «۲». یقول المراغی: (وَ هُوَ الَّذِی مَدَّ الْأَرْضَ أی جعلها متسعة ممتدة فی الطول و العرض لتثبت علیها الأقدام، و یتقلب علیها الحیوان، و ینفع الناس بخیراتها و زرعها و ضرعها ... و لا شک أن الأرض لعظم سطحها هی فی رأی العین کذلک، و هذا لا یمنع کرویتها التی قد قامت علیها الأدلة لدی علماء الفلک، و لم یبق لدیهم فیها ریب ... ثم یقول: وَ مِنْ کُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فِیها زَوْجَیْنِ أی و جعل فیها من کل أصناف الثمرات زوجین اثنین ذکرا أو أنثی حین تکونها، فقد أثبت العلم حدیثا أن الشجر و الزرع لا یولدان الثمر و الحب إلا من اثنین ذکر و أنثی، و عضو التذکیر قد یکون مع عضو التأنیث فی شجرة واحدة کأغلب الأشجار، و قد یکون عضو التذکیر فی شجرة و عضو التأنیث فی شجرة أخری کالنخل، ما کان العضوان فیه فی شجرة واحدة

إما أن يكونا معا فى زهرة واحدة كالقطن، و إما أن يكون كل منهما فى زهرة كالقرع مثلا) «۳». و فى بيانه تعالى: وَ الشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَها ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (۳۸) «۴» يقول: (أى و الشمس تجرى حول مركز مدارها الثابت الذى تسير حوله بحسب وضعها النجمى، فقد ثبت أن لها حركة رحوية حول هذا المركز تقدّر بمائتى ميل فى الثانية، و هذا الوضع العجيب من تقدير العزيز القاهر لعباده ... ثم يقول: و علماء الفلك قديما جعلوا الكواكب مركوزة فى الأفلاك على ما نراه فى كتبهم، فليس للكوكب أن يسبح من تلقاء نفسه، بل لا بد له من حامل يحمله و هو الذى يدور به و كيف يسبح ما لا حرية له، و لا قدرة له على السير بل هو محمول على غيره؟ هكذا كان الرأى عندهم، و لكن رأى

(______________________________ ۱) تفسير المراغى، أحمد مصطفى المراغى، ۱/ ۱۸. (۲) سورة الرعد، الآية: ۳. (۳) تفسير المراغى، أحمد مصطفى المراغى، ۳۱/ ۶۶. (۴) سورة يس، الآية: ۳۸. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۲۹ علماء الفلك المحدثين: أن جميع الكواكب تسير فى مدارات فى عالم الأثير فهى إذا كأنها سمك فى بحر لجى ... ثم يعقب قائلا: فاعجب أيها القارئ الكريم للقرآن كيف أثبت ما دل على صحته الكشف الحديث، و دحض تلك الآراء التى كانت شائعة عصر التنزيل لدى علماء الفلك من اليونان و الهند و الصين) «۱». بعد هذه الجولة السريعة فى صفحات كتب المثبتين لقضية الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم، من العلماء القدامى و المعاصرين، ننتقل فى المبحث الآتى لنتعرف على أبرز المعارضين لتفسير القرآن على أساس العلم من العلماء القدامى و المعاصرين.

(______________________________ ۱) تفسير المراغى، أحمد مصطفى المراغى، ۲۳/ ۱۰- ۱۱. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۳۰

المبحث الثالث أبرز المعارضين من العلماء القدامى و المعاصرين

اشارة

المبحث الثالث أبرز المعارضين من العلماء القدامى و المعاصرين إذا كان قد وجد من العلماء القدامى من دعا و تبنى قضية التفسير العلمى للقرآن، فإن من العلماء القدامى من قد عارض هذا الاتجاه و رده، و على رأس هؤلاء العالم الأصولى الكبير، و الذى أخذ كتابه «الموافقات» شهرة كبيرة فى أوساط العلماء منذ قرون، إنه الإمام الشاطبى.

أولا- المعارضون من العلماء القدامى:

الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطى الشاطبى «۱»:

الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطى الشاطبى «۱»: عرض الإمام الشاطبى فى كتابه «الموافقات» لأمية الرسول، و أمية هذه الأمة، و ساق أدلة على أمية هذه الأمة من القرآن الكريم و السنة المطهرة، و بما أننا أمة أمية فإن الشريعة التى نزلت فينا أمية كذلك؟ على هذا الأساس كان منطلق رده لقضية التفسير العلمى للقرآن. يقول الإمام الشاطبى: (ما تقرر من أمية الشريعة و أنها جارية على مذاهب أهلها و هم العرب ينبنى عليه قواعد: ۱- منها: أن كثيرا من الناس تجاوزوا فى الدعوى على القرآن الحدّ، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين: من علوم الطبيعيات، و التعاليم و المنطق، و علم الحروف، و جميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون و أشباهها، و هذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح، و إلى هذا فإن السلف الصالح من الصحابة و التابعين و من يليهم كانوا

(______________________________ ۱) ...- ۷۹۰ ه ... ۱۳۸۸، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمى الغرناطى الشاطبى، أصولى حافظ، كان من أئمة المالكية، من مؤلفاته، أصول النحو، و الاعتصام بالسنة، و

الاتفاق فی علم الاشتقاق، و الموافقات فی أصول الشریعة، و غیرها. انظر: الأعلام للزرکلی، ۱/ ۷۵، بتصرف. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۳۱ أعرف بالقرآن و بعلومه و ما أودع فیه، و لم یبلغنا أنه تکلم أحد منهم فی شیء من هذا المدعی، سوی ما تقدم و ما ثبت فیه من أحکام التکالیف و أحکام الآخرة، و ما یلی ذلک، و لو کان لهم فی ذلک خوض و نظر، لبلغنا منه ما یدلّنا علی أصل المسألة؛ إلا أن ذلک لم یکن، فدل علی أنه غیر موجود عندهم، و ذلک دلیل علی أن القرآن لم یقصد فیه تقریر لشیء مما زعموا نعم، تضمن علوما هی من جنس علوم العرب، أو ما ینبنی علی معهودها مما یتعجب منه أولو الألباب، و لا تبلغه إدراکات العقول الراجحة دون الاهتداء بأعلامه، و الاستنارة بنوره، أما أن فیه ما لیس من ذلک فلا) «۱». ثم یشرع الشاطبی رحمة اللّه بذکر أدلة المجیزین لقضیة الإعجاز و یردها، فیقول: (و ربما استدلوا علی دعواهم بقوله تعالی: وَ نَزَّلْنا عَلَیْکَ الْکِتابَ تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْءٍ «۲» و قوله: ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْءٍ «۳» و نحو ذلک، و بفواتح السور و هی مما لم یعهد عند العرب و بما نقل عن الناس فیها، و ربما حکی من ذلک عن علی بن أبی طالب رضی اللّه عنه و غیره أشیاء. فأما الآیات فالمراد بها عند المفسرین ما یتعلق بحال التکلیف و التعبد، أو المراد بالکتاب فی قوله تعالی: ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْءٍ اللوح المحفوظ، و لم یذکروا فیها ما یقتضی تضمنه لجمیع العلوم النقلیة و العقلیة. و أما فواتح السور فقد تکلم الناس فیها بما یقتضی أن للعرب بها عهدا، کعدد الجمل الذی تعرفوه من أهل الکتاب، حسبما ذکره أصحاب السیر، أو هی من المتشابهات التی لا یعلم تأویلها إلا اللّه تعالی، و غیر ذلک. و أما تفسیرها بما لا عهد به فلا یکون، و لم یدّعه أحد ممن تقدم، فلا دلیل فیها علی ما ادّعوا و ما ینقل عن علیّ أو غیره فی هذا لا یثبت، فلیس بجائز أن یضاف إلی القرآن ما لا یقتضیه، کما أنه لا یصح أن ینکر منه ما یقتضیه، و یجب الاقتصار فی الاستعانة علی فهمه علی کل ما یضاف علمه إلی العرب خاصة، فبه یوصل إلی علم ما أودع من

(____ ۱) الموافقات فی أصول الشریعة، إبراهیم بن موسی بن محمد اللخمی الغرناطی الشاطبی، بیروت، دار المعرفة، الطبعة الرابعة، ۱۴۲۰ ه/ ۱۹۹۹، ۲/ ۳۸۹- ۳۹۰. (۲) سورة النحل، الآیة: ۹۸. (۳) سورة الأنعام، الآیة: ۳۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۳۲ الأحکام الشرعیة، فمن طلبه بغیر ما هو أداة له ضلّ عن فهمه، و تقوّل علی اللّه و رسوله فیه، و الله أعلم، و به التوفیق) «۱». (و منطق الشاطبی هنا منطق قوی، و أدلته لا مطعن فیها، إلا ما کان من اعتماده علی أمیة الشریعة، بناء علی أمیة الأمة، ذلک أن أمیة الأمة لیست أمرا مطلوبا و لا مرغوبا فیه، بل بعث اللّه رسوله فی الأمیین لیخرجهم من الأمیة إلی باحة العلم و النور کما قال تعالی: هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّیِّینَ رَسُولًا مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِهِ وَ یُزَکِّیهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ إِنْ کانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلالٍ مُبِینٍ «۲» فهذه مهمة الرسول صلی اللّه علیه و سلم مع الأمیین: التلاوة و التزکیة و تعلیم الکتاب و الحکمة، و لا أعجب أن کانت الآیات الأولی من الوحی تنبئ بذلک اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ «۳» فالأمیة ممدوحة فی حقه صلی اللّه علیه و سلم لأنها أدل علی الإعجاز، و لیست ممدوحة فی حق الأمة، و علی الأمة أن تتحرر منها لتتعلم و تتفقه و تنظر فی ملکوت السموات و الأرض ...) «۴».

ثانیا- المعارضون من العلماء المعاصرین

۱- الشیخ محمود شلتوت «۵»:

۱- الشیخ محمود شلتوت «۵»: لم یخرج شیخ الأزهر محمود شلتوت عن الأطر التی رسمها الشاطبی لمعارضته، فها هو ذا یعلن معارضته الواضحة لتفسیر القرآن علی أساس العلم فی مقدمة تفسیره فیقول: (و أما الناحیة الثانیة: فإن طائفة أخری فهی طائفة المثقفین الذین أخذوا بوافٍ من العلم الحدیث، و تلقنوا أو تلقفوا شیئا من النظریات العلمیة و الفلسفیة و غیرها،

(____ ۱) الموافقات، إبراهیم بن موسی بن

محمد اللخمى الغرناطى الشاطبى، ۲/ ۳۹۰. (۲) سورة الجمعة، الآية: ۲. (۳) سورة العلق، الآية: ۱. (۴) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، يوسف القرضاوى، القاهرة، دار الشروق، الطبعة الأولى، ۱۴۱۹ ه/ ۱۹۹۹، ص ۳۷۷- ۳۷۸. (۵) ۱۳۱۰- ۱۳۸۳ ه، ۱۸۹۳- ۱۹۶۳، محمود شلتوت، فقيه و مفسر ولد فى منية بنى منصور فى البحيرة، و تخرج بالأزهر عام ۱۹۱۸ و كان داعية إصلاح نير الفكر، و من أعضاء كبار العلماء، و من أعضاء مجمع اللغة العربية، ثم تعين شيخا للأزهر عام ۱۹۵۸، إلى وفاته، له ۲۶ مؤلفا مطبوعا منها: التفسير، و حكم الشريعة، و القرآن و المرأة، و غيرها. انظر: الأعلام، للزركلى، ۷/ ۱۷۳، بتصرف. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۳۳ أخذوا يستندون إلى ثقافتهم الحديثة، و يفسّرون آيات القرآن على مقتضاها، نظروا فى القرآن فوجدوا اللّه سبحانه و تعالى يقول: وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَ لا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ ما فَرَّطْنا فِى الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ «۱» فتأولوها على نحو زين لهم أن يفتحوا فى القرآن فتحا جديدا، ففسروه على أساس من النظريات العلمية المستحدثة، و طبّقوا آياته على ما وقعوا عليه من قواعد العلوم الكونية و ظنوا أنهم بذلك يخدمون القرآن، و يرفعون من شأن الإسلام، و يدعون له أبلغ دعاية فى الأوساط العلمية و الثقافية. نظروا فى القرآن على هذا الأساس، فأفسد ذلك عليهم أمر علاقتهم بالقرآن، و أفضى بهم إلى صور من التفكير لا يريدها القرآن، و لا تتفق مع الغرض الذى من أجله أنزله اللّه، فإذا مرت آية فيها ذكر للمطر أو وصف للسحاب أو حديث عن الرعد أو البرق تهللوا و استبشروا و قالوا: هذا هو القرآن يتحدث إلى العلماء الكونيين، و يصف لهم أحدث النظريات العلمية عن المطر و السحاب و كيف ينشأ و كيف تسوقه الرياح، و إذا رأوا القرآن يذكر الجبال أو يتحدث عن النبات أو الحيوان و ما خلق اللّه من شىء قالوا: هذا حديث القرآن عن علوم الطبيعة و أسرار الطبيعة، و إذا رأوه يتحدث عن الشمس و القمر و الكواكب و النجوم، قالوا: هذا حديث يثبت لعلماء الهيئة و الفلكيين أن القرآن كتاب علمى دقيق ...) «۲». و بعد استعراضه بعض الآيات التى فسّرت تفسيرا علميا يقول: (إن هؤلاء فى عصرنا الحديث لمن بقايا قوم سافلين فكّروا مثل هذا التفكير، و لكن على حسب ما كانت توحى به إليهم أحوال زمانهم فحاولوا أن يخضعوا القرآن لما كان عندهم من نظريات علمية أو فلسفية أو سياسية) «۳». ثم يبين جوانب الخطأ فى هذا الاتجاه فيقول: (هذه النظرة للقرآن خاطئة من غير شك، لأن اللّه لم ينزل القرآن ليكون كتابا يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم و دقائق الفنون و أنواع المعارف.

(____ ۱) سورة الأنعام، الآية: ۳۸. (۲) تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت، القاهرة، دار الشروق، الطبعة السادسة، ۱۳۹۴ ه/ ۱۹۷۴، ص ۱۱. (۳) المصدر نفسه، ص: ۱۱. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۳۴ و هى خاطئة: من غير شك لأنها تحمل أصحابها و المغرمين بها على تأويل القرآن تأويلا متكلفا يتنافى مع الإعجاز و لا يسيغه الذوق السليم. و هى خاطئة: لأنها تعرّض القرآن للدوران مع مسائل العلوم فى كل زمان و مكان، و العلوم لا تعرف الثبات و لا القرار و لا الرأى الأخير، فقد يصح اليوم فى نظر العلم ما يصبح غدا من الخرافات. فلو طبقنا القرآن على هذه المسائل العلمية المتقلبة، لعرضناه للتقلب معها، و تحمل تبعات الخطأ فيها، و لأوقفنا أنفسنا بذلك موقفا حرجا فى الدفاع عنه. فلندع للقرآن عظمته و جلاله، و لنحفظ عليه قدسيته و مهابته، و لنعلم أن ما تضمنه من الإشارات إلى أسرار الخلق و ظواهر الطبيعة إنما هو لقصد الحث على التأمل و البحث و النظر ...) «۱».

۲- سيد قطب «۲»:

۲- سيد قطب «۲»: موقف سيد قطب رحمه اللّه تعالى هو نفس موقف الشاطبى و شلتوت، و لندع لقلمه البليغ أن يعرب عما يعتقده فى هذا المجال، و سوف نقتبس رأيه من تفسيره «الظلال» عند تعليقه على آية الأهلة يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَواقِيتُ لِلنَّاسِ وَ الْحَجِّ وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها وَ لكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقى وَ أْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ «۳». يقول: (القرآن قد جاء لما هو أكبر من تلك المعلومات الجزئية، و لم يجىء ليكون كتاب علم فلكى أو كيماوى أو طبى كما يحاول بعض المتحمسين

لـه أن یلتمسـوا فیـه هـذه (______________________________________ ۱) تفسیر القرآن الکریم، محمود شلتوت، ص: ۱۲. (۲) ۱۳۲۴- ۱۳۸۷ ه، ۱۹۰۶- ۱۹۶۶، الشهید سید بن قطب بن إبراهیم، مفکر إسلامی مصری من موالیـد قریـهٔ «موشا» فی أسیـوط، تخرج بکلیـهٔ دار العلوم بالقاهرهٔ، و عمل فی جریـدهٔ الأهرام، و کتب فی مجلتی الرسالهٔ و الثقافهٔ، أوفـد فی بعثـهٔ لدراسهٔ برامج التعلیم فی أمریکا، ثم انضم إلی الإخوان المسـلمین، فترأس قسم نشـر الدعوهٔ و تولی تحریر جریدتهم، و سجن معهم، فعکف علی تألیف الکتب و نشـرها و هو فی سـجنه إلی أن صـدر الأمر بإعـدامه فأعدم، کتبه کثیرهٔ و مطبوعهٔ منها، النقد الأـدبی، و العدالـهٔ الاجتماعیـهٔ فی الإسـلام، و التصویر الفنی فی القرآن، و فی ظلال القرآن، و غیرها. انظر: الأعلام، للزرکلی ۳/ ۱۴۸، بتصرف. (۳) سورهٔ البقرهٔ، الآیـهٔ: ۱۸۹. الإعجـاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحـدیث، ص: ۱۳۵ العلوم، أو کمـا یحاول بعض الطاعنین فیه أن یتلمسوا مخالفاته لهذه العلوم، إن کلتا المحاولتین دلیل علی سوء الإدراک لطبیعهٔ هذا الکتاب و وظیفته و مجال عمله، إن مجاله هو النفس الإنسانیـهٔ و الحیاهٔ الإنسانیـهٔ، و إن وظیفته أن ینشـئ تصورا عاما للوجود و ارتباطه بخالقه، و لوضع الإنسان فی هذا الوجود، و ارتباطه بربه، و أن یقیم علی أساس هذا التصور نظاما للحیاهٔ یسـمح للإنسان أن یستخدم کل طاقاته، و من بینها طاقته العقلیهٔ التی تقوم هی بعد تنشئتها علی استقامهٔ، و إطلاق المجال لها لتعمل بالبحث العلمی فی الحدود المتاحهٔ للإنسان و بالتجریب و التطبیق، و تصـل إلی ما تصل إلیه من نتائـج لیست نهائیـهٔ و لا مطلقـهٔ بطبیعـهٔ الحال، إن مادهٔ القرآن التی یعمل فیها هی الإنسان ذاته، تصوره و اعتقاده و مشاعره و مفهوماته و سـلوکه و أعماله و روابطه و علاقاته، أما العلوم المادیهٔ و الإبداع فی عالم المادهٔ بشتی وسائله و صنوفه فهی موکولـهٔ إلی عقـل الإنسـان و تجـاربه و کشوفه و فروضه و نظریـاته، بمـا أنهـا أسـاس خلافته فی الأرض و بما أنه مهیأ لها بطبیعهٔ تکـوینه، و القرآن یصـحح له فطرته کی لاـ تنحرف و لاـ تفسـد و یصـحح له النظـام الـذی یعیش فیه کی یسـمح له باسـتخدام طاقـاته الموهوبـهٔ له، و یزوده بـالتصور العـام لطبیعـهٔ الکون و ارتبـاطه بخـالقه و تنـاسق تکوینه، و طبیعـهٔ العلاقـهٔ القائمـهٔ بین أجزائه، و هو أی «الإنسـان» أحـد أجزائه، ثم یـدع له أن یعمـل فی إدراک الجزئیـات و الانتفـاع بهـا فی خلافته، و لا یعطیه تفصـیلات لأن معرفـهٔ هـذه التفصـیلات جزء من عمله الذاتی ... و إنی لأعجب لسذاجهٔ المتحمسـین لهذا القرآن الذین یحاولون أن یضیفوا إلیه ما لیس منه، و أن یحملوا علیه مـا لم یقصـد إلیه، و أن یسـتخرجوا منه جزئیـات فی علوم الطب و الکیمیـاء و الفلـک و مـا إلیهـا، کأنمـا لیعظموه بهـذا و یکـبروه، إن القرآن کتـاب کامـل فی موضوعه، و موضوعه أضـخم من تلـک العلوم کلهـا، لأـنه هو الإنسـان ذاته الـذی یکشف هـذه المعلومـات و ینتفـع بهـا، و البحث و التجریب و التطبیق من خواص العقـل فی الإنسـان، و القرآن یعالـج بنـاء هـذا الإنسـان نفسه بنـاء شخصـیته و ضـمیره و عقله و تفکیره، کما یعالـج بناء المجتمع الإنسانی الـذی یسـمح لهـذا الإنسان بأن یحسن اسـتخدام هذه الطاقات المـذخورهٔ فیه، و بعـد أن یوجـد الإنسان السـلیم التصور و التفکیر و الشـعور و یوجـد المجتمع الذی یسـمح له بالنشاط، یترکه القرآن یبحث و یجرب و یخطئ و یصـیب فی مجـال العلم و البحث و التجریب، و قـد ضـمن له مـوازین التصـور و التـدبر و التفکیر الصـحیح کـذلک لاـ یجوز أن نعلق الحقائق النهائیـهٔ التی یـذکرها القرآن أحیانا عن الکون فی طریقه لإنشاء التصور الصـحیح لطبیعـهٔ الوجود و ارتبـاطه بخـالقه و طبیعـهٔ التنـاسق بین الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحـدیث، ص: ۱۳۶ أجزائه، لاـ یجوز أن نعلق هـذه الحقائق النهائیـهٔ التی یذکرها القرآن بفروض العقل البشـری و نظریاته و لا حتی بما یسـمیه حقائق علمیهٔ مما ینتهی إلیه بطریق التجربهٔ القاطعـهٔ فی نظره، إن الحقائق القرآنیـهٔ حقائق نهائیـهٔ قاطعـهٔ مطلقهٔ، أما ما یصل إلیه البحث الإنسانی أیا کانت الأدوات المتاحهٔ له فهی حقائق غیر نهائیهٔ و لا قاطعهٔ، و هی مقیدهٔ بحدود تجاربه، و ظروف هذه التجارب و أدواتها، فمن الخطأ المنهجی بحکم المنهج العلمی الإنسـانی ذاته، أن نعلق الحقـائق النهائیـهٔ القرآنیـهٔ بحقـائق غیر نهائیـهٔ، و هی کل ما یصل إلیه العلم البشـری هـذا بالقیاس إلی الحقائق العلمیـهٔ و الأمر أوضـح بالقیاس إلی النظریات و الفروض التی تسـمی علمیـهٔ، و من هذه النظریات و الفروض کل النظریات الفلکیهٔ، و کـل النظریـات الخاصـهٔ بنشأهٔ الإنسـان و أطواره، و کـل النظریـات الخاصـهٔ بنفس الإنسـان و سـلوکه، و کـل النظریات الخاصـهٔ بنشأهٔ المجتمعـات و أطوارهـا، فهـذه کلهـا لیست حقـائق علمیـهٔ حتی بالقیاس الإنسانی، و إنما هی نظریات و فروض کل قیمتها أنها تصـلح

لتفسير أكبر قدر من الظواهر الكونية أو الحيوية أو النفسية أو الاجتماعية إلى أن يظهر فرض آخر يفسّر قدرا أكبر من الظواهر أو يفسر تلك الظواهر تفسيرا أدق، و من ثم فهى قابلة دائما للتغيير و التعديل و النقص و الإضافة؛ بل قابلة لأن تنقلب رأسا على عقب بظهور أداة كشف جديدة أو بتفسير جديد لمجموعة الملاحظات القديمة و كل محاولة لتعليق الإشارات القرآنية العامة بما يصل إليه العلم من نظريات متجددة متغيرة أو حتى بحقائق علمية، ليست مطلقة كما أسلفنا تحتوى أولا على خطأ منهجى أساسى كما أنها تنطوى على معان ثلاثة كلها لا يليق بجلال القرآن الكريم. الأولى هى: الهزيمة الداخلية التى تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن و القرآن تابع، و من هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم أو الاستدلال له من العلم على حين أن القرآن كتاب كامل فى موضوعه و نهائى فى حقائقه و العلم ما يزال فى موضوعه ينقض اليوم ما أثبته بالأمس، و كل ما يصل إليه غير نهائى، و لا مطلق، لأنه مقيد بوسط الإنسان و عقله و أدواته، و كلها ليس من طبيعتها أن تعطى حقيقة واحدة نهائية مطلقة. و الثانية: سوء فهم طبيعة القرآن و وظيفته، و هى أنه حقيقة نهائية مطلقة، تعالج بناء الإنسان بناء يتفق بقدر ما تسمح طبيعة الإنسان النسبية مع طبيعة هذا الوجود و ناموسه الإلهى، حتى لا يصطدم الإنسان بالكون من حوله، بل يصادقه و يعرف بعض أسراره و يستخدم بعض نواميسه فى خلافته، نواميسه التى تكشف له بالنظر و البحث و التجريب الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۳۷ و التطبيق وفق ما يهديه إليه عقله الموهوب له ليعمل لا ـ ليتسلم المعلومات المادية جاهزة. و الثالثة هى: التأويل المستمر مع التمحل و التكلف لنصوص القرآن كى نحملها و نلهث بها وراء الفروض و النظريات التى لا ـ تثبت و لا ـ تستقر و كل يوم يجد فيها جديد، و كل أولئك لا يتفق و جلال القرآن كما أنه يحتوى على خطأ منهجى كما أسلفنا ...) «۱».

۳- محمد عبد العظيم الزرقانى «۲»:

۳- محمد عبد العظيم الزرقانى «۲»: عقد الشيخ الزرقانى فى كتابه القيّم «مناهل العرفان فى علوم القرآن» بابا بعنوان: موقف القرآن من العلوم الكونية، و فيه يعلن معارضته للتفسير العلمى للقرآن الكريم، يقول: (موقف القرآن من العلوم الكونية ... و معنى هذا أن القرآن روعيت فيه بالنسبة إلى العلوم الكونية اعتبارات خمسة لا يصدر مثلها عن مخلوق، فضلا عن رجل أمى نشأ فى الأميين و هو محمد صلى اللّه عليه و سلم. أولها: أنه لم يجعل تلك العلوم الكونية من موضوعه، و ذلك لأنها خاضعة لقانون النشوء و الارتقاء و فى تفاصيلها من الدقة و الخفاء ما يعلو على أفهام العامة، ثم إن أمرها بعد ذلك هين بإزاء ما يقصده القرآن من إنقاذ الإنسانية العاثرة و هداية الثقلين إلى سعادة الدنيا و الآخرة، فالقرآن كما أسلفنا فى المبحث الأول كتاب هداية و إعجاز، و على هذا فلا يليق أن نتجاوز به حدود الهداية و الإعجاز حتى إذا ذكر فيه شىء من الكونيات فإنما ذلك للهداية و دلالة الخلق على الخالق، و لا يقصد القرآن مطلقا من ذكر هذه الكونيات أن يشرح حقيقة علمية فى الهيئة و الفلك أو الطبيعة و الكيمياء، و لا أن يحل مسألة حسابية أو معادلة جبرية أو نظرية هندسية، و لا أن يزيد فى علم الطب بابا و لا فى علم التشريح فصلا، و لا أن يتحدث عن علم الحيوان أو النبات أو طبقات الأرض إلى غير ذلك (______________________________ ... ۱)

فى ظلال القرآن، سيد قطب، القاهرة، دار الشروق، الطبعة الخامسة و العشرون، ۱۴۱۷ ه/ ۱۹۹۶، ۱/ ۱۸۰- ۱۸۲. (۲) ...- ۱۳۶۷ ه ...- ۱۹۴۸ ه، محمد عبد العظيم الزرقانى، من علماء الأزهر بمصر، تخرج بكلية أصول الدين، و عمل بها مدرسا لعلوم القرآن و الحديث، و توفى بالقاهرة، من أشهر كتبه، مناهل العرفان فى علوم القرآن. انظر: الأعلام، للزركلى، ۶/ ۲۱۰، بتصرف. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۳۸ و لكن بعض الباحثين طاب لهم أن يتوسّعوا فى علوم القرآن و معارفه، فنظموا فى سلكها ما بدا لهم من علوم الكون، و هم فى ذلك مخطئون و مسرفون، و إن كانت نيتهم حسنة و شعورهم نبيلا، و لكن النية و الشعور مهما حسنا لا يسوغان أن يحكى الإنسان غير الواقع، و يحمل كتاب اللّه على ما ليس من وظيفته ... إن وظيفته فى هداية العالم أسمى وظيفة فى الوجود، و مهمته فى إنقاذ الإنسانية أعلى مهمة فى الحياة، و ما العلوم الكونية بإزاء الهدايات القرآنية؟ أ ليس العالم الآن يشقى بهذه

العلوم و یخترب و ینتحر؟ ثم أ لیست العلوم الکونیة هی التی ترمی الناس فی هذه الأیام بالمنایا و تقذفهم بالحمم و تظهر لهم علی أشکال مخیفة مزعجة من مدافع رشاشة و دبابات فتاکة و طائرات أزازة و قنابل مهلکة و غازات محرقة و مدمرات فی البر و البحر و فی الهواء و الماء؟ و ما أشبه هذه العلوم للإنسان بعد تجرده من هدی اللّه و وحی السماء بالأنیاب و المخالب للوحوش الضاریة و السباع الواغلة فی أدیم الغبراء. ثانیها: أن القرآن دعا إلی هذه العلوم ما دعا إلیه من البحث و النظر و الانتفاع بما فی الکون من نعم و عبر، قال اللّه سبحانه و تعالی: قُلِ انْظُرُوا ما ذا فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما تُغْنِی الْآیاتُ وَ النُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا یُؤْمِنُونَ «۱»، و قال جل شأنه: وَ سَخَّرَ لَکُمْ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً مِنْهُ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَتَفَکَّرُونَ «۲». ثالثها: أن القرآن حین عرض لهذه الکونیات أشعرنا أنها مربوبة له تعالی و مقهورة لمراده، و نفی عنها ما علق بأذهان کثیر من الضالین الذین توهموها آلهة و هی مألوهة و زعموها ذات تأثیر و سلطان بینما هی خاضعة لقدرة اللّه و سلطانه ... رابعها: أن القرآن حین یعرض لآیة کونیة فی معرضة من معارض الهدایة، یتحدّث عنها حدیث المحیط بعلوم الکون، الخبیر بأسرار السموات و الأرض الذی لا تخفی علیه خافیة فی البر و البحر و لا ـ فی النجوم و الکواکب و لا ـ فی السحاب و الماء و لا فی الإنسان و الحیوان و النبات و الجماد، و ذلک هو الذی بهر بعض المشتغلین بالعلوم الکونیة و أوقع من أوقع منهم فی الإسراف، و اعتبار هذه العلوم من علوم القرآن. خامسها: أن الأسلوب الذی اختاره القرآن فی التعبیر عن آیات اللّه الکونیة، أسلوب بارع جمع بین البیان و الإجمال فی سمت واحد، بحیث یمر النظم القرآنی الکریم علی (____ ۱) سورة یونس، الآیة: ۱۰۱. (۲) سورة الجاثیة، الآیة: ۱۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۳۹ سامعیه فی کل جیل و قبیل فإذا هو واضح فیما سبق له من دلالة الإنسان و هدایته إلی اللّه، ثم إذا هو مجمل التفاصیل یختلف الخلق فی معرفة تفاریعه و دقائقه باختلاف ما لدیهم من مواهب و مسائل و علوم و فنون ...) «۱». ثم یعقب قائلا: (و لا أحب أن نتوسع فی هذا، فبین أیدینا أمثلة کثیرة و مؤلفات جمة تموج و تضطرب باستنباط علوم الکون من القرآن أو بتفسیر القرآن و شرحه بعلوم الکون و أحداثها، فیما أعلم کتاب تحت الطبع الآن ألفه شاب فاضل مثقف و سماه بین القرآن و العلم و ضمنه شتیتا من الأبحاث المختلفة فی الاجتماع و علم النفس و علم الوارثة و الزراعة و التغذیة و فیما وراء الطبیعة، مما لا یتسع المقام لذکره، و مما لا نری حاجة إلیه خصوصا بعد أن تبین لنا أن العلوم الکونیة خاضعة لطبیعة الجزر و المد، و أن أبحاثا کثیرة منها لا تزال قلقة حائرة بین إثبات و نفی، فما قاله علماء الهیئة بالأمس ینقضه علماء الهیئة الیوم، و ما قرره علماء الطبیعة فی الماضی یقرر غیره علماء الطبیعة فی الحاضر، و ما أثبته المؤرخون قدیما ینفیه المؤرخون حدیثا، و ما أنکره المادیون و أسرفوا فی إنکاره باسم العلم أصبحوا یثبتونه و یسرفون فی إثباته باسم العلم أیضا، إلی غیر ذلک مما زعزع ثقتنا بما یسمونه العلم، و مما جعلنا لا نطمئن إلی کل ما قرروه باسم هذا العلم ... ثم هل یلیق بعد ذلک کله أن نحاکم القرآن إلی هذه العلوم المادیة القلقة الحائرة، بینما القرآن هو تلک الحقائق الإلهیة العلویة القارة الثابتة المتنزلة من أفق الحق الأعلی الذی یعلم السر و أخفی، ألا إن القرآن لا یفر من وجه العلم، و لکنه یهفو إلی العلم و یدعو إلیه و یقیم بناءه علیه، فأثبتوا العلم أولا و وفروا له الثقة و حققوه ثم اطلبوه فی القرآن، فإنکم لا شک یومئذ واجدوه، و لیس من الحکمة و لا الإنصاف فی شیء أن نحاکم المعارف العلیا إلی المعارف الدنیا، و لا أن نحبس القرآن فی هذا القفص الضیق الذی انحبست فیه طائفة مخدوعة من البشر، بل الواجب أن نتحرّر من أغلال هذه المادة المظلمة، و أن نطیر فی سماوات القرآن حیث نستشرف المعارف النورانیة المطلقة، و الحقائق الإلهیة المشرقة ...) «۲».

۴- محمد رشید رضا:

۴- محمد رشید رضا: یعتبر محمد رشید رضا الناطق العام، و المدافع الأول عن أفکار شیخه محمد عبده، (____ ۱) مناهل العرفان فی علوم القرآن،

للزرقانى، ۲ / ۲۵۷ – ۲۵۸. (۲) مناهل العرفان فى علوم القرآن، عبد العظيم الزرقانى، ۲ / ۲۵۹. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۴۰ لكننا نجده هنا يخالفه و يأخذ بالملامة على الذين يفسرون القرآن بالعلم، ففى مقدمة تفسيره يقول: (كان من سوء حظ المسلمين أن أكثر ما يكتب فى التفسير يشغل قارئه عن هذه المقاصد العالية، و الهداية السامية، فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الإعراب و قواعد النحو، و نكت المعانى و مصطلحات البيان، و منها ما يصرفه عنه بجدل المتكلمين، و تخريجات الأصوليين، و استنباطات الفقهاء المقلدين، و تأويلات المتصوفين، و تعصب الفرق و المذاهب بعضها على بعض، و بعضها يلفته عنه بكثرة الروايات، و ما مزجت به من خرافات الإسرائيليات، و قد زاد الفخر الرازى، صارفا آخر عن القرآن هو ما يورده فى تفسيره من العلوم الرياضية و الطبيعية، و غيرها من العلوم الحادثة فى الملة على ما كانت فى عهده كالهيئة الفلكية اليونانية و غيرها، و قلده بعض المعاصرين بإيراد مثل ذلك من علوم هذا العصر و فنونه الكثيرة الواسعة، فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآية فصولا طويلة بمناسبة كلمة مفردة، كالسماء و الأرض من علوم الفلك و النبات و الحيوان تصد قارئها عما أنزل اللّه لأجله القرآن) «۱». هذا هو رأى المعارضين للإعجاز العلمى فى القرآن الكريم، و سوف يتحدث المبحث القادم بعون اللّه عن أدلة الفريقين مع ذكر الترجيح. (____ ۱) تفسير المنار، رشيد رضا، ۱ / ۷.

الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۴۱

المبحث الرابع أدلة الفريقين

أولا – من أدلة المؤيدين للتفسير العلمى:

أولا- من أدلة المؤيدين للتفسير العلمى: استدل المؤيدون للتفسير العلمى بأدلة كثيرة نذكر منها: ۱- الاستدلال بظاهر عموم بعض الآيات: كبيانه تعالى: ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ «۱» و قوله سبحانه و تعالى: وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ «۲» و قوله تعالى: أَ فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناها وَ زَيَّنَّاها وَ ما لَها مِنْ فُرُوجٍ «۳» و قوله سبحانه: سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ «۴»، و غير ذلك من الآيات الداعية إلى التفكر و التدبر فى خلق اللّه عز شأنه. ۲- الاستدلال بظاهر عموم بعض الأحاديث و الآثار: كحديث أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال: «أنها ستكون فتنة» فقلت: ما المخرج منها يا رسول اللّه؟ قال: «كتاب اللّه فيه نبأ ما قبلكم، و خبر ما بعدكم و حكم ما بينكم، و هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه اللّه، و من ابتغى الهدى فى غيره أضله اللّه، و هو حبل اللّه المتين، و هو الذكر الحكيم و هو الصراط المستقيم، هو الذى لا يزيغ به الأهواء و لا تلتبس به الألسنة، و لا يشبع منه العلماء، و لا يخلق عن كثرة الرد، و لا تنقضى عجائبه، هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى (____ ۱) سورة الأنعام، الآية: ۳۸. (۲) سورة النحل، الآية: ۹۸. (۳) سورة ق، الآية: ۶. (۴) سورة فصلت، الآية: ۵۳. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۴۲ الرشد فآمنا به، من قال به صدق، و من عمل به أجر، و من حكم به عدل، و من دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم خذها إليك يا أعور» «۱». ۳- (و قالوا: إن اللّه سبحانه و تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم و القدرة و الحكمة بأحوال السموات و الأرض، و تعاقب الليل و النهار، و كيفية الضياء و الظلام، و أحوال الشمس و القمر و النجوم، و ذكر هذه الأمور فى أكثر السور و كررها و أعادها مرة بعد أخرى، فلو لم يكن البحث عنها و التأمل فى أحوالهم جائزا لما ملأ اللّه كتابه منها. ۴- أن العلم الحديث قد يكون ضروريا لفهم بعض المعانى القرآنية، و ليس هناك ما يمنع من أن يكون فهم بعض الآيات فهما دقيقا متوقفا على تقدم بعض العلوم، فتكون الحقيقة العلمية من قواعد الترجيح فى التفسير إذا كان للآية أكثر من معنى، فيتعين أن يؤخذ بالمعنى الذى تؤيده الحقائق

العلمیة. ۵- تحقق فوائد کثیرة و منافع کبیرة من التفسیر العلمی منها: أ- إدراک وجوه جدیدة للإعجاز فی القرآن الکریم بإثبات التوافق بین حقائق القرآن الکریم و حقائق العلم. ب- استمالة غیر المسلمین إلی الإسلام و إقناعهم به ببیان إعجاز القرآن العلمی، و إقامة الحجة علیهم بذلک. ج- امتلاء النفوس إیمانا بعظمة اللّه عز و جلّ و عظیم سلطانه و قدرته، بعد الوقوف علی أسرار الکون التی کشفها القرآن) «۲».

ثانیا- من أدلة المعارضین للتفسیر العلمی

ثانیا- من أدلة المعارضین للتفسیر العلمی (و استدل المعارضون للتفسیر العلمی بأدلة منها: ۱- أن للتفسیر شروطا و قیودا قررها العلماء ینبغی الالتزام بها، فلا یکون تفسیر القرآن مباحا لکل من حصّل علما من العلوم و غابت عنه علوم أخری لا بد منها للمفسر، و من ذلک عدم تحمیل ألفاظ القرآن معان و إطلاقات لم توضع لها و لم تستعمل فیها. (____ ۱) رواه الترمذی، ۵ / ۱۷۲، رقم: (۲۹۰۶)، و قال: هذا حدیث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، و إسناده مجهول، و رواه الدارمی، ۲/ ۵۲۶ رقم: (۳۳۳۱). (۲) انظر: دراسات فی علوم القرآن الکریم، فهد بن عبد الرحمن الرومی، ص ۲۹۱- ۲۹۲، و انظر: التفسیر العلمی للقرآن، أحمد عمر أبو حجر، ص ۱۰۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۴۳ ۲- أن القرآن الکریم کتاب هدایة و إرشاد و لیس بکتاب تفصیل لمسائل العلوم و نظریاته و دقائق الاکتشافات و المعارف، و من طلب ذلک من القرآن فقد أساء فهم طبیعة هذا القرآن و وظیفته. ۳- أن التفسیر العلمی مدعاة إلی الزلل لدی أکثر الذین خاضوا فیه من المعارضین، لأن عملیة التوفیق تفترض غالبا محاولة للجمع بین موقفین یتوهم أنهما متعادیان و لا عداء، أو یظن أنهما متلاقیان و لا لقاء. ۴- أن تناول القرآن بهذا المنهج یضطر المفسر إلی مجاوزة الحدود التی تحتملها ألفاظ النص القرآنی لأنه یحس بالضرورة متابعة العلم فی مجالاته المختلفة، فیتعجّل تلمّس المطابقة بین القرآن و العلم تعجلا غیر مشروع. ۵- أن ما یکشف من علوم إنما هو نظریات و فروض قابلة دائما للتغیر و التبدیل و التعدیل و النقض و الإضافة، بل قابلة لأن تنقلب رأسا علی عقب و من ثم فلا یصح أن تعلّق الحقائق القرآنیة النهائیة بمثل تلک النظریات حتی نقف محرجین عند ثبوت بطلان تلک النظریة) «۱». هذه هی أدلة المؤیّدین و المعارضین، و من خلال ما ثار بین الفریقین من مدّ و جزر، و أخذ ورد، و نفی و إثبات، یتّضح لنا أن الجمیع یرید أن یثبت أن القرآن الکریم هو کلام اللّه المنزّه عن النقص و التناقض، و أنه منزل من عند اللّه سبحانه و تعالی ...

الترجیح:

الترجیح: بعد التأمل فی وجهة نظر الفریقین و الوقوف علی ما أوجزنا من أدلتهم، یمکن لنا أن نخلص إلی نتیجة فنقول: دراسة الإعجاز العلمی فی القرآن الکریم لا تقتصر علی الجانب البلاغی و البیانی منه فهو تحدّی العرب إبان نزوله و هم أصحاب الفصاحة و فرسان البلاغة، و طالبهم بأن یأتوا بسورة من مثله فعجزوا و فشلوا ... و القرآن خاطب الإنسانیة جمعاء لأنه منزّل علیها کلها علی اختلاف الألسنة و اللغات، و أمرها بإعلان الدینونة و الولاء له، و لذلک کان لزاما أن نبرز جوانب الإعجاز فی القرآن لکل البشر، و نوضح لهم أسرار القرآن فی الکون و الحیاة، و لکی یتحقق ذلک فإننا نری أن اللّه قد وضع فی القرآن آیات علمیة کونیة یتضح الإعجاز فیها فی کل عصر من العصور (____ ... ۱) دراسات فی علوم القرآن الکریم، فهد الرومی، ص: ۲۹۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۴۴ و خلال عرضنا لنواحی الإعجاز فی القرآن الکریم، ننبه إلی أن عملنا هذا لا یهدف إلی إبراز الحقائق العلمیة الکونیة، و من ثمّ للتدلیل بها علی إثبات مصداقیة القرآن الکریم، و أنه تنزیل الحکیم العلیم، فکتاب اللّه لا یدلل بشیء فی الوجود علی صحته، لأن کل حرف فیه ناطق علی

أنه منزل من لـدن حكيم خبير، إنما سيكون عملنا شرحا و تفصيلا لآيات القرآن الكريم، فكما أن المفسرين القدامى فسروا القرآن على ضوء اللغة، أو ما أثر عن الرسول صلى اللّه عليه و سلم و أصحابه الكرام و التابعين، فكذلك نحن نفسر الآيات العلمية بما يتناسب معها و ينسجم مع منطوقها أعنى الكشوفات العلميـة، و هـذا المنهـج لا يلوى أعناق الآيات و يخضـعها لحقائق العلم، و لا يحمّل النص القرآنى ما لا يحتمل، و بالمقابل فإنه لا يحاول إقحام المعارف الكونيـة إقحاما قسريا لشـرح آيـة من كتاب اللّه، معاذ اللّه، لا هذا و لا ذاك، إنما يعتمـد هذا المنهج على وضوح الحقيقة العلمية و ثباتها و عند ما نقول: «ثباتها» أى إنها غير قابلة للتغيير أو التبديل، آنذاك نعرض من القرآن مـا قـد قرره فى هـذا الصـدد و أثبته فتظهر المعجزة، من ذلـك: حداثـة الكون و خلقه، إنهـا حقيقـة علميـة غير قابلة للتبـديل، فلم يعـد هناك بعـد الكشوفات العلمية أحد يقول بأزلية الكون، إن حداثة الكون أصبحت حقيقة واضحة قطعية، آنذاك و قبـل ذلك نـدلل على هـذه الحقيقـة بآيات القرآن الكريم التى يتحـدث فيها الخالق على خلق الكون من العـدم و إيجاده، و من ذلك دوران الأرض، و انشقاق القمر، و ارتباط وجود الماء بالجبال الشامخات ... الخ، فكل هـذه و غيرها كثير، حقائق ارتقت إلى مستوى القطعيـة و الثبـات. و أيضـا فـإن مما تجـدر الإشارة إليه هنا هو أن القرآن الكريم كتاب هدايـة و نور، و ليس كتاب علوم كونيـة، فاللّه سبحـانه و تعالى جعل الهدايـة التامـة و الحق المبين بين دفّتى القرآن الكريم الـذى أنزله ليخرج الناس به من الظلمات إلى النور، و من عبـادة العبـاد إلى عبـادة رب العبـاد، و من ضـيق الـدنيا إلى سعة الآـخرة، و من جور العباد إلى عـدل الإسـلام، و من وهـدة الفجور و مستنقعات المعاصى إلى اليقين و الهدى، قال تعالى الر كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلى صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ «۱» و قال تعالى: إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ (____۱) سورة إبراهيم، الآيـة: ۱. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشـاف العلمى الحـديث، ص: ۱۴۵ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً «۱» و قال اللّه تبـارك و تعالى: وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً وَ بُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ «۲» فاللّه سـبحانه و تعالى جعل القرآن الكريم نورا للقلوب و حياة للنفوس و ضـبطا للسلوك و دستورا للمجتمعات، قال اللّه تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ «۳». و منهج الهدايـة الربانيـة فى القرآن الكريم تبرز عنـد ما تتناول آياته المباركـة نفس الإنسان بالتربيـة و التهـذيب و التقويم و الإصـلاح، و هـذه الآيات التى تتحـدث عن الوعـد و الوعيد و الجنة و النار و الدنيا و الآخرة، و تلك التى تتحدث عن أخبار الأمم الغابرة، التى سادت ثم بادت بعـد حين من الزمن، و أخرى تتحـدّث عن قصـة وجود الإنسان فوق رحب هـذه الأرض و كيف أنه لا محالة صائر إلى الزوال و الفنـاء، و تلـك التى تنظّم حيـاة الفرد و تقوم سلوكه و تضـبط معاملاته بضوابط الشـرع و أحكامه البينات ... و منها ما فيه حـديث عن ارتباط الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم و الأسس التى ينبغى أن تسير وفقها الأمة الإسلامية فى معاملاتها مع غيرها ... و هكذا فإننا نجد أن القرآن الكريم حافل بموضوعات شتّى و متعـددة كلها تصب فى النهايـة فى بوتقة واحدة ألا و هى هداية الإنسان إلى الحق المبين. لكن مع هـذه الهدايـة فى العقيدة و التشـريع و الخلق و السـلوك، نجد أن فى القرآن الكريم صـنفا آخر من أصـناف الهداية، ألا و هو وجود آيات كونيـة و حقائق علمية وضـعها الحق عز و جلّ فى صـفحات كتابه المجيد لتكون مؤشـرا على عظمة الخالق و لتكون دليلا على أن هـذا القرآن هو وحى السـماء إلى الأـرض و بـذلك يزداد المؤمن إيمانا، و يتنبه غير المسـلم إلى حقائقه العلميـة التى سـبقت ركاب العلم و أساطين المعرفـة، فيخضع لسلطانها و ينقاد لصـدقها فيعلن ولائه للّه سـبحانه و تعالى، فالقرآن إذا ليس كتاب فلك و لا كتـاب طب أو جيولوجيـا ... لاـ إنما هو كتاب هدايـة و نور، و ما الحقائق العلميـة فى القرآن و الإشارات الكونيـة، إلا سبيلا من سـبل الهدايـة، و مدخلا واسعا لرحاب الحق و رياض الإيمان. و من أهم ما ينبغى أن يسترعى انتباهنا و نحن ندعو إلى اللّه فى هذا الميدان، أن (____۱) سـورة الإسـراء، الآيـة: ۹. (۲) سورة النحل، الآية: ۸۹. (۳) سورة الأنفال، الآية: ۲۴. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحـديث، ص: ۱۴۶ التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن الكريم، إنما يخضع لتلك الضوابط و القيود التى نصّ عليها المفسرون و ستذكر فيما بعد. و أعجب فى هذا

الصـدد لمن یحاول إنکار قضـیة الإعجاز فی القرآن أو السـنة و یرید أن یحصـر الإسـلام فی قضایا التشـریع و المعاملات و الخلق ... و خلال التوصیف نقول لمثل هؤلاء الأحباب المخلصین: ثمة آیات کثیرة فی کتاب اللّه نجانب الصواب إن لم نفسرها علی أساس العلم، فعلی سبیل المثال، کیف لنا أن نفسّر قول الله تعالی: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ یُزْجِی سَحاباً ثُمَّ یُؤَلِّفُ بَیْنَهُ ثُمَّ یَجْعَلُهُ رُکاماً فَتَرَی الْوَدْقَ یَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَ یُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِیها مِنْ بَرَدٍ فَیُصِیبُ بِهِ مَنْ یَشاءُ وَ یَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ یَشاءُ یَکادُ سَنا بَرْقِهِ یَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ «۱». لما ذا نرفض أن تفسّر هذه الآیة طبق الواقع المناخی الذی یحدثنا بل و قد صوره لنا علماء المناخ و أرونا الجبال السائرة فی کبد السماء «جبال البرد» و صوّروا لنا السحب الرکامیة و طبقاتها. و کیف لنا أن نفسّر قول اللّه تعالی: أَوْ کَظُلُماتٍ فِی بَحْرٍ لُجِّیٍّ یَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ یَدَهُ لَمْ یَکَدْ یَراها وَ مَنْ لَمْ یَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ «۲». لقد أثبت العلم صور الأمواج السطحیة و الأمواج الداخلیة و اقتران هذه الأمواج بالبحار التی تلبّدت سماؤها بالغیوم الکثیفة ... لما ذا لا نفسر هذه الآیة بالمعطیات العلمیة التی ارتقت إلی مستوی القطعیة و المشاهدة و الرؤیا؟! و هکذا فی سائر الآیات الکونیة التی اتضحت حقائقها العلمیة. و یلفت النظر إلی أن الذین عارضوا تفسیر القرآن علی أساس العلم، لو سألنا أحدهم أو لو رجعنا إلی تفاسیرهم و نظرنا فیها کیف یفسرون الآیات التی تتحدث عن مظاهر الکون و الحیاة و الإنسان؟ لمعرفة ذلک نفتح تفسیر «فی ظلال القرآن» لشهید الإسلام سید قطب رحمه اللّه، فمما هو معلوم أن سید قطب من المعارضین لقضیة الإعجاز العلمی کما مر معنا، فلقد سلک منهجا فی التفسیر حاول فیه التحفظ و الابتعاد عن الإعجاز

(۱) سورة النور، الآیة: ۴۳. (۲) سورة النور، الآیة: ۴۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۴۷

العلمی فی القرآن، لکننا نجده عند ما یفسر قول اللّه تعالی: فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً «۱» نجده یقول ما نصه: (و هنا یقف الإنسان مدهوشا أمام ما کشف عنه القرآن من حقیقة فی تکوین الجنین لم تعرف علی وجه الدقة إلا أخیرا بعد تقدم علم الأجنة التشریحی، ذلک أن خلایا العظام غیر خلایا اللحم، و قد ثبت أن خلایا العظام هی التی تتکون أولا فی الجنین، و هی الحقیقة التی یسجلها النص القرآنی فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً فسبحان العلیم الخبیر) «۲». و کم وبخ محمد رشید رضا،- کما رأینا- الذین یؤیّدون الإعجاز العلمی، و لو رجعنا إلی تفسیره فلسوف نجده مولعا بتفسیر الآیات تفسیرا علمیا!. ففی بیان الحق سبحانه تعالی: إِنَّ رَبَّکُمُ اللَّهُ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِی سِتَّةِ أَیَّامٍ ثُمَّ اسْتَوی عَلَی الْعَرْشِ یُغْشِی اللَّیْلَ النَّهارَ یَطْلُبُهُ حَثِیثاً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ تَبارَکَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِینَ «۳» یقول: (۱- إن المادة التی خلقت منها السموات و الأرض کانت دخانا، أی مثل الدخان. ۲- إن هذه المادة الدخانیة کانت واحدة فتق اللّه رتقها، أی فصل بعضها من بعض، فخلق منها هذه الأرض و السموات السبع العلی. ۳- إن خلق الأرض کان فی یومین، و تکون الیابسة و الجبال الرواسی فیهما، و مصادر القوت، و هی أنواع النبات و الحیوان فی یومین آخرین تتمة أربعة أیام. ۴- إن جمیع الأحیاء النباتیة و الحیوانیة خلقت من الماء. فیعلم من هذا أن الیوم الأول من أیام خلق الأرض هو الزمن الذی کانت فیه کالدخان حین فتقت من رتق المادة العامة التی خلق منها کل شیء مباشرة، أو غیر مباشرة، و إن الیوم الثانی هو الزمن الذی کانت فیه مائیة بعد أن کانت بخاریة أو دخانیة، و إن الیوم الثالث هو الزمن الذی تکونت فیه الیابسة، و نتأت منها الرواسی فتماسکت بها، و إن الیوم الرابع هو الزمن الذی ظهرت فیه أجناس الأحیاء من الماء و هی النبات و الحیوان، فهذه أزمنة الأطوار من الخلق قد تکون متداخلة و أما السماء العامة، و هی

(۱) سورة المؤمنون، الآیة: ۱۴. (۲) فی ظلال القرآن، سید قطب، ۴/ ۲۴۵۹. (۳) سورة الأعراف، الآیة: ۵۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۴۸

العالم العلوی بالنسبة إلی أهل الأرض فقد سوی أجرامها من مادتها الدخانیة فی یومین أی: زمنین کالزمنین اللذین خلق منهما جرم الأرض. ثم یقول: هذا التفصیل الذی یؤخذ من مجموع الآیات یتفق مع المختار عند علماء الکون فی هذا العصر، من أن المادة التی خلقت منها هذه الأجرام السماویة، و هذه الأرض کانت کالدخان و یسمونها «السدیم» «۱» و کانت مادة واحدة رتقا، ثم انفصل بعضها

عن بعض، و یصورون ذلک تصویرا مستنبطا مما عرفوا من سنن الخلق، إذا صح کان بیانا لما أجمل فی الآیات، و إذا لم یصح کله أو بعضه لم یکن ناقصا لشیء منها، فهم یقولون: إن تلک المادة السدیمیة کانت مؤلفة من أجزاء دقیقة متحرکة، و أنها قد تجمع بعضها، و انجذب إلی بعض، بمقتضی سنة الجاذبیة العامة، فکان منها کرة عظیمة تدور علی محور نفسها، و أن شدة الحرکة أحدثت فیها اشتعالا فکانت ضیاء، أی نورا ذا حرارة، و هذه الکرة الأولی من عالمنا هی التی نسمیها الشمس، و یقولون أیضا: إن الکواکب الدراری التابعة لهذه الشمس فیما نشاهد من نظام عالمنا هذا قد انفتقت من رتقها، و انفصلت من جرمها و صارت تدور علی محاورها مثلها، و منها أرضنا هذه فقد کانت مشتعلة مثلها ... و بعد استطراد فی ذکر المسائل العلمیة یختم کلامه قائلا: کل ذلک تفصیل لخلق العوالم أطوارا بسنن ثابتة و تقدیر منظم لم یکن منه شیء جزافا، و قد أرشد الکتاب الحکیم إلی هذه الحقائق العامة الثابتة فی نفسها و إن لم یثبت کل ما قالوه من فروعها و مسائلها) «۲». إذا، یتحتّم علی الإنسان عند تفسیره لآیة کونیة أن یفسرها حسب ما یقتضیه حالها، و الجو القرآنی الذی سیقت فیه، و إلا فسیکون تفسیرها بعیدا عن هدفها و مقصدها ... إن هذه اللغة، لغة العلم هی الرابط المشترک بین الناس جمیعا، فلا یستطیع أحد أن ینکرها، و من أجل تحقیق أهداف الدعوة و نجاحها کان لا بد أن نسلک منهج العلم فی زمن العلم، و نخاطب الناس باللغة التی یفهمون و اللهجة التی یعرفون ...

(____۱) السدم، kaluben، و هی عبارة عن لطع مضیئة منتشرة فی عدة أماکن من رقعة السماء علی شکل سحب، غازیة التکوین. انظر: الموسوعة الفلکیة، زینب منصور، عمان، الأهلیة للنشر، الطبعة الأولی، ۲۰۰۱، ص ۲۱، و انظر: المحیط الکونی و أسراره، نجیب زبیب، بیروت، دار الأمیر، الطبعة الأولی، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴، ص ۴۱۱. (۲) تفسیر المنار، رشید رضا، ۸/ ۴۴۶- ۴۴۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۴۹ و إلی هنا نأتی إلی نهایة الحدیث عن الإعجاز القرآنی فی دراسته التاریخیة، و لسوف تکون الفصول القادمة مرکزة علی التطبیقات المعاصرة للإعجاز العلمی فی القرآن الکریم. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۵۱

الفصل الرابع الإعجاز القرآنی فی علم الفلک

تمهید

تمهید من أجلّ ما أقرّ به القاصی و الدانی، أن الإسلام دین یحترم العلم و یدعو إلیه، بل یفرض علی معتنقیه أن یتزوّدوا من العلوم النافعة التی تؤهلهم للکشف عن أسرار الکون و الحیاة، و الاستفادة من خیرات الأرض و ما حوت، و ذلک بدراسة العلوم الکونیة، فضلا عن العلوم الشرعیة التی تنور لهم سبل حیاتهم الدنیویة و الأخرویة، و لذلک کان لزاما علی أبناء الأمة أن یعرضوا الإسلام بصورته المضیئة التی تؤکد علی وجود مؤشرات قرآنیة واضحة، تنسجم مع حقائق العلم القطعیة التی یکتشفها العلماء، حتی یتبین للجمیع أن دیننا یدعم مواکبة المستجدات و یؤکدها، طبعا بشروط و ضوابط سترد فی ثنایا هذا الفصل. کما ستتناول مباحث هذا الفصل الحدیث عن تضافر أبحاث علماء الفلک و دراساتهم، حول نشأة الکون و مولده، و حول توسعه و نهایته، و ما أفرزته هذه الدراسات من المؤلفات سواء فی القدیم أو فی الحدیث، و لسنا بصدد استعراض الأفکار التی کانت سائدة لدی الأقوام الغابرة و نظرتهم للکون و الحیاة، و ما شاع بینهم من أساطیر حول الکون و ما حوی، و تشخیص ذلک من خلال مقاییس العلم و موازینه، و لا بتفنید ظاهرة التنجیم التی قد امتدّ سلطانها یومذاک علی تلک الشعوب و خاصة الوثنیة منها، التی کانت تدین بالولاء و الخضوع للکواکب و النجوم، و تربط عقیدتها و مصیرها ارتباطا وثیقا بالأجرام السماویة ... کذلک لن نتعرض إلی المجهود القیّم الذی بذله علماء الفلک فی العصور الوسطی دراسة أو نقدا و تعقیبا، إنما سنحاول الخوض فی علوم الفلک المعاصرة التی تطوّرت تطورا هائلا حتی فاقت معداتها و وسائلها و الاهتمام بها کل میادین الحیاة و مرافق العلم. و لنبدأ الحدیث عن مولد الکون و منشئه من خلال

الآیات القرآنیة الکثیرة، التی تضافرت ألفاظها و معانیها لترسم لنا الصورة الکونیة الأولی، ثم نصغی إلی أقوال الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۵۴ المفسرین حول هذه الآیات، و إلی دلالات الکلمات القرآنیة و أبعادها من خلال المعاجم، و من ثم نری ما ذا یطالعنا أصحاب العلوم الفلکیة البحتة عن المادة الأولی التی تشکل منها کوننا الواسع الرحیب؟ و ما ذا یحدثنا من امتدت أروقة علومهم فی آفاق السماء الشاسعة، و علی التحدید أولئک الذین یکتشفون أسرار الکون، و تتکشف لهم حقائقه یوما بعد یوم؟ کما سیبین هذا الفصل موضوع انتشار الکون و توسعه، و عن نهایته و فنائه بین معطیات القرآن و حقائق العلم، ثم نقف علی التوفیق و الربط بین الإشارة القرآنیة التی أصّلت الحقیقة المدروسة و سجلتها فی صفحات القرآن الکریم، لتکون بذلک سابقة لأساطین العلم و المعرفة منذ أکثر من أربعة عشر قرنا. إن القراءة الدقیقة فی کتب علماء الفلک هؤلاء تظهر کیف تحدثنا أقلامهم، و تخط فی صفحات کتبهم عظمة اللّه فی خلقه و کونه، و الدقة البالغة فی انسجام الکون و تناسق أجرامه، و النظام الباهر الذی سطع إماضه، و تألّق فی ملکوت اللّه، بعد جولة فی صفحات القرآن الکریم. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۵۵

المبحث الأول بین الإسلام و العلم

اشارة

المبحث الأول بین الإسلام و العلم و یتناول فی هذا المبحث ثلاثة قضایا و هی:

أولا- الإسلام دین العلم

أولا- الإسلام دین العلم إن مما تمیز به الإسلام عن غیره من الشرائع السماویة، أنه توج رسالته بالعلم، و أول کلمة نزلت من السماء إلی الأرض و علی قلب النبی الکریم محمد بن عبد اللّه هی کلمة اقْرَأْ «۱»، فکانت تاجا وضعه الحق تبارک و تعالی فوق رأس هذه الأمة، فکان الإسلام بهذا مفرق الطریق، أو مفصلا فی تاریخ الإنسانیة، لظاهرة العلم التی برزت فیه و حرکة النشاط الفکری التی دفعت المجتمع البشری الذی نزل فیه الإسلام إلی الأمام فضلا عن مزایاه الأخری المتعددة. و المعیار الدقیق لکمال الإنسان أو نقصانه، بیّنه الحق عز و جلّ بقوله: قُلْ هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَ الَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ «۲»، و أولی القرآن الکریم العلم و أهله مکانة سامیة بقوله: یَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ «۳». غیر أن الحق تبارک و تعالی وضع تصورا دقیقا و أساسا واضحا ینهض علیه العلم و تشاد علیه رکائزه، و أول هذه الرکائز، التدبر فی معرفة العلم الذی ستأخذه و ذلک عند ما قال وَ لا تَقْفُ ما لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ کُلُّ أُولئِکَ کانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا «۴» و الاقتفاء هو التتبع و ما من أدوات الشمول و العموم، أی عموم ما لم تعلم حقیقته و تدرک کنهه و تتبصر فیه الغث من السمین لا تتبعه، و ما ذلک إلا لأن

(____ ۱) سورة العلق، الآیة: ۱. (۲) سورة الزمر، الآیة: ۹. (۳) سورة المجادلة، الآیة: ۱۱. (۴) سورة الإسراء، الآیة: ۳۶. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۵۶ الأدوات التی تتحصّل من خلالها علی العلوم و المعارف ستسأل عنها یوم القیامة، کما قال تعالی: إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ کُلُّ أُولئِکَ کانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا و منهج القرآن متفرد فی هذا الصدد، لأنه یحث الناس علی اقتفاء العلم النافع و هجر ما لا ینفع، و من هنا کان یقول النبی الکریم صلی اللّه علیه و سلم: «اللهم إنی أعوذ بک من علم لا ینفع» «۱». و إذا کان الأمر کذلک، فإن الحق عز و جلّ لا یقبل إیمان عبد قد اکتسبه بوسیلة المحاکاة و التقلید للآباء و الأجداد، دون إدراک حقیقة الإیمان الذی ینبع من معین العلم و العقل و الطاقة المبصرة النیرة و الولاء المطلق لرسالة الإسلام، قال تعالی: وَ إِذا قِیلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَیْنا عَلَیْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ

كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ «۲». بل إن القرآن قد جعل الإيمان ثمرة من ثمرات العلم الحق، لأن الأصل فی الطريق إلى اللّه و إلى الإيمان هو العلم، قال تعالى: فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ «۳» فالعلم قد تقدم على التوحيد، لأن صاحب العلم الحق يقوده علمه إلى مراتع الإيمان و رياض التوحيد، أما العلم الذى يجعل صاحبه خاضعا لنزوات الحمأ المسنون لديه، و عقله تبعا لعصبياته و أهوائه، فإنه يوم القيامة من النادمين الذين يقرون و يعترفون أن بعدهم عن الإيمان فی الدنيا ما كان إلا لأنهم ما عقلوا سر الحياة و ما أدركوا قصة وجودهم فی الكون، و بالتالی غابت عنهم حقيقة العبودية للّه عز و جلّ، فأصبحوا أشبه ما يكونوا بالمجانين و فی ذلك يحكی القرآن عن هؤلاء فيقول سبحانه: وَ قالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ما كُنَّا فِي أَصْحابِ السَّعِيرِ «۴» نعم لو أنهم سمعوا الهدى و انقادوا لمستلزماته، و أعملوا عقولهم و فكروا فيها لما تخبّطوا فی أوحال الشرك و دياجير الظلام. يقول ابن القيم: (إن كل ما سوى اللّه مفتقر إلى العلم، و لا قوام له بدونه، فإن الوجود وجودان وجود الخلق و وجود الأمر. و الخلق و الأمر مصدرهما علم الرب و حكمته، فكل ما ضمّه الوجود من خلقه و أمره (______________________________ ۱)

رواه مسلم، ۴/ ۲۰۸۸، رقم: (۲۷۲۲)، و رواه الحاكم فی المستدرك، ۱/ ۱۸۵، رقم: (۳۵۴). (۲) سورة البقرة، الآية: ۱۷۰. (۳) سورة محمد، الآية: ۱۹. (۴) سورة الملك، الآية: ۱۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۱۵۷ صادر عن علمه و حكمته، فما قامت السموات و الأرض و ما بينهما إلا بالعلم، و لا بعثت الرسل و أنزلت الكتب إلا بالعلم، و لا عبد اللّه وحده و حمد و أثنى عليه و مجّد إلا بالعلم، و لا عرف الحلال من الحرام إلا بالعلم، و لا عرف فضل الإسلام على غيره إلا بالعلم) «۱». و من دأب القرآن الكريم أنه يربی المسلم و ينبه كل الناس على دوام التفكير، و التبصر فی هذه المكونات التی زجّ الإنسان فی داخلها، فإذا ما حدّق الإنسان البصر و أجال النظر فی هذه المخلوقات و رأى الإبداع فی خلقها، و الدقة فی تناسقها، و التساوق فی ارتباطها، فإنه بلا أدنى شك سينطق بلسان حاله و مقاله: رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ النَّارِ «۲». و لما انقاد الرعيل الأول سلفنا الصالح لمقتضيات هذه الآيات، حفزهم إيمانهم بالله للعلم و التعليم و العمل بما يتعلمون، و لذلك تجد فی تاريخ الإسلام المجيد قد برز كبار العلماء فی الكونيات و الطبيعة من علماء المسلمين و الفقهاء، و قدم هؤلاء للإنسانية العلوم النافعة فی الطب و الهندسة و الفيزياء و الكيمياء و الرياضيات و الفلك ... و العالم فی الغرب و الشرق يعترف بفضلهم و ما قدموه كان سببا فی نهضة الغرب و حضارته. (و قد أثبت التقدم الفكری الحديث أن القرآن الكريم كتاب دعا إلى العلم دعوته إلى الدين، و أنه دعا صراحة إلى دراسة مختلف العلوم، و أنه حوى أصول هذه الدراسات فی مختلف قطاعات العلم و يبلغ عدد الآيات العلمية فی القرآن الكريم ما يقرب على ۷۵۰ آية تشمل مختلف العلوم) «۳». (دين كهذا يكرم العلم و يحض على التعلم و يدعو إلى معرفة الخالق عن طريق معرفة مخلوقاته كيف وجدت و كيف نشأت، لهو الصراط السوى حيث لا لبس و لا غموض بل دراسة و تعلم و بحث و تفكير ... ثم يقول: و منه يتضح أن الدين الإسلامی و العلم توأمان، و أن الدين لا يقف عقبة فی سبيل العلم بل يدعو إليه و يعتمد عليه، و يشجع على (______________________________ ۱) فضل العلم و العلماء، لابن قيم

الجوزية، جمع و ترتيب صالح الشامی، بيروت، المكتب الإسلامی، الطبعة الأولى، ۱۴۲۲ ه/ ۲۰۰۱ ص ۳۵. (۲) سورة آل عمران، الآية: ۱۹۱. (۳) القرآن الكريم أضواء على الشرق و الغرب، محمد قبيسی، بيروت، مؤسسة الرحاب الحديثة، الطبعة الأولى، ۱۹۹۶، ص ۱۴۶. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۱۵۸ البحث، و يرغب فی التعلم، بل و يجعل العلم هو الوسيلة الوحيدة لمعرفة اللّه سبحانه و تعالى، و الوقوف على عظمته و قدرته) «۱». ثم إن جمال الإسلام يكمن فی أنه حث على العلم الذى ينفع البشرية، بغض النظر عن المعتقدات و الأديان، و هذه الحقيقة التی نفتخر بها، قد ذابت عند الغربيين و اضمحلت، ذلك أن ما توصلوا إليه من طغيان مادی و علم طبيعی أردى فی كثير من الأحيان بالبشرية إلى الخراب، فقد اخترع لهم علمهم القنابل النووية و الراجمات و الطائرات القاصفة و المدرعات و الدبابات، فكانت أداة للتدمير و التشريد و التقتيل و سفك الدماء البريئة، و هدم البنيان، فأصبح الطفل يقتل و هو رضيع فی حضن أمه و العجوز يذبح و أعين أولاده ترمقه، و مدن بأكملها تشطب معالمها من ساحة الوجود؟!.

ثانیا- الإعجاز العلمی سبیل من سبل الدعوة

ثانیا- الإعجاز العلمی سبیل من سبل الدعوة إن سبل الدعوة إلی اللّه متعددة و متنوعة، و سبب هذا التعدد أن لکل مقام مقالا ینسجم معه و یتوافق مع الجو الذی یجب أن تحقق فیه الدعوة أهدافها. و یظهر هذا الذی نقول من خلال المناهج التی سلکها الدعاة من رسل و غیرهم، عند ما قاموا بإعلان دعوة الحق و دحض الباطل و الضلال، و لقد سجّلها القرآن الکریم فی صفحاته لتکون الأسوة التی تحتذی، و القدوة التی یسیر وفق برنامجها کل من باع نفسه للّه و لدین اللّه. و لقد أیّد الحق تبارک و تعالی الرسل و الأنبیاء بالدلائل و البیانات التی تثبت صدق دعوتهم و أنهم مبعوثون من عند اللّه، کما أن هذه البیانات تنسجم مع البیئة و المحیط الذی ظهرت فیه، و هی تتناسب مع المستوی العقلی و العلمی لدی القوم الذین خوطبوا بها، قال اللّه تعالی: لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَیِّناتِ «۲»، فبینة موسی کانت من جنس ما قد انتشر فی قومه ألا- و هو السحر، و بینة عیسی إبراء الأکمه و الأبرص و إحیاء الموتی بإذن اللّه، و ذلک لأن الطب کان من أبرز ما اشتهر به قوم عیسی علیه السّلام، فأثبت موسی صدق رسالته بمعجزته العصا، لما أبطل عمل السحرة، و أثبت عیسی صدق رسالته لمّا أحیا (______________________________ ۱) هذا خلق الله، عبد الحلیم کامل، القاهرة، المکتبة الأکادیمیة، الطبعة الأولی، ۱۹۹۴، ص ۱۵، (۲) سورة الحدید، الآیة: ۲۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۵۹ الموتی بإذن اللّه، و هذا ما عجز عنه قومه، إلا أن تلک المعجزات المادیة کانت حیاتها مرتبطة بحیاة أصحابها من الأنبیاء، فلما رحل الأنبیاء إلی دار القرار، ذهب وجه الإعجاز لتلک البینات من حیز الواقع المشاهد و المرئی، و لم یبق منها إلا النقول و الأخبار عبر کتب السماء. و یأذن الخالق جل جلاله بظهور المعجزة الخالدة القرآن الکریم، المعجزة المتجددة عبر الزمان، فلکل جیل من الأجیال نصیب وافر منها، و مهما تطورت العلوم المادیة و تجددت الاکتشافات العصریة، فإن إعجاز القرآن الکریم مواکب لهذه المستجدات، مبین أنه قد تحدث عن بعض حقائقها وقت نزوله و لم یکن أحد قد أدرکها بعد. (و نظرا لکون عصرنا الحاضر هو عصر العلم و (التکنولوجیا)، و أن لغة العصر الحالی هی لغة العلم، و لکون القرآن الکریم هو کتاب هدایة للناس کافة، و لیس مقتصرا علی العرب فقط أو الناطقین باللغة العربیة الذین یفهمون إعجازه اللغوی و البلاغی، فأصبح من اللازم علی المسلمین إظهار أوجه إعجازه المتعددة الأخری، و خاصة البرهان العلمی الذی أصبح أکثر وضوحا فی الوقت الحاضر نتیجة التقدم الحاصل فی العلم و «التکنولوجیا») «۱». کما أن (تقدیم الخطوط العریضة لشریعة الحیاة من أجل الإنسان، و ما ینضحان به أحیانا من بوارق من الإعجاز العلمی الباهر المتجدّد تجدد الحضارة و الإنسان هی عطایا من اللطیف الخبیر لتطمئن به نفوس المؤمنین و لترعوی نفوس المشککین، و لیتراجع عن غیّهم السادرون، و لیتقاصر غرور المفتونین بنتائج العلم الحدیث ... فالإعجاز القرآنی بکل أنواعه، و لا سیما العلمی منه، بوابة کبیرة مشرعة الأبواب لکل من یبصر الطریق العلمی القرآنی لولوج تلک الأبواب) «۲». إننا دخلنا فی القرن الواحد و العشرین، و نحن أمام إرث علمی هائل قد خلّفه لنا القرن الراحل فلقد ترک لنا ثروة علمیة أو ثورة علمیة عجیبة مدهشة، فهلّا جعلنا تدریس (______________________________ ۱) العلوم فی القرآن، محمد جمیل الحبال و مقداد الجواری، بیروت، دار النفائس، الطبعة الأولی، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۸، ص ۱۶. (۲) الإعجاز العلمی فی القرآن الکریم، سلیمان الطراونة، عمان، دار الفرقان، الطبعة الأولی، ۱۴۲۱ ه/ ۲۰۰۰، ص ۱۲۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۶۰ الإعجاز العلمی فی القرآن الکریم سبیلا من سبل الدعوة إلی اللّه، لا بل من أهم ما ینبغی أن یدرّس و یرکز علیه. إن الآیات الکونیة و العلمیة فی القرآن الکریم تنادینا و تستنهض هممنا و تقول لنا: یا أتباع محمد أنا المعجزة المادیة العلمیة فی عصر المادة، فلئن کان أجدادکم العرب و هم أصحاب الفصاحة و فرسان البلاغة قد ذهلوا عند سماعهم القرآن الکریم لما انطوی علیه من بلاغة و بیان و دقة، فخضعوا لسلطانه و استسلم أکثرهم لأوامره، فمتی یا مسلمون تبینون الجانب الکونی و العلمی فی آیات القرآن؟. فإلی کل

داع إلی اللّه، و إلی کل داعیـة إلی الحق المبین، أن تکون دعوته قائمـة علی دعائم و رکائز العلم و المعرفة، و أن یبرز الحقائق العلمیة التی قد سجلها القرآن و سبق أصحاب العلوم الذین یدعون أنهم هم أول من اکتشفها و تحدث عنها، عساهم أن ینصاعوا إلی الحق و الإیمـان. إن المسئولیة تقع علی عـاتق کل مسـلم دون اسـتثناء، و أخص منهم العلماء و الحکام، الـذین ملکوا زمام أمور المسـلمین، و أقول لهم: یـا قادتنـا إن أصحاب الباطـل یروّجون لباطلهم فی اللیل و النهار و کبار رؤساء الـدول الغربیـة یـدعمون حملات التنصـیر و الاستشـراق دعما باهظا لترویج بضاعة الصلیبیین و أباطیل الماسونیین ... فهلّا قمتم یا حکام العرب و المسلمین بتجهیز الدعاة إلی اللّه و إلی الحق، لعرض أوجه الإعجـاز العلمی فی القرآن علی أساطین العلوم فی الغرب، و أن تعلنوا للغرب أن الإسـلام لیس دین إرهاب و سفـک للـدماء، إنمـا هو دین العلم، دین متابعـة التکشـفات العلمیـة و المسـتجدات العصـریة لتقیموا الحجـة و تثبتوا المعجزة؟ إذا کان أصـحاب الباطـل یـدعون لباطلهم، فلما ذا نسـتحی من دعوتنا إلی الحق؟. إذا کانت وسائل الإعلام غربا قـد شوّهت صورة الإسـلام، و أقنعت أبناءها هناک أن المسـلمین ما تخلفوا إلا بالإسـلام، لأنه دین الحرب و التقتیل و الدمار، فأصـبح الغربیون یعرضون عن الإسـلام إعراض المشـمئز الکـاره له، فلمـا ذا لا ـ نقوم بتصـحیح هـذه الأفکار المغلوطـة، و نبین لهم وجه الحق و الصواب؟ إذا کنا نحن ضـعفاء بمقومات حیاتنا المادیة، و بصـناعاتنا و إنتاجاتنا المحلیة، و کنا شـعبا مستهلکا لما یصدره لنا الغرب فی شتی جوانب الحیاة، فإننا بحمد اللّه أقویاء فی عقیدتنا، أقویاء فی علومنا و معارفنا لکن هل من مبلّغ؟. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۶۱ إن توجّه الـدعاة بهـذه البضاعة النضـرة المتألقة یعنی فتحا و انتصارا، و إن کل داعیة متسـلح بهذه العلوم هو خیر من الأسـلحة الثقیلة و أقوی من الصواریخ و الدبابات، و عرضنا لهذه الحقائق نبتغی من ورائه هدایة الناس خاصة أولئک الذین توغّلوا فی المادة فنسوا اللّه و الدار الآخرة، و هدایتهم تعنی إحیاءهم و بث روح الإیمان فی قلوبهم و عقولهم، فالإسلام هو دین الحیاة.

ثالثا- ضوابط التفسیر العلمی للقرآن

اشارة

ثالثا- ضوابط التفسیر العلمی للقرآن وضع العلماء قیودا و ضوابط لتفسیر القرآن علی أساس العلوم العصریة و هی:

۱- الاعتماد فی تفسیرنا العلمی علی الحقائق لا الفرضیات:

۱- الاعتماد فی تفسـیرنا العلمی علی الحقائق لا الفرضیات: البعد فی تفسیرنا عن الفرضیات و التخمین و النظریات، لأن الفرضیات هی آراء یحاول أصـحابها من الباحثین تفسیر ظاهرة شاهدوها فی مجال الطبیعیات و الکونیات و فی شتّی المیادین و کما هو معلوم أن أی فرض علمی قابل للصـحة و البطلان أو التعـدیل، و الحکم فی ذلک هو التجربـة و الواقع و إذا ما انتقل الفرض إلی حیز النظریـة فإنه لا یزال کـذلک قابلا للأخـذ و الرد، لکن عنـد ما یرقی إلی مسـتوی الحقیقـة العلمیة و صـعید الیقین الجازم یومذاک یکون تفسـیرا قویا لآیـات القرآن الکریم، و نحن لا نجیز تفسـیر الآیات بالنظریات و الفرضـیات، بل الدعامـة العلمیـة التی ننهض علیها هی تفسیر القرآن بحقائق العلم القطعیـة، و ذلک توصـیدا لباب الشک و الریب هنا، فکم من نظریة ذاع صـیتها و راجت بین الناس ثم أهیل علیها التراب فیما بعد و طویت فی صفحات الزمن المنسی و أصبحت من الوهمیات. یقول الدکتور یوسف القرضاوی: (أن نستخدم من نتائج العلوم ما اسـتقر عند أهله، و غدا حقیقة علمیة یرجع إلیها، و یعوّل علیها، و لا نعوّل علی الفرضـیات و النظریات التی لم تثبت دعائمها حتی لا نعرض فهمنـا للقرآن للتقلب مع هـذه الفرضـیات، فلیکن اعتمادنـا علی الحقـائق المقررة، و لا یقال: إن العلم لیس فیه حقائق ثابتـة إلی الأبـد، فکم من قضایـا علمیـة کـانت یومـا ما بل ظلت قرونا و قرونا حقائق مقدسـة، ثم ذهبت قدسـیتها العلمیـة، و أثبت التطور العلمی عکسـها، و هذا صـحیح و معروف، و لکن حسبنا الثبات النسبی للحقائق، فهذا هو الذی فی مقدورنا بوصفنا بشرا، و قد قیل فی تعریف

التفسیر هو: بیان المراد من كلام اللّه بقدر الطاقة البشریة) «۱».

(۱) كیف نتعامل مع القرآن العظیم، یوسف القرضاوی، ص ۳۸۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۶۲

۲- عدم التعارض بین الحقیقة العلمیة و القرآن.

۲- عدم التعارض بین الحقیقة العلمیة و القرآن. و تجدر الإشارة هنا إلی أنه لا تعارض بین نصوص القرآن و الحقائق العلمیة، فإنه من المستحیل أن یتعارض نص قرآنی قطعی الدلالة مع حقیقة علمیة، لأن القرآن حق، و الحقیقة العلمیة حق و كلاهما مصدرهما واحد و هو الحق تبارك و تعالی القائل: أَ لا یَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَّطِیفُ الْخَبِیرُ «۱». (و یستحیل التصادم بین الحقائق القرآنیة و بین الحقائق العلمیة لأنهما من مشكاة واحدة، و ینبغی أن یكون من المسلّمات فی أذهاننا أن الحقائق القرآنیة المتعلقة بأیّ جانب من جوانب الكون أو الإنسان و الحیوان و النبات إذا كانت قطعیة الدلالة لا یمكن أن تصادمها حقیقة علمیة توصل الجهد البشری إلیها بناء علی جهود المختصین خلال التاریخ الحضاری للبشریة) «۲». (إن الحقیقة العلمیة إن لم یكن فی القرآن ما یؤیدها فلیس فیه قطعا ما یعارضها، نعم قد یكون هناك خلاف بین القرآن و بین بعض النظریات العلمیة التی لم تبحث و لم تدرس بعد دراسة كاملة و علی ذلك فمن أراد أن یفهم من القرآن مبدءا علمیا فعلیه أن یتخصص فی ذلك العلم و یدرسه دراسة كاملة مستوفیة، ثم بعد ذلك یأتی للقرآن فیجده قد سبق البحث الحدیث و الحقائق العلمیة و أتی بالحقائق الرائعة التی لا تقبل شكا و لا جدلا، لأنه تنزیل الذی یعلم السر فی السموات و الأرض سبحانه) «۳».

۳- التمكن من علوم اللغة العربیة و علوم الآلة.

۳- التمكن من علوم اللغة العربیة و علوم الآلة. بحیث یكون تفسیرنا للآیات القرآنیة خاضعا لدلالات اللغة العربیة و قواعدها، و علم الصرف و أصول الاشتقاق، بالإضافة إلی علم البلاغة و أصول الفقه. (و أن یكون الباحث ملتزما بالمعانی اللغویة فی اللغة العربیة للآیات التی یرید إیضاح إشاراتها العلمیة، لأن القرآن عربی، كما أنه ینبغی أن یراعی التألیف بین الآیات و تناسبها و مؤاخاتها، فیربط بینها لتكون وحدة موضوعیة متكاملة) «۴».

(۱) سورة الملك، الآیة: ۱۴. (۲) مباحث فی إعجاز القرآن، مصطفی مسلم، ص ۱۵۵. (۳) التفسیر العلمی للقرآن، أحمد عمر أبو حجر، ص ۱۱۹. (۴) أصول التفسیر و قواعده، خالد عبد الرحمن العك، ص ۲۲۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۶۳

۴- عدم حصر دلالة الآیة علی الحقیقة الواحدة.

۴- عدم حصر دلالة الآیة علی الحقیقة الواحدة. العالم الذی زوده اللّه بالعلوم الشرعیة أو الكونیة، مهما ارتقی فی سلم المعرفة و الاستنباط فینبغی أن یعلم أن هناك حدودا ینبغی أن یقف عندها، و أن الإحاطة بمراد كلام اللّه بشكل مطلق أمر محال فالباحث فی هذا المیدان یحاول توأمة الحقیقة العلمیة القاطعة بالآیة القرآنیة بوجه من الوجوه المترجمة و لا یكون جازما بأن مراد اللّه هذا الذی وصل إلیه. (و عند إحاطتنا بالدلالات اللغویة الحقیقیة و المجازیة و استعمالات العرب لها، إن وجدنا أن حقیقة علمیة تؤید إحدی هذه الدلالات، لا بأس عندئذ أن نرجح الدلالة التی أیدتها الحقیقة العلمیة علی أن لا نحكم بالبطلان و الفساد علی الدلالات الأخری للكلمة من جهة، و أن لا نحصر معنی الآیة علی الدلالة التی رجّحناها من جهة أخری، فقد تكون الحقیقة العلمیة التی رجحنا علی

ضوئها هـذه الدلالة إحدى وجوه دلالات الآیة، و ظلالها ممتدة إلى حقائق أخرى لم نتمکن من التوصل إلیها حسب ثقافة عصـرنا، إلا أن العلمی و الحضـاری کفیـل أن یمیط اللثام لنا عن جوانب أخرى، فمثلا قوله تعالى: بَلی قادِرِینَ عَلی أَنْ نُسَوِّیَ بَنانَهُ «۱» کان إلى ما یقرب من مائـة سـنة ینظر إلى دلالـة تسویـة البنـان نظرة تختلف عن نظرتنا لها الآن بعـد معرفـة قضـیة البصـمات، إلا أننا لا نبطل کلام السلف فی معنی الآیة، فالآیة تدل على ما قالوه و ما فهموه ... و إن کان فهمنا الآن لدلالة الآیة على ضوء معطیات العلم الحدیث أعمق و أدل، و کذلک فإن شعورنا فی صنعة کلام الخالق سبحانه و تعالى و حکمته سلیم و صحیح، و مع ذلک فإننا لا نستطیع أن نقول: إن معنى الآیـة هو هـذا فحسب، و لیس بعـد فهمنا لها فهم آخر، بل قد یکشف لنا المسـتقبل عن أسـرار إلهیة فی البنان فوق ما تصورناه و وصـلت إلیه مـدارکنا العصـریة، و تبقى الآیة الکریمة مجال بحث الباحثین، و اسـتنباط المفکرین، و بصـمة إعجاز على جبین العصور) «۲».

۵- أهمیة التخصص العلمی:

۵- أهمیـة التخصـص العلمی: من الأهمیة بمکان أن یکون المتحدث فی قضایا الإعجاز من أهل الاختصاص، بحیث یکون متمکّنا من العلـــــــوم الشـــــــرعیة و اللغویـــــــــة، و کـــــــــذلک متمکنـــــــــا بأساســـــــیات و أبجـــــــــدیة

(______________________________ ۱) سورة القیامة، الآیة: ۴. (۲) مباحث فی إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ص: ۱۵۴- ۱۵۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحـدیث، ص: ۱۶۴ العلوم الکونیة و الطبیعیـة التی یفسر بهـا النصوص القرآنیـة، أو یکون معتمـدا فیمـا یطرحه على مختصـین فی کلاـ المیـدانین، لکی لاـ یقع فی الزلل و التأرجـح، و بسـبب عدم الالتزام بهذا القید فإن کثیرا ممن کتب و تحدث فی قضایا الإعجاز قد تعسف فی تفسیره للنص القرآنی، مما أدى للخروج عن مـدلول النص و معناه، کما أنه یأتی بالحقیقة العلمیة لکن بشـکل معکوس لأنه غیر مختص فی هذا المجال، مما دفع کثیرا من العلماء أن ینادوا بمنع هذا النمط من التفسیر.

۶- القرآن الکریم کتاب هدایة و نور.

۶- القرآن الکریم کتـاب هدایـة و نور. و أیضـا فإن مما تجـدر الإشارة إلیه أن القرآن الکریم کتاب هدایـة و نور، و لیس کتاب علوم کونیـة فحسب فـالحق سـبحانه و تعـالى جعـل الهدایـة التامـة و الحق المـبین بین دفّتی القرآن الکریم الـذی أنزله لیخرج النـاس به من الظلمات إلى النور، و من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، و من ضـیق الدنیا إلى سـعة الآخرة و من جور الأدیان إلى عدل الإسلام، و من وهـدة الفجور و مستنقعات المعاصـی إلى الیقین و الهدى، قال تعالى: الر کِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَیْکَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلى صِـراطِ الْعَزِیزِ الْحَمِیدِ «۱» و قال تعالى: إِنَّ هـذَا الْقُرْآنَ یَهْـدِی لِلَّتِی هِیَ أَقْوَمُ وَ یُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِینَ الَّذِینَ یَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً کَبِیراً «۲» فالله عز و جلّ جعل القرآن الکریم نورا للقلوب و حیاة للنفوس و ضبطا للسلوک و دستورا للمجتمعات، قال اللّه تعـالى: یـا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اسْـتَجِیبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذا دَعاکُمْ لِما یُحْیِیکُمْ «۳». و منهـج الهدایـة الربانیة فی القرآن الکریم تبرز عند ما تتناول آیاته المبارکة نفس الإنسان بالتربیة و التهذیب و التقویم و الإصـلاح، و هذه الآیات التی تتحدّث عن الوعد و الوعید و الجنة و النـار و الـدنیا و الآخرة، و تلک التی تتحـدّث عن أخبار الأمم الغابرة، التی سادت ثم بادت بعـد حین من الزمن، و أخرى تتحـدث عن قصة وجود الإنسان فوق رحب هذه الأرض و کیف أنه لا محالة صائر إلى الزوال و الفناء، و تلک التی تنظم حیاة الفرد و تقوم سلوکه و تضـبط معاملاته بضوابط الشـرع و أحکامه البینات ... و منها ما فیه حدیث عن ارتباط الأمة الإسلامیة بغیرها من الأمم و الأسس التی ینبغی أن تســـیر وفقهـــا (______________________________ ۱) سـورة

إبراهيم، الآية: ١. (٢) سورة الإسراء، الآية: ٩. (٣) سورة الأنفال، الآية: ٢۴. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ١۶۵ الأمـة الإسـلامية فى معاملاتها مع غيرها ... و هكذا فإننا نجد أن القرآن الكريم حافل بموضوعات شتى و متعدّدة، كلها تصب فى النهاية فى بوتقة واحدة ألا و هى هداية الإنسان إلى الحق المبين، لكن مع هذه الهداية فى العقيدة و التشريع و الخلق و السلوك، نجد أن فى القرآن الكريم صنفا آخر من أصناف الهداية، ألا و هو وجود آيات كونية و حقائق علمية وضعها الحق جل جلاله فى صفحات كتابه المجيد لتكون مؤشـرا على عظمة الخالق و لتكون دليلا على أن هذا القرآن هو وحى السـماء إلى الأرض و بذلك يزداد المؤمن إيمانا، و يتنبه غير المسـلم إلى حقائقه العلمية التى سبقت ركاب العلم و أساطين المعرفة، فيخضع لسلطانها و ينقاد لصدقها فيعلن ولائه للّه سـبحانه و تعـالى، فـالقرآن إذا ليس كتـاب فلـك و لاـ كتـاب طب أو (جيولوجيا) ... لا، إنما هو كتاب هدايـة و نور، و ما الحقائق العلميـة و الاشـارات الكونيـة إلاـ سبيلاـ من سـبل الهدايـة، و مـدخلا واسـعا لرحـاب الحق و رياض الإيمان. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ١۶۶

المبحث الثانى مولد الكون و نشأته بين القرآن و العلم

اشارة

المبحث الثـانى مولـد الكون و نشـأته بين القرآن و العلم الآيـات التى تتحـدّث عن خلق الكون، و مـا بث فى تضـاعيفه من مكونات و مخلوقات كثيرة جـدا كما أن هناك عـددا ليس بالقليل من هـذه الآيات تسترعى انتباه الناس، و تدعوهم إلى التفكير و التأمل فى خلق السـموات و الأرض، و الدافع الحقيقى لهذا التأمل هو التعرف على عظم هذه المخلوقات و أسـرار خلقها، و عجائب تكوينها، و بالتالى الوقوف على عظمـة الخالق، و روعـة إبـداعه فى صـنعه و خلقه يقول تعالى: أَ وَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ «١» و بقوله سـبحانه و تعالى: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ «٢» و يقول تعـالى: قُلِ انْظُرُوا ما ذا فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما تُغْنِي الْآياتُ وَ النُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ «٣». هذه الآيات و غيرها تأمرنا أن نستخدم مدركاتنا، و وسائل الإدراك و النظر التى هى امتداد لمدركاتنا، و ما منحنا اللّه من مستجدات تقنية و علمية لنتعرف على قضية الخلق، و مراحل الخلق و كيف بدأ الخلق و ما تنطوى عليه السموات و الأرض من عجائب الخلق و التدبير، و السبيل الأوحد إلى ذلـك هو مـا أشـار إليه الحق قُلِ انْظُرُوا فبالنظر و التأمل و الاسـتدلال يتوصل الإنسان للكشف عن حقائق الخلق. و ما أجمل هـذا الحث القرآنى على دراسـة الأـرض و مكوناتهـا لنتعرف من خلاـل ذلـك على بدايـة الخلق و على النشأة الأولى للكون قُلْ سِيرُوا فِي الْـأَرْضِ فَـانْظُرُوا كَيْـفَ بَـدَأَ الْخَلْـقَ ثُـمَّ اللَّهُ يُنْشِـئُ النَّشْـأَةَ الْـآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُـلِّ شَـيْءٍ قَـدِيرٌ «۴»، و هــذا لاـ يتنـافى أبــدا مع (____١) سـورة العنكبوت، الآيـة: ١٩. (٢) سورة العنكبوت، الآية: ٢٠. (٣) سورة يونس، الآية: ١٠١. (۴) سورة العنكبوت، الآية: ٢٠. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ١۶٧ قوله تعالى: ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَ ما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً «١» لأن الحق هنا يقرر ضـعفهم و تفرده فى الخلق و الإيجاد، و لكنه لا ينفى أبدا أن يفتش الإنسان عن المفردات العلمية و الكونية ليعلم ماهية بداية الخلق و التكوين. و لقـد عرض لنا القرآن الكريم بداية خلق الكون و المراحل التى مر بها عرضا بيانيا دقيقا، يصور كل طور من أطوار الخلق بوضوح و جلاء دون لبس أو غموض، و سوف نسـتعرض الآيـات القرآنيـة التى تتحـدّث عن كـل مرحلـة، و نزيّلها بفهم علماء التفسير و اللغة، ثم نحدّد معطياتها، لنرى مدى التوافق الدقيق بينها و بين ما وصل إليه علماء الفلك و الكون فى عصرنا الحاضر.

مراحل الخلق

أولا– مرحلة الرتق و الفتق

أولا– مرحلة الرتق و الفتق يقول تعالى: أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَ فَلا يُؤْمِنُونَ «۲». الآيـة هنا تسترعى انتباه العباد، و تخلق فيهم الباعث الذى يولد فى كينونتهم، و يثير فى ساحة الإدراك و التفكير لديهم حب الاسـتطلاع و الرغبة فى البحث و التنقيب عن سرّ انتقال هذا الكون العظيم من دنيا الفناء و عالم اللاشيء، إلى طور التخلق فالقرار ثم الحياة، ثم إن انبلاج هذا الكون من تلافيف العدم إلى حيّز الوجود و ميدان الإدراك، ليتطلّب من البشر أن يسخّروا ما أوتوا من قوة عقلية و علمية و مادية، فى سبيل التعرف على خلق هذا الكون، و الوقوف عند المادة الأم التى تشكل الكون منها بأسره. و الآية تشير إلى أن السـموات و الأرض، أى الكون و ما بثّ فى أرجائه من نجوم و مجرات و كواكب و شـموس و أقمار كان شيئا واحـدا، كـان مادة واحـدة، كتلـة واحـدة ثم انشـطرت هـذه المادة و فتقت و تفجرت، فانفصلـت السـموات عن الأرض، و تباعـدت أجزاؤها و أصبحت عالما عظيما مترامى الأطراف، بعيـد المـدى، واسع الرحاب، و قوله سـبحانه و تعالى: كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما تعبير دقيق و مشـهد رائـع، يأخـذ بالألبـاب (______________________________ ۱) سـورة الكهف، الآيـة: ۵۱. (۲) سورة الأنبيـاء، الآيـة: ۳۰. الإعجـاز القرآنی فی ضـوء الاكتشـاف العلمی الحـديث، ص: ۱۶۸ و العواطـف و الأحاسيس، لأنـه يصور لنا المشـهد الأول، و اللقطـة الأولى من الكون ساعـة الانفصال. و بجولـة سـريعة فى كتب المفسـرين، يتكامل التصور الدقيق حول هذه المرحلة من خلال شرحهم لهذه الآية الكريمة و معطياتها. ففى «جامع البيان»: (يقول تعالى ذكره: أ و لم ينظر هؤلاء الذى كفروا بالله بأبصار قلوبهم فيروا بها، و يعلموا أن السـموات و الأرض كانتا رتقا، يقول: ليس فيهما ثقب، بل كانتا ملتصقتين يقـال منه: رتق فلاـن الفتق إذا شـدّه، فهو يرتقه رتقا و رتوقا، و من ذلك قيل للمرأة التى فرجها ملتحم: رتقاء، و وحـد الرّتق، و هو من صفة السماء و الأرض، و قد جاء بعد قوله تعالى: كانَتا لأنه مصدر، مثل قول الزّور و الصوم و الفطر، و قوله: وَ جَعَلْنا يقول: فصدعناهما و فرجناهمـا، ثم اختلف أهـل التأويل فى معنى وصف اللّه تعالى السـموات و الأرض بالرتق، و كيف كان الرتق، و بأىّ معنى فتق؟ قال ابن عباس: كانتا ملتصـقتين، فرفع السـماء و وضع الأرض ... و كان الحسن و قتادة يقولان: كانتا جميعا ففصل اللّه بينهما بهذا الهواء، و قـال آخرون: بـل معنى ذلـك أن السـموات كانت مرتقـة طبقـة، ففتقها اللّه فجعلها سبع سـماوات، و كـذلك الأرض كانت كـذلك مرتقة، ففتقها فجعلها سبع أرضين) «۱». و فى تفسـير «القرطبى»: (و قال: رَتْقاً و لم يقل رتقين، لأنه مصـدر، و المعنى كانتا ذواتى رتق ... و الرتق السـد ضـد الفتق، و قـد رتقت الفتق أرتقه فـارتتق أى التـأم، و منه الرتقاء للمنضـمة الفرج، قال ابن عباس و غيره: يعنى أنها كانت شيئا واحدا ملتزقتين ففصل اللّه بينهما بالهواء، و كذلك قال كعب: خلق اللّه السموات و الأرض بعضها على بعض ثم خلق ريحا بوسـطها ففتحها بها، و جعل السـموات سبعا و الأرضين سبعا) «۲». و فى «الجلالين» (كانتا رتقا، سـدّا بمعنى مسـدودة: فَفَتَقْناهُما جعلنا السماء سبعا (______________________________ ۱) جامع البيان، للطبرى، ۱۷/ ۱۳. (۲) الجامع لأحكام القرآن، محمـد بن فرح القرطبى، تحقيق، أحمـد عبد العليم البردونى، القاهرة، دار الشـعب، الطبعة الثانية، ۱۳۷۲ ه ۱۱/ ۲۸۲، و انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ۵/ ۶۹۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۱۶۹ و الأـرض سـبعا و فتق السـماء أن كـانت لا تمطر فأمطرت، و فتق الأرض أن كانت لا تنبت فأنبتت) «۱». و فى «أضواء البيان» عـدة أقوال منهـا: (الأـول: أن معنى: رَتْقاً فَفَتَقْناهُما أى كانت السـموات و الأرض متلاصـقة بعضـها مع بعض، ففتقها اللّه و فصل بين السـموات و الأـرض، فرفع السـماء إلى مكانهـا، و أقر الأـرض فى مكانهـا، و فصل بينهما بالهواء الـذى بينهما كما ترى. القول الثانى: أن السـموات السبع كـانت رتقـا، أى متلاصـقة بعضـها ببعض، ففتقها اللّه و جعلها سـبع سـماوات، كل اثنتين منها بينهما فصل، و الأرضون كـذلك كانت رتقا ففتقها، و جعلها سـبعا بعضـها منفصل عن بعض) «۲». و نجـد نفس المعـانى فى تفسـير «البيضاوى»: كانَتا رَتْقاً ذات رتق أو مرتوقتين، و هو الضم و الالتحام، أى كانتا شـيئا واحـدا و حقيقـة متحدة، فَفَتَقْناهُما التنويع و التمييز، أو كانت السـموات واحدة ففتقت

بالتحريكات المختلفة حتى صارت أفلاكا، و كانت الأرضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها و أحوالها طبقات أو أقاليم، و قيل كانَتا بحيث لا ـ فرجة بينهما ففرج) «۳». و قال الرازی: (الرتق فی اللغة: السد، يقال ارتتق الشیء فارتتق، و الفتق: الفصل بين الشيئين الملتصقين، و الرتق مصدر و المعنى كانتا ذواتی رتق ... و عن ابن عباس رضی اللّه عنه أن المعنى كانتا شيئا واحدا ملتزقتين، ففصل اللّه بينهما، و رفع السماء إلى حيث هی و أقرّ الأرض) «۴». يقول صاحب «الكشاف»: (أی كانتا رتقا، و معنى ذلك أن السماء كانت لاصقة (______________________________ ۱) تفسير الجلالين، محمد بن

أحمد بن محمد المحلی و جلال الدين السيوطی، القاهرة، دار الحديث، الطبعة الأولى، د. ت، ص ۴۲۹. (۲) أضواء البيان فی إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطی، بيروت، عالم الكتاب، د. ت، ۴/ ۱۰۲. (۳) أنوار التنزيل، عبد الله بن عمر البيضاوی، تحقيق، عبد القادر عرفات، بيروت، دار الفكر، ۱۴۱۶ ه/ ۱۹۹۶، ۴/ ۹۰. (۴) التفسير الكبير، للرازی، ۱۱/ ۱۶۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۱۷۰ بالأرض لا فضاء بينهما، أو كانت فی القرآن الذی هو معجزة فی نفسه فقام مقام المرئی المشاهد، و أن تلاصق الأرض و السماء و تباينهما كلاهما جائز فی العقل) «۱». و لتوخّی الدقة و زيادة الضبط نفتح المعاجم اللغوية للتعرف على معانی بعض الكلمات القرآنية من حيث أصلها اللغوی و اشتقاقاتها، ليصبح وجه الاستدلال بها منسجما مع المقارنة الكونية للآية القرآنية. يقول ابن منظور: كانَتا رَتْقاً (و الرتق ضد الفتق، و الرتق إلحام الفتق و إصلاحه) «۲». و فی «القاموس المحيط»: (الرتق ضد الفتق، ارتتق التأم السموات متلاصقات و كذلك الأرض لا فرج بينها ففتقها اللّه و فرّج بينها ... فإن قلت: متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما أنه وارد) «۳». و لربما يخطر فی البال هاهنا سؤال فيقول صاحبه: ما هی المادة التی تكونت الكتلة الكونية الأولى التی تم رتقها و فتقها؟ هذا السؤال قد حيّر علماء الفلك و المتخصصين فی الفيزياء الكونية، فراحوا ينسجون تصورات نظرية حول هذه المادة و طبيعتها إلى أن اتفقوا على أن أصل المادة عبارة عن سدم، لكننا نجد القرآن الكريم قد أجاب على هذا السؤال بكل وضوح، و أشار إلى أن المادة الكونية الأولى للكون إنما هی من «الدخان» كما قال تعالى: ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِیَ دُخانٌ «۴» فالمادة التی تشكل منها كوننا العظيم إنما هی من الدخان. و لنا أن نستخلص مما سبق، و من خلال التصور القرآنی عن المرحلة الأولى لخلق الكون ما يلی: ۱- أن السموات و الأرض فی لحظة الخلق الأولى و بداية النشأة، كانتا كتلة واحدة متلاصقة ثم انفصلت و توزعت. ۲- طبيعة هذه المادة التی تشكل الكون منها إنما هی الدخان. (______________________________ ۱) الكشاف، محمود بن عمر

الزمخشری، بيروت، دار إحياء التراث العربی، الطبعة الأولى، ۱۴۱۷ ه/ ۱۹۹۷، ۲/ ۵۷۰. (۲) لسان العرب، ابن منظور، ۵/ ۱۳۲. (۳) القاموس المحيط، الفيروزآبادی، ۳/ ۲۴۳. (۴) سورة فصلت، الآية: ۱۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۱۷۱

ثانيا- مرحلة خلق السموات و الأرض

ثانيا- مرحلة خلق السموات و الأرض قال تعالى: قُلْ أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِی خَلَقَ الْأَرْضَ فِی يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً ذلِكَ رَبُّ الْعالَمِينَ (۹) وَ جَعَلَ فِيها رَواسِیَ مِنْ فَوْقِها وَ بارَكَ فِيها وَ قَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِی أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلِينَ (۱۰) ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِیَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ (۱۱) «۱». كان الحديث فی الآية الأولى عن طبيعة المادة الكونية الأولى و ماهيتها، و كيف أنها كانت كتلة واحدة ثم انفصلت، أما هنا فالآية تتحدث عن أطوار خلق السموات و الأرض، و المراحل التی اعترتها بعد عملية انفصال المادة الأولى. و هذه الآية الكريمة تقرر حقيقة كونية ثابتة و قطعية الدلالة و هی، أن الأرض بعد عملية فتق الرتق خلقت أولا، ثم تمّ تشكيل السماء و بناؤها من الدخان، و هذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين، و لقد وقع فی الخطأ و الخلط من حاول أن يقدم مرحلة خلق السموات على الأرض، بسبب رغبة شديدة دفعته إلى توأمة هذا النص القرآنی مع التخمينات النظرية

التى تحدث عنها بعض الفلكيين، من أن السموات خلقت قبل الأرض، و هذا الكلام لا يستند إلى دليل لا من النصوص القرآنية و لا من المعطيات العلمية الثابتة، و هذا ما سيوضح بعد إلقاء نظرة حول هذه الآية فى كتب التفاسير. ففى «أنوار التنزيل»: (قُلْ أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ فى مقدار يومين، أو نوبتين، و خلق فى كل نوبة ما خلق فى أسرع ما يكون، و لعل المراد من الْأَرْضِ ما فى جهة السفل من الأجرام البسيطة و من خلقها فِي يَوْمَيْنِ أنه خلق لها أصلا مشتركا، ثم خلق لها صورا بها صارت أنواعا، ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ قصد نحوها من قولهم: استوى إلى مكان كذا إذا توجه إليه توجها لا يلوى على غيره، و الظاهر أن ثم تفاوت ما بين الخلقتين لا للتراخى فى المدة لقوله: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها و دحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها: وَ هِيَ دُخانٌ أمر ظلمانى، و لعله أراد به مادتها أو الأجزاء المتصغرة التى كتب منها: فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا بما خلقت فيكما من التأثير و التأثر و أبرزا ما أودعتكما من الأوضاع المختلفة و الكائنات المتنوعة، أو: أَتَيْنا فى الوجود على أن الخلق السابق بمعنى التقدير أو الترتيب للرتبة، أو الإخبار أو إتيان (______________________________ ۱) سورة فصلت، الآيات ۹- ۱۱. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۷۲ السماء حدوثها و إتيان الأرض أن تصير مدحوة، و قد عرفت ما فيه أو لتأت كل منكما الأخرى فى حدوث ما أريد توليده منكما) «۱». و فى «روح المعانى»: (الكلام على التقديم و التأخير و الأصل ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِيَ دُخانٌ إلخ، فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا إلخ، و هو أبعد عن القيل و القال، إلا أنه خلاف الظاهر، أو كوّنا و أحدثا على وجه معين و فى وقت مقدّر لكل منكما، فالمراد إتيان ذاتهما و إيجادهما، فالأمر للتكوين على أن خلق و جعل و بارك و قدر بالمعنى الذى حكيناه عن إرشاد العقل السليم، و يكون هذا شروعا فى بيان كيفية التكوين إثر بيان كيفية التقدير، و لعل تخصيص البيان بما يتعلق بالأرض و ما فيها لما أن بيان اعتنائه تعالى بأمر المخاطبين و ترتيب مبادئ معايشهم قبل خلقهم ما يحملهم على الإيمان، و يزجرهم عن الكفر و الطغيان، و خص الاستواء بالسماء مع أن الخطاب المترتب عليه متوجه إليهما معا اكتفاء بذكر تقدير الأرض و تقدير ما فيها كأنه قيل: فقيل لها و للأرض التى قدر وجودها و وجود ما فيها كونا و أحدثا، و هذا الوجه هو الذى قدمه صاحب الإرشاد و ذكره غيره احتمالا، و جعل الأمر عبارة عن تعلق إرادته تعالى بوجودهما تعلقا فعليا بطريق التمثيل من غير أن يكون هناك آمر و مأمور) «۲». و فى «بحر العلوم»: (ثم استأنف فقال: سَواءً لِلسَّائِلِينَ و من قرأ بالنصب يعنى قدرها سواء صار نصبا على المصدر، و معناه: استوت استواء ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ أى صعد أمره إلى السماء، و هو قول اللّه: كُنْ و يقال: عمد إلى خلق السماء وَ هِيَ دُخانٌ يعنى بخار الماء كهيئة الدخان، و ذلك أنه لما خلق العرش، لم يكن تحت العرش شىء سوى الماء كما قال تعالى: وَ كانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ ثم ألقى الحرارة على الماء حتى ظهر منه البخار، فارتفع بخاره كهيئة الدخان، فارتفع البخار، و ألقى الريح الزبد على الماء، فزيد الماء، فخلق الأرض من الزبد، و خلق السماء من الدخان) «۳». (______________________________ ۱) أنوار التنزيل، للبيضاوى، ۵/ ۱۰۵- ۱۰۶، و انظر: جامع البيان، للطبرى، ۲۴/ ۲۶. (۲) روح المعانى، للآلوسى، ۲۴/ ۱۱۷- ۱۱۸، و انظر: الدر المنثور، للسيوطى، ۷/ ۳۱۳. (۳) بحر العلوم، نصر بن محمد السمرقندى، تحقيق، محمود مطرجى، بيروت، دار الفكر العربى، ۱۹۹۷، ۳/ ۲۱۷، و انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبى ۱۵/ ۳۴۲، و انظر: أضواء البيان، للشنقيطى، ۷/ ۴۰۶- ۴۰۷. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۷۳ و فى «مختار الصحاح»: (الدخان: دخان النار معروف و جمعه دواخن، كعثان و عواثن، على غير قياس، و دخنت النار ارتفع دخانها، و بابه قطع و خضع، و ادخنت مثله، و دخنت النار إذا فسدت بإلقاء الحطب عليها حتى هاج دخانها، و دخن الطبيخ إذا تدخنت القدر، و الدخن الجاورس و الدخنة كالذريرة تدخن بها البيوت) «۱». و فى «مفردات ألفاظ القرآن» نجد أن الدخان هو: (المستصحب للهيب، قال تعالى: ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِيَ دُخانٌ أى هى مثل الدخان، إشارة إلى أنه لا تماسك لها، و دخنت النار تدخن كثر دخانها، و الدخنة منه، لكن تعورف فيما يتبخر به من الطيب) «۲». و يستخلص من معطيات النص القرآنى ما يلى: ۱- تم خلق الأرض بعد فتقها من الكتلة الدخانية فى يومين خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ. ۲- تم تسوية السموات السبع فى يومين كما قال تعالى: فَقَضاهُنَّ سَبْعَ

سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ و ذلک بعد فتقها و الانفجار و الانفصال الذی اعتراها بعد ما كانت دخانا، قال تعالی: ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِيَ دُخانٌ. ٣- تمّ تـدبير الأرض و تهيئتها و تسخيرها لتعيش عليها المخلوقات فی يومين وَ جَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِنْ فَوْقِها أی الجبال التی تساعد علی توازن و استقرار الأرض وَ بارَكَ فِيها أی زاد فيها الخير و الزرع و الماء و غير ذلک وَ قَدَّرَ فِيها أَقْواتَها من أرزاق و أسباب المعيشة. و ينبه إلی أن المقصود بالأيام هنا هی المراحل و الحقب الزمنية، و ليست الأيام المعروفة لدينا كما أشار إلی ذلک كثير من المفسرين كما سبق، و لأن الزمن شیء نسبی كما هو معلوم، فيوم الأرض ليس كيوم الشمس و ليس كيوم المجرة و هكذا ...

ثالثا- مرحلة دحو الأرض

ثالثا- مرحلة دحو الأرض قال تعالی: أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَناها (٢٧) رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها (٢٨) وَ أَغْطَشَ لَيْلَها وَ أَخْرَجَ ضُحاها (٢٩) وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها (٣٠) «٣».

(١) مختار الصحاح، للجوهری، ١/ ٨۴. (٢) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهانی، تحقيق، صفوان داودی، دمشق، دار القلم، الطبعة الثانية، ١۴١٨ ه/ ١٩٩٧، ص: ٣١٠. (٣) سورة النازعات، الآيات ٢٧- ٣٠. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ١٧۴ هذه هی المرحلة الثالثة من مراحل الخلق حسب تصوير القرآن لـذلک، فالمرحلة الأولی كانت مرحلة تفجير الكتلة الدخانية «الرتق و الفتق» و المرحلة الثانية كانت مرحلة خلق الأرض لكنها غير مدحوة، و تسوية السموات و تشكيلها، ثم جاءت المرحلة الثالثة التی هی مرحلة دحی الأرض. لكن قد يستشكل أحدنا أو يجول فی خاطره سؤال مفاده، أيهما خلق أولا السموات أم الأرض؟ ففی الآية السابقة عرفنا بنص قرآنی واضح و صريح أن الأرض خلقت قبل السماء قُلْ أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً ذلِكَ رَبُّ الْعالَمِينَ (٩) وَ جَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِنْ فَوْقِها وَ بارَكَ فِيها وَ قَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ (١١) «١» و هنا نجد أن الحق يخبرنا أن الأرض خلقت بعد السماء وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها أی بعد خلق السموات، فكيف يكون ذلک؟. إن الجواب علی هذا السؤال أو الاستشكال سهل للغاية، و قد عرض هذا السؤال علی ابن عباس رضی اللّه عنه و أجاب عليه، كما ورد فی صحيح البخاری: (قال رجل لابن عباس رضی اللّه عنهما: إنی لأجد فی القرآن أشياء تختلف علیّ ... قال تعالی: أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَناها إلی قوله: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها فذكر خلق السماء قبل الأرض، ثم قال تعالی: قُلْ أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ ... فذكر فی هذه خلق الأرض قبل خلق السماء ... فقال ابن عباس رضی اللّه عنهما: خلق الأرض فی يومين، ثم خلق السماء، ثم استوی إلی السماء فسواهن فی يومين آخرين، ثم دحی الأرض و دحيها أن أخرج منها الماء و المرعی، و خلق الجبال و الرمال و الجماد و الآكام و ما بينهما فی يومين آخرين، فـذلک قوله تعالی: دَحاها و قوله: خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ فخلق الأرض و ما فيها من شیء فی أربعة أيام، و خلق السموات فی يومين ... فلا يختلفن عليک القرآن، فإن كلا من عند اللّه عز و جلّ) «٢». و علی هذا النسق سار المفسرون، ففی إرشاد العقل السليم: (فهی و ما فی سورة البقرة من قوله سبحانه و تعالی: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوى إِلَى

(١) سورة فصلت، الآيات ٩- ١١. (٢) رواه البخاری، باب التفسير، رقم: (۴۵٣٧)، ۴/ ١٨١۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ١٧۵ السَّماءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ «١» تـدلان علی تقدم خلق الأرض و ما فيها علی خلق السماء و ما فيها، و عليه إطباق أكثر أهل التفسير، و قد روی أن العرش العظيم كان قبل خلق السموات و الأرض علی الماء، ثم إنه تعالی أحدث فی الماء اضطرابا فأزبد فارتفع منه دخان، فأما الزبد فبقی علی وجه الماء، فخلق فيه اليبوسة فجعله أرضا واحدة، ثم فتقها فجعلها أرضين، و أما الدخان فارتفع و علا فخلق منه السموات، ... و قيل إن خلق جرم الأرض مقدم علی خلق السموات، لكن دحوها و خلق ما فيها مؤخر عنه لقوله سبحانه و تعالی: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ

ذلِکَ دَحاها و لما روی عن الحسن رحمه اللّه، من أنه تعالی خلق الأرض فی موضع بیت المقدس کهیئة الفهر علیه دخان ملتزق بها، ثم أصعد الدخان و خلق منه السموات و أمسک الفهر فی موضعها، و بسط منها الأرض و ذلک قوله تعالی: کانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما و لیس المراد بنظمها مع السماء فی سلک الآمر بالإتیان إنشاءها و إحداثها بل إنشاء دحوها و جعلها علی وجه خاص یلیق بها من شکل معین و وصف مخصوص، کأنه قیل: ائتیا علی ما ینبغی أن تأتیا علیه، ائتی یا أرض مدحوّة قرارا و مهادا لأهلک، و ائتی یا سماء مقبّبة سقفا لهم) «۲». و عند الطبری: (عن ابن عباس، قوله حیث ذکر خلق الأرض قبل السماء، ثم ذکر السماء قبل الأرض، و ذلک أن اللّه خلق الأرض بأقواتها من غیر أن یدحوها قبل السماء، ثم استوی إلی السماء فسوّاهنّ سبع سماوات، ثم دحا الأرض بعد ذلک، فذلک قوله: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِکَ دَحاها «۳». و عند ابن کثیر: (أن الأرض خلقت قبل خلق السماء، و لکن إنما دحیت بعد خلق السماء، بمعنی أنه أخرج ما کان فیها بالقوة إلی الفعل) «۴». و فی تفسیر القرطبی: (أن اللّه تعالی خلق أوّلا دخان السماء ثم خلق الأرض، ثم استوی إلی السماء و هی دخان فسوّاها، ثم دحا الأرض بعد ذلک، و مما یدل علی أن الدخان خلق أوّلا قبل الأرض ما روی عن ابن مسعود و عن ناس من أصحاب (______________________________ ۱) سورة البقرة، الآیة: ۲۹. (۲) إرشاد العقل السلیم، لأبی السعود، ۸/ ۵- ۷. (۳) جامع البیان، للطبری، ۳۰/ ۴۶. (۴) تفسیر القرآن العظیم، لابن کثیر، ۸/ ۳۱۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۷۶ رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فی قوله عز و جلّ: هُوَ الَّذِی خَلَقَ لَکُمْ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ قال: إن اللّه تبارک و تعالی کان عرشه علی الماء و لم یخلق شیئا قبل الماء، فلما أراد أن یخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسما علیه، فسمّاه سماء، ثم أیبس الماء فجعله أرضا واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع أرضین فی یومین) «۱». (فالکلمتان «دحاها- طحاها» تدلان علی معنی البسط، دحا الأرض یدحوها، بسطها، قال شمّر: فأنشدتنی أعرابیة: الحمد للّه الذی أطاقا بنی السماء فوقنا طباقا ثم دحا الأرض فما أضاقا و الأدحوّة، مبیض النعام فی الرمل ... و مدحی النعام، موضع بیضها) «۲». هذه هی مراحل الخلق حسب معطیات القرآن الکریم و دلائله، و لا شک أن هذا التفصیل لمراحل خلق الکون عسیر علی العلم بل من المستحیل أن یصل إلیه، لأنه من المغیبات التی لا تخضع لمدرکات الإنسان، لکن یمکن للعلم أن یصل إلی حقائق کونیة ثابتة عن أصل الکون و الخلق، لکنها مجملة و لیست مفصلة بهذه الدقة القرآنیة العجیبة، و الدلیل علی ذلک أنهم حقا توصلوا إلی حقائق علمیة تدل علی أصل الکون و منشئه. و العودة لملف علم الفلک، و النظر فی أقوال علماء الکون، تظهر أن ما توصلوا إلیه من حقائق کونیة علمیة ثابتة بعد جهد جهید من الدراسة و البحث، هی ذاتها التی أشار إلیها القرآن الکریم بوضوح القول و صریح العبارة، و أن ما کشفوا عنه الیوم هو الذی سبقهم إلیه کتاب اللّه تعالی و سطّر ملامحه و أطره فی صفحاته قبل أکثر من أربعة عشر قرنا. الکون الذی یحوی فی ثنایاه النجوم و الکواکب و المجرات، و ما یتبعها من غازات و معادن و صخور و تراب و حیوانات و نباتات و إنسان، و غیر ذلک من المخلوقات الأخری، کان مثار اهتمام لدی الإنسان عبر مرور الأحقاب، سواء کان هذا الاهتمام مبنیا علی الخرافة و الوهم، کما عند بعض الناس فی القدم، و الذین اعتقدوا بأزلیة الکون، و ربطوا تصوراتهم العقائدیة بأجسام عدة من الکون کالشمس و الشجر (______________________________ ۱) الجامع لأحکام القرآن، للقرطبی، ۱/ ۲۵۰. (۲) لسان العرب، لابن منظور، ۴/ ۳۰۳، و انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهانی، ص: ۵۱۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۷۷ و النار ... و جعلوها آلهة لهم، أو کان مرتکزا علی الدراسات الصحیحة التی تعتمد علی الرصد و الحسابات الفلکیة و الریاضیة. و إذا ما طوینا صفحة الخیال أو الخرافة التی کانت سائدة و مسیطرة علی عقل الإنسان فی معظم الحضارات القدیمة، و اتجهنا إلی التعرف علی الدراسات الحدیثة التی شهدها الإنسان فی بدایة القرن العشرین، فإننا نجد تطورا هائلا فی مجال الفلک بسبب الاکتشافات الکبیرة لأسرار الکون، عبر المراصد الضخمة، و من خلال النظریات العلمیة الجدیدة. و قبل الشروع فی عرض و بیان آراء العلماء حول مولد الکون و نشأته، ینبه إلی أن هناک العدید من النظریات التی أعلنت حول أصل

الكون، إلا أن معظمها خفت صوتها و غيّبت، عند ما ظهرت أحدث نظرية حول مولد الكون و التی تدعی بالانفجار العظيم (big bang) بل و التی أجمع علی صحتها جمهور علماء الفلك، مما دفع بعض الفلكيين إلی القول بأنها حقيقة قطعية كما سيأتی. و بوسعنا الآن أن نستعرض طائفة من دراسات الفلكيين حول الانفجار الكونی العظيم، لنری مدی التوافق بين ما أثبتوه، و بين الحقائق القرآنية التی سبق و أن قرر من خلالها الحق نشأة الكون.

الحقائق العلمية:

الحقائق العلمية: (توصل عالم الفلك البلجيكی «جورج إدوارد لوميتر» «۱» إلی نتيجة الانفجار العظيم، و أعلنها فی عام ۱۹۲۷، و قد افترض فی مستهل الأمر أن المادة الكونية كانت كلها مضغوطة فی حجم ضئيل للغاية أسماه البيضة الكونية، ثم تعرض ذلك الجسم لتمدد مفاجئ سريع و ما زال يتمدد، و لما طرح «هبل» «۲» قانونه فی عام ۱۹۲۹، و شرح

(____۱) جورج إدوارد لوميتر، ۱۸۹۴-۱۹۶۶، كاهن بلجيكی كان رائدا فی علم الرياضيات، عمل أستاذا فی جامعة لوفان، أهم أبحاثه التی أدت إلی نظرية الضربة الكونية الكبری عن تكوين الكون، ظهرت فی عام ۱۹۲۷، خدم فی الجيش البلجيكی، و ربح ميدالية الحرب وقتها. انظر: موسوعة غينيس فی علم الفلك، باتريك موور، ترجمة، مركز التعريب و البرمجة، بيروت، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولی، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴، ص: ۲۸۴. (۲) أدويل هبل، ۱۸۸۹ - ۱۹۵۳، فلكی أمريكی معاصر، قام برصد ملايين النجوم من مرصد جبل بالومار، و قام بتصنيفها فی مجموعات، أعلن أن الكون أكبر مما يتصور العلم آنذاك. الأطلس الفلكی، عصام الميدانی، دمشق، دار دمشق، ۱۹۹۶، ص: ۸۸.

 المشاهدات التی استند إليها، بدا واضحا أن ذلك يجسد تماما ما ينبغی أن يكون من شأن كون فی حالة تمدد، و كون كل المجرات تبتعد عنا بمعدل أسرع كلما كانت أكثر بعدا، أمر ليس له أی دلالة خاصة تتعلق بنا و بمجرتنا، فما دام الكون فی حالة تمدد فهذا يعنی أن كل مجراته تتباعد عن بعضها، و قد التقط الفيزيائی «جورج جاموف» «۱» فكرة البيضة الكونية و عممها ثم أطلق علی عملية التمدد الأولی اسم (الانفجار العظيم)، و ما زال ذلك الاسم مستخدما حتی الآن و يشير «جاموف» إلی أن الإشعاعات التی صاحبت الانفجار العظيم، لا بد أن يكون لها الآثار حتی الآن ما يمكن رصده من أی اتجاه علی هيئة موجات (ميكروويف) ضعيفة، لها من المواصفات ما يمكن تقديره حسابيا، و بهذا الاكتشاف انتهی علماء الفلك إلی الاقتناع بوجود الانفجار العظيم، و من المتفق عليه الآن أن الكون قد بدأ بجسم ضئيل انفجر منذ خمسة عشر بليون سنة، و ما زال تحديد عمر الكون علی وجه الدقة قيد البحث، و لكنه يصعب أن يقل عن عشرة بلايين سنة، و لن يزيد علی الأرجح علی عشرين بليون سنة) «۲». و هذا ما أكّده كثير من علماء الكون (يدرس علماء الكون الزمن الغابر باستقراء خارجی للشروط السائدة فی الكون حاليا، بمعنی أنهم يستعملون قوانين الفيزياء لاستنباط الكيفية التی كان الكون عليها حين نشأته و بداية تكوينه، فلقد تبين أن الكون كان فی بدايته حارا و كثيفا، و كان غازيا و كانت مادته و إشعاعه ممتزجين معا امتزاجا يختلف فيه تماما عما نعرفه عنهما من حيث تميزهما الواضح عن بعضهما، و يعود سبب الامتزاج إلی أنه فی غاز ذی درجة حرارة مرتفعة يحمل الإشعاع طاقة هائلة، الأمر الذی يوفر إمكان تحوله إلی مادة، و هكذا فالإشعاع و المادة فی بداية نشأة الكون سلكا سلوكا لا يكاد يميّز أحدهما عن الآخر ... و هم يعتقدون أن درجة حرارته كانت عالية جدا مما أدی إلی الانفجار العظيم) «۳».

(____۱) جورج جاموف، ۱۹۰۴ - ۱۹۶۸، الأمريكی الروسی الأصل، مؤسس نظرية الانفجار الكبير لنشوء الكون، و صاحب المصطلح الذی أصبح الآن من أكثر الفرضيات إثارة للجدل فی تاريخ العلم، و تنبأ بوفرة عنصر الهيليوم، و بانتشار الأشعة الباردة. انظر: مفكرون من عصرنا، سامی خشبة، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، الطبعة الأولی، ۱۴۲۲ ه/ ۲۰۰۱، ص: ۳۱۱. (۲) الشموس المتفجرة، إسحاق عظيموف، ترجمة السيد عطا، القاهرة، الهيئة

المصرية العامة للكتاب، ۱۹۹۴، ص: ۱۲۳- ۱۲۴. (۳) مقدمة فى علم الفلك، توماس آرنى، ترجمة، د. أحمد الحصرى، دمشق، دار طلاس، الطبعة الأولى، ۱۹۹۸، ص: ۷۰۲. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۷۹ و يؤكد هذا المعنى العالم «جون فايفر» «۱» فيقول: (لقد كانت الظلمات السائدة حينذاك نقطة بداية لا نقطة نهاية، عند ما تكونت فيها سحابة لا تشبه سحب اليوم أبدا، فقد بدأت المادة تتجمّع بالغريزة كما تتجمع قطعان الأغنام، و هكذا بدأت كثافة السحابة تزداد، و بدأت الظلمة تنقشع و يبدو فيها بصيص من النور، و لقد كان هذا النور بداية تكون النجوم) «۲». رسم يبين عملية الانفجار العظيم و توسع الكون و هذا ما أثبته العلماء فى أوائل القرن العشرين و ذكره القرآن الكريم منذ ألف و أربعمائة عام بأن السماء و الأرض كانتا رتقا ففتقناهما. (و فى اللحظات الأولى للكون عند ما كانت الكثافات هائلة، و درجات الحرارة

(____ ۱) جون فايفر أحد أئمة كتاب العلوم، و قد كرس نفسه أساسا لتقديم صورة عامة دقيقة عن نتائج البحث العلمى، و كان المحرر العلمى و الطبى لمجلة «نيوزويك» و المدير العلمى لإذاعة و تلفزيون كولومبيا، له عدة مؤلفات منها: العلم فى حياتك، و العقل البشرى، و الكون الصغير. انظر: مقدمة المترجم، ص: ۲. (۲) بداية الكون، جون فايفر، ترجمة، د. محمد الشحات، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ۱۹۷۵، ص: ۹. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۸۰ عالية، لا بد من أن الكون كان معتما، فلم تكن (فوتونات) «۱» أشعة تستطيع التحرك إلا لمسافة قصيرة جدا، و بعدها ترتطم إما بجسيم أو (بفوتون) آخر، و لكن عند ما أخذ الكون بالاتساع أخذت الأطوال الموجية (للفوتونات) فى الكرة النارية الأولية بدورها بالاستطالة شيئا فشيئا، و ازدياد الأطوال الموجية يعنى انخفاض الطاقة التى يحملها كل (فوتون)، و بانخفاض الطاقة المحمولة فى كل (فوتون) بدأت درجة حرارة الكرة النارية بالهبوط و ابتدأ الكون بعدها بالبرودة ... و قد لعبت (الإلكترونات) «۲» الحرة المنطلقة حول الكرة النارية، عند ما كان الكون فى بدايته ساخنا، دورا مهما فى الإبقاء على عتمة الكون، فقد كانت (الإلكترونات) الحرة تستطيع بسهولة و كفاءة تشتيت (الفوتونات)، إذ لم يكن لأى (فوتون) المجال للتحرك بعيدا، إذ كان و لا بد أن يرتطم (بالإلكترونات) السائبة) «۳». و يقول صاحب كتاب «قصة الكون»: (إن الكون قد بدأ على شكل كتلة ساخنة جدا من المادة، و لم يكن شبيها كليا بالمادة كما نعتقد، بل كانت توجد فيه على الأقل كتلة من الجسيمات الذرية الأولية مزدحمة مع بعضها، و قد قدر أن قطر هذه المادة لم يكن يتعدى بضع ملايين من الأميال، أى أنه كان من الممكن أن يوضع فى مدار الأرض حول الشمس، و لا بد أن كثافة هذه المادة كانت مائة مليون طن لكل سنتيمتر مكعب،

(____ ۱) الفوتون: notohp، عبارة عن كمية الطاقة الضوئية المرئية أو غير المرئية، و يمتلك الفوتون طاقة و كمية حركة، و يتمتع بكتلة تساوى طاقته مقسومة على مربع سرعة الضوء، غير أنه ليس له كتلة سكون، فهو دائم الحركة بسرعة تساوى سرعة الضوء، و هو جسيم ليس له أى شحنة كهربائية. انظر: الموسوعة الفلكية، خليل بدوى، عمّان، عالم الثقافة، الطبعة الأولى، ۱۹۹۹، ص ۸۴. (۲) الإلكترون: electron، مشتق من الكلمة اليونانية، nortktron، و التى تعنى الكهرمان، و هو جسيم ذو شحنة كهربائية سالبة يدور حول نواة الذرة، توجد الإلكترونات فى الحالة الاعتيادية فى مدراتها الرئيسية المستقرة فى الذرات، و بما أن عدد الإلكترونات يساوى عدد البروتونات فى ذرة ما، فإن شحنة الذرة تساوى صفرا. انظر: موسوعة الكويت العلمية للكيمياء، الكويت، مؤسسة الكويت للتقدم العلمى، الطبعة الأولى، ۱۹۸۶، ۱/ ۳۲۵، و ۱/ ۶۲۶. (۳) المجرات و الكوازرات، وليام كاوفمان، ترجمة، عبد الكريم السامرائى، بغداد، دار الشئون الثقافية العامة، الطبعة الأولى، ۱۹۸۹، ص ۱۳۷- ۱۳۸، و انظر: الانفجار الكبير، أميد شمشك، ترجمة، أورخان محمد على، عمّان، دار البشير، الطبعة الأولى، ۱۴۱۹ ه/ ۱۹۹۸ ص ۲۷، و انظر: الدقائق الثلاث الأولى من عمر الكون، ستيفن ونبرغ، ترجمة، وائل الأتاسى، دمشق، منشورات وزارة الثقافة ۱۹۸۶ ص: ۸۱. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۸۱ أى أكثف من نواة الذرة، كما كانت درجة حرارتها بلا شك عالية إلى حوالى عشرة بلايين درجة، و مثل هذه الكتلة يمكن أن تكون غير مستقرة جدا فتنفجر عند وقت ما، و مع درجة

الحرارة العالية لا بد أن الانفجار كان قويا، اندفعت بمقتضاه كل مادة الذرة الضخمة إلى الخارج، و فى جزء من الثانية أصبح للكون وجود) «۱». و يؤكد هذه القضية «كارل ساغان» «۲» فى كتابه «الكون» فيقول: (و نعلم الآن أن كوننا يبلغ من العمر نحو ۱۵ أو ۲۰ مليار سنة، و هذا الزمن محسوب منذ ذلك الحدث التفجيرى الاستثنائى، الذى يعرف بالانفجار الكبير، و فى بداية الكون لم تكن هناك مجرات أو نجوم أو كواكب أو أى نوع من الحياة أو حضارات، بل مجرد كرة نارية مشعة منتظمة الشكل تملأ الفضاء كله) «۳».

الإعجاز:

الإعجاز: لا أرى داعيا فى سرد المزيد من دراسات علماء الفلك و الكون، و التى تصور بمجملها أصل الكون و مولده، و تؤكد على أن الكون كان كتلة متماسكة حارّة، ثم بدأ

(____ ۱) قصة الكون عجب و بهاء، كليفورد سيماك، ترجمة، د. عبد القوى عياد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ۱۹۷۵ ص ۱۹۵ و انظر: آفاق فلكية، فوزية محمد الرويح، الكويت، جامعة الكويت، الطبعة الأولى، ۱۹۹۷، ص: ۲۸۱. (۲) كارل ساغان، أستاذ الفلك و علم الفضاء بمعهد دافيد دنكان، و مدير معمل دراسات الكواكب بجامعة كورنيل، قام بدور بارز فى رحلات سفن الفضاء، له نحو ستمائة ورقة بحثية علمية، بالإضافة للعديد من الكتب. انظر: مقدمة المترجم، ص: ۳، و انظر: الفضاء و الشهب، محمد فتحى عوض الله، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتب، ۱۹۷۳، ص: ۲۰، و انظر: بلوغ سنّ الرشد فى المجرة، تمثى فرس، ترجمة، هنرى مطر، عمّان، مركز الكتب الأردنى، ۱۹۹۰، ص ۳۸۳، و انظر: الكون البحث عن لحظة الميلاد، هوبرت ريفز، ترجمة، درويش الحلّوجى، القاهرة، المستقبل العربى، الطبعة الأولى، ۱۹۹۶، ص: ۷۱، و انظر: أجمل تاريخ للكون، جويل دوروني و آخرون، ترجمة، موسى خورى، بيروت، دار الكتاب العربى، ۱۹۹۶، ص: ۲۲. (۳) عالم المعرفة، الكون، كارل ساغان، ترجمة، نافع أيوب لبس، الكويت، المجلس الوطنى للثقافة، ۱۴۱۴ ه/ ۱۹۹۳، ص: ۳۶، و انظر رحلة فى الكون و الحياة، أحمد محمد عوف، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ۱۹۹۶، ص: ۱۲۳، و انظر: نشأة الكون، السموات السبع، محمد جمال الدين الفندى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ۱۹۷۳، ص: ۱۴۲. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۸۲ بانفجار مدو عظيم أدى إلى انفصال الكتلة الملتحمة، و تفرقت أجزاؤها فى أنحاء الفضاء، و كانت درجة الحرارة وقتها عالية جدا ثم تبردت و انخفضت ... هذا ما توصل إليه علماء الكون «۱» بعد دراسات حثيثة و مضنية، كلفتهم ما اللّه به عليم من الجهد و الوقت و المال، لكننا نجد أن القرآن الكريم قد سبقهم لتسطير هذه الحقيقة حول أصل الكون و مولده، قبل أكثر من أربعة عشر قرنا، حيث قال اللّه جل جلاله: أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَ فَلا يُؤْمِنُونَ «۲»، ما أعظمها من آية و ما أدق بيان الحق فيها، فهى تصور لنا أن السموات و الأرض كانتا رَتْقاً أى كتلة واحدة ملتصقة متماسكة فَفَتَقْناهُما أى فصلنا أجزائهما من مجرات و كواكب و نجوم ... و هذا ما كشف عنه العلم المعاصر اليوم، أو ليس هذا التوافق داعيا البشر ليطأطئوا الرءوس إجلالا و تعظيما لهذا الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه (____. ۱) ما يؤخذ على القول (بالانفجار العظيم) و نرده و لا نقبله هو (الانفجار) لأن الانفجار يدل على العشوائية و عدم الرتابة و الانضباط، لذلك نرى أن تستبدل هذه اللفظة، و هذا المصطلح بالمصطلح القرآنى (الرتق و الفتق) لأنه أدق فى التعبير عن بداية خلق الكون، و أفصح و أوضح لغة و حقيقة. (۲) سورة الأنبياء، الآية: ۳۰. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۸۳ صورة رقم: (۲) (مجرة إم ۱۰۱ أو مجرة المروحة) إحدى أضخم و ألمع المجرات المعروفة و التى تسمى إم ۱۰۱، أو مجرة المروحة نسبة لشكلها العام و التى تمتد على قطر يبلغ مائتين ألف سنة ضوئية، و تقع على مسافة اثنين و عشرين سنة ضوئية عن مجرتنا، كما أنها تخلف موجات من الكتل العالية، و تكثف الغاز ليدور حول مركز المجرة، و هذه الموجات تضغط على الغازات الموجودة و تسبب نشوء النجوم، و هذه الصورة

التقطتهـــــــــــــا ناســـــــــــا الفضائيــــــــــــــــــة الأمريكيــــــــــــــــة فى ١٠ / ٣ / ٢٠٠٣ «١».

(____) ترجم هـذا النص، و أخـذت هذه الصورة من موقع ناسا: http//: antw rp. gsfc. nasa. gov/ apod/ ap. ١٣٠٣ html الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ١٨٤

المبحث الثالث تمدد الكون و توسعه

اشارة

المبحث الثالث تمدد الكون و توسعه يقول سبحانه و تعالى: وَ السَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ «١». تعطينا هذه الآية الكريمة مشهدا آخر من مشاهـد تخلق الكون و تطوره، و هـذا هو الطور الثانى الـذى مرت به حركة الكون، فبعد أن طرأ عليه الانفجار العظيم، هبطت درجة حرارته المرتفعة، و بدأ بالتبرد، و التوسع، و الانتشار، و التمدد الدءوب المستمر ... و إن هذا التوسع و ذاك التمدد، لم يسر عبر مسالك مسـتوعرة، و طرق و ساحات قد ازدحمت بالفوضى و الاضطراب ... ليست الحالة كذلك بل كما عبّر القرآن الكريم بَنَيْناها و البناء يقتضـى هندسة دقيقة، و يستلزم تصميما تشيع بين جنباته الرّتابة المتألقة. و بإلقاء نظرة فى كتب المفسرين حول معانى هذه الآية، و ما تصور لنا من معطيات كونيـة و علمية نجد ما يلى: يقول القرطبى: (فى السـماء آيات و عبر تدل على أن الصانع قادر على الكمال، فعطف أمر السماء على قصة قوم نوح لأنهما آيتان، و معنى بِأَيْدٍ أى بقوة و قدرة، عن ابن عباس و غيره: وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ قال ابن عباس: لقادرون، و قيل: أى و إنا لذو سعة، و بخلقها و خلق غيرها لا يضـيق علينا شـىء نريده، و قيل: أى و إنا لموسعون الرزق على خلقنا، و منه أيضا، و إنا لموسـعون الرزق بالمطر و قيل: جعلنا بينهما و بين الأرض سعة) «٢». و يقول البيضاوى: (و إنا لموسعون، أى لقادرون، مـن الوسـع، بمعنى الطاقـة، و الموسـع: القـادر على الإنفـاق، أو لموسـعون السـماء، أو مـا بينهـا و بيـن الأـرض، أو الرزق) «٣».

(____) سـورة الـذاريات، الآيـة: ٤٧. (٢) الجـامع لأحكـام القرآن، للقرطـبى، ١٧ / ٥٢. (٣) أنـوار التنزيـل، للبيضـاوى، ٥ / ٢٤١. الإعجـاز القرآنى فى ضـوء الاكتشـاف العلمى الحديث، ص: ١٨٥ و فى «روح المعانى»: (و السـماء، أى و بنينا السـماء بنيناها، بأييد: أى بقوة، قاله ابن عباس و مجاهد و قتادة، و مثله الآد، و ليس جمع يـد، و جوزه الإمام، و إن صحت التوريـة به، و إنا لموسـعون، أى لقادرون، من الوسع بمعنى الطاقة، فالجملة تذييل إثباتا لسـعة قدرته عز و جلّ كل شىء، فضلا عن السماء، ... و اليد بمعنى النعمة لا الإنعام، و قيل: أى لموسعوها بحيث أن الأرض و ما يحيط بها من الماء و الهواء بالنسبة إليها محلقة فى فلاة، و قيل: أى لجاعلون بينها و بين الأرض سعة، و المراد السعة المكانية) «١». و فى تفسير «فتح القدير»: (و إنا لموسعون، الموسع: ذو الوسع و السعة، و المعنى إنا لذو سعة بخلقها و خلق غيرها، لا نعجز عن ذلك، و قيل: لقادرون، من الوسع بمعنى الطاقة و القدرة، و قيل: إنا لموسعون الرزق بالمطر) «٢». و يقول ابن عاشور: (و الموسع: اسم فاعل من أوسع، إذا كان ذا وسع، أى قدرة، و تصاريفه جائية من السعة، و هى امتداد مساحة المكان ضد الضيق) «٣». و يقول سيد قطب رحمة اللّه: (و الأيـد: القوة، و القوة أوضـح ما ينبئ عنه بناء السـماء الهائل المتماسك المتناسق، بأى مدلول من مدلولات كلمة السـماء، سواء كـانت تعنى مـدارات النجـوم و الكواكب، أم تعنى مجموعـة من المجموعـات النجميـة الـتى يطلق عليهـا اسم المجرة، و تحوى مئـات الملايين من النجوم و الكواكب ... و السعة كـذلك ظاهرة، فهـذه النجوم ذات الأحجام الهائلة و التى تعد بالملايين، لا تعد أن تكون ذرات متناثرة فى هـذا الفضاء الرهيب) «۴». فكلمة تشير إلى الاسـتمرارية فى البناء المتناسق، و هذا نفى لكل ما قد يمور فى سـراديب عقـل إنسان، من أن الكون جامـد ثابت لا حراك فيه و لا حركـة، و أنه ملازم صـفة واحـدة لا ينفك عنها. و إذا ما رجعنا إلى معاجم اللغـــة و فتشـــنا عـــن معنى كلمـــة (موســـع) و عـــن الأبعـــاد الـــتى تعطينـــا إياهـــا فســـوف نجـــد مـــا يلى:

(______________________________________ ۱) روح المعانی، للآلوسی، ۲۷/ ۱۷.

(۲) فتح القدیر، محمد بن علی الشوکانی، ۵/ ۹۱. (۳) التحریر و التنویر، محمد الطاهر ابن عاشور، بیروت، مؤسسة التاریخ، الطبعة الأولی، ۱۴۲۰ ه/ ۲۰۰۰، ۲۷/ ۳۶. (۴) فی ظلال القرآن، لسید قطب، ۶/ ۳۳۸۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۸۶ (وسعه الشیء بالکسر یسعه سعة بالفتح، و الوسع و السعة بالفتح الجدة و الطاقة، و أوسع الرجل صار ذا سعة و غنی، و منه قوله تعالی: وَ السَّماءَ بَنَیْناها بِأَیْدٍ وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ أی أغنیاء قادرون و یقال: أوسع اللّه علیک، أی أغناک، و التوسیع خلاف التضییق، تقول: وسع الشیء فاتسع و استوسع أی صار واسعا، و توسعوا فی المجلس تفسحوا) «۱». و فی لسان العرب: (... فی أسمائه سبحانه و تعالی الواسع، و هو الذی وسع رزقه جمیع خلقه و وسعت رحمته کل شیء، و غناه کل فقر، و یقال: الواسع المحیط بکل شیء ... و السعة، نقیض الضیق و استوسع الشیء، وجده واسعا و طلبه واسعا، و أوسعه و وسعه، صیره واسعا، و قوله تعالی: وَ السَّماءَ بَنَیْناها بِأَیْدٍ وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ أراد جعلنا بینها و بین الأرض سعة، جعل أوسع بمعنی وسع، و قیل: أوسع الرجل صار ذا سعة و غنی، و قوله: وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ أی أغنیاء قادرون) «۲». هذا هو النبأ و القرار القرآنی الصریح حول استمراریة الکون فی عملیة البناء الموسعة، فمن معطیات الآیة الکریمة أن الکون فی حالة اتساع مستمرة، و أنه غیر ثابت محجم و محجر، فما ذا یقول علماء الفلک فی هذا؟ و ما ذا توصلوا فی أبحاثهم حول توسع الکون؟.

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: المتتبع للمستجدات العلمیة فی أواخر القرن التاسع عشر و بدایة القرن العشرین، یجد تنافسا هائلا بین العلماء فیمن یحظی بأسبقیة تدوین اکتشافه حول حرکة الکون و توسعه. فلقد (لاحظ العالم النمساوی «دوفلر» «۳» فی سنة ۱۸۴۲، أن الموجات الصوتیة و الضوئیة الصادرة عن جسم متحرک، تغیر أطوالها و ذبذباتها تبعا لحرکاتها بالنسبة لراصدها، فهی تقصر فتزداد حدة إذا کانت صادرة عن جسم یتحرک نحو الراصد، أو

(______________________________________ ۱) مختار الصحاح، فخر الدین الرازی، ۱/ ۲۱۰. (۲) لسان العرب، لابن منظور، ۸/ ۳۹۲. (۳) کریستیان جوهان دوفلر، relppod، فیزیائی فلکی نمساوی، اکتشف ظاهرة دوفلر، و هی تغیّر الطول الموجی الضوئی أو الکهرومغنیطی المنبعث من جسم متحرک. انظر: علم الفلک، هاشم أحمد، بیروت، هلابون، د. ت، ص: ۸۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۸۷ تطول فتخف حدتها إذا کانت صادرة عن جسم یبتعد عن راصده، هذه الظاهرة المعروفة فی الفیزیاء باسم ظاهرة «دوفلر»، و قد اکتسبت نظریة «دوفلر» هذه أهمیة کبری فی علم الفلک عام ۱۸۶۸، عند ما استخدمت فی دراسة الخطوط الطیفیة المنفصلة، فقد برهن العلماء فی ذلک العام أن فی الخطوط المظلمة من أطیاف بعض النجوم إزاحة بسیطة نحو الأحمر أو الأزرق مقارنة مع طیف الشمس) «۱». ثم جاء «أنیشتاین» «۲» بنظریته النسبیة (و التی تمثل مراجعة شاملة لقوانین الفیزیاء التقلیدیة، فعند ما فرغ أنیشتاین من صیاغة النظریة النسبیة العامة فی عام ۱۹۲۵، حاول استغلال نظریته فی بناء نموذج نظری للکون، و لا بد من الإشارة إلی أن النظریة النسبیة هی نظریة للجاذبیة، تطبق علی الأنظمة الحرکیة المنتظمة و غیر المنتظمة، و یعتبر أنیشتاین بنظریته النسبیة أن الجاذبیة تمثل انحناء أو تحدبا فی النسیج الزمکانی «الزمان و المکان» و بغیاب الجاذبیة یصبح کل من الزمان و المکان مسطحا، و فی حالة وجود مجال جذبی ینحنی الزمان و المکان ... و رغم أن نظریة أنیشتاین حول الجاذبیة أکثر دقة، إلا أنه لم یکن متأکدا من صحة ما توصل إلیه فی بناء النماذج النظریة للکون، و لم یکن أحد فی ذلک الحین أیضا یظن أو یشک بوجود حرکات کبری فی الکون، و لذلک اتجه أنیشتاین فی أبحاثه إلی وضع نماذج ثابتة للکون، و قد تعرضت جهوده فی هذا المجال للإحباط الشدید، فکلما سعی إلی بناء نموذج ریاضی للکون یجد أن عمله یؤدی إلی کون ینکمش، و بدلا من أن یتابع ما توصل إلیه فی حساباته و یوافقها إذ کانت صیغته الریاضیة تقوده دائما إلی حقیقة تدل علی

أننـــا لا نحيـــا فى كـــون ثـــابت، و لـــذلك بـــدأ

(__________) ۱) الكون و أحجار الفضاء، محمد فتحى عوض، دمشق، دار الوثبة، الطبعة الثانية، ۱۹۸۳، ص: ۴۱، و انظر: المحيرات الفلكية، عبد الرحيم بدر، الكويت، مؤسسة الكويت للتقدم العلمى، الطبعة الأولى، ۱۹۸۴، ص: ۳۰. (۲) أنيشتاين، ۱۸۷۹ – ۱۹۵۵، فيزيائى ألمانى، صاحب نظرية النسبية المشهورة التى لا يفهمها إلا نفر ضئيل، و هو من علماء الرياضيات و من أعمق المفكرين، أتم دراسته الثانوية فى ميونخ، و أخذ الجنسية السويسرية، و استقر فى برلين و عين عضوا فى أكاديمية العلوم فيها عام ۱۹۱۳، و نشر نظرية النسبية. انظر: مشاهير القرن العشرين، محمد بوذينة، تونس، مطبعة تونس، الطبعة الأولى، ۱۹۹۴، ص: ۸۹ و انظر: أعلام الحضارة، سمير شيخانى، بيروت، مؤسسة عز الدين، ۱۴۰۱ ه/ ۱۹۸۱، ص: ۲۳۸، و انظر: الأطلس الفلكى، محمد عصام الميدانى، ص: ۸۷. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۸۸ الشك و الحيرة تصيبه فى صحة معادلاته، و على ذلك أضاف إلى معادلاته مقدارا محددا أطلق عليه «الثابت الكونى» بحيث يمنع الثابت كون «أنيشتاين» من الانكماش، و بمعادلاته الخاطئة فى بناء نماذج كونية ثابتة فوت «أنيشتاين» الفرصة فى تعجيل اكتشاف «هبل»، بما لا يقل عن عشر سنوات، و بحلول عام ۱۹۲۹، أصبح جليا أننا نحيا فى كون يتمدد، و لم يعد هناك أى تحفظ جديد، و لقد ندم «أنيشتاين» كثيرا فى السنوات الأخيرة التالية لإضافته الثابت الكونى فى معادلاته الأصلية فى النسبية العامة، و أشار إلى ذلك بقوله: لقد كان ذلك هو أكبر خطأ وقعت به فى حياتى) «۱». ثم استنتج العالم الفلكى الأمريكى «هبل» (أن المجرات تتباعد عن بعضها بعضا بسرعات تتناسب مع المسافة بينها، يشبه ذلك قليلا قالب الحلوى الذى نضعه فى الفرن، فكلما انتفخ تباعدت فيه حبات الزبيب عن بعضها بعضا، و هذه الحركة لمجمل المجرات و المسماة توسع الكون) «۲». يقول «ستيفن هوكنغ» «۳»: (صورتنا الحديثة عن الكون يرجع تاريخها فقط إلى ۱۹۲۴، عند ما برهن عالم الفلك الأمريكى «إدوين هبل» على أن مجرتنا ليست المجرة الوحيدة، و الحقيقة أن هناك مجرات كثيرة أخرى، بينها قطع فسيحة من فضاء خاو، و حتى يثبت ذلك فإنه احتاج إلى تحديد المسافـــات إلى هـــذه المجرات الأخـــرى، و هى

(__________) ۱) نحن و الكون، عبد الوهاب سليمان، الكويت، مؤسسة الكويت التقدم العلمى، الطبعة الأولى، ۱۹۹۶، ص: ۹۴، و انظر: المجموعة الشمسية و مجال الجاذبية الكونية، الأمين محمد كعورة، القاهرة، المكتب المصرى الحديث، د. ت، ص: ۲۴. (۲) أجمل تاريخ للكون، جويل دوروني و آخرون، ص ۲۲، و انظر: هل من كائنات عاقلة خارج الأرض، نزار دندش، بيروت، دار المؤلف، الطبعة الأولى، ۱۴۲۰ ه/ ۲۰۰۰، ص: ۱۸، و انظر: الكون و الطاقة، إعداد المكتب العالمى للبحوث، بيروت، المكتب العالمى ۱۴۰۳ ه/ ۱۹۸۹، ص: ۹، و انظر: علم الفلك و فلسفة النسق الكونى، فائز فوق العادة، الكويت، مؤسسة الكويت للتقدم العلمى الطبعة الأولى، ۱۹۹۲، ص: ۳۳۵. (۳) ستيفن هوكنغ، ملّاح بارع يجوب أفاقا عجيبة فى علم الكون و الفيزياء، مستندا إلى موهبة علمية فذة، وسعة أفق خلاقة، و من الشيق أنه رجل معوق ألزمه مرض أعصابه و عضلاته كرسيه ذا العجلات طيلة العشرين سنة الأخيرة من عمره، الذى بلغ التاسعة و الأربعين و مع ذلك فهو يعد أبرز المنظرين فى الفيزياء منذ أنيشتاين، و يشغل الآن كرسى أستاذ الرياضيات الذى كان يشغله إسحاق نيوتن فى كمبردج. انظر: مقدمة المترجم، ص: ۲. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۸۹ بعيدة جدا بحيث إنها بخلاف النجوم القريبة التى تبدو فى الواقع ثابتة، و اضطر «هبل» بسبب ذلك إلى استخدام وسائل غير مباشرة لقياس المسافات، و قام «هبل» بحساب المسافات إلى تسع مجرات مختلفة، و نحن نعرف الآن أن مجرتنا ليست إلا واحدة من مجرات يناهز عددها مائة ألف مليون مما يمكن رؤيته باستخدام (التلسكوبات الحديثة) ... و اكتشاف أن الكون يتمدد هو إحدى الثورات الثقافية العظيمة فى القرن العشرين) «۱» و يقول «ستيفن هوكنغ» أيضا: (بعد انقضاء ساعات قليلة على الانفجار العظيم يكون توليد (الهليوم) «۲» و العناصر الأخرى قد توقف بعد ذلك، و حتى لفترة مليون سنة تلت أو نحو ذلك يكون الكون قد استمر فى توسعه من دون حدوث ما هو ذو شأن يذكر،

و أخيرا عند ما تكون الحرارة قد انخفضت إلى آلاف قليلة من الدرجات، و لم يعد (للإلكترونات) و للنوى ما يكفى من الطاقة للتغلب على الجاذبية الكهرومغناطيسية فيما بينها، تأخذ هذه (الإلكترونات) و النوى بالتكتل لتكوين الذرات و يكون الكون ككل قد استمر فى التوسع و التبرد) «۳». ثم إن (المراقبين فى سائر المجرات النموذجية، يرون دفعة مادية واحدة و فى جميع الاتجاهات، و فى أثناء هذا التوسع تزداد أطوال موجات الأشعة الضوئية متناسبة مع المسافة بين المجرات، و لا يظن أن هذا التوسع هو نتيجة لقوة كونية دافعة، بل إنه ببساطة سرعة انفلات و هروب اكتسبتها الأجرام عند حدوث انفجار سابق، و هذه السرعة تتناقص تدريجيا تحت تأثير الجاذبية) «۴». و لقد أكدت قياسات «هبل» (أن جميع المجرات، حتى الموغلة فى الأعماق السحيقة من الكون تتحرك مبتعدة عنا و بسرعات هائلة، و تبدو لأعيننا و كأن الكون ينفتح

(____ ۱) موجز فى تاريخ الزمان، ستيفن هوكنغ، ترجمة، مصطفى فهمى، القاهرة، مكتبة الأسرة، ۲۰۰۱، ص: ۴۴، و انظر: علم الفلك العام، مرفت السيد عوض و مصطفى كمال محمود، القاهرة، دار الفكر العربى، الطبعة الأولى، ۱۴۲۰ ه/ ۲۰۰۰، ص: ۲۷۵. (۲) الهليوم، أخف العناصر و أكثرها و فرة بعد الهيدروجين، كل ذرة هليوم تحتوى إلكترونين حول نواتها. الدقائق الثلاث الأولى من عمر الكون، ستيفن و ينبرغ، ص: ۱۸۸. (۳) موجز فى تاريخ الزمان، ستيفن هوكنغ، ص: ۱۴۲. (۴) الدقائق الثلاث الأولى من عمر الكون، ستيفن و ينبرغ، ص: ۶۳. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۹۰ أمام ناظرينا، و على الرغم مما لوحظ من تباعد عام لجميع المجرات عن مجرتنا، إلا أنه تم الكشف عن استثناء وحيد فى ذلك، و هو مجرة (المرأة المسلسلة) التى تبدو و كأنها تتحرك نحونا، و لقد عرف السبب الحقيقى لذلك منذ وقت قريب، و هو أن حركة شمسنا فى مدارها حول مركز مجرتنا تقع فى اتجاه مجرة المرأة المسلسلة) «۱». (و يقوم العلماء حاليا باستعمال مطيافات شديدة القوة و الفاعلية لتحليل ضوء النجوم، و بعد دراسات طويلة توصلوا إلى التأكد من أن الخطوط الطيفية تميل دائما إلى الاحمرار، و عند ما يبتعد مصدر ضوئى عن المرصد الموجود على الأرض نجد أن تردد الضوء يتضاءل، و بما أن اللون يحدد تردد الموجات الضوئية، و أن اللون الأحمر يكون تردده أقل، فإن العلماء قد استنتجوا أن ميل الخطوط الطيفية إلى الإحمرار إنما يدل على أن كل الأجرام تبتعد عن بعضها، مما ينتج عنه امتداد للكون بشكل عام) «۲».

الإعجاز:

الإعجاز: هذه هى الحقائق العلمية عن توسع الكون، التى قد توصل إليها العلماء فى عصرنا الحاضر، و أثبتوا كما رأينا من تضافر أبحاثهم، أن الكون ليس ثابتا جامدا، إنما هو كون متحرك متوسع، و هذا الذى وصلوا إليه بعد كل الدراسات الشاقة و الأبحاث المضنية، نجد أن القرآن الكريم الذى نزل على نبىّ أمّىّ صلى اللّه عليه و سلم و على أمة بدائية تعيش بين بحار من الرمال فى فناء الصحراء الواسع، قد سبق العلماء فى إثبات هذه الحقائق العلمية، و سطرها فى صفحاته المجيدة، وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ لتكون سراجا مضيئا يتبصر بها جمهرة البشر معالم بناء حضارتهم، و سبل الوصول إلى الحق فاليقين، و ليعلم الجميع أن هذا الكتاب حق، و أنه تنزيل العزيز الحميد

(____ ۱) قصة نشوء الكون، مخلص الريس و على موسى، دمشق، دار دمشق، الطبعة الأولى، ۱۹۹۰، ص: ۴۱. (۲) موسوعة الكون و الفضاء و الأرض، موريس شربل و رشيد فرحات، بيروت، دار الفكر العربى، الطبعة الأولى، ۱۹۹۹، ص: ۲۰ و انظر: طرائف علم الفلك، فيكتور كوماروف، ترجمة عبد اللّه حبة، موسكو، دار مير، ۱۹۸۵، ص: ۲۴، و انظر: أحاديث حول اللامرئى، جان أودوز و آخرون، ترجمة، نور الدين عبيد، الطبعة الأولى، ۲۰۰۰، دمشق، مكتبة الأهلى، ص: ۶۶، و انظر: احتمالات نهاية الكون، إعداد قسم التأليف و الترجمة فى دار الرشيد، دمشق- بيروت، دار الرشيد، ۱۴۰۸ ه/ ۱۹۸۸، ص: ۲۷. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۹۱ صورة رقم: (۳)، مجرة (أندروميدا). مجرة أندروميدا، قرص مستدير ذو هيئة لولبية، و لها ذراعان يتكونان من مليارات النجوم، و هى أقرب

مجرة أساسية لمجرتنا، و هذه المجرة انطلق ضوؤها قبل اثنين مليون سنة ليصلنا، و هی فی حالة توسع و انتشار، التقطت (ناسا) الفضائية هـذه الصـورة فی ۲۴ / ۷ / ۱۹۹۵ «۱____».

(۱) ترجم هـذا الكلام و أخـذت هذه الصورة من موقع: ppth //:prwtna. cfsg. asan. vog /dopa /pa ۹۵۰۷۲۴. lmth الإعجـاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحـديث، ص: ۱۹۲ صورة رقم: (۳)، مجرة (درب التبانـة). و هذه مجرتنا (درب التبانة)، الـتی تحتـوی علی ملاـيين النجـوم، و الضـوء المشع هـو مـن أقرب النجـوم لمركز المجرة، التقطتهـا (ناسـا) فی ۱۳ / ۶ / ۱۹۹۶ «۱».

(____۱) ترجم هـذا الكلام و أخـذت هذه الصـورة من موقع: ptth //:planetscapes. moc /ralos /pac /sd /milkyway. mth الإعجـاز القرآنی فی ضـوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۱۹۳

المبحث الرابع نهاية الكون بين القرآن و العلم

اشارة

المبحث الرابع نهايـة الكون بين القرآن و العلم إن الإيمـان المقـدس الـذی شـرفنا اللّه سـبحانه و تعـالی به، له متعلقات هامـة ينبغی أن تكون ماثلة دائما فی الأذهان و النفوس، و مسـتلزمات لا ينبغی أن تنفك عنه قيد أنملة، و أول ثمرة من مقتضيات الإيمان باللّه سبحانه و تعالی، أن يشـرق فی نفس العبـد إماض التوحيـد الناصع، و يسـتقر فی سويـداء قلبه أن الـذی أبلج الكون من العدم، و فلقه من ظلام اللاشـیء هو اللّه الخـالق العظيم. و هـذه الحقيقـة الشامخـة هی المقوم الأـول من مقومـات الـدين، و الدعامـة الأـولی التی ينهض علی أساسـها صـرح الإسـلام الشاهق السامی. فإذا ما تكاملت التصورات السديدة حول هذه الحقيقة، و تساوقت المعانی المتلازمة فی سبيل ترسـيخ هـذا التصور فی أعماق النفس و الفؤاد، آنـذاك نقف علی مفرق الطريق، بين من حفلت نفوسـهم بهـذه الحقيقة فآمنوا بهذا و انصـاعوا بشـوق و حب لمتعلقاتهـا، و بين من تنكّب طريق هـذه الحقيقـة فـارتكس علی وجهه قـد خسـر الـدنيا و الآـخرة و ذلـك هو الخسـران المبين. النزعات البشـرية التی يصدرها الهوی كثيرة، إلا أن أخطرها تلك النزعات المسـعورة التی تبناها جمهرة من الذين لا يقرّون بوحدانيـة الخـالق لهـذا الكون، فراحوا يروجون بين النـاس أن الكون أزلی سـرمدی، لا أول لأوّله، و سـخروا لبث هـذه الأفكار المسـمومة أمـة هائلة من البشـر، و إمكانات ضـخمة من القوة و المال، فأوغلوا فی الجحود و إنكار الذات العليا، و اكتسـی هذا الإلحاد أثوابا متعددة فتارة يعلنون كفرهم بالله و إنكارهم أن للكون خالقا باسم الشيوعية، و تارة باسم العلم و التمدن و هذه المسميات نتسامع عنها بين الفينة و الأخری، و تظهر بصور و أشـكال متعددة، إلا أن جوهرها و حقيقتها واحدة ألا و هی إنكار وحدانية اللّه و تصـرفه فی الكون. هـذه المزاعم العتيقـة لم يبق من يعيرها اهتماما، بعـد ما أثبتت البحوث العلميـة أن الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۱۹۴ الكون حادث و ليس بأزلی، و هـذا الصـلف الـذی روجوه، قـد تصدی للرد عليه العلماء فی شتی تخصـصاتهم، و أثبتوا أن الكون تفجر من العـدم. ينص القانون (للـديناميكا) الحرارية علی أنه (من المحال أن يكون وجود الكون أزليا فهو ينص علی أن الحرارة تنتقل من الأجسام الساخنة إلی الباردة، و حيث إنه لا يمكن أن يحدث العكس، أی انتقال الحرارة من الأجسام الباردة إلی الحارة بدافع ذاتی، فإن الكون يسير إلی درجة تتساوی و تتناسب فيها حرارة جميع الموجودات، و ينطفئ وهج الطاقة و يغور معينها، و تقف التفاعلات الكيميائية فی الكون كله، لكن بما أن العمليات الكيميائية ما تزال مرئية و واقعية نعيشها فی الكون من سطوع الشمس، و دوران الأـرض، و حركـة النجوم و الأفلاـك، فهـذا دليـل علی أن الكون ليس أزليا، إذ لو كان الكون أزليا لفقـد طاقته منـذ أعصار بعيدة، بناء علی هذا القانون فإن الحياة التی تدب فی الموجودات، تسير نحو الانكسار و التقويض حتی تنتهی تلقائيا، و تتوقف الحركة و يسود الفناء) «۱». (إن الاكتشاف العظيم فی هذا القرن هو أن الكون ليس مستقرا و لا أبديا، كما كان يفترض معظم علماء الماضی،

نحن الیوم مقتنعون بـذلک تمـام الاعتقـاد، فللکون تاریـخ و هو لاـ ینفـک یتطور بتنـاقض کثـافته و ابترادہ و تشـکل بناه، و تسـمح لنا أرصادنا و نظریاتنا بإعادهٔ تشـکیل (السـیناریو) و بالرجوع فی الزمن، و هی تثبت لنا أن هذا التطور مسـتمرّ منذ ماض بعید جدا یقع بین ۱۰ ملیارات و ۱۵ ملیار سـنهٔ وفق التقدیرات) «۲». و یصـرح «ستیفن هوکنغ» بوجود بدایـهٔ و نهایـهٔ للکون فیقول: (إذن لیس مفاجئا أن یکون الکثیر من العلماء غیر مبتهجین لهذا الاسـتنتاج المنطوی علی وجود متفرد لانفجار أعظم، و بالتالی علی وجود بدایهٔ للزمن) «۳».

(____۱) انظر: الحرارهٔ و الـــــدینامیکا الحراریـهٔ، مارک وزنماسـکی و ریتشارد دیثمان، ترجمهٔ، محسن سالم رضوان، القاهرهٔ، دار ماکجروصـیل الطبعهٔ الأولی، ۱۹۸۲، ص: ۱۸۰، و انظر: الـدینامیکا الحراریـهٔ، فرانسـیس و سـتون سـیرس، ترجمـهٔ، رضا جاد جرجس و طاهر مجید الشـریتی، البصـرهٔ، طبع کلیهٔ التربیـهٔ جامعـهٔ البصــرهٔ، د. ت، ص: ۱۸۳، و انظر: الـدینامیکا الحراریـهٔ، أبـوت فـان هیس، ترجمـهٔ، أحمـد فؤاد باشـا و سـعید بسـیونی الجزائری، القاهرهٔ، الدار الدولیهٔ للنشر، الطبعهٔ الرابعهٔ، ۱۹۹۸، ص: ۱۷۶. (۲) أجمل تاریخ للکون، جویل دورونی، و آخرون، ص: ۱۶. (۳) الثقوب السوداء و الأکوان الطفلهٔ، ستیفن هوکنغ، ترجمهٔ، حاتم النجدی، دمشق، دار المعارف للطباعهٔ، الطبعهٔ الأولی، ۱۹۹۸، ص: ۷۸. الإعجـاز القرآنی فی ضوء الاکتشـاف العلمی الحـدیث، ص: ۱۹۵ هـذا هو القرار العلمی الـذی توصل إلیه الـدارسون، و هـذا هو الواقع الذی ینطق الکون به، لأن الکون متغیر و کل ما قد خضع لقانون التغیر و التبدل، فإنه حادث مصیره الفناء و لو بعد حین. و نزید فی التأکیـد علی نهایـهٔ الکون من الناحیـهٔ العلمیـهٔ، باسـتعراض نتائـج ما اسـتقر فی دراسات الباحثین حول هـذه القضـیهٔ، یقول «ستیفن وینبرغ»: (و سـیقف توسـعه عند حد یتبعه بعدئذ انکماش متسارع، و سـتهبط درجهٔ حرارهٔ الخلفیهٔ الکونیهٔ (للفوتونات) و (النوترینوات) «۱»، ثم ترتفـع تبعـا لانتقـال الکون من طور التوسع إلی طور الانکمـاش، و سـتتغیر دائمـا بتنـاسب عکسـی مع قـدر الکون ... و سـتبدأ الجزئیـات فی أجواء النجوم و السیارات بالتفکـک إلی ذراتهـا المکونـهٔ لها، و سـتنفصل (إلکترونات) الـذرات عن نواها لتصبح حرهٔ طلیقـهٔ، ثم تذوب النجوم و السیارات فی حساء کونی من الإشـعاع ...) «۲». (و أثناء اسـتمرار هـذا التوسع تبتعد المجرات بالتدریج، و یخبو نورها حتی تصـبح غیر مرئیـهٔ، و کل مادهٔ منها ما لم تبتلعها الثقوب السوداء سـتبرد ببطء حتی تبلغ درجهٔ حرارهٔ الفضاء الصـقیعیهٔ إلی الأبـد ... حتمـا و هنـاک فی العلم وضع تنبؤات تولـد کآبـهٔ لاـ تقـل عمقا عن کآبـهٔ موت العالم الحی) «۳». (و فی نهایـهٔ المطاف یتحول النجم المتقلص إلی بؤرهٔ غیر مرئیـهٔ، یحیطهـا مجـال جـذبی شدیـدهٔ القوهٔ یمتص و یبتلع کل ما یمر جواره من أجسام مادیـهٔ أو (فوتونـــات ضوئیـــهٔ)، أو نجـــوم هرمـــهٔ مکدســـهٔ و منکمشـــهٔ، و یرافـــق النجـــم المنهـــار المتقلص ازدیـــاد فی شـــدهٔ المجـــال

(____۱) النوترینوات، onirtuen، جسیم أولی من المـادهٔ، خفیف الوزن للغایـهٔ، و ربمـا من دون کتلـهٔ، یتـأثر بـالقوهٔ الضـعیفهٔ و بالجاذبیـهٔ دون سواهمـا. انظر: موجز فی تـاریخ الزمان، ستیفن هوکنغ، ص: ۲۱۱. (۲) الدقائق الثلاث الأولی من عمر الکون، ستیفن و ینبرغ، ص: ۱۹۸. (۳) المکان و الزمان فی العالم الکونی الحـدیث، ب. د. دیفیس، ترجمـهٔ، أدهم السـمان، دمشق، مؤسـسهٔ الرسالهٔ، الطبعهٔ الأولی، ۱۴۰۹ ه/ ۱۹۸۸، ص: ۲۰۵، و انظر: أعمـاق الکون، سـعد شـعبان، القـاهرهٔ، دار الکتـاب العربی، د. ت، ص: ۳۵۰، و انظر: مـن الـذرهٔ إلی المجرهٔ، محمـد صالـح المحب، بیروت، دار الفکر اللبنـــانی، د. ت، ص: ۹۴. الإعجـاز القرآنی فی ضوء الاکتشـاف العلمی الحـدیث، ص: ۱۹۶ الجذبی قرب سـطحه لتصـبح أعظم من أی قوهٔ أخری فی النجم، و القادرهٔ علی اختفائه من الوجود و تحویله إلی ثقب أسود ذی درجهٔ حرارهٔ عالیهٔ) «۱». (و الإنسان یری نفسه علی مرآهٔ المرصد فی النهایهٔ حسب نظریهٔ «أنیشتاین»، علی أن الکون مغلق و أحدب أی مکور کالکرهٔ أو البیضهٔ، و کما للکون بدایـهٔ فإن له نهایـهٔ، و المخلوقات و الکائنات الحیـهٔ علی الکرهٔ الأرضـیهٔ تتوالـد و تموت ثم تنشأ من جدیـد، و الشـمس و کواکبها تسیر نحو الهرم، و المجرهٔ جمیعها مع مکوناتها من نجوم و سحب کونیهٔ و سدم ستنکدر، و تنطفئ جذوتها، و تفقد خواصها، و ما سیصیب المجرهٔ «۲» سیصیب المجرات الأخری و التی ستخلق من جدید سیصیبها کلها ما أصاب قبلها من موت و فناء) «۳». یتضح لنا مما سـلف من دراسات العلماء، أن الکون صائر إلی نهایهٔ محتومهٔ، و فناء مؤکد، و قد تضافرت أبحاث العلماء حول نهایهٔ الکون، و

رکزت علی تصورین للنهایة الکونیة، و قد ذکرناهما فی ثنایا سرد أقوال العلماء و هما:

(____________________________________ ۱) علم الفلک و الکون، عواد الزحلف، عمان، دار المناهج، الطبعة الأولی، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۸، ص ۱۸۴، و انظر: عالم المعرفة، النهایة فرانک کلوز، ترجمة، مصطفی إبراهیم فهمی، الکویت، المجلس الوطنی للثقافة و الفنون، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴، ص ۳۰۸. (۲) المجرة «yxalag» تجمع نجمی، تضم ملیارات من النجوم و الغبار و الغازات، لکن لها أشکال و أحجام مختلفة. انظر: الموسوعة الکاملة الکون، بیروت نوبیلس، الطبعة الأولی، ۱۹۹۷، ۲/ ۵۶. (۳) من الذرة إلی المجرة، حمادة العائدی، عمان، دار الفکر، الطبعة الأولی، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴، ص ۴۰۷، و انظر: الکون ذلک المجهول جلال عبد الفتاح، القاهرة، الهیئة المصریة العامة للکتاب، ۱۹۹۴، ص: ۱۲۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۹۷ ۱- الانکماش العظیم و نهایة الکون: و صاحب هذا الاتجاه هو العالم «ستیفن وینبرغ» و الذی أسهب فی الحدیث عن نهایة الکون، و أنه کما بدأ بانفجار عظیم، کذلک فإنه سیعود و ینکمش علی نفسه کما بدأ، و قد أثبتنا تصوره هذا آنفا، و کان قد سجل هذا الاستنتاج فی کتابه «الدقائق الثلاث الأولی من عمر الکون» ثم جاء «ستیفن هوکنغ» و أکد هذه الفکرة، و أطلق علی نهایة الکون بناء علی دراساته الفلکیة ب (الانکماش العظیم) و ذلک فی کتابه «تاریخ موجز للزمان» و یعتبر هذا الاتجاه من أقوی ما سجل حول نهایة الکون. ۲- الثقوب السوداء و النهایة الکونیة: و هذا التصور حول نهایة الکون، لا یختلف عن سابقه من حیث المضمون، فکلاهما ینص علی النهایة الأکیدة للکون، إلا أن الاختلاف ناشئ من جهة الحیثیة و الملابسات التی تعتری أطوار النهایة. و لا بد من الترکیز قلیلا علی قضیة «الثقوب السوداء» «۱»، لما لها من الأهمیة البالغة فی دراسات الفلکیین، و کذلک لأن اقتناع عدد لیس بالقلیل من العلماء بأن مصیر الکون و نهایته إنما سیتم ضمن مقبرة النجوم فی السماء، ألا و هی الثقوب السوداء، فما هی تصورات العلماء حول هذه الثقوب؟ و ما هی طبیعتها؟ و کیف تتم عملیة جذب الکواکب و النجوم إلی داخلها و کیف تکون النهایة؟. یقول «ستیفن هوکنغ»: (و بعد عشرة ملیارات سنة أو نحوها، ستکون معظم النجوم فی الکون قد احترقت، و النجوم ذات الکتل المشابهة لکتلة الشمس سوف تتحول إما إلی أقزام بیضاء ... أما النجوم ذوات الکتل الأکبر، فتتحول إلی ثقوب سوداء، و هذه أصغر من النجوم (النیوترونیة) «۲» و تمتلک حقلا ثقیلا شدیدا یمنع الضوء، و کل شیء آخر من الخروج منها ... و یتجمع فی النهایة لیکون ثقبا أسودا عملاقا فی مرکز المجرة، و ما قلناه عن مجرتنا ینسحب علی المجرات الأخری، و مهما تکن المادة

(____________________________________ ۱) الثقب الأسود «eloh kcalb»، جسم فائق التقلص، یملک جاذبیة قویة جدا إلی درجة أنها تمنع الضوء نفسه من الإفلات. انظر: الموسوعة الکاملة، ۲/ ۵۶. (۲) النجم النیوترونی، rats nortuen، نجم بارد، مدین ببقائه للتنافر بین النیوترونات فی مبدأ الاستبعاد. انظر: موجز فی تاریخ الزمان من الانفجار العظیم إلی الثقوب السوداء، ستیفن هوکنغ، ص ۲۱۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۹۸ المظلمة فی المجرات و مجموعات المجرات فیتوقع أنها ستسقط فی هذه الثقوب السوداء الضخمة أیضا) «۱». (و لقد تنبأت نظریة (أنیشتاین) نفسها فی النسبیة العامة، أن الزمکان (الزمان، المکان) بدأ مع الانفجار العظیم، و بأنه سوف ینتهی إما مع تفرد الانهیار العظیم، إذا ما عاد الکون بکامله إلی الانسحاق و التقوض، أو مع تفرد داخل ثقب أسود، إذا ما کان لمنطقة محلیة کالنجم مثلا أن تنسحق، فأی مادة تقع داخل الثقب، سوف تدمر بالتفرد، و لا یبقی منها أی شیء محسوس سوی تأثیر جاذبیة کتلتها، من جهة أخری فعند ما تؤخذ تأثیرات الکمّ بالحسبان، و أن الثقب الأسود و کذلک أی تفرد فی داخله سوف تتبخر تلاشیا، و یختفی فی النهایة) «۲». صورة لثقب أسود یبتلع ما حوله- صورة التقطت بواسطة تلسکوب هابل

(____________________________________ ۱) الثقوب السوداء و الأکوان الطفلة، سیتفن هوکنغ، ص: ۱۲۳. (۲) موجز فی تاریخ الزمان من الانفجار العظیم إلی الثقوب السوداء، ستیفن هوکنغ، ص: ۱۳۹. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۹۹ إن هذه الثقوب السوداء التی تبتلع الکواکب و النجوم و الأجرام السماویة، و

تلتهم الكون بجاذبيتها التى لا يفلت من قبضتها شىء حتى الضوء نفسه يكون لقمة سائغة عند ما يقع فى شباكها قد أماط العلماء اللثام عن بعض خصائصها العلماء، و هاک هذه الخصائص: (مراكز معظم المجرات بما فيها مجرتنا درب التبانة، تحتوى على ثقوب سوداء يقدر العلماء وجود حوالى نصف مليون ثقب أسود فى مجرتنا. - أن حوالى ۸۰ إلى ۹۰٪ من الكتلة الإجمالية فى الكون، متوارية عن الأنظار على هيئة ثقوب سوداء. - حسب بعض العلماء الوزن النوعى «الكثافة» للثقب الأسود، و وجدوا أنه قد يصل إلى ۱۷۸۰۰ طن لكل سم مكعب واحد. - وزن الإنسان، أى قوة جذبه الواقف على سطح الثقب الأسود، سيصل عندها إلى ۱۱۳ مليار طن!. - إن حد الأمان أكبر من ۳۰۰۰۰ ميل، فلو اقترب نجم إلى هذه المسافة فيكون قد وقع فى فخ الثقب الأسود) «۱». أما عن ماهية الثقب الأسود و طبيعته، فقد وضع العلماء تصورا نظريا عن الثقوب السوداء و تخيلات نسجوها من خلال ما توفر لديهم من معلومات مجردة حولها، فقد تصور العلماء (سفينة فضائية تقترب من ثقب أسود، كتلته تعادل ۱۰ كتل شمسية، أول ما يلاحظه رواد السفينة تعاظم قوة جذبهم، كلما صغرت المسافة التى تفصلهم عن الثقب الأسود، ينظر الرواد من نافذة مركبتهم فيرون قرصا حلزونيا من الغازات، يدور حول الثقب الأسود، قام الثقب الأسود بشفطها من نجم قريب، و تنطلق أثناء ذلک دفعات غزيرة من الطاقة، معظمها بشكل «أشعة سينية» «۲» قوية، تلک الأشعة قوية (________________________________ ۱) الثقب الأسود، محمد رضوان المصرى، دمشق، دار المعارف للطباعة، الطبعة الأولى، ۱۹۸۶، ص: ۳۶، و انظر: الثقوب السوداء و الأكوان الطفلة، ستيفن هوكنغ، ص: ۸۷، و انظر: الكون هوبرت ريفرز، ترجمة درويش الحلوجى، القاهرة، دار المستقبل العربى، الطبعة الأولى، ۱۹۹۶، ص: ۳۳۰. (۲) أشعة سينية syar- x، و تسمى أيضا أشعة رونتجن، و هى قصيرة الموجات، تحتاج إلى طاقة كبيرة لإطلاقها. انظر: المحيرات الفلكية، عبد الرحيم بدر، ص: ۱۱۲. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۰۰ الاحتراق، التى تمر عبر عضلات الإنسان و لحمه، و كأنها تخترق الهواء لا يوقفها إلا العظم، ينظر الرواد عبر مرصدهم الفلكى المحمول على متن السفينة، فيشاهدون ضوء النجوم البعيدة يحيط بمنطقة داكنة لا تسمح بمرور أى شعاع ضوئى، هى ستار مسرح الأحداث المحيط بالثقب الأسود و الذى يقارب قطره ۳۷ ميلا، إن ما يقع ضمن مسرح الأحداث لا يمكن رؤيته أو سماعه من قبل أى شخص ينظر إليه من الخارج، أما إذا دخل المشاهد مسرح الأحداث عندها يكون قد فات الأوان، انطلاقا من هذه التصورات وجد العلماء أن قوة الجاذبية الخارقة للثقب الأسود، هى ذات آثار يمكن كشفها، فهى قادرة على أسر نجم قريب و وضعه فى مدار حول الثقب الأسود، يطلق النجم المأسور أثناء ذلک إشعاعات قوية، و ما على العلماء فى هذه الحالة إلا كشف صرخات الاستغاثة التى يطلقها النجم المأسور ليشكل إشعاعات سينية، و «فوق بنفسجية» «۱» كى يستدلوا على وجود الثقب الأسود المتوارى عن الأنظار) «۲». و فى إطار دراسات العلماء حول الثقوب السوداء هذا المقال: (ساهم ارتفاع مفاجئ للمعان سحابة غازات عالية الحرارة بمركز مجرة درب التبانة، فى دعم الفكرة القائلة بوجود ثقب أسود غاية فى الشساعة وسط هذه المجرة، و يعتقد غالبية علماء الفلك أن ذلک الشىء يوجد فعلا هناک، لكن الأدلة المقدّمة لغاية الآن، و المبنية على تحركات فى نجوم مجاورة، لم تصل إلى خلاصات حاسمة، و قد تمكنت عمليات مراقبة أجريت أخيرا لمركز المجرة، من رصد طاقة ناجمة عن وميض من (أشعة إكس) ظل يلمع و يفتر مدة عشر دقائق، و هذه الفترة إذا ما أضيفت إلى دلائل سابقة تسمح لعلماء الفلك بقياس كتلة و حجم الثقب الأسود المحتمل، و قد كانت المحصلة هى كتلة تفوق مليونى أضعاف كتلة الشمس، و يعتقد العلماء أن التفسير الوحيد لهذه الظاهرة هو وجود ثقب أسود هناک. (________________________________ ۱) أشعة فوق بنفسجية syar teloivartlu، و هى أمواج كهرومغناطيسية، لها تردد أكبر من تردد الأشعة البنفسجية، و هى أشعة غير مرئية تستخدم لأغراض التعقيم، و لها دور مهم فى تكوين فيتامين «د» فى الجسم، و لكن إذا تعرض الجسم لهذه الأشعة لفترة طويلة تؤدى إلى حدوث سرطان الجلد. انظر: www. aibaraloohcs. ten/ aymek/ lareneg yrtsimehc/ yrassolg/ I mehc/ mehc. mth ptth//:) ۲) انظر: مجلة العربى، الكويت، العدد ۳۱۳ ديسمبر، ۱۹۸۴، مقال لسمير صلاح الدين شعبان، ص: ۱۱۵، و انظر: الثقوب

الكونيـة السوداء فائز فوق العادة، دمشق، دار المعرفـة، الطبعة الأولى، ۱۴۰۹ ه/ ۱۹۸۸، ص: ۱۷۵. الإعجـاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۰۱ و من بين النظريات التى تحاول تفسير ما يعترى النجوم الواقعة بمركز المجرة من حركة سريعة، ما يذهب إلى القول بوجود شكل غير مرئى من المادة التى تشبه عنقودا من النجوم الداكنـة، و أيا كان نوع التفسير، فإن ما يوجد هناك له من الضخامة ما يجعله قادرا على جـذب أقرب النجوم المرئية بسرعة خارقة تصل إلى خمسة ملايين كيلومتر فى الساعة، و ما يجعلنا نكاد نجزم بأن ما يجرى الجدل حوله هو ثقب أسود، يجد سنده فى شىء ما يحدث فى أطرافه) «۱». صورة متخيلة لمادة و ضوء يدوران حول ثقب أسود هائل.

الإعجاز:

الإعجاز: هذه هى الصورة العلمية التى توصل إليها العلماء و الباحثون عن نهاية الكون و فنائه، و قد فنّدوا بهذا هراء الإلحاد الذى يزعم بخلود العالم و عدم فنائه ... و من الملفت للانتباه، بل من المثير حقا، أننا نجد من خلال سرد ما توصل إليه العلماء فى أبحاثهم أنهم قد قرروا أن للكون نهاية، و هذه النهاية صوروها بالانكماش

(______________________________ ۱) مقال فى موقع cbb، بقلم: دفيد وايتهاوس. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۰۲ العظيم، أى بانطواء الكون على نفسه، و عودته إلى نقطة البداية و شكله الأولى، أو بالثقوب السوداء التى تقوم بشفط و ضغط الكواكب و إعادتها إلى غازات كتلك التى منها نشأ الكون ... فكل التصورات العلمية التى تبناها الفلكيون فى عصرنا ترسم السيناريو الواضح لنهاية الكون، و ارتداده إلى صورته التى كان عليها يوم وجد و نشأ، و الله أعلم. و ليت شعرى لو أن هؤلاء العلماء، أو المتخصصين من علماء الإسلام، عكفوا على كتاب اللّه تعالى و درسوه من جهة تخصصاتهم دراسة متأنية، لوجدوا الخطوط البيانية و الرئيسية التى ترسم أطر النهاية الكونية بكل وضوح ... إنه التوافق العجيب بين معطيات العلوم الحديثة و حقائق القرآن الكريم، فالعلماء اتفقوا على أن الكون سينتهى على شكل الصورة التى بدأ منها، و هذه الحقيقة لطالما قررها مولانا تبارك و تعالى فى كتابه المجيد، قال جل جلاله: يَوْمَ نَطْوِى السَّماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ «۱». و قال تعالى: وَ هُوَ الَّذِى يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلى فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ «۲». و كيفما كان وجه الصورة لنهاية الكون و تآكله ثم فنائه، و نحن لا نجزم إلا بالصورة القرآنية التى أخذت مساحة كبيرة فى القرآن الكريم و هى تقرر حقيقة النهاية، فإن الذى يعنينا من ذلك أن القرار الواضح الذى لم يعد يتسرب إليه شك أو مواربة أن سلطان الفناء و الخراب سيمتد ليطوق الكون بأسره، ثم ليحيله إلى العدم، و هذه الحقيقة كما أسلفنا، هى أصل من أصول الدين و العقيدة لدى كل مؤمن، و لقد قررها القرآن الكريم فى كثير من الآيات الكريمة، و لنستعرض طائفة من الآيات القرآنية التى تصور لنا المشهد الأخير من قصة الكون و وجوده فى مسرح الحياة الفانية. قال تعالى: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (۱) وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (۲) وَ إِذَا الْجِبالُ سُيِّرَتْ (۳) وَ إِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ (۴) وَ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (۵) وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ (۶) «۳» (______________________________). ۱) سورة الأنبياء، الآية: ۱۰۴.

(۲) سورة الروم، الآية: ۲۷. (۳) سورة التكوير، الآيات ۱- ۶. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۰۳ و قال تعالى: فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ «۱»، فى هذه الآية إيحاء و تصوير لمشهد الطمس الذى أسلفنا الحديث عنه، أ لا ترى أن الكواكب عند ما تبتلعها الثقوب السوداء تطمس طمسا فلا ترى أبدا و اللّه أعلم. و يتحدث سيد قطب عن نهاية الكون فيقول: (هذا هو مشهد الانقلاب التام لكل معهود و الثورة الشاملة لكل موجود، الانقلاب الذى يشمل الأجرام السماوية و الأرضية، و الوحوش النافرة و الأنعام الأليفة و نفوس البشر و أوضاع الأمور، حيث ينكشف كل مستور، و يعلم كل مجهول و تقف النفس أمام ما أحضرت من الرصيد و الزاد فى موقف الفصل و الحساب، و كل شىء من حولها عاصف و كل شىء من حولها مقلوب) «۲». إن هذه الأحداث المرعبة التى تضفى

على الكون صورة الخراب و الاضطراب، و تجعل من الكون المتساوق فى أجرامه، المتسق فى حركته و جريانه، المنضبط فى مساره، الرصين فى إحكام بنائه، تجعل منه أنكاثا متناثرة، و أوزاعا متفرقة. و يصف الإمام الرازى النهاية فيقول: (و تكوير الشمس هو انطفاؤها و خمدان لهيبها و تجمدها و انكدار النجوم و انفراطها من عقدها الفريد، و تناثرها من نظامها الدقيق ... أما الجبال، فاعلم أن اللّه تعالى ذكر فى مواضع من كتابه أحوال هذه الجبال على وجوه مختلفة، و يمكن الجمع بينها على الوجه الذى نقوله، و هو أن أول أحوالها الاندكاك و هو قوله سبحانه: وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً «٣». و الحالة الثانية لها أن تصير كالعهن المنفوش، و ذكر اللّه تعالى ذلك فى قوله: يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَراشِ الْمَبْثُوثِ (۴) وَ تَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (۵) «۴».

(______________________________١) سورة المرسلات، الآية: ٨. (٢) فى ظلال القرآن، سيد قطب، ۶/ ٣٨٣٧. (٣) سورة الحاقة، الآية: ١۴. (۴) سورة القارعة، الآيتان ۴، ۵. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ٢٠۴ و الحالة الثالثة: أن تصير كالهباء، و ذلك أن تتقطع و تتبدد بعد أن كانت كالعهن و هو قوله سبحانه و تعالى: وَ بُسَّتِ الْجِبالُ بَسًّا (۵) فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا (۶) «١». و الحالة الرابعة: أن تنسف لأنها مع الأحوال المتقدمة مارة فى مواضعها، و الأرض تحتها غير بارزة فتنسف عنها بإرسال الرياح عليها و هو المراد من قوله تعالى: وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبالِ فَقُلْ يَنْسِفُها رَبِّى نَسْفاً «٢». و الحالة الخامسة: أن الرياح ترفعها عن وجه الأرض فتصيرها شعاعا فى الهواء كأنها غبار فمن نظر إليها، من بعد حسبها لتكاثفها أجساما جامدة، فهى فى الحقيقة مارة إلا أن مرورها بسبب مرور الرياح بها صيرها مندكة متفتتة و هى قوله: وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ «٣». ثم تبين أن تلك الحركة حصلت بقهره و تسخيره فقال سبحانه: وَ يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبالَ وَ تَرَى الْأَرْضَ بارِزَةً وَ حَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً «۴». الحالة السادسة: أن تصير سرابا، بمعنى لا شىء، فمن نظر إلى مواضعها لم يجد منها شيئا، كما أن من يرى السراب من بعد إذا جاء الموضع الذى كان فيه لم يجده شيئا و الله أعلم) «۵». كذلك فإن الحديث عن السماء يأخذ بالألباب، و يثير الرعب و الهلع فى النفوس، قال اللّه سبحانه و تعالى: وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ بِأَمْرِهِ «۶». و قال سبحانه: يَوْمَ نَطْوِى السَّماءَ كَطَىِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ «٧

(______________________________». ١) سورة الواقعة، الآيتان ۵، ۶. (٢) سورة طه، الآية: ١٠۵. (٣) سورة النمل، الآية: ٨٨. (۴) سورة الكهف، الآية: ۴٧. (۵) التفسير الكبير، للفخر الرازى، ١۶/ ١٢. (۶) سورة الروم، الآية: ٢۵. (٧) سورة الأنبياء، الآية: ١٠۴. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ٢٠۵ و هكذا فإن كل شىء فى هذا الوجود سيشيّع إلى مثواه الأخير، و يرقد فى كفن الموت، فالحق هز المخلوقات التى يضمها الكون بين جنباته هزا عنيفا، و أوحى إليهم أن نواميس الدنيا المعهودة و قوانين الحياة المعروضة، و المقاييس التى عشناها و تفاعلنا معها قد سقطت الآن فى رحى القيامة، و الجميع سيمثل بين يدى الديان، ليحاسب على الصغير و الكبير و الفتيل و القطمير. صورة التقطت بواسطة التلسكوب الفضائى هابل، و تظهر ثقبا أسود. و السيناريو الذى وضعه العلماء لنهاية العالم سيكون طاقة هائلة قاتمة تنمو و تتوهج إلى كمية كبيرة، بحيث مجرتنا لا يمكن لها أن تبقى متماسكة، و النجوم و الكواكب و حتى الذرات لا يمكن أن تتحمل القوة الداخلية المتزايدة، و قديما كان يقال نهاية العالم بالضغط الشديد أما الآن فبالانفجار و التمزق العظيم، ناسا بتاريخ، ٣/ ٣/ ٢٠٠٣ «١».

(______________________________١) ترجم هذا الكلام، و أخذت هذه الصورة من: gro. etiselbbuh:// ptth الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ٢٠۶ نجم يموت و ينفث الأشعة الملتهبة من داخله. كما أن هذه الصورة تجسيد حى لقوله سبحانه و تعالى: فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَكانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهانِ «١»، أخذت هذه الصورة من ناسا، و التقطت بتاريخ، ٢٨ / ۶ / ١٩٩۵ «٢».

(______________________________١) سورة الرحمن، الآية: ٣٧. (٢) ptth ://anwtrp. gsfc. nasa. gov /apod /ap ٩۵٠۶٢٨. html الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث،

ص: ۲۰۷

الفصل الخامس الإعجاز القرآنی فی الشمس

اشارة

الفصل الخامس الإعجاز القرآنی فی الشـمس تمهید: المبحث الأول: تحرکات الشمس و انتقالاتها بین القرآن و العلم. المبحث الثانی: الشـمس متوهجة ملتهبة بین القرآن و العلم. المبحث الثالث: تعدد الشموس و الأقمار بین القرآن و العلم. المبحث الرابع: موت الشمس و نهایتها بین القرآن و العلم. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۰۹

تمهید

تمهیـد قال تعالی: وَ مِنْ آیاتِهِ اللَّیْلُ وَ النَّهارُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لا لِلْقَمَرِ وَ اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِی خَلَقَهُنَّ إِنْ کُنْتُمْ إِیَّاهُ تَعْبُدُونَ «۱». الشـمس آیـة من آیات اللّه، فهی نجم متألق فی قبة السـماء، و صدیق حمیم لعامة المخلوقات التی أودعها اللّه فوق رحب هذه الأرض و فی جنباتها، إذ منها یستمد الکائن الحی، سواء الإنسان أم المخلوقات الأخری، الطاقة الإشعاعیة التی من شأنها أن تغذی الکائنات الحیـة، و ذلک بالحفاظ علی عوامل نموها و نجاحها، و هی سـبب فی الاسـتحالة المائیة حولنا، فعن طریقها یتحول الماء إلی بخـار مـاء ثم یتکـاثف بعـد ذلک بصور مختلفـة منها المطر و البرد و الثلـج ... و هـذه الظواهر الطبیعیـة من ضـروریات الحیاة، بل هی المقومات الأساسـیة التی تنهض علیها الحیاة بأسرها. نظرا لفوائدها الکثیرة التی لا مجال لسردها هنا، فإننا سنتعرف بعون اللّه تعالی علی ترکیب هـذا النجم الوهاج، و خصائصه الفیزیائیـة، لنقف علی مشاهـد الروعـة و الإبـداع فی خلق اللّه العجیب. ثم سـنتحدث عن بعض جوانب الإعجاز فی الشمس، و التی سجّلها القرآن الکریم و قررها، قبل أن یکشف عنها و یصل إلی أسرارها العلماء، کحرکة الشمس و جریانهـا، و کیف أن القرآن الکریم رکّز فی کـل آیـاته علی أن الشـمس سـراج وهّـاج مضـیء، و لیس منیرا کـالقمر و الإعجاز فی ذلک، ثم نتحدث عن أسبقیة القرآن فی تقریر أن هناک کثیرا من الشموس و الأقمار و لیست شمسا واحدة، و لا قمرا واحدا کما کان یظـن، ثـم یطـوی ملـف الشـمس فی التعریـج علی نهایتهـا، و خمـدان لهیبهـا، و انطفـاء ضـیائها بیـن القرآن و العلـم. (____ ۱) سورة فصلت، الآیة: ۳۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۱۰

المبحث الأول تحرکات الشمس و انتقالاتها

اشارة

المبحث الأول تحرکات الشـمس و انتقالاتها قبل أن نشـرع فی الحدیث عن الإعجاز فی تحرکات الشـمس و تنقلاتها، یشار إلی بعض خواص الشـمس الفیزیائیـة، و ذلک للأهمیة فی هذا المبحث. کشف العلماء عن بعض أسـرار خلق اللّه فی الشـمس، و أطلعونا علیها و ذلک: (عن طریق اسـتخدام المطیاف الـذی یحلل أشـعة النور إلی أطیاف، بواسـطة الموشور الزجاجی، الموجود أمام عدسة المطیاف، أمکن معرفـة مرکبات الشـمس و درجـة الحرارة فیها، إذ أن لکل عنصـر یکون علی شـکل غاز متوهج لونا خاصا به، یمیزه عن غیره، و یـدلنا علی مقـدار درجـة حرارته، و نوع المادة التی یتألف منها، و من تحلیل الطبقة السـطحیة من الشـمس إلی خطوط طیفیة، تبین أن ترکیب تلک الطبقة یکون علی الشـکل التالی و بالنسبة المحددة بجانب کل عنصر: الهیدروجین و نسبته أقل بقلیل من ۷۰٪. الهلیوم و نسـبته أقل بقلیل من ۲۴٪. الأوکسـجین و نسبته أقل بقلیل من ۱٪. الفحم و نسـبته أقل بقلیل من ۴، ۰٪. الحدید و نسـبته أقل بقلیل من

۱۶، ۰٪. السیلیس و نسبته أقل بقلیل من ۱، ۰٪. الآزوت و نسبته أقل بقلیل من ۱، ۰٪. المغنیسیوم و نسبته أقل بقلیل من ۹، ۰٪. النیون و نسبته أقل بقلیل من ۰۷، ۰٪. و عند ما نبلغ الطبقة الوسطی من الشمس نجد أن غاز الهیدروجین، یأخذ بالتناقص لتصبح نسبته ۶۵٪ بینما ترتفع نسبة الهلیوم حتی تصبح ۳۴٪، و عند بلوغنا سطح الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۱۱ الطبقة المركزیة أی النواة، یزداد تناقص الهیدروجین حیث لا تزید نسبته هناك علی ۳۴٪، بینما ترتفع نسبة الهلیوم لتصبح ۶۵٪، و عند ما نقترب من مركز الشمس یختفی الهیدروجین تماما، و تصبح نسبة الهلیوم هناك ۹۹٪ و یبقی ۱٪ للعناصر المعدنیة التی تدخل فی تركیب الشمس) «۱». و أما قطرها فیبلغ (۴، ۱ ملیون كیلومتر تقریبا، و معدل بعدها عن الأرض ۱۵۰ ملیون كم و معدل درجة الحرارة الداخلیة ۲۰ ملیون درجة «سنتغرید»، أكبر من الأرض ب ۱۲۰۰۰۰۰ مرة، و اللون أصفر، و مسافة الشمس من مركز المجرة ۳۰۰۰۰ سنة ضوئیة، و سرعة الشمس حول مركز المجرة ۲۲۰ كلم فی الثانیة، و تدور حول نفسها مرة كل ۲۵ یوما من أیام الأرض، و تسیطر الشمس بقوة جاذبیتها علی الكواكب العشرة التی تدور حولها، كما أنها تفقد فی الدقیقة الواحدة ۲۵۰۰۰۰۰۰۰ طن من المادة لتتحول إلی طاقة) «۲». بعد هذه اللمحات و المعلومات السریعة عن الشمس، نأتی للحدیث عن بعض جوانب الإعجاز القرآنی حول هذا النجم الكبیر، و الحقائق العلمیة التی سجلها كتاب اللّه فی هذا الشأن، ثم كیف تكشفت بعد ذلك للعلماء فی میدان الفلك حدیثا.

تحركات الشمس و انتقالاتها

تحركات الشمس و انتقالاتها قال تعالی: وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ یَجْرِی إِلی أَجَلٍ مُسَمًّی «۳». و قال سبحانه: وَ سَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دائِبَیْنِ وَ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّیْلَ وَ النَّهارَ «۴». و قال سبحانه: وَ الشَّمْسُ تَجْرِی لِمُسْتَقَرٍّ لَها ذلِكَ تَقْدِیرُ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ «۵». نلاحظ أن هذه الآیات تقرر قرارا صریحا و واضحا أن الشمس تجری و تسبح فی فلك السماء فهی لیست ثابتة كما كان یعتقد الناس قدیما، فكانوا یعتقدون أن الشمس (____ ۱) الشمس، إبراهیم غوری، بیروت، دار الشرق العربی، د. ت، ص ۱۴. (۲) موسوعة غینیس فی علم الفلك، باتریك مورو، ص: ۷. (۳) سورة لقمان، الآیة: ۲۹. (۴) سورة إبراهیم، الآیة: ۳۳. (۵) سورة یس، الآیة: ۳۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۱۲ مسمرة ثابتة فی كبد السماء، لا یعتریها زوال، و تستهجن الحركة و المسیر، و تركن إلی الاستقرار و الجمود ... لكن اللّه سبحانه و تعالی قرر أنها تجری، و الفعل تَجْرِی فیه إعجاز عظیم، لأنه لا یدل علی حركة الشمس الظاهریة التی یبصرها الناس عند ما تشرق الشمس شیئا فشیئا، ثم ترتفع و تتوسط السماء، ثم تزول و تأوی إلی مهدها فی الغیاب، ثم تتواری عن أنظار الخلائق ... بل هو یدل و یعبر عن حركة واقعیة أثبتتها الأرصاد، و حركتها العظیمة هذه یعبر عنها الفعل تَجْرِی بالسرعة الهائلة التی تقطعها الشمس خلال جریانها، لأن الجری أسرع من المشی أو السیر، و لذلكم فإن جریان الشمس السریع هذا المقرون بجاذبیة الشمس یجر معه الكواكب السیارة التی تدور حولها، و لقد أشرنا إلی المسافة الكبیرة التی تقطعها الشمس فی الثانیة، و التی توضح لنا تألق دقة التعبیر القرآنی بالفعل تَجْرِی الذی حمل الإعجاز الشمسی فی أحرفه الرصینة. و بنظرة دقیقة فی كتب التفسیر حول هذه الآیات نجد ما یلی: ففی تفسیر الطبری: (و سخر الشمس و القمر لمصالح خلقه و منافعهم، كل یجری، یقول: كل ذلك یجری بأمره إلی وقت معلوم و أجل محدود، إذا بلغه كورت الشمس و القمر، و بنحو الذی قلنا فی ذلك قال أهل التأویل) «۱». و عند ابن كثیر: (و سخر الشمس و القمر كل یجری إلی أجل مسمی، قیل: إلی غایة محدودة و قیل إلی یوم القیامة، و كلا المعنیین صحیح) «۲». و قال الإمام البیضاوی: (و سخر لكم الشمس و القمر دائبین، یدأبان فی سیرهما و إنارتهما و إصلاح ما یصلحانه من المكونات، و سخر لكم اللیل و النهار یتعاقبان لسباتكم و معاشكم) «۳». و فی تفسیر «معالم التنزیل»: (و سخر لكم الشمس و القمر دائبین، یجریان فیما یعود (____ ۱) جامع البیان، للطبری، ۲۱/ ۸۳، و انظر: الوجیز فی تفسیر الكتاب العزیز، علی بن أحمد الواحدی، تحقیق، صفوان داودی، دمشق دار القلم، الطبعة الأولی، ۱۴۱۵ ه، ۲/

۸۵۰. (۲) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ۳/ ۴۵۳، و انظر: التفسير الواضح الميسر، محمد على الصابونى، بيروت، مؤسسة الريان، الطبعة الأولى، ۱۴۲۲ ه/ ۲۰۰۱، ص: ۱۰۲۲. (۳) أنوار التنزيل، للبيضاوى، ۳/ ۳۵۰. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۱۳ إلى مصالح العباد و لا يفتران، قال ابن عباس: دءوبهما فى طاعة اللّه عز و جلّ، و سخر لكم الليل و النهار يتعاقبان فى الضياء و الظلمة و النقصان و الزيادة) «۱». و فى تفسير «زاد المسير»: (و سخر لكم الشمس و القمر لتنتفعوا بهما، و تستضيئوا بضوئهما دائبين فى إصلاح ما يصلحانه من النبات و غيره لا يفتران، و معنى الدءوب مرور الشيء فى العمل على عادة جارية فيه) «۲». و روى عن ابن عباس أنه (قرأ لا مستقر لها، أى جارية لا تثبت فى موضع واحد) «۳». (و الشمس أى و آية لهم الشمس تجرى لمستقر لها، و فيه أربعة أقوال، أحدها: إلى موضع قرارها روى أبو ذر قال: سألت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عن قوله: لِمُسْتَقَرٍّ لَها قال: «مستقرها تحت العرش» و قال: «إنها تذهب حتى تسجد بين يدى ربها، فتستأذن فى الطلوع فيؤذن لها» «۴»، و الثانى: أن مستقرها مغربها لا تجاوزه و لا تقتصر عنه قاله مجاهد، و الثالث: لوقت واحد لا تعدوه قاله قتادة و قال مقاتل: لوقت لها إلى يوم القيامة، و الرابع: تسير فى منازلها حتى تنتهى إلى مستقرها الذى لا تجاوزه، ثم ترجع إلى أول منازلها) «۵». إذن، يصرّح القرآن الكريم بأن الشمس تجرى باتجاه معين، و هذا (ما قرره علماء الفلك بأن للشمس حركة حقيقية فى الفضاء معلومة المقدار و الاتجاه، و كشف النقاب عن ذلك بعد ألف و مائتى سنة من نزول هذا الكتاب الحكيم و أوضح علم الفلك، أن الشمس لها مجموعة من الكواكب و الأقمار و المذنبات، تتبعها دائما، و تخضع لقوة ______________________________

(۱) معالم التنزيل، حسين بن مسعود البغوى، تحقيق، خالد العك، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الثانية، ۱۴۰۷ ه/ ۱۹۸۷، ۳/ ۳۶. (۲) زاد المسير فى علم التفسير، عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى، بيروت، المكتب الإسلامى، الطبعة الثالثة، ۱۴۰۴ ه، ۴/ ۳۶۳. (۳) معانى القرآن الكريم، لأبى جعفر النحاس، تحقيق، محمد على الصابونى، مكة المكرمة، نشر جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ۱۴۰۹ ۵/ ۴۹۳. (۴) صحيح البخارى، كتاب التفسير، باب: و الشمس تجرى لمستقر لها، ۴/ ۱۸۰۶، رقم: (۴۵۲۴). (۵) زاد المسير، لابن الجوزى، ۷/ ۱۷. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۱۴ جاذبيتها، و تجعلها تدور من حولها فى مدارات متتابعة بيضاوية الشكل، و جميع أفراد هذه المجموعة تنتقل مع الشمس خلال حركتها الذاتية) «۱». و لو فتشنا فى المعاجم عن معنى دائِبَيْنِ لوجدنا ما يلى: فى لسان العرب: (الدءوب، المبالغة فى السير، و أدأب الرجل الدابة إدآبا، إذا أتعبها، و الفعل اللازم دأبت الناقة تدأب دءوبا، و رجل دءوب على الشيء ... يقال: دأبت أدأب دأبا و دءوبا، إذا اجتهدت فى الشيء، و الدائبان: الليل و النهار) «۲». و فى مختار الصحاح: (دأب فى عمله، جد و تعب، و بابه قطع و خضع، فهو دائب، بالألف لا غير و الدائبان: الليل و النهار) «۳». يستخلص من معطيات النصوص القرآنية ما يلى: ۱- أن الشمس تجرى فى الفضاء بسرعة منتظمة. ۲- ستتوقف الشمس عن الجرى فى وقت ما، و سيكون لها مستقر محدد لا يعلمه إلا الحق سبحانه و تعالى.

الحقائق العلمية:

الحقائق العلمية: ما ذا قال العلماء عن حركة الشمس و جريانها؟. لقد أثبتت الأبحاث العلمية أن الأجرام كلها تجرى فى الفضاء، و لكل كوكب أو جرم فلك خاص به يدور حوله و لا يحيد عنه أبدا، و الشمس من هذه الأجرام السيارة، و لها ثلاث حركات تقوم بها معا.

حركات الشمس

الدورة المحورية:

الدورة المحورية: (و تتمها الشمس حول نفسها فى زمن متوسط قدره ۳۰ يوما، و نقول فى زمن متوسط، لأن جسم الشمس الغازى لا

یتصرف عند دورته المحوریة تصرف الأجسام

(۱) الإعجاز العلمی فی الإسلام، محمد کامل عبد الصمد، القاهرة، الدار المصریة اللبنانیة، الطبعة الأولی، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴، ص: ۴۲. (۲) لسان العرب، لابن منظور، ۱/ ۳۶۸. (۳) مختار الصحاح، للرازی، ۱/ ۸۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۱۵ الصلبة، کالأرض فالمنطقة الاستوائیة فی الشمس تتم دورة کل ۲۵ یوما، بینما تحتاج المنطقة الواقعة عند درجة عرض ۳۰ من سطح الشمس إلی ۲۶، ۴ یوما کی تتم الدورة، أما عند درجة عرض ۶۰ من سطح الشمس، فإن المنطقة هناک تحتاج إلی ۳۲ یوما لإتمام الدورة، و المنطقة الواقعة عند درجة عرض ۸۰ من سطح الشمس تحتاج إلی ۳۵ یوما کی تتم دورتها، و قد أمکن التأکد من دوران الشمس حول نفسها عن طریق رصد الکلف الشمسیة، التی کانت تدور مع سطح الشمس و التی احتاجت إلی ۱۵ یوما حتی أتمت نصف دورة من الدورة الکاملة للشمس.

الدورة الانتقالیة للشمس:

الدورة الانتقالیة للشمس: تقوم الشمس مع کل منظومتها بدورة انتقالیة حول مرکز مجرتنا، و لما کانت المنظومة الشمسیة واقعة قرب حافة المجرة، و تبعد عن مرکزها بمقدار ۳۰ ألف سنة ضوئیة، فإنها تحتاج إلی ۲۵۰ ملیون سنة کی تتم دورتها حول المجرة، علما بأن سرعتها لا تقل عن ۲۰۶- ۲۲۰ کیلومتر فی الثانیة، أی ما یعادل ۷۴۱۶۰۰ کم فی الساعة.

الحرکة التباعدیة أو الانتشاریة:

الحرکة التباعدیة أو الانتشاریة: لقد ثبت أن المجرات تنطلق فی الکون متباعدة عن بعضها، و قد دعا العلماء هذه الظاهرة باسم «الانتشار الکونی» و قدرت سرعة مجرتنا و ضمنها شمسنا، و هی تبتعد عن غیرها من المجرات فی الکون بمقدار ۹۸۰ کیلومترا فی الثانیة، أی ما یعادل ۳۵۲۸۰۰۰ کیلومترا فی الساعة) «۱». و فی «الموسوعة الفلکیة» نجد (أن الشمس تدور حول محورها مرة کل خمسة و عشرین یوما و تقاس حرکتها بمراقبة البقع الکبیرة المظلمة علی سطحها و التی تعرف باسم الکلف الشمسیة) «۲». و لکی نفهم الآیات القرآنیة التی سلف عرضها، یجب علینا النظر فی موقع الشمس داخل مجرتنا درب التبانة، و أن نستعین بمعطیات العلم الحدیث التی تقول: (تتکون مجرتنا من عدد هائل من النجوم موزعة علی أسطوانة أکثر تماسکا فی المرکز منها علی

(۱) انظر: الشمس، إبراهیم حلمی غوری، ص: ۱۸. (۲) الموسوعة الفلکیة، خلیل بدوی، ص: ۲۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۱۶ المحیط، و یصل عدد النجوم إلی ۱۳۰ بلیون نجم «شمس»، و تحتل النجوم موقعا یبعد عن مرکز الأسطوانة، و بما أن المجرة تدور حول نفسها، و کأن محورها مرکزها، فإن ناتج ذلک هو أن الشمس تدور حول نفس هذا المرکز فی مدار دائری ... و الشمس تستغرق ۲۵۰ ملیون سنة تقریبا لتدور فی فلکها دورة واحدة حول مرکز المجرة، و تجری الشمس فی هذه الحرکة بسرعة تقریبیة قدرها ۲۵۰ کم/ ثا، تلک هی الحرکة المداریة للشمس و التی صرح بها القرآن الکریم منذ أربعة عشر قرنا، و هی الآن علامة من مکتشفات العلم الحدیث و لاحظ التعبیر القرآنی الدقیق وَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ فقد لوحظ أن لکل نجم فلکا خاصا به یجری فیه حول مرکز المجرة، و یذکرنا الخالق سبحانه عدة مرات فی القرآن الکریم بالحقیقة التالیة وَ الشَّمْسُ تَجْرِی لِمُسْتَقَرٍّ لَها و هذه الآیة تدل علی أن الشمس تتحرک حرکة انتقالیة بالإضافة إلی سباحتها فی فلک خاص بها) «۱».

الإعجاز:

الإعجاز: هذا موجز للمفاهيم العلمية التى تتوافق مع التصورات و الحقائق الإعجازية فى القرآن الكريم و المتأمل فى قوله تعالى: وَ الشَّمْسُ تَجْرِي و قوله جلّ جلاله: وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ يجد التطابق العلمى المدهش مع هذه النصوص القرآنية، حول جرى الشمس الحقيقى فى الفضاء و ليس الظاهرى، و عن تعبير القرآن على الدورة المدارية للشمس حول مجرتنا، و بيان الحق المعجز هذا، فى التعبير عن تحركات الشمس و دورانها بيان يدهش أولى العقول و العلوم و الألباب، و يدفع المنصفين للإقرار بعظمة هذا الكتاب العظيم. و أما بيانه تعالى: لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لَا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ «۲». (فكل كوكب، و كل نجم، و كل مذنّب، يسبح فى فلكه الذى قدّر له، لا يتحول عنه و لا يحيد، و فى نفس الوقت الكل فى وحدة متماسكة مترابطة بفعل الجاذبية، التى تنطق (______________________________ ۱) من دلائل الإعجاز العلمى فى القرآن و السنة، موسى الخطيب، القاهرة، مؤسسة الخليج العربى، الطبعة الأولى، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴ ص: ۲۷۳. (۲) سورة يس، الآية: ۴۰. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۱۷ بوحدانية اللّه خالق هذا النظام و مبدعه، و لكى تحتفظ الأجرام السماوية بأبعاد ثابتة فيما بينها دون صدام جعلها الخالق الأعظم تتجاذب فيما بينها تجاذبا صغيرا محدودا، بحجم كل منها و كتلته و بعده عن الشمس، و وفق هذا التجاذب تظل مواقع النجوم فيما بينها ثابتة، و الأجرام و شمسها على مسافات و أبعاد تتحقق للجميع سبحا و طوافا دون تماس أو صدام ... إنه ميزان اللّه الدقيق الذى أودعه فى قانونه الأعظم للكون) «۱»، وَ السَّماءَ رَفَعَها وَ وَضَعَ الْمِيزانَ «۲». صورة تمثل اتزان المجموعة الشمسية. قال تعالى: وَ السَّماءَ رَفَعَها وَ وَضَعَ الْمِيزانَ، و الميزان من الاتزان، و من الملاحظ أن الكواكب التسعة فى المجموعة الشمسية على مستوى واحد و كأنّها طبق موزون. (______________________________ ۱) المنهج الإيمانى للدراسات الكونية، عبد العليم عبد الرحمن خضر، جدة، الدار السعودية، الطبعة الثالثة، ۱۴۰۷ ه/ ۱۹۸۷، ص: ۳۳. (۲) سورة الرحمن، الآية: ۷. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۱۸ صورة رقم: (۹)، تمثل جذب الشمس للمنظومة الشمسية. إن قانون الجاذبية و قانون التوازن، يعملان بإحكام و إتقان فى النظام الشمسى، و فى النظام النجمى الذى يلف المجرات و الكون بأسره، و كذلك يعملان فى أدق و أصغر الأشياء، فى الذرة التى تحتوى على نظام الدوران العجيب الموجود ذاته فى النظام الشمسى و النظام المجرى و النظام الفلكى العام، إنها قدرة اللّه التى خلقت كل شىء موزون، و بقدر ... الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۱۹

المبحث الثانى الشمس متوهجة ملتهبة

اشارة

المبحث الثانى الشمس متوهجة ملتهبة قال تعالى: تَبارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّماءِ بُرُوجاً وَ جَعَلَ فِيها سِراجاً وَ قَمَراً مُنِيراً «۱». و قال سبحانه: وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً «۲». و قال سبحانه: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَ الْقَمَرَ نُوراً «۳». و قال تعالى: وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً «۴». تثبت هذه الآيات المعجزة حقيقة علمية رائعة، ألا و هى أن الشمس جرم متوهج ملتهب، و إذا ما رجعنا إلى أقوال المفسرين فى صفات الشمس هذه، و إلى المعاجم اللغوية، فإننا سنجد ما يلى: يقول الشوكانى: وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً المراد به الشمس، و جعل هنا بمعنى خلق، و الوهّاج الوقّاد، و يقال: وهجت النار تهيج وهجا و و هجانا، قال مقاتل: جعل فيه نورا و حرا و الوهج يجمع النور و الحرارة) «۵». وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً: (أى كالمصباح لأهل الأرض ليتوصلوا بذلك إلى التصرف فى ما يحتاجون إليه من المعاش) «۶». و عند الرازى: (الوهج مجمع النور و الحرارة، فبيّن اللّه سبحانه و تعالى أن الشمس (______________________________ ۱) سورة الفرقان، الآية: ۶۱. (۲)

سورة نوح، الآيـة: ۱۶. (۳) سورة يونس، الآيـة: ۵. (۴) سورة النبأ، الآيـة: ۱۳. (۵) فتـح القدير، محمد بن على الشوكانى، ۵/ ۳۶۴. (۶) المصدر نفسه، ۵/ ۲۹۹. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحـديث، ص: ۲۲۰ بالغة إلى أقسى الغايات فى هذين الوصفين، و هو المراد بكونها وهّاجا، و الوهج، حر النار و الشمس، و هذا يقتضى أن الوهاج هو البالغ فى الحر) «۱». و يقول الزمخشرى: وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً: (أى متلألئا وقّادا، يعنى الشمس، و توهجت النار، إذا تلمظت فتوهجت بضوئها و حرها) «۲». وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً هى (الشّمس لقوله تعالى: وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً و قرئ، سرجا و هى الشّمس و الكواكب الكبار وَ قَمَراً مُنِيراً مضيئا بالليل، و قرئ قمرا أى ذات قمر، و هى جمع قمراء، و لمـا أنّ اللّيـالى بـالقمر تكون قمراء أضـيف إليهـا ثمّ حـذف و أجرى حكمه على المضـاف إليه القـائم مقامه) «۳». و يفرّق الألوسـى تفريقـا نفيسـا بين الضوء و النور هاهنـا فيقول: (و قيـل: و سـمى بـذلك لأنـه يقمر ضوء الكواكب، و فى الصـحاح لبياضه، و فى وصفه ما يشعر بالاعتناء به، و على الفرق المشهور بين الضوء و النور يكون فى وصفه بمنير دون مضىء، إشارة إلى أن ما يشاهد فيه مسـتفاد من غيره و هو الشـمس) «۴». و يسـبق الرازى الألوسـى بهذه الحقيقة و هذا التفريق فيقول: (و نقول: النور اسم لأصل هـذه الكيفيـة، و أما الضوء، فهو اسم لهـذه الكيفية إذا كانت كاملة تامة قوية، و الدليل عليه أنه تعالى سـمى الكيفية القائمة بالشـمس الشَّمْسَ ضِيَاءً و الكيفيـة القائمة بالقمر نُوراً و لا شك أن الكيفية القائمة بالشـمس أقوى و أكمل من الكيفية القائمة بالقمر) «۵». و لو بحثنا فى المعاجم عن معانى بعض المفردات الواردة فى الآيات القرآنيـة، لنرى أبعادها اللغويـة من مثل «سـراج، منير، ضـياء» فلسوف نجد التالى: فى لسان العرب: (السراج: المصباح الزاهر الذى يسرج بالليل، و الشمس سراج النهار، المسرجة بالفتح، التى توضع فيهـا الفتيلـة و الـدهن، كمـا أنـه بضـوء السـراج يهتـدى الماشـى، السـراج: الشـمس، و فى التنزيـل: وَ جَعَلْنـا سِـراجاً وَهَّاجاً «۶».

(____۱) التفسير الكبير، فخر الدين الرازى، ۳۱/ ۸. (۲) الكشاف، للزمخشرى، ۴/ ۲۰۷. (۳) إرشاد العقل السـليم، أبو السعود العمادى، ۶/ ۲۲۲. (۴) روح المعانى، للآلوسى، ۵۰/ ۱۹. (۵) التفسـير الكبير، فخر الـدين الرازى، ۱۷/ ۲۱۰. (۶) لسـان العرب، لابن منظور، ۲/ ۲۹۷. الإعجـاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۲۱ (و السـراج، الزاهر الذى يزهر بالليل، و المسرجة التى توضع فيها الفتيلة، و أسرجت الدابة و الشمس، سراج النهار، و الهدى سراج المؤمنين) «۱». و أما منير، ففى لسان العرب: (النور ضـد الظلمـة، و فى المحكم النور: الضوء أيا كان، و قيل: هو شعاعه و سطوعه، و الجمع أنوار و نيران، و قد نار نورا و استنار) «۲». و فى المصباح المنير: (النور، الضوء و هو خلاف الظلمة، و الجمع أنوار، و أنار الصبـح إنارة أضاء و نور تنويرا و استنار استنارة كلها لازمة، و نار الشىء ينور نيارا بالكسر، و به سمى أضاء أيضا فهو نير) «۳». و أما معنى الضـياء، فالضوء: (بالضم، الضياء و ضاءت النار تضوء ضوءا و ضوءا، و أضاءت أيضا و أضاءت غيرها يتعدى) «۴». من خلال هذا العرض يمكن لنا اسـتخلاص معطيات الآيات القرآنية كما يلى: أولا: تبين لنا أن الشـمس قد وصفت بأنها «سراج و مضىء» و القمر دائمـا يوصف بـأنه منير. ثانيـا: من المعلوم أن السـراج تتقـد فيه الحرارة المتوهجـة فيرسـل معهـا ضـياء حراريا، و هـذا هو شأن الشـمس، أمـا الإنـارة، فهى التى تملأ الحيز نورا و ضـياء دونما حرارة، و هـذا هو شأن القمر، فالقرآن إذا عرض الشـمس وصـفها بأنها سراج مضـىء، لأن حرارتها تنبعث من داخلها، و إذا عرض القمر وصـفه بأنه منير لأن إنارته و ضـياءه مسـتمد من الشـمس لا من ذاته، لأن القمر جرم قد برد مع مرور الزمن بعد تكوينه من الغبار، كما سيؤكّده لنا علماء الفلك.

الحقائق العلمية:

الحقـائق العلميـة: هـذا البيـان القرآنى المعجز، الـذى وصـف بـه حقيقـة كـلّ مـن الشـمس و القمر، (____۱) كتـاب العيـن، الخليـل بـن أحمد الفراهيـدى، تحقيق، مهدى المخزومى و إبراهيم السامرائى، بيروت، دار الهلال، د. ت، ۶/ ۵۳. (۲) لسان العرب، لابن منظور، ۵/ ۲۴۱، و انظر: القـاموس المحيـط، للفيروزآبادى، ۱/ ۶۲۸. (۳) المصـباح المنير، أحمـد بن محمـد بن على المقرى الفيـومى، بيروت، المكتبة

العلمية، د. ت، ۲/ ۶۲۹. (۴) مختار الصحاح، أبو بكر الرازى، ۱/ ۱۴۴. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۲۲ و الخصائص و السمات التى ينطوى عليها كلّ منهما، قد كشف عنه العلم مؤخرا بعد إثبات القرآن له، و تحدث العلماء عن مصدر الطاقة الشمسية و عن التفاعلات النووية التى تحدث فى داخلها و عن النتائج التى تفرزها تلك التفاعلات. ففى الوقت الذى جاء فيه «أنيشتاين» بنظريته (النسبية الخاصة، التى أثبت فيها تحول الكتلة إلى طاقة، فتحت أمام العلماء آفاقا جديدة أطلوا منها على الشمس، و بدراسة الشمس توصلوا إلى أن مصدر حرارة الشمس و نورها هو حدوث تفاعلات نووية داخل جرم الشمس، تؤدى إلى دمج أربع نويات من الهيدروجين، أى أربع (بروتونات) مكونة نواة واحدة من غاز (الهيليوم)، و بما أن كتلة نواة غاز (الهيليوم) هى أصغر من الكتلة التى ألفتها نويات غاز (الهيدروجين) الأربعة بمقدار ۰۰۷، ۰ فإن هذه الكتلة الفائضة، تتحول إلى طاقة من الحرارة و النور، تطلقها الشمس نحو الفضاء المحيط بها و بمجموعتها الشمسية) «۱». و يحدثنا نفس الكتاب «الشمس» عن توهج الشمس و لهيبها: (... و سطح الشمس دائم الاضطراب و الصخب، إنما يلاحظ أن ذلك الاضطراب يزداد و يشتد خلال فترة الهياج الشمسى، و من أهم مظاهر الاضطراب الشديد اندفاع ألسنة من اللهب، قاعدة كل منها تزيد مساحته على عدة ملايين الكيلومترات المربعة، و تبلغ تلك الألسنة ارتفاعات كبيرة، إذ يتجاوز بعضها مسافة ۳۵۰ ألف كم كما أن اندفاعها يكون خاطفا ... و قد تنطلق تلك الألسنة على شكل فوّارات عمودية من اللهب بينما يتخذ بعضها شكل أقواس نارية، و تكون بعض الأقواس من الطول و الضخامة إلى درجة تنعطف معها باتجاه سطح الشمس حيث تتصل به مؤلفة قنطرة مهيبة ... و من مظاهر الهياج الشمسى الشواظ الشمسى، و الذى يبدو على شكل كتل غازية مضيئة، تلاحظ فى الطبقة التاجيّة من الشمس و قد قذفت بعيدا عنها إلى مسافة تزيد أحيانا على ۵۰۰ ألف كيلومتر، ليتبدد بعضها فى الفضاء، بينما يرتد بعضها الآخر إلى سطح الشمس على شكل همرات «۲»، أو كتل من الوهج) «۳».

(______________________________ ۱) الشمس، إبراهيم حلمى غورى، ص: ۲۷، و انظر: دليل فيليب للنجوم و الكواكب، باتريك مور، ترجمة، عبد القوى عياد، الرياض، النشر العلمى و المطابع، الطبعة الأولى، ۱۴۲۱ ه/ ۲۰۰۰، ص: ۶۲. (۲) همرات: نوع من أنواع النشاط الشمسى. (۳) الشمس، إبراهيم حلمى غورى، ص: ۳۲- ۳۳. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۲۳ صورة للشمس تظهر التفاعلات النووية، و ألسنة اللهب تنطلق منها. و ألسنة اللهب هذه تعتبر (من أبرز المظاهر الشمسية، و هى كتل غازية متوهجة يمكن رصدها بسهولة عند حافة الشمس، و توجد منها أصناف عديدة، فمنها ألسنة اللهب الهادئة حيث تهبط الغازات ببطء على امتداد خطوط المجال المغناطيسى، و ألسنة اللهب الأنشوطية، و منها الألسنة المتفجرة و هى الأقل شيوعا و فيها يقذف الغاز بعنف بعيدا عن الشمس، أما الوميض الشمسى فهو من أعنف مظاهر النشاط الشمسى، و هى تظهر كومضات لامعة تمكث من ثانية و حتى ما يقارب الساعة، و هى تنتج من التحرر المفاجئ لقدر كبير من الطاقة كان مختزنا فى المجال المغناطيسى) «۱».

(______________________________ ۱) علم الفلك العام، مرفت السيد عوض و مصطفى كمال محمود، ص ۲۱۰، و انظر: علم الفلك، عبد السلام غيث، عمان، جامعة اليرموك، ۱۹۹۲، ص: ۹۶. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۲۴ و لقد مكّنت الدراسات النظرية المعتمدة على (تجارب مختبرات الفيزياء النووية، من معرفة التفاعلات التى تتم فى داخل الشمس و ما ينجم من طاقة متولدة عن تلك التفاعلات: تفاعلات الاندماج (الهيدروجينية) و انتقال تلك الطاقة إلى السطح، و إشعاعها بعد ذلك فى الفضاء ... و سطح الشمس فى حالة نشاط مستمر، إذ تكثر العواصف الشمسية، و البقع الشمسية، و (الفوتونات)، و ألسنة اللهب و الخيوط المنبثقة من السطح) «۱». كما يلاحظ (بالقرب من أطراف قرص الشمس مناطق فاتحة اللون «مشاعل» و تمثل هذه الظاهرة مناطق الغازات الشديدة التسخن، و المرتفعة إلى الطبقات العليا من الغلاف الجوى للشمس و تظهر هذه الظاهرة فى أغلب الأحيان عند ما تحتل البقع الشمسية أطراف القرص الشمسى، عندها نشاهد المشاعل محيطة بالقرص، و هى لهيب و ألسنة نارية متوهجة) «۲». و أما القمر فهو: (ثانى الأجرام سطوعا بعد الشمس، و لكنه لا ينبعث

منه ضوء من تلقاء نفسه لأنه ليس ملتهبا متوهجا توهجا ذاتيا كالشمس، و لكنه بارد ينير كالمرآة يعكس جزءا من ضوء الشمس الساقط عليه) «۳». و لقد ثبت للعلماء أن القمر: (يعكس الضوء كالمرايا، ذلك الضوء الذى يأتيه من الشمس و القمر ليس جسما ملتهبا كالشمس كى يكون مضيئا بنفسه، فقد نزل عليه رواد الفضاء من الأمريكيين و أثبتوا أنه جسم صخرى قليل الصلابة، و تتميز صخور القمر باللون الرمادى الغامق الداكن، و تشبه فى ذلك لدرجة كبيرة لون الصخور الأرضية، أما تربته التى تعكس ضوء الشمس فتتخذ درجات الأسود الغامق ... و الدراسات كلها تؤكد أن قشرة القمر أسمك كثيرا من قشرة الأرض، بل يحتمل أن يكون القمر صلبا فى

(______________________________١) المنظومة الشمسية، على موسى و مخلص الريس، دمشق، دار دمشق، الطبعة الأولى، ۱۴۰۳ ه/ ۱۹۸۳، ص: ۴۷، و انظر: مبادئ الطاقة الشمسية و تطبيقاتها، سهيل فاضل و إلياس الكبة، بيروت، دار الحداثة، الطبعة الثالثة، ۱۹۸۷، ص: ۳۲. (۲) الجغرافية الفلكية، أمين طربوش، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى، ۱۴۰۶ ه/ ۱۹۸۶، ص: ۳۱۴. (۳) المعارف الكونية، إعداد نخبة من العلماء، القاهرة، دار الفكر العربى، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۸، ص: ۱۶۲. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۲۵ جميع طبقاته حتى المركز، على اعتبار أنه برد إلى درجة عظيمة بمعدل أسرع مما بردت به أرضنا نظرا لصغر كتلته، فما معنى هذا كله؟ ... هذا معناه وجود الأدلة المادية من صخور القمر قد حللها العلماء بالفعل على الأرض، بما يؤكد أنه صخرى و ليس نارا ملتهبة مثل الشمس و ينبنى على ذلك أن القمر ليس مصدرا للضوء مثل الشمس و إنما هو عاكس فقط له) «۱».

الإعجاز:

الإعجاز: سبحان اللّه، هذا ما وصل إليه علماء عصرنا بعد أكثر من أربعة عشر قرنا، غير أن الحق سبحانه و تعالى قد سجل هذه الحقيقة العلمية فى كتابه العظيم، لقد قرر القرآن منذ نزوله على النبى الأمى صلى اللّه عليه و سلم أن الشمس جسم ملتهب، و كرة نارية تصدر عنها الحرارة و الضوء، بخلاف القمر الذى يستمد نوره من ضوء الشمس، قال اللّه تبارك و تعالى: تَبارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّماءِ بُرُوجاً وَ جَعَلَ فِيها سِراجاً وَ قَمَراً مُنِيراً «۲»، و قال سبحانه: وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً «۳»، و قال سبحانه: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَ الْقَمَرَ نُوراً «۴». فما ينبغى لذى عقل منصف أن يقول: هناك تعارض بين العلم و الدين، أو أن يقول: الدين أفيون الشعوب أو سبب تخلفها، لأن القرآن الذى حفظه اللّه تعالى، حقائقه و قوانينه الكونية تخرج هى و حقائق العلم من مصدر و مشكاة واحدة ألا و هى علم العليم جل جلاله.

(______________________________١) المنهج الإيمانى للدراسات الكونية، عبد العليم خضر، ص: ۱۵۴. (۲) سورة الفرقان، الآية: ۶۱. (۳) سورة نوح، الآية: ۱۶. (۴) سورة يونس، الآية: ۵. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۲۶

المبحث الثالث تعدد الشموس و الأقمار

اشارة

المبحث الثالث تعدد الشموس و الأقمار قال تعالى: وَ مِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ وَ النَّهارُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لا لِلْقَمَرِ وَ اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ «۱». تشير هذه الآية الكريمة من خلال قوله تعالى: خَلَقَهُنَّ إلى تعدد الشموس و الأقمار فى هذا الكون، فالحق سبحانه و تعالى أتى بضمير الجمع المؤنث بدلا من ضمير المثنى، و كان مساق الآية يقتضى حسب قواعد اللغة أن يقول: (خلقهما) إشارة إلى شمسنا و قمرنا، لكنه عدل عن المثنى إلى الجمع ليسطّر معجزة قرآنية كونية هنا، و هى أن اللّه سبحانه و

تعالی خلق شموسا و أقمارا کثیرة و هذا ما أثبته العلم و قرره الحق. و بإلقاء نظرة دقیقة فی تفاسیر العلماء رحمهم اللّه تعالی، یتبین لنا إدراکهم لبعد هذه الإشارة القرآنیة المعجزة. یعلق الإمام الطبری علی الآیة فیقول: (یقول تعالی ذکره: و من حجج اللّه تعالی علی خلقه و دلالته علی وحدانیته، و عظیم سلطانه، اختلاف اللیل و النهار، و معاقبة کلّ واحد منهما صاحبه و الشمس و القمر، لا الشمس تدرک القمر و لا ـ اللّیل سابق النّهار و کلّ فی فلک یسبحون، لا ـ تسجدوا أیها الناس للشمس و لا ـ للقمر، فإنهما و إن جریا فی الفلک بمنافعکم، فإنما یجریان به لکم بإجراء اللّه إیاهما لکم طائعین له فی جریهما و مسیرهما، لا بأنهما یقدران بأنفسهما علی سیر و جری دون إجراء اللّه إیاهما و تسییرهما، أو یستطیعان لکم نفعا أو ضرّا و إنما اللّه مسخرهما لکم لمنافعکم و مصالحکم، فله فاسجدوا، و إیاه فاعبدوا دونها، فإنه إن شاء طمس ضوءهما، فترککم حیاری فی ظلمة لا تهتدون سبیلا، و لا تبصرون شیئا ... و قیل: و اسجدوا للّه الّذی (______________________________ ۱) سورة فصلت، الآیة: ۳۷.

الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۲۷ خلقهنّ، فجمع بالهاء و النون، لأن المراد من الکلام، و اسجدوا للّه الذی خلق اللیل و النهار و الشمس و القمر، و ذلک جمع، و أنث کنایتهن) «۱». و عند القرطبی: (قوله تعالی: وَ مِنْ آیاتِهِ علاماته الدالة علی وحدانیته و قدرته اللَّیْلَ وَ النَّهارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ و قد مضی فی غیر موضع، ثم نهی عن السجود لهما، لأنهما و إن کانا خلقین فلیس ذلک لفضیلة لهما فی أنفسهما فیستحقان بها العبادة مع اللّه، لأن خالقهما هو اللّه و لو شاء لأعدمهما أو طمس نورهما: وَ اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِی خَلَقَهُنَّ و صورهنّ و سخرهنّ، فالکنایة ترجع إلی الشمس و القمر و اللیل و النهار، و قیل: للشمس و القمر خاصة، لأن الاثنین جمع، و قیل: الضمیر عائد علی معنی الآیات إِنْ کُنْتُمْ إِیَّاهُ تَعْبُدُونَ و إنما أنث علی جمع التکثیر، و لم یجر علی طریق التغلیب للمذکر و المؤنث لأنه فیما لا یعقل) «۲». و فی تفسیر الرازی: (و لما بیّن أن الشمس و القمر محدثان، و هما دلیلان علی وجود الإله القادر قال: لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لا لِلْقَمَرِ یعنی أنهما عبدان دلیلان علی وجود الإله، و السجدة عبارة عن نهایة التعظیم فهی لا تلیق إلا بمن کان أشرف الموجودات، فقال: لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لا لِلْقَمَرِ لأنهما عبدان مخلوقان وَ اسْجُدُوا لِلَّهِ الخالق القادر الحکیم، و الضمیر فی قوله: خَلَقَهُنَّ للیل و النهار و القمر، لأن حکم جماعة ما لا یعقل حکم الأنثی أو الإناث، یقال للأقلام بریتها و بریتهن، و لما قال: وَ مِنْ آیاتِهِ کن فی معنی الإناث فقال: خَلَقَهُنَّ، و إنما قال: کُنْتُمْ إِیَّاهُ تَعْبُدُونَ لأن ناسا کانوا یسجدون للشمس و القمر، کالصابئین فی عبادتهم الکواکب و یزعمون أنهم یقصدون بالسجود لهما السجود للّه فنهوا عن هذه الواسطة، و أمروا أن لا یسجدوا إلا للّه الذی خلق الأشیاء) «۳». و فی تفسیر «روح المعانی»: وَ مِنْ آیاتِهِ الدالة علی شئونه الجلیلة جل شأنه تعالی: اللَّیْلِ وَ النَّهارِ فی حدوثهما و تعاقبهما و إیلاج کل منهما فی الآخر وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ فی استنارتهما و اختلافهما فی قوة النور و العظم و الآثار و الحرکات مثلا ـ (______________________________، ۱) جامع البیان، للطبری، ۲۴/ ۷۶، و انظر: قبس من نور القرآن، محمد علی الصابونی، بیروت، مؤسسة الریان، الطبعة الرابعة، ۱۴۱۹ ه/ ۱۹۹۸، ۱۱/ ۲۴۸. (۲) الجامع لأحکام القرآن، للقرطبی، ۱۵/ ۳۶۳. (۳) التفسیر الکبیر، للرازی، ۲۷/ ۵۷۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۲۸ و قدم ذکر اللیل قیل: تنبیها علی تقدمه مع کون الظلمة عدما، و ناسب ذکر الشمس بعد النهار لأنها آیته و سبب تنویره، و لأنها أصل لنور القمر بناء علی ما قالوا من أنه مستفاد من ضیاء الشمس، و أما ضیاؤها فالمشهور أنه غیر طارئ علیها من جرم آخر، و قیل: هو من العرش، لأنها من جملة مخلوقاته سبحانه و تعالی المسخرة علی وفق إرادته تعالی مثلکم وَ اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِی خَلَقَهُنَّ الضمیر قیل للأربعة المذکورة، و المقصود تعلیق الفعل بالشمس و القمر، لکن نظم معهما اللیل و النهار إشعارا بأنهما من عداد ما لا یعلم و لا یختار ضرورة أن اللیل و النهار کذلک، و لو ثنی الضمیر لم یکن فیه إشعار بذلک) «۱». و فی «أنوار التنزیل»: وَ مِنْ آیاتِهِ اللَّیْلُ وَ النَّهارُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لا لِلْقَمَرِ لأنهما مخلوقان مأموران مثلکم وَ اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِی خَلَقَهُنَّ الضمیر للأربعة المذکورة و المقصود تعلیق الفعل بهما إشعارا بأنهما من عداد ما لا یعلم و لا یختار، إِنْ کُنْتُمْ إِیَّاهُ تَعْبُدُونَ فإن السجود أخص العبادات و هو موضع السجود عندنا لاقتران الأمر به) «۲». رأینا کیف أن المفسرین رحمهم اللّه تعالی، حاولوا أن یعیدوا الضمیر

خَلَقَهُنَّ للأربعة «اللیل و النهار و الشمس و القمر»، و الحق أن الضمیر فی خَلَقَهُنَّ یرجع للشمس و القمر فقط، لأن المشرکین کانوا یعبدون من جملة ما یعبدون الشمس و القمر، و لذلک وبخهم الحق فی کثیر من الآیات و نهاهم أن یعبدوهما، و لم یرد قط أن المشرکین عبدوا طبیعة اللیل أو طبیعة النهار؟. و علی هذا فإن الجمع هنا خَلَقَهُنَّ جاء آیة معجزة کشف عنها علماء عصرنا، عند ما تحقّقوا بالدلیل العملی و المرئی أن فی کوننا ملایین من الشموس، و الکثیر من الأقمار.

الحقائق العلمیّة:

الحقائق العلمیّة: أما عن تعدّد النجوم فقد وجد العلماء أن: (النجوم علی أنواع مختلفة، و هی برغم ظهورها للعین نقاطا لامعة فی السماء، إلا أنها شموس مثل شمسنا، و تظهر هکذا (____۱) روح المعانی، للآلوسی، ۲۴/ ۱۲۵. (۲) أنوار التنزیل، للبیضاوی، ۵/ ۱۱۶، و انظر: بحر العلوم، للسمرقندی، ۳/ ۲۲۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۲۹ لبعدها عنا، حیث أن أقرب نجم إلینا یبعد مسافة تزید علی أربع سنوات ضوئیة، و هو نجم (الشعری) و لبعض النجوم کتلة تقل عن کتلة الشمس، و لبعضها الآخر کتلة تزید بمائة ضعف و أکثر علی کتلة الشمس) «۱». ثم إن النجوم التی تتکشّف لنا لیلا (تکون جزءا من مجموعات نجمیة هائلة، و بطبیعة الحال فإن الشمس هی أقرب النجوم إلی الأرض، و إن کان ضوؤها یستغرق حوالی ۸، ۵ دقائق لیصل إلینا و فیما عدا النجوم القریبة من الشمس، و هی التی تکون مضیئة، و یمکن رؤیتها بوضوح بالعین المجردة فهناک نجوم أخری تبعد عنا مسافات بالغة، لدرجة أننا نشاهدها علی هیئة سحب ضوئیة تختلف شدتها، و یمکن للراصد فی لیلة صافیة أن یری حوالی ۲۷۵۰ نجم فی الکرة السماویة بالعین المجردة کما أن هناک العدید من النجوم التی لا نستطیع رؤیتها بسبب ما یفصل بیننا و بینها من السحب الغازیة) «۲». و لقد اتضح أن شمسنا إحدی (نجوم مجرة تدعی (سکة التبانة) و هی عبارة عن تجمع نجمی هائل یحتوی علی ۱۳۰ بلیون نجم (شمس) و أن الکون یحتوی علی أکثر من ۲ بلیون مجرة، أی أن عدد النجوم فی الکون أکثر من مائة بلیون بلیون نجم (شمس)، و أن هذه النجوم تتعدّد أنواعها حسب قوة إضاءتها و درجة حرارتها و کتلتها، إلی أنواع تتدرّج تنازلیا فی هذه الصفات إلی النوع الأزرق- الأبیض المزرق- الأبیض- الأبیض المصفر- الأصفر- الأصفر البرتقالی- الأحمر، و أن شمسنا من النوع الأصفر فهی نجم متوسط، و هناک نجوم أخری عملاقة تدعی العمالقة الحمراء، و نجوم أخری أقزام تدعی الأقزام البیضاء) «۳». و أما عن تعدد الأقمار فقد ثبت و تحقق وجود الکثیر من الأقمار (و أغلب کواکب المجموعة الشمسیة لها توابع تدور حولها، کما یتبع القمر الأرض و یدور حولها، فالتوابع کالکواکب أجسام باردة غیر ملتهبة و لکن تصغرها حجما، و ترتبط معها برباط (____۱) خلق الکون، محمد باسل الطائی، بیروت، دار النفائس، الطبعة الأولی، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۸، ص: ۶۲. (۲) المیکروکمبیوتر و علم الفلک، محمد رشاد الدین مصطفی، بیروت، دار الراتب، د. ت، ص: ۲۲. (۳) الکون و الإعجاز العلمی فی القرآن، منصور حسب النبی، القاهرة، دار الفکر العربی، الطبعة الثانیة، ۱۹۹۱، ص: ۱۵۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۳۰ الجاذبیة فتدور حولها، فهی أقمارها و لکن لیست کل کواکب المجموعة الشمسیة فی مثل قناعة الأرض تکتفی بجذب تابع واحد و هو القمر، فکثیر من الکواکب الأخری لها أکثر من تابع، و المشتری علی ضخامته له «۱۲» تابعا یدور حوله) «۱». و زیادة لتأکید القضیة و الفائدة فی آن واحد، نورد أرقاما و جداول بالأقمار. و للمریخ (قمران هما «فوبوس و دیموس» یدور الأول حوله ثلاث مرات فی الیوم الواحد، أما الثانی فإن دورته بحدود ۳۰ ساعة، و کلا القمرین صغیر جدا إذ یبلغ قطر الأول ۱۳ کیلومتر، و قطر الثانی ۸ کیلومترات فقط) «۲». (و أقمار المریخ مظلمة جدا، درجة القدرة علی عکس نور الشمس هی ۵٪ و موادها التکوینیة یمکن أن تکون مشابهة للمواد الفحمیة و کل منها مغطّی بطبقة سطحیة من المواد الصخریة المفکّکة بسماکة عدة ملیمترات) «۳». و أما المشتری فعدد أقماره: (ستة عشر قمرا، تقع ثمانیة

منها علی أبعاد صغیرة من الکوکب لا تتعدی ملیون کیلومتر، بینما تتزاید أبعاد أربعة منها ۱۲ ملیون کیلومتر، أما الأربعة الأخری فتدور علی مسافات بین ۲۱- ۲۴ ملیون کیلومتر فی اتجاه عکسی و فی مستویات ذات میل کبیر، و قد اکتشفت حول المشتری حلقة رقیقة تـــــدور حـــــول الکـــــــوکب مـــــن حصـــــــوات صـــــــغیرة الحجـــــــم) «۴».

(____ ۱) أعماق الکون، سعد شعبان، ص ۷۹، و انظر: السماء فی اللیل، عبد القادر عابد و علی عبندة، عمان، دار الفرقان، الطبعة الأولی ۱۴۰۵ ه/ ۱۹۸۵، ص: ۲۲. (۲) خلق الکون، محمد باسل الطائی، ص: ۴۹. (۳) موسوعة غینیس فی علم الفلک، باتریک موور، ص: ۷۱. (۴) علم الفلک العام، مرفت السید عوض و مصطفی کمال محمود، ص: ۱۵۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۳۱ التسلسل/ القمر/ سنة الاکتشاف/ قطره/ بعده عن المشتری ۱- میتس ۴۹ /۱۹۷۹ /siteM کلم/ ۶۰۰، ۱۷۲ کلم ۲- ادراستیا ۳۵ /۱۹۷۹ /aetsardA کلم/ ۰۰۰، ۱۳۴ کلم ۳- امالثیا/ ۱۶۶ /۱۸۹۲ /aehtlamA کلم/ ۳۰۰، ۱۸۱ کلم ۴- ثیبی/ ۷۵ /۱۹۷۹ /ebehT کلم/ ۰۰۰، ۲۲۲ کلم ۵- آیو ۳۶۳۲ / ۱۶۱۰ /oI کلم/ ۶۰۰، ۴۲۱ کلم ۶- أوروبا ۳۱۲۶ /۱۶۱۰ /aporuE کلم/ ۹۰۰، ۶۷۰ کلم ۷- غانیمید ۵۲۷۶ /۱۶۱۰ /edemynaG کلم/ ۱، ۱ ملیون کلم ۸- کالیستو ۴۸۲۰ ۱۶۱۰ /otsillaC کلم/ ۹، ۱ ملیون کلم ۹- لیدا /adeL ۱۶ /۱۹۷۴ کلم/ ۱، ۱۱ ملیون کلم ۱۰- هیمالیا ۱۸۶ /۱۹۰۴ /ailamiH کلم/ ۵، ۱۱ ملیون کلم ۱۱- لایسیثا ۱۹ ۱۹۳۸ /aehtisyL کلم/ ۷، ۱۱ ملیون کلم ۱۲- إلارا ۸۰ ۱۹۰۵ /aralE کلم/ ۷، ۱۱ ملیون کلم ۱۳- أنانکی ۳۰ /۱۹۵۱ /eknanA کلم ۷، ۲۰ ملیون کلم ۱۴- کارمی ۴۰ /۱۹۳۸ /emraC کلم/ ۴، ۲۲ ملیون کلم ۱۵- باسیفای ۵۰ /۱۹۰۸ /eahpisaP کلم/ ۳، ۲۳ ملیون کلم ۱۶- سینوب ۳۶ /۱۹۱۴ /eponiS کلم/ ۷، ۲۳ ملیون کلم جدول رقم: (۱)، یبین سنة اکتشاف القمر و قطره و بعده عن المشتری «۱». أقمار زحل و حلقاته: (و یدور حول زحل ۱۸ قمرا و ۷ حلقات تری منها علی الأرض ۳ حلقات، و أکبر أقمار زحل هو القمر «تیتان» و هو ثانی أقمار المجموعة الشمسیة بعد «جانیمن»، ثم یلی تیتان فی الکتلة ۸ أقمار متوسطة، و الباقیة أقمار صغیرة أشکالها غیر

(____ ۱) المصدر نفسه، ص: ۱۵۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۳۲ منتظمة، و أبعد أقمار زحل یسمی «فوب» یبعد تقریبا ۴ أمثال بقیة الأقمار و یتحرک حرکة تقهقریة) «۱». التسلسل/ القمر/ سنة الاکتشاف/ قطرة/ بعده عن زحل ۱- بان ۲۰ /۱۹۹۰ /naP کلم/ ۵۷۰، ۱۳۳ کلم ۲- أطلس ۳۰ /۱۹۸۰ /saltA کلم/ ۶۷۰، ۱۳۷ کلم ۳- بروميثوس ۲۲۰ /۱۹۸۰ /suehtemorP کلم/ ۳۵۳، ۱۳۹ کلم ۴- باندورا ۹۰ /۱۹۸۰ /arodnaP کلم/ ۷۰۰، ۱۴۱ کلم ۵- ابیمیثوس ۱۱۹ /۱۹۶۶ /suehtemipE کلم/ ۴۲۲، ۱۵۱ کلم ۶- جانوس ۱۹۰ /۱۹۶۶ /sunaJ کلم/ ۴۷۲، ۱۵۱ کلم ۷- میماس ۳۹۰ /۱۷۸۹ /samiM کلم/ ۶۰۰، ۱۸۵ کلم ۸- انسیلادوس /sudalecnE ۵۰۰ /۱۷۸۹ کلم/ ۱۰۰، ۲۳۸ کلم ۹- تیثز ۱۰۵۰ /۱۶۸۴ /syhteT کلم/ ۳۴۲، ۲۹۲ کلم ۱۰- تیلیستو ۲۲ /۱۹۸۰ /otseleT کلم/ ۷۰۰، ۲۹۴ کلم ۱۱- کالیبسو ۲۵ /۱۹۸۰ /ospylaC کلم/ ۶۷۰، ۲۹۴ کلم ۱۲- دیون ۱۱۲۰ /۱۶۸۴ /enoiD کلم/ ۵۰۰، ۳۷۷ کلم ۱۳- هیلینی ۳۲ /۱۹۸۰ /eneleH کلم/ ۰۶۰، ۳۷۸ کلم ۱۴- ریا ۱۵۳۰ /۱۶۷۲ /aehR کلم/ ۲۰۰، ۵۲۷ کلم ۱۵- تیتان /natiT ۵۱۵۰ /۱۶۵۵ کلم/ ۲، ۱ ملیون کلم ۱۶- هیبریون ۲۵۰ /۱۸۴۸ /noirepyH کلم/ ۵، ۱ ملیون کلم ۱۷- یابیتوس /sutepaI ۱۶۷۱/ ۱۴۶۰ کلـــــم/ ۶ ، ۳ ملیـــون کلـــم جـــدول رقـــم: (۲)، یـــبین ســــنة اکتشـــاف القمر و قطره و بعـــده عـــن زحـــل «۲».

(____ ۱) علم الفلک العام، مرفت السید عوض و مصطفی کمال محمود، ص: ۱۵۴. (۲) المصدر نفسه، ص: ۱۵۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۳۳ (أقمار أورانوس الخمسة عشر) «۱». التسلسل/ القمر/ سنة الاکتشاف/ قطره/ بعده عن أورانوس ۱- کوریدیلیا /ailedroC ۴۰ /۱۹۸۶ کلم/ ۷۰۰، ۴۹ کلم ۲- اوفیلیا ۵۰ /۱۹۸۶ /ailehpO کلم ۸۰۰، ۵۳ کلم ۳- بیانکا ۵۰ /۱۹۸۶ /acnaiB کلم/ ۲۰۰، ۵۹ کلم ۴- جولییت ۶۰ /۱۹۸۶ /teiluJ کلم/ ۸۰۰، ۶۴ کلم ۵- دیسدیمونا ۶۰ /۱۹۸۶ /anomedseD کلم/ ۷۰۰، ۶۲ کلم ۶-

روزالند ۸۰ /۱۹۸۶/ dnilasoR كلم/ ۹۰۰، ۶۹ كلم ۷- بورتيا ۸۰ /۱۹۸۶/ aitroP كلم/ ۱۰۰، ۶۶ كلم ۸- كريسيدا /adisserC ۶۰ /۱۹۸۶ كلم/ ۹۰۰، ۶۹ كلم ۹- بيلندا ۶۰ ۱۹۸۶/ adnileB كلم/ ۳۰۰، ۷۵ كلم ۱۰- بوك ۱۷۰ /۱۹۸۵/ kcuP كلم/ ۰۰۰، ۸۶ كلم ۱۱- ميراندا ۴۸۰ /۱۹۴۸/ adnariM كلم/ ۲۸۲، ۱۲۸ كلم ۱۲- آرييل ۱۱۶۰ /۱۹۵۱/ leirA كلم/ ۹۰۰، ۱۹۰ كلم ۱۳- امبريال ۱۱۹۰ /۱۹۵۱/ lairebmU كلم/ ۰۰۰، ۲۶۶ كلم ۱۴- تيتانيا ۱۶۱۰ /۱۷۸۷/ ainatiT كلم/ ۳۰۰، ۴۳۶ كلم ۱۵- أوبيرون ۱۵۵۰ /۱۷۸۷/ norebO كلم/ ۴۰۰، ۵۸۳ كلم جدول رقم: (۳)، يبين سنة اكتشاف القمر و قطره و بعده عن أورانوس «۲». (و هذه حلقات نبتون بالإضافة إلى منبسط ما يسمى فى بعض الأحيان الحلقة

(______________________________ ۱) علم الفلك العام، مرفت السيد عوض و مصطفى كمال محمود، ص: ۱۵۸. (۲) المصدر نفسه، ص: ۱۵۸. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۳۴ «N ۴ ۱۹۸۹» الحلقة التى تقع داخل حلقة (أدامز) تتحرك فى المدار نفسه لمدار القمر الصغير «غالاتيا» الذى تم اكتشافه حديثا) «۱». اسم الحلقة/ المسافة من مركز نبتون (كلم)/ العرض غال/ ۹۰۰، ۴۱/ ۵۰ لوفيريه/ ۲۰۰، ۵۳/ ۵۰ المنبسط/ ۲۰۰، ۵۳- ۱۰۰، ۵۹/ ۴۰۰۰ أدامز/ ۹۰۰، ۶۲/ ۵۰ جدول رقم: (۴)، يبين اسم الحلقة، و المسافة من مركز نبتون، و العرض «۲».

أقمار نبتون الثمانية

أقمار نبتون الثمانية التسلسل/ القمر/ سنة الاكتشاف/ قطره/ بعده عن نبتون ۱- نایاد ۵۰ /۱۹۸۹/ daiaN كلم/ ۰۰۰، ۴۸ كلم ۲- ثالاسا ۹۰ /۱۹۸۹/ assalahT كلم/ ۰۰۰، ۵۰ كلم ۳- دسينيا ۱۸۰ /۱۹۸۹/ anipseD كلم/ ۵۰۰، ۵۲ كلم ۴- غالاتيا /aetalaG ۱۶۰ /۱۹۸۹ كلم/ ۰۰۰، ۶۲ كلم ۵- لاريسا ۲۰۰ /۱۹۸۹/ assiraL كلم/ ۱۰۰، ۷۳ كلم ۶- بروتيوس ۴۲۰ /۱۹۸۹/ suetorP كلم/ ۶۰۰، ۱۱۷ كلم ۷- ترايتون ۲۷۰۰ /۱۸۴۶/ notirT كلم/ ۷۶۰، ۳۵۴ مليون كلم ۸- نيريد ۳۴۰۰ /۱۹۴۹/ diereN كلم/ ۵، ۵ مليون كلم جدول رقم: (۵)، يبين سنة اكتشاف القمر و قطره و بعده عن نبتون «۳».

(______________________________ ۱) موسوعة غينيس فى علم الفلك، باتريك موور، ص: ۱۱۶. (۲) المصدر نفسه، ص: ۱۱۶. (۳) المصدر نفسه، ص: ۱۱۶. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۳۵

الإعجاز:

الإعجاز: تلك هى أقمار المجموعة الشمسية التى يتربع على عرشها نجم الشمس الكبير، و تطوف حوله تسعة كواكب سيارة و مجموعة أقمار لها، إضافة إلى آلاف الكويكبات و ملايين المذنبات التى تحفها. و رأينا أن لكل كوكب مداره الخاص، و فلكه الذى يطوف فيه بدقة و نظام قد حدده خالق الأكوان جل جلاله ف لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لَا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ «۱». و ما تلك النجوم المرصعة فى كبد السماء و التى تصل إلى المليارات المليارات ما هى إلا شموس كشمسنا و إن اختلفت فى الحجم و الإشعاع، لكن طبيعتها واحدة، لأنّ خالقها سبحانه تعالى واحد إنها آيات اللّه فى الآفاق و فى الأكوان، و كلها ناطقة بالوحدانية، فالجمع فى قوله: خَلَقَهُنَّ جاء ليترجم هذه الحقائق العلمية التى توصل إليها العلماء فى تعدد الشموس و الأقمار، و لكنها أسبقية سطّرها القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرنا. و ما حدثنا عنه علم الفلك هو شىء يسير جدا، و يكاد لا يذكر أمام الكون العظيم المجهول و مهمة الإنسان أن يسير فى الأرض معتبرا، و ينظر فى السماء دارسا و باحثا عن آيات اللّه فى الآفاق قال تعالى: سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ «۲».

(______________________________ ۱) سورة يس، الآية: ۴۰. (۲) سورة

فصلت، الآیة: ۵۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۳۶ صورة توضح بعض أقمار الکوکب العملاق المشتری «۱ (____» ۱) أخذت هذه الصورة من موقع: ptth ://prwtna. cfsg. asan. vog/ dopa/ pa ۰۰۱۱۱۸. lmth الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۳۷

المبحث الرابع موت الشمس و نهایتها بین القرآن و العلم

اشارة

المبحث الرابع موت الشمس و نهایتها بین القرآن و العلم یقول مولانا تبارک و تعالی: إِذَا الشَّمْسُ کُوِّرَتْ «۱». و یقول سبحانه و تعالی: وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ «۲». و یقول جل جلاله: فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَکانَتْ وَرْدَةً کَالدِّهانِ «۳». کثیر ممن أعلنوا التمرد علی الإیمان و التوحید، و انغمسوا فی حمأة الإلحاد، ظنوا أن الحیاة الدنیا هی خلود أبدی، و أن الذی یمسک بزمام الأحیاء إنما هی الطبیعة و الدهر، و راحوا ینسجون تصورات بالیة، و خیالات وهمیة حول ذلک، و کان من جملة هذه المعتقدات أن الشمس لن تموت، بل إن بعضهم قد جعلها إلها و عبدها!. و تدور حرکة الزمان، و تتهاوی تلک الخرافات بل و حتی تلک النظریات التی تتحدث علی استمراریة الشمس فی الحیاة إلی اللانهایة، و یقتنع العلماء و یجمعون، کما سنری علی أن الشمس أمضت أکثر من نصف عمرها، و أن نهایتها محتومة، و انطفاؤها آت لا محالة. و هناک نصوص قرآنیة کثیرة تشیر إلی أخطر الأحداث التی ستطرأ علی الشمس و علی الکون بأسره، إنها النهایة التی سیمتد سلطانها علی المکونات جمیعا، حیث ینفرط عقد الشمس المنتظم و تکور الشمس، و ینطفئ لهیبها، و تخمد و تقع واقعتها ... إنها نهایة رهیبة عبّر عنها القرآن بالفناء کُلُّ مَنْ عَلَیْها فانٍ «۴»، و لسید قطب رحمه اللّه وصف و تعلیق رائع علی الآیة فیقول: (فی ظل هذا النص القرآنی تخفت الأنفاس، و تخشع (____۱) سورة التکویر، الآیة: ۱. (۲) سورة القیامة، الآیة: ۹. (۳) سورة الرحمن، الآیة: ۳۷. (۴) سورة الرحمن، الآیة: ۲۶. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۳۸ الأصوات و تسکن الجوارح، و ظل الفناء یشمل کل حی، و یطوی کل حرکة، و یغمر آفاق السموات و الأرض، و جلال الوجه الکریم الباقی یظلل النفوس و الجوارح، و الزمان و المکان، و لا یملک التعبیر البشری أن یصور الموقف، و لا یملک أن یزید شیئا علی النص القرآنی الذی یسکب فی الجوانح السکون الخاشع، و الجلال الغامر، و الصمت الرهیب ... الصمت الذی یرسم مشهد الفناء الخاوی) «۱». و فی تفسیر القرطبی: (قوله تعالی: إِذَا الشَّمْسُ کُوِّرَتْ قال ابن عباس: تکویرها، إدخالها فی العرش، و قال الحسن: ذهاب ضوئها، و قال سعید بن جبیر: عوّرت، و أبو عبیدة: کورت مثل تکویر العمامة، تلف فتمحی، قلت: و أصل التکویر: الجمع، مأخوذ من کار العمامة علی رأسه یکورها أی لاثها و جمعها، فهی تکوّر و یمحی ضوؤها، ثم یرمی بها فی البحر، و اللّه أعلم) «۲». و یقول الطبری: (اختلف أهل التأویل فی قوله تعالی: إِذَا الشَّمْسُ کُوِّرَتْ فقال بعضهم: معنی ذلک إذا الشمس ذهب ضوؤها، فعن أبیّ بن کعب، قال: ستّ آیات قبل یوم القیامة: بینا الناس فی أسواقهم، إذ ذهب ضوء الشمس، فبینما هم کذلک، إذ تناثرت النجوم، فبینما هم کذلک، إذ وقعت الجبال علی وجه الأرض، فتحرّکت و اضطربت و احترقت، و فزعت الجنّ إلی الإنس، و الإنس إلی الجنّ، و اختلطت الدوابّ و الطیر و الوحش، و ماجوا بعضهم فی بعض، و وَ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ، اختلطت و وَ إِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ، قال: أهملها أهلها: و وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ، قال: قالت الجنّ للإنس: نحن نأتیکم بالخبر قال: فانطلقوا إلی البحار، فإذا هی نار تأجّج قال: فبینما هم کذلک إذ تصدّعت الأرض صدعة واحدة، إلی الأرض السابعة السفلی، و إلی السماء السابعة العلیا قال: فبینما هم کذلک إذ جاءتهم الریح فأماتتهم، و عن مجاهد: إِذَا الشَّمْسُ کُوِّرَتْ قال: اضمحلت و ذهبت، و عن قتادة، فی قوله تعالی: إِذَا الشَّمْسُ کُوِّرَتْ قال: ذهب

ضوؤها فلا ضوء لها) «۳». و کـذلک قال ابن کثیر: (معنی قوله تعالی: کُوِّرَتْ جمع بعضـها إلی بعض، ثم لفت فرمی بها و إذا فعل بها ذلـک ذهـب ضوؤهـا) «۴ (______________________________». ۱) فی ظلال القرآن، سـید قطب، ۶/ ۳۴۵۴. (۲) الجـامع لأحکام القرآن، للقرطبی، ۱۹/ ۲۲۷. (۳) جـامع البیان، للطبری، ۳۰/ ۶۶. (۴) تفسیر القرآن العظیم، لابن کثیر، ۸/ ۳۲۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحـدیث، ص: ۲۳۹ و یعلق الإمام الرازی علی النهایة تعلیقـا جمیلا فیقول رحمه اللّه: (ما معنی قوله تعالی: فَکانَتْ وَرْدَةً کَالـدِّهانِ؟ نقول: المشـهور أنها فی الحال تکون حمراء، یقال: فرس ورد إذا أثبت للفرس الحمرة، و حجرة وردة أی حمراء اللون، و قـد ذکرنـا أن لهیب النـار یرتفع فی السـماء فتـذوب فتکون کالصـفر الـذائب حمراء، و یحتمـل وجهـا آخر و هـو أن یقـال: وردة للمرة من الـورود، کالرکعـة و السـجدة و الجلسـة و القعـدة، من الرکوع و السجود و الجلوس و القعود، و حینئذ الضمیر فی فَکانَتْ وَرْدَةً واحدة، أی الحرکة التی بها الانشقاق کانت وردة واحدة، و تزلزل الکل و خرب دفعـة و الحرکـة معلومـة بالانشـقاق لأن المنشق یتحرک، و یتزلزل، و قوله تعالی: کَالدِّهانِ فیه وجهان أحدهما: جمع دهن، و ثانیهمـا: أن الـدهان هو الأـدیم الأـحمر، فـإن قیل: الأدیم الأحمر مناسب للوردة فیکون معناه کانت السـماء کالأدیم الأحمر، و لکن ما المناسـبة بین الـوردة و بین الـدهان؟ نقـول: الجـواب عنه من وجوه الأـول: المراد من الـدهان مـا هو المراد من قوله تعـالی: یَوْمَ تَکُونُ السَّماءُ کَالْمُهْلِ «۱»، و هو عکر الزیت و بینهما مناسـبة، فإن الورد یطلق علی الأسـد فیقال: أسـد ورد، فلیس الورد هو الأحمر القانی، و الثـانی: أن التشبیه بالـدهن لیس فی اللون بل فی الـذوبان، و الثالث: هو أن الـدهن المـذاب ینصب انصبابة واحـدة و یـذوب دفعـة، و الحدیـد و الرصاص لا یـذوب غایـة الـذوبان، فتکون حرکة الدهن بعد الذوبان أسـرع من حرکة غیره، فکأنه قال: حرکتها تکون وردة واحـدة کالـدهان المصـبوبة صـبا، لا کالرصاص الذی یذوب منه ألطفه و ینتفع به و یبقی الباقی، و کذلک الحدید و النحاس، و جمع الـدهان لعظمـة السـماء و کثرة مـا یحصـل من ذوبانهـا لاختلاف أجزائها فإن الکواکب تخالف غیرها) «۲». إذن، لا حاجـة لمزیـد من الآیات التی تصف نهایـة الشـمس و الکون، و لا لأقوال العلماء و المفسـرین التی ملأت آلاف المجلـدات و هی تتحـدث علی مشاهد الخراب و الدمار الذی سـیلف الکون بأسره، فإن هذه القضـیة من مسـلّمات الإیمان لدی الإنسان المؤمن، و یتسنّی لنا الآن أن نصغی إلی نتائـــــــج أبحـــــــات العلمـــــــاء حـــــــول نهایـــــــة الشـــــــمس و موتهـــــــا. (______________________________۱) سـورة المعـارج، الآیـة: ۸. (۲) التفسیر الکبیر، للرازی، ۲۹/ ۳۶۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۴۰

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: أفاض العلماء فی الحدیث عن نهایة الشمس، و عن الصورة الرهیبة التی ستنتقل إلیها و تتلوّن بها عند أنفاسها الأخیرة، و اعتبروا الشـمس: (مثل أی إنسان لها مولد و بدایة، ثم شـباب، ثم شـیخوخة، ثم موت ... إن الشـمس تتقلّص بتأثیر الجاذبیة، و هکذا تنقلب الطاقة إلی أشـعة، و بناء علی ذلک سـتصل الطاقة الشمسیة إلی نهایة محتومة، و حسب هذه الحقیقة ستتقلص الشمس، و بالتالی یترکز حقل الجاذبیة فی حجم أصغر، و بالتالی یزداد الترکیز أکثر، و یتسارع التقلص فیزداد إنتاج الطاقة، و یتناقص رصید الشمس منها بالتدریـج، حتی تخمـد و تتوقف عن التقلص حتی تموت، بعـد أن ینفـد مصـدر طاقتها، و لا تجد إشـعاعا ترسـله إلی ما حولها ... لقد قضت الشمس ۲۵ ملیون سـنة حتی بلغت حجمها الحالی، و لا ندری کم سـتحتاج من الوقت حتی تبلغ مرحلة العدم، صحیح أن الطاقة النوویـة تعطی القـدرة للشـمس، و بمـا أنهـا معین هائل فإنها تؤخر حـدوث الکارثـة، و لکن تبقی الحقیقـة المؤلمـة و هی أن الشـمس ستصل إلی نقطة ختام، حتی و لو بعد ملایین السـنین) «۱». (إن ضوء الشـمس فی ازدیاد بشکل بطیء، و سیستمر الازدیاد دون توقف فی المسـتقبل، إلی أن ینتهی (الهیـدروجین) الموجود فی مرکزهـا، و عنـد مـا تأخـذ عملیـة نشوئها وقعا سریعا، و سـیحدث ذلک بعد خمسة ملیارات من السـنین، و هذا یفسّـر علی أنه بمرور الزمن فإن الشـمس تزداد حجما و سرعة إضاءة ثم تنتفخ عند جوانبها، و تأخذ

فی البرودة إلی أن تصبح عملاقة حمراء، و عندها سیکون فی مقدور طبقتها الجویة الرقیقة الهائلة، أن تبتلع کوکب عطارد ثم الزهرة، و من الممکن الأرض، و لکن عند نمو احمرارها، فإن بروزها یقارب وصوله إلی الأرض، و عندها سوف لن یکون فی إمکان الشمس التهام أکثر من شعبة صخریة ملتهبة، و بعد ذلک یأتی زمن اختفاء الشمس من المشهد المعلوم، حیث تنکمش و تصیر غیر مستقرّة، و فی النهایة لا یبقی منها إلا أطلالها، حیث تنکمش مادتها حول مرکزها، و تتحوّل بعد کل ذلک إلی قطعة قزمة بیضاء، و تکون نجمة الشمس عندها قد ماتت) «۲ (____». ۱)

الزلزال الکونی الأعظم، عبد العلیم عبد الرحمن خضر، جدة، الدار السعودیة، الطبعة الأولی، ۱۴۱۳ ه/ ۱۹۹۳، ص: ۳۲. (۲) الأجرام السماویة، غیدو روجیری، ترجمة، عبد اللطیف أبو عرقوب، طرابلس، الدار الجماهیریة، الطبعة الأولی، ۱۹۸۴، ص: ۲۳۹. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۴۱ و یعتقد العلماء (أنه مع مرور الزمن ستحرق الشمس وقودها بسرعة أکبر، بسبب الانکماش المستمر للنجوم من فئتها و تعاظم حرارتها الداخلیة، و بالتالی تسریع التفاعلات النوویة، لذلک لا یقدّر لها العیش أکثر من خمسة ملیارات سنة أخری، فعند ما تتعاظم الإشعاعات تسخن الشمس لدرجة تبدأ معها میاه البحار بالغلیان، و یقدر أن الشمس فی طورها الأخیر ستمر بحالة العملاق الأحمر، و لکن عندها قد تکون الحیاة قد زالت عن الأرض منذ زمن طویل، عند ما ینفذ الوقود نهائیا تعود الشمس و تنکمش علی نفسها بشکل نجم صغیر جدا «قزم أبیض»، بعد ذلک تموت نهائیا بانطفاء کامل) «۱».

و أجواء الموت التی ستخیم علی (المجموعة الشمسیة حتی فیما بعد کوکبنا الأرضی، و موت الشمس ذاتها، هی بلا شک أحداث بالغة الدرامیة بالمقاییس الإنسانیة، أما علی الصعید الکونی فلا ترتدی تلک الأحداث أیة أهمیة خاصة، لیس فقط لأن الشمس نجم من آلاف ملایین النجوم فی المجرة، و وجوده أو موته لن ینقص أو یزید فی محتویات تلک الحجرة فی المجرة، بل لأن موت الشمس ذاتها علی الرغم من کل شیء، هو موت هادئ، و هو أشبه بالشمعة المحترقة إلی جانب التفجیرات النوویة، و ذلک بالمقارنة مع موت النجوم الأخری ... و إذا تابعنا حیاة نجم من هذا الصنف نجد أنه یحرق وقوده النووی المرکزی، و یستنفده بسرعة خلال عدة ملایین من السنین فقط، و یتحول من ثم إلی عملاق أحمر، و بدلا من أن یتبع بعد ذلک مسلکا متدرجا فی تحوله إلی قزم أبیض لا یعانی خلاله من أی اضطراب إلا فیما ندر، نجده یحرر طاقة ثقالیة هائلة عبر انهیاره الهادف لبدء دورات جدیدة من الاحتراق النووی، الذی ینتهی بتکوین الفحم فی باطنه ... و عند ما یسود الفحم فی نواة النجم تتقلص الطبقات الداخلیة للنجم بعد ذلک، بینما تتمدد طبقاته الخارجیة متحولة إلی غلاف جوی رقیق و دافعة بتیارات من المادة عبر الفضاء، یصبح النجم مرة أخری عملاقا أحمر، و لکنه یبقی حتی تلک المرحلة قادرا علی تجدید نفسه و الدخول فی دورات جدیدة من تفاعلات الاندماج النووی لتصنیع عناصر متدرجة فی الثقل، عبر أطوار (____ ۱) المنظومة الشمسیة، سمیر عازار، بیروت، دار النهار، ۱۹۹۱، ص: ۳۴، و انظر: هل نحن وحدنا فی هذا الکون، محمد عبده یمانی، المنامة، بیت القرآن، الطبعة الأولی، ۱۴۱۷ ه/ ۱۹۹۶، ص: ۶۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۴۲ متتابعة من النبض و الانهیار، حتی تتحول النواة برمتها إلی الحدید، و إذ ذاک تتوقف کل نشاطات النجم، و لا یبقی من خیار أمام النواة بعد ذلک إلا التبرد و الانهیار) «۱».

الإعجاز:

الإعجاز: رأینا أسبقیة القرآن الکریم فی تدوین و تقریر موت الشمس، لکن من المدهش حقا أن یأتی العلماء الفلکیون، و خاصة الغربیون منهم الذین لا یؤمنون بهذا القرآن العظیم، یقرروا نفس النتیجة لا من حیث موت الشمس فحسب، بل فی الکیفیة التی ستئول إلیها الشمس عند الموت. لقد قال الفلکیون کما سبق: إن الشمس فی نهایتها ستتحول إلی عملاق أحمر، و لم یکتفوا بهذا بل زادوا علی ذلک بأن قالوا: ستعود الشمس و تنکمش علی نفسها بشکل نجم صغیر جدا، و بعد ذلک تموت نهائیا بانطفاء کامل ... و هذا هو

المعنى الدقيق للتكوير، إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ لأن تكوير الشمس يعنى انكماشها على نفسها و انطفاء لهيبها، فلا إله إلا اللّه ما أعظم هذا القرآن و ما أدق بيانه، حقائق علمية يتوصل إليها العلماء بعد أبحاث مضنية و سهر ليالى، نجد القرآن المعجز عبّر عنها بكلمة واحدة.

(____١) النجم الغريب مولد الشمس و موتها، جون غريبين، ترجمة: فائز فوق العادة، دمشق، دار الشيخ، الطبعة الأولى، ١٩٨٨، ص: ٩٠. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ٢۴٣

الفصل السادس الإعجاز القرآنى فى الأرض

اشارة

الفصل السادس الإعجاز القرآنى فى الأرض تمهيد. المبحث الأول: كروية الأرض. المبحث الثانى: دوران الأرض. المبحث الثالث: جاذبية الأرض. المبحث الرابع: الغلاف الجوى و منافذه للأرض. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ٢۴۵

تمهيد

تمهيد الأرض هى الكوكب الثالث من مجموعتنا الشمسية، و فوق رحبها أوجدنا اللّه سبحانه و تعالى إلى حين معلوم، و منها خلقنا سبحانه و فيها يعيدنا و منها يخرجنا يوم القيامة تارة أخرى، إلى دار الحساب و موطن الثواب و العقاب، و لقد بثّ الحق سبحانه فى الأرض دلائل و آيات تنبّه الإنسان إن هو ضلّ عن طريق الحق، و تنكّب مسلك الإيمان، على وحدانية اللّه و إفراده فى الخلق و الأمر، و فى هذا المعنى يقول اللّه سبحانه و تعالى: وَ فِى الْأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ «١». و عطاء هذه الآيات مستمر لا ينقطع، و هذا العطاء يرفد العقل البشرى فى كل زمان حسب طاقته فى استيعاب الحقائق التى تكشفت للإنسان، فأصبح بمقدوره أن يهضمها و يتفاعل معها، و بالتالى ينتقل إدراكه لهذه الحقائق من عالم الذهن النظرى التجريدى، إلى إشراقات اليقين الذى استقر فى قلبه و شاهده فى الواقع. و هذه الآيات التى ذكرتها الآية الكريمة آنفا و التى تغذى عقل المؤمن و قلبه باليقين، سيتحدث إن شاء اللّه عن طرف منها، قد أماط اللثام عنه العلم الحديث، و أشار إليه كتاب اللّه المعجز، و سيتمحور هذا البحث للحديث عن كروية الأرض، تلك المسألة التى دار حولها نقاش طويل عبر الأزمنة و الأحقاب، حتى توصل العلماء إلى اليقين الجازم بكرويتها، إلا أن القرآن الكريم حسم القضية منذ نزوله على قلب الحبيب صلى اللّه عليه و سلم و أشار إلى كرويتها، كما سيتطرق للحديث عن دوران الكرة الأرضية و كيف أن الحق أشار فى القرآن الكريم أن الأرض تدور، ثم توصلت دراسات العلماء لهذه الحقيقة، و كذلك سيركّز على قضية الجاذبية الأرضية، هذا القانون الربانى الذى يلف العالم بأسره من كبيره إلى صغيره، نجد أن الحق تبارك و تعالى أثبته فى صفحات قرآنه المجيد ثم جاء العلماء فكشفوا عنه و قرروه، ثم يعرج للحديث عن الغلاف الجوى للكرة الأرضية و إشارات القرآن لمسألة المنافذ فى الغلاف الجوى، هذه المسألة التى أصبح لها أهمية كبيرة فى وقتنا الحاضر.

(____١) سورة الذاريات، الآية: ٢٠.

الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ٢۴۶

المبحث الأول كروية الأرض

اشارة

المبحث الأول كروية الأرض يقول اللّه تعالى: خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَ يُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ

الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ یَجْرِی لِأَجَلٍ مُسَمًّی أَلا هُوَ الْعَزِیزُ الْغَفَّارُ «۱». و یقول جل جلاله: وَ هُوَ الَّذِی مَدَّ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِیها رَواسِیَ وَ أَنْهاراً وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فِیها زَوْجَیْنِ اثْنَیْنِ یُغْشِی اللَّیْلَ النَّهارَ إِنَّ فِی ذلِكَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَتَفَكَّرُونَ «۲». و یقول سبحانه: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها «۳». إن من نافلة القول أن یشار هاهنا، إلی أن القرآن الكریم بلغ من الإعجاز فی شتی وجوهه درجة لا یمكن أن یصل إلیها طوق أحد من الخلق أبدا، و تتجلی هذه الحقیقة فی شتّی أصعدة الحیاة و كذلك هنا، فلو أن القرآن الكریم إبان نزوله صرح تصریحا قاطعا بكرویة الأرض فقال: (و الأرض كوّرناها) لأحدث ذلك نزاعا و شقاقا شدیدین فی المجتمع المسلم الولید آنذاك، لأن مدارك الناس و قدراتهم العقلیة لا یمكن أن تستوعب مسألة كهذه، لأنهم ینظرون فیرون الأرض أمامهم ممدودة مبسوطة ساكنة لا تتحرك، فكیف لهم أن یذعنوا لهذا الخبر و یعتقدوا بكرویة الأرض، بل لربما أدی ذلك لارتداد بعضهم عن الهدی و الإیمان، فلذلك كان من الحكمة الربانیة، و الإعجاز البیانی المتألق أن یشیر الحق إلی كرویة الأرض إشارة، و یضمّن النصوص القرآنیة قضیة تكویر الأرض من ناحیة المعنی و لیس صراحة و قطعا، فإذا ما تقدم العلم و اتضحت غوامض الكون، و تبین للناس كرویة الأرض من خلال الأقمار الصناعیة و غیرها، عندها نجد فی

(۱) سورة الزمر، الآیة: ۵. (۲) سورة الرعد، الآیة: ۳. (۳) سورة النازعات، الآیة: ۳۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۴۷ معانی النصوص القرآنیة ما یدل علی هذه الحقیقة العلمیة، فنحن تحققنا من كرویة الأرض بسبب التقنیة العلمیة المستجدة، و هم فهموا المعنی العام للآیات القرآنیة، و بوقوفنا علی فهم المفسرین للنصوص الكریمة، یظهر لنا أنهم أدركوا كرویة الأرض من حیث المعنی. ففی «أنوار التنزیل»: (خلق السموات و الأرض بالحق یكور اللیل علی النهار و یكور النهار علی اللیل، یغشی كل واحد منهما الآخر، كأنه یلفه علیه لف اللباس باللابس، أو یغیبه به كما یغیب الملفوف باللفافة، أو یجعله كارا علیه كرورا متتابعا تتابع أكوار العمامة) «۱». و عند القرطبی: (یكور اللیل علی النهار و یكور النهار علی اللیل، أی یلقی هذا علی هذا، و هذا علی هذا، و هذا علی معنی التكویر فی اللغة، و هو طرح الشیء بعضه علی بعض، یقال: كور المتاع أی بعضه علی بعض، و منه كور العمامة، و قد روی عن ابن عباس هذا فی معنی الآیة قال: ما نقص من اللیل دخل فی النهار و ما نقص من النهار دخل فی اللیل، و هو معنی قوله تعالی: یُولِجُ اللَّیْلَ فِی النَّهارِ وَ یُولِجُ النَّهارَ فِی اللَّیْلِ «۲» و قیل: تكویر اللیل علی النهار، تغشیته إیاه حتی یذهب ضوؤه و یغشی النهار علی اللیل فیذهب ظلمته) «۳». و فی تفسیر «الجواهر الحسان»: (أی یعید من هذا علی هذا، و منه كور العمامة التی یلتوی بعضها علی بعض، فكان الذی یطول من النهار أو اللیل یصیر منه علی الآخر جزء فیستره، و كأن الآخر الذی یقصر یلج فی الذی یطول فیستتر فیه) «۴». و فی «أضواء البیان»: (و التّكویر هو التدویر و منه قیل: كار العمامة و كورها، و لهذا یقال للأفلاك كرویة الشكل، لأن أصل الكرة، كورة تحركت الواو و انفتح ما قبلها فقلبت ألفا، و قال: الَّذِی خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً ما تَری فِی خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَری مِنْ فُطُورٍ «۵» و هذا إنما یكون فیما یستدیر من أشكال الأجسام دون

(۱) أنوار التنزیل، للبیضاوی، ۵/ ۵۸، و انظر: معانی القرآن، للنحاس، ۶/ ۱۵۱. (۲) سورة فاطر، الآیة: ۱۳. (۳) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبی، ۱۵ / ۲۳۴. (۴) الجواهر الحسان، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبی، بیروت، مؤسسة الأعلمی، د. ت، ۴/ ۴۸. (۵) سورة الملك، الآیة: ۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۴۸ المضلعات من المثلث أو المربع أو غیرهما، فإنه یتفاوت لأن زوایاه مخالفة لقوائمه، و الجسم المستدیر متشابه الجوانب و النواحی، لیس بعضه مخالفا لبعض ... و لا خلاف بین العلماء أن السماء علی مثال الكرة، و أنها تدور بجمیع ما فیها من الكواكب كدورة الكرة علی قطبین ثابتین غیر متحركین، أحدهما فی الشمال، و الآخر فی ناحیة الجنوب، و یدل علی ذلك أن الكواكب جمیعها تدور من المشرق تقع قلیلا علی ترتیب واحد فی حركتها و مقادیر أجزائها، إلی أن تتوسط السماء، ثم تنحدر علی ذلك الترتیب، فكأنها ثابتة فی كرة تدیرها جمیعها دورا واحدا، و هذا محل القصد بالذات، و كذلك

أجمعوا على أن الأرض بجميع حركاتها من البر و البحر مثل الكرة، و فكرة الأرض مثبتة فى وسط كرة السماء، كالنقطة فى الدائرة، يدل على ذلك أن جرم كل كوكب يرى فى جميع نواحى السماء، على قدر واحد، فيدل ذلك على بعد ما بين السماء و الأرض من جميع الجهات بقدر واحد، فاضطرار أن تكون الأرض وسط السماء) «۱». و أما قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِی مَدَّ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِیها رَواسِیَ وَ أَنْهاراً، فيقول ابن كثير: (أى جعلها متسعة ممتدة فى الطول و العرض) «۲». و نفس المعنى فى تفسير «الوجيز»: (و هو الذى مد الأرض، بسطها و وسعها، و جعل فيها رواسى أوتدها بالجبال ...) «۳». و صاحب تفسير «روح المعانى» يدلل على كروية الأرض، و يزيل الإشكال الذى قد يخطر بالبال حول كونها كروية و كونها ممدودة فيقول: (و أنت تعلم أن أرباب التعليم يكتفون بالكرية الحسية فى السطح الظاهر، فلا يتجه عليهم السؤال عن المغمور، و لا يليق بهم الجواب بالرجوع إلى البساطة و الحق الذى لا ينكره إلا جاهل أو متجاهل أن ما ظهر منها كرى حسا، و لذلك كرية الفلك تختلف أوقات الصلاة فى البلاد، فقد

(______________________________________۱) أضواء البيان، للشنقيطى، ۹/ ۵۵۱.

(۲) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ۲/ ۵۰۱، و انظر: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، محمد ابن عمر نووى الجاوى، تحقيق، محمد أمين الضناوى، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ۱۴۱۷ ه/ ۱۹۹۷، ۱/ ۵۷۸. (۳) الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز، للواحدى، ۱/ ۵۶۵، و انظر: مدارك التنزيل و حقائق التأويل، عبد اللّه بن أحمد بن محمود النسفى، بيروت، دار النفائس، د. ت، ۲/ ۲۰۹. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۴۹ يكون الزوال ببلد و لا يكون ببلد آخر، و هكذا الطلوع و الغروب و غير ذلك، و كرية ما عدا ما ذكر لا يعلمها إلا اللّه تعالى، نعم إنها لعظم جرمها الظاهر يشاهد كل قطعة و قطر منها كأنه مسطح، و هكذا كل دائرة عظيمة، و بذلك يعلم أنه لا تنافى بين المد و كونها كروية) «۱». و فى تفسير «إرشاد العقل السليم»: (أى فى تعاقبهما فى وجه الأرض، و كون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس و غروبها التابعين لحركات السموات و سكون الأرض، أو فى تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر و انتقاصه بازدياده، باختلاف حال الشمس بالنسبة إلينا قربا و بعدا بحسب الأزمنة أو فى اختلافهما و تفاوتهما بحسب الأمكنة، أما فى الطول و القصر فإن البلاد القريبة من القطب الشمالىّ أيامها الصيفية أطول و لياليها الصيفية أقصر من أيام البلاد البعيدة منه و لياليها، و أما فى أنفسها فإن كروية الأرض تقتضى أن يكون بعض الأماكن ليلا و فى مقابله نهارا، و فى بعضها صباحا و فى بعضها ظهرا أو عصرا أو غير ذلك) «۲». و نجد الأمر ذاته فى تفسير «التحرير و التنوير» مع زيادة تأكيد يقول: (و الليل اسم لعرض الظلمة و السواد الذى يعمّ مقدار نصف من كرة الأرض الذى يكون غير مقابل للشمس، فإذا حجب قرص الشمس عن مقدار نصف الكرة الأرضية بسبب التقابل الكروى، تقلّص شعاع الشمس عن ذلك المقدار من الكرة الأرضية، فأخذ النور فى الضعف و عادت إليه الظلمة الأصلية التى ما أزالها إلّا شعاع الشمس، و يكون تقلص النور مدرجا من وقت مغيب قرص الشمس عن مقابلة الأفق ابتداء من وقت الغروب، ثم وقت الشفق الأحمر ثم الشفق الأبيض إلى أن يحلك السواد فى وقت العشاء حين بعد قرص الشمس عن الأفق الذى ابتدأ منه المغيب، و كلّما اقترب قرص الشمس من الأفق الآخر أكسبه ضياء من شعاعها ابتداء من وقت الفجر إلى الإسفار إلى الشروق إلى الضحى، حيث يتم نور أشعة الشمس المتجهة إلى نصف الكرة تدريجا، و ذلك الضياء هو المسمى بالنهار و هو النور التام المنتظم على سطح الكرة الأرضية، و إن كان قد يستنير سطح الكرة بالقمر فى معظم لياليه استنارة غير تامة و بضوء بعض النجوم استنارة (______________________________________۱)

روح المعانى، للآلوسى، ۱۳/ ۹۰. (۲) إرشاد العقل السليم، لأبى السعود، ۲/ ۱۲۷. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۵۰ ضعيفة لا تكاد تعتبر، فهذا هو المراد باختلاف الليل و النهار أى تعاقبهما و خلف أحدهما الآخر) «۱». و أما قوله تعالى: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِکَ دَحاها فقد بسطنا الحديث عن هذه الآية فى مراحل خلق الكون سابقا، و لكن نأخذ تفسيرا واحدا لها: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِکَ دَحاها (أى بسطها، و العرب تقول: دحوت الشيء أدحوه دحوا، إذا بسطته، و يقال لعش النعامة أدحىّ، لأنه مبسوط على وجه الأرض) «۲». و يمكن لنا أن نأخذ بعض المفردات الواردة فى هذه الآيات القرآنية، لنرى أبعادها اللغوية و التى تساعدنا على

الإلمام بالمعنى المراد، و نأخذ معنى: كور، و مدّ، و دحى. ففى «مختار الصحاح»: (كار العمامة على رأسه أى لاثها، و كل دور كور، و الكور بالضم الرحل بأداته و الجمع أكوار و كيران ... و تكوير المتاع، جمعه و شده، و تكوير العمامة، كورها و تكوير الليل على النهار تغشيته إياه، و قيل: زيادته فى هذا من ذاك) «۳». و فى «لسان العرب»: (الكور، لوث العمامة، يعنى إدارتها على الرأس، و قد كورتها تكويرا، و كل دارة من العمامة كور و كل دور كور، و تكوير العمامة، كورها و كار العمامة على الرأس يكورها كورا، لاثها عليه و أدارها) «۴». و فى «المغرب فى ترتيب المعرب»: (و كار العمامة و كورها، أدارها على رأسه، و هذه العمامة عشرة أكوار و عشرون كورا) «۵». و أما المد، فمعناه البسط: (مد الأرض يمدها مدا، بسطها و سواها، و فى التنزيل العزيز: وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ «۶». (____۱) التحرير و التنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، بيروت، مؤسسة التاريخ، الطبعة الأولى، ۱۲۴۰ ه/ ۲۰۰۰، ۲/ ۷۸. (۲) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبى، ۱۹/ ۲۰۳. (۳) مختار الصحاح، أبو بكر الرازى، ۱/ ۲۴۲. (۴) لسان العرب، لابن منظور، ۵/ ۱۵۶. (۵) المغرب فى ترتيب المعرب، ناصر الدين بن على المطرز، تحقيق، محمد فاخورى و عبد المجيد مختار، حلب، مكتبة أسامة بن زيد، الطبعة الأولى، ۱۹۷۹، ۲/ ۲۳۵. (۶) لسان العرب، لابن منظور، ۳/ ۳۹۷. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۵۱ و أما الدحو، فيعنى كذلك البسط: (دحا الأرض يدحوها، بسطها ... و الأدحوّة: مبيض النعام فى الرمل، و مدحى النعام، موضع بيضها) «۱». و أما الطحو: (فالطحو كالدحو، و هو بسط الشىء و الذهاب به، قال تعالى: وَ الْأَرْضِ وَ ما طَحاها «۲») «۳». و فى «لسان العرب»: (طحاه طحوا و طحوا، بسطه، و طحى الشىء يطحيه طحيا، بسطه أيضا و الطحو كالدحو و هو البسط، و الطاحى المنبسط) «۴». و فى «معجم البلدان»: (طحا بالفتح و الكسر، الطحو و الدحو بمعنى و هو البسط و فيه لغتان طحا يطحو و يطحى، و منه قوله تعالى: وَ الْأَرْضِ وَ ما طَحاها «۵». هذا عرض موجز للنصوص القرآنية، و لآراء المفسرين، و ما ورد فى المعاجم حول الكلمات القرآنية التى تشير إلى كروية الأرض، و لنا أن نتساءل الآن لما ذا استخدم الحق سبحانه و تعالى كلمة يكوّر، و لم يقل يبسط الليل و النهار ما دامت الأرض منبسطة ظاهريا، أو يغير الليل و النهار، أو أى لفظ آخر؟ و الجواب هو (إنك لو جئت بشىء و لففته حول كرة فتقول: أنك كورت هذا الشىء و حيث إن الغلاف الجوى للأرض يحيط بالأرض، و حيث إن ضوء النهار ينشأ بالتشتت على ذرات و جسيمات هذا الغلاف، فإن النهار و الليل متكوران على الأرض، و بهذا فإن الآية الكريمة تشير إلى كروية الأرض بدليل كروية غلافها الجوى بنهاره و ليله، و كذلك تشير إلى عملية التبادل بين النهار و الليل نتيجة دوران الأرض حول نفسها، و أن النهار و الليل موجدان فى نفس الوقت حول الكرة الأرضية، فنصف الأرض المواجه للشمس يكون نهارا و النصف الآخر يكون ليلا، و لن يسبق أحدهما الآخر، فعند ما تدور الأرض حول نفسها يصبح النهار ليلا و يصبح الليل نهارا) «۶»، و هكذا يتعاقبان كما فى قوله تعالى: لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لَا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ «۷ (____». ۱) المصدر نفسه، ۱۴/ ۲۵۱. (۲) سورة الشمس، الآية: ۶. (۳) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهانى، ص ۵۱۷. (۴) لسان العرب، لابن منظور، ۱۵/ ۴. (۵) معجم البلدان، ياقوت الحموى، ۴/ ۲۲. (۶) الكون و الإعجاز العلمى فى القرآن، منصور حسب النبى، ص ۱۵۰. (۷) سورة يس، الآية: ۴۰. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۵۲ و يمكن لنا أن نستخلص من معطيات الآيات القرآنية ما يلى: ۱- الآيات القرآنية تضمنت معنى كروية الأرض، و لكن عن طريق الإشارة و المعنى دون التصريح. ۲- الكلمات التى يدور بحثنا حولها و هى «كوّر، و دحى، و طحى، و مدّ» تدل على كروية الأرض من خلال المد و الانبساط، لأن الإنسان أينما كان يرى الأرض أمامه مبسوطة و ممدودة، فى أى قارة من القارات، و فى أى دولة من الدول نرى الأرض ممدودة، و لا يمكن أن يحدث هذا إلا إذا كان شكل الأرض كرويا، إذ لو كانت الأرض على شكل مضلع أو مثلث أو مسدس أو غيرها من الأشكال لوصل الإنسان يقينا إلى حدود و حافة للأرض، و بما أننا لا نصل إلى حافة للأرض، فالوضع الأكيد للأرض الذى نراه مبسوطا أمامنا هو الشكل الكروى، و فى هذا دليل قاطع على كروية الأرض من خلال الكلمات القرآنية. إذن من هنا يفسّر الإشكال عند البعض حول هذه الحقيقة العلمية

القرآنیة الرائعة، التی سبقت العلم فی إثبات کرویة الأرض، هذا الإشکال الذی لربما یطوف فی ساحة الإدراک الذهنی لدی واحد منا فیتساءل قائلا: إذا کان القرآن الکریم قد أثبت کرویة الأرض بصریح قوله تعالی: (و یکوّر) ثم جاء العلم فکشف عن هذه الحقیقة و أثبتها، إذن، ما معنی قوله تعالی: وَ هُوَ الَّذِی مَدَّ الْأَرْضَ «۱» و قوله سبحانه: وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها «۲»؟ أ لا یدل قوله تعالی: وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها علی انبساط الأرض و هو فی نفس الوقت یدل علی کرویة الأرض؟. و عند ما یقرأ الإنسان المؤمن الآیة الکریمة: وَ أَذِّنْ فِی النَّاسِ بِالْحَجِّ یَأْتُوکَ رِجالًا وَ عَلی کُلِّ ضامِرٍ یَأْتِینَ مِنْ کُلِّ فَجٍّ عَمِیقٍ «۳»، یدهش عند کلمة عمیق!. (إن کلمة عمیق هذه تشهد بعظمة القرآن الکریم و هی من الإعجاز العلمی فیه فلو کانت الأرض مستویة مسطحة لقال القرآن: «یأتین من کل فج بعید» تفید المسافة بین شیئین علی مستوی واحد ... و لکن الأرض کرویة فالقادمون إلی مکة المکرمة یأتون

(۱) سورة الرعد، الآیة: ۳. (۲) سورة الحجر، الآیة: ۱۹. (۳) سورة الحج، الآیة: ۲۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۵۳ من بقاع عمیقة بالنسبة لها، و ذلک بحسب انحناء الأرض الکروی لذا جاءت مِنْ کُلِّ فَجٍّ عَمِیقٍ «۱».

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: سبق و أن أشرنا أن کرویة الأرض أصبحت من الحقائق العلمیة القطعیة، و التی لا یمکن أن یستریب بها أحد من الناس أبدا، ذلک لأنها قد صورت عبر الأقمار الصناعیة و شاهدها الناس و رأوها رأی عین، و لکن لا حرج إن أوردنا بعضا من أبحاث العلماء التی تحتوی علی طائفة من الأدلة العلمیة التی تثبت کرویة الأرض. ففی «موسوعة الکون و الفضاء و الأرض»: (اعتقد الأقدمون بأن الأرض مسطحة، رغم أن کثیرا من الشعوب القدیمة عرفت کرویتها، و حاولت إثباتها بأدلة علمیة مثل شعوب بلاد ما بین النهرین، ثم الیونان و بعدهم العرب، لکن کرویة الأرض لم تثبت بالشکل العلمی القاطع إلا بعد القرن الخامس عشر المیلادی ... فقد أصبحت کرویتها أکیدة و لا مجال للشک فیها، إذ یکفی أن رواد الفضاء رأوها بأم أعینهم و زودونا بالصور و المعلومات الثابتة عن هذه الناحیة، إذا شکل الأرض کروی مفلطح عند القطبین مع انتفاخ عند خط الاستواء، و ذلک نتیجة لقیاس قطری و محیطی الأرض) «۲». (و فی یوم ۲۲ دیسمبر ۱۹۶۸، أظهرت شاشات الإذاعات المرئیة صورا ترکت أثارا عمیقة فی نفوس المشاهدین، حیث کانت سفینة الفضاء (أبولو ۸) فی طریقها نحو القمر، و آلات تصویرها موجهة نحو الأرض، لقد ظهر کوکبنا الأرضی علی جمیع شاشات الأجهزة العاملة، کما یبدو من بعید تبعا لکبر حجمه، و کما شاهده الناس بمظهره الجدید، دائرة مضیئة مرتسمة فی نهایة الظلمة کان یبدو کالنجم، و قد وصلت فیما بعد الصور التی التقطت بواسطة الأجهزة و الآلات، و التی عملت علی إبراز الحقیقة المظهریة ذات الوضوح العظیم، و بذلک أمکن تحویل الدائرة الأرضیة، و ظروف هیکلها السماوی إلی حقیقة نابضة، بعد ما عاشت تغلفها التأکیدات العائدة لآلاف السنین) «۳».

(۱) الإنسان بین العلم و الدین، شوقی أبو خلیل، بیروت/ دمشق، دار الفکر، الطبعة الرابعة، ۱۴۲۰ ه/ ۱۹۹۹، ص ۱۱۴. (۲) موسوعة الکون و الفضاء و الأرض، موریس شربل و رشید فرحات، ص ۱۰۶. (۳) الأجرام السماویة، غیدو روجیری، ترجمة عبد اللطیف أبو عرقوب، ص ۷- ۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۵۴ (ثم أخذت الأدلة و البراهین، التی تثبت کرویة الأرض تتعدد و منها: أولا: إننا عند ما نکون فی مرفإ، فإننا أول ما نشاهده من السفن القادمة من عباب البحر نحو ذلک المرفأ أعلاها، و مع تزاید اقترابها منا نری القسم الأوسط منها، ثم نراها بکاملها، و عند إقلاع البواخر من ذلک المرفأ فإن أول ما یغیب عن عیوننا بعد ابتعادها الأقسام السفلی منها، ثم وسطها و عند ابتعادها کثیرا یختفی أعلاها. ثانیا: رؤیة ظل الأرض علی شکل دائرة، علی صفحة البدر صیف الکسوف «۱». ثالثا: اختفاء بعض کوکبات السماء کلما اتجهنا جنوبا أو شمالا علی سطح الأرض، و ظهور کوکبات جدیدة لم نکن نراها بسبب تحدب سطح الأرض. رابعا: استدارة الأفق من حولنا عند ما نکون فی عرض البحر، أو فی صحراء أو فی بادیة مترامیة

الأطراف. خامسا: اختلاف التوقیت الزمنی بین بلدان العالم الذی یکشفه لنا المذیاع أو الاتصال الهاتفی و کیف أنه عند ما یکون الوقت لدینا نهارا، یکون فی نفس اللحظة فی دولة أخری لیلا، و لو کانت الأرض منبسطة لغمرت کلها بالنور دفعة واحدة عند شروق الشمس فعمّها النور، و لغمرت کلها بالظلمة دفعة واحدة بعد غیاب الشمس فعمّها اللیل. سادسا: و أنه إذا قدر لنا أن نرتفع فی الجو حتی علو ۳۰ ألف کلم، لاستطعنا أن نری الأرض عندها دفعة واحدة، بشکلها الکروی، علما بأن بلوغ هذا الارتفاع لا تحققه لنا إلا المرکبات الفضائیة التی یمتطیها رواد الفضاء الیوم) «۲».

الإعجاز:

الإعجاز: و لا أری حاجة فی إیراد المزید من الأدلة العلمیة علی کرویة الأرضیة، لأن العلماء و الذین قد اخترقوا أجواء السماء بسفنهم الفضائیة، قد صوروا الأرض و اتضحت کرویتها لکل ذی لب. تلک هی الحقیقة التی أثبتها العلم، و کشفتها سفن الفضاء و قررها کتاب اللّه قبل أکثر من أربعة عشر قرنا، فهل بعد هذه الحقائق العلمیة الساطعة یقال بأن القرآن من تألیف

(۱) تعنی کسوف الشمس الذی یقع فی فصل الصیف. (۲) انظر: الأرض، إبراهیم حلمی غوری، بیروت، دار الشرق العربی، د. ت، ص ۵۰- ۵۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۵۵ محمد صلی اللّه علیه و سلم؟! هل کان صلی اللّه علیه و سلم یمتلک أقمارا صناعیة أو أجهزة تصویر ضخمة لیری کرویة الأرض، ثم یعرضها علی الناس أو یثبتها فی القرآن الکریم؟، إنه کلام السماء و وحی السماء الذی لا یأتیه الباطل من بین یدیه و لا من خلفه. صورة تظهر کرویة الأرض کما صوّرتها رحلة أبولو ۱۷، فی عام ۱۹۷۲، و تظهر فیها شبه الجزیرة العربیة و قارة افریقیا. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۵۶

المبحث الثانی حرکة الأرض و دورانها

اشارة

المبحث الثانی حرکة الأرض و دورانها قال تعالی: أَ لَمْ تَرَ إِلی رَبِّکَ کَیْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساکِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَیْهِ دَلِیلًا ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَیْنا قَبْضاً یَسِیراً «۱». و قال سبحانه: وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ اللَّیْلَ وَ النَّهارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ «۲». و قال جل جلاله: فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (۱۵) الْجَوارِ الْکُنَّسِ (۱۶) «۳». و قال سبحانه و تعالی: وَ تَرَی الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِیَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِی أَتْقَنَ کُلَّ شَیْءٍ إِنَّهُ خَبِیرٌ بِما تَفْعَلُونَ «۴». و قال تعالی: خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ یُکَوِّرُ اللَّیْلَ عَلَی النَّهارِ وَ یُکَوِّرُ النَّهارَ عَلَی اللَّیْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ کُلٌّ یَجْرِی لِأَجَلٍ مُسَمًّی «۵». تشیر هذه الآیات القرآنیة إلی أن الکون و ما رصّع فی سماءه من نجوم، و ما بثّ فی آفاقه الواسعة و القاصیة من مجرات و شموس و کواکب ... کلها تتحرک و تسبح فی ملکوت اللّه، لا کما ظن القدامی أن الأرض جامدة لا حراک یعتریها فقوله تعالی: یُسَبِّحُونَ صریح الدلالة علی حرکة و دوران النجوم و الکواکب فی أفلاکها و سبلها المنظمة الدقیقة، لأن السبح هو المرّ السریع فی الماء أو الهواء، ثم إنه استعیر لمر النجوم فی الفلک نحو: کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ و التنوین فی کُلٍّ کما هو معلوم عند علماء اللغة هو تنوین عوض عن کلمة، و التقدیر: کل جسم أو جرم فی فلک السماء

(۱) سورة الفرقان، الآیتان ۴۵، ۴۶.

(۲) سورة الأنبیاء، الآیة: ۳۳. (۳) سورة التکویر، الآیتان ۱۵، ۱۶. (۴) سورة النمل، الآیة: ۸۸. (۵) سورة الزمر، الآیة: ۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۵۷ یسبح و یتحرک حرکة دائبة مستمرة، و نظرة فی تفاسیر العلماء حول هذه الآیات لنری الاستنباطات أو الفهم الذی استلهموه منها. یقول الإمام الرازی: (إذا کان کُلٍّ بمعنی کل واحد منهم، و المذکور الشمس و القمر

فكیف قال: یُسَبِّحُونَ؟ نقول الجواب عنه من وجوه أحدها: ما بینا أن قوله: كُلٌّ للعموم، فكأنه أخبر عن كل كوكب فی السماء سیار، ثانیها: أن لفظ: كُلٌّ یجوز أن یوحد نظرا إلی كونه لفظا موحدا غیر مثنی و لا مجموع، و یجوز أن یجمع لكون معناه جمعا، و أما التثنیة فلا یدل علیها اللفظ و لا المعنی، ثالثها: لمّا قال: وَ لَا اللَّیْلُ سابِقُ النَّهارِ و المراد ما فی اللیل من الكواكب قال: یُسَبِّحُونَ، و المسألة الثالثة: الفلك ما ذا؟ نقول: الجسم المستدیر أو السطح المستدیر أو الدائرة، لأن أهل اللغة اتفقوا علی أن فلكة المغزل سمیت فلكة لاستدارتها ... و لكل كوكب فلك لاختلاف سیرها بالسرعة و البطء و الممر، فإن بعضها یمر فی دائرة و بعضها فی دائرة أخری، حتی فی بعض الأوقات یمر بعضها ببعض و لا یكسفه و فی بعض الأوقات یكسفه، فلكل كوكب فلك، ثم إن أهل الهیئة قالوا: كل فلك هو جسم كرة، و ذلك غیر لازم، بل اللازم أن نقول: لكل فلك هو كرة أو صفحة أو دائرة یفعلها الكوكب بحركته، و هذا هو المفهوم من قوله تعالی: كُلٌّ فِی فَلَكٍ یَسْبَحُونَ و الظاهر أن حركة الكواكب علی هذا الوجه، و أرباب الهیئة أنكروا ذلك و قالوا: لا تجوز الحركة علی هذا الوجه، لأن الكوكب له جرم فإذا شق السماء و تحرك فإما أن یكون موضع دورانه ینشق و یلتئم، كالماء تحركه السمكة أو لا ینشق و لا یلتئم، بل هناك خلاء یدور الكوكب فیه، لكن الخلاء محال و السماء لا تقبل الشق و الالتئام) «۱». و فی «روح المعانی»: (جعل اللّه تعالی السموات ساكنة، و خلق فیها سبحانه نجوما، و جعل لها فی عالم سیرها و سباحتها فی هذه السموات حركات مقدرة لا تزید و لا تنقص، و جعلها عاقلة سامعة مطیعة، و أوحی فی كل سماء أمرها، ثم أنه عز و جلّ لما جعل السباحة للنجوم فی هذه السموات حدثت لسیرها طرق لكل كوكب طریق، و هو قوله تعالی: وَ السَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ «۲» فسمیت تلك الطرق أفلاكا، فالأفلاك تحدث بحدوث سیر الكواكب، و هی سریعة السیر فی جرم السماء الذی هو مساحتها، فتخرق الهواء

(____ ۱) التفسیر الكبیر، فخر الدین الرازی، ۲۶/ ۲۸۵. (۲) سورة الذاریات، الآیة: ۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۵۸ المماس لها فیحدث لسیرها أصوات و نغمات مطربة لكون سیرها علی وزن معلوم، فتلك نغمات الأفلاك الحادثة من قطع الكواكب المسافات السماویّة، فهی تجری فی هذه الطرق بعادة مستمرة، قد علم بالرصد مقادیر و دخول بعضها علی بعض فی السیر، و جعل سیرها للناظرین بین بطء و سرعة، و جعل سبحانه لها تقدما و تأخرا فی أماكن معلومة من السماء، تعینها أجرام الكواكب لإضاءتها) «۱». و فی تفسیر «التحریر و التنویر»: (و قد جمعت الآیة استدلالا و امتنانا، فهی دلیل علی عظم قدرة الخالق، و هی أیضا تذكیر بنعمه، فإن فی اختلاف اللیل و النهار آیات جمّة لما یدل علیه حصول الظلمة من دقة نظام دوران الأرض حول الشمس، و من دقة نظام خلق الشمس، و لما یتوقف علیه وجود النهار من تغیر دوران الأرض و من فوائد نور الشمس ...) «۲». و یقول سید قطب رحمه اللّه: (و الخنس الجوار الكنس، هی الكواكب التی تخنس أی ترجع فی دورتها الفلكیة و تجری و تختفی، و التعبیر یخلع علیها حیاة رشیقة كحیاة الظباء، و هی تجری و تختبئ فی كناسها و ترجع من ناحیة أخری، فهناك حیاة تنبض من خلال التعبیر الرشیق الأنیق عن هذه الكواكب، و هناك إیماء شعوری بالجمال فی حركتها، فی اختفائها و فی ظهورها، فی تواریها و فی سفورها، فی جریانها و فی عودتها) «۳». و أما قوله تعالی: وَ هِیَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ (حال من ضمیر الجبال فی تحسبها، أو فی جامدة أی تراها رأی العین ساكنة، و الحال أنّها تمرّ مرّ السّحاب التی تسیرها الرّیاح سیرا حثیثا، و ذلك أنّ الأجرام العظام إذا تحركت نحو سمت لا تكاد تتبین حركتها) «۴». (أی و تری الجبال رأی العین ساكنة، و الحال أنها تمر فی الجو مرّ السحاب التی

(____ ۱) روح المعانی، للآلوسی، ۲۳/ ۳۱، و انظر: بحر العلوم، للسمرقندی، ۳/ ۱۲۰. (۲) التحریر و التنویر، لابن عاشور، ۱۹/ ۶۷. (۳) فی ظلال القرآن، سید قطب، ۶/ ۳۸۴۱. (۴) إرشاد العقل السلیم، لأبی السعود، ۶/ ۲۹۳، و انظر: أنوار التنزیل، للبیضاوی، ۴/ ۲۷۹. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۵۹ تسیرها الریاح سیرا حثیثا، و ذلك أن الأجرام المجتمعة المتكاثرة العدد علی وجه الالتصاق، إذا تحركت نحو سمت لا تكاد تبین حركتها) «۱». و یعلّق الإمام الرازی علی آیة الظل فی سورة الفرقان فیقول: (و هو أنه سبحانه و تعالی لما خلق

الأرض و السماء و خلق الكواكب و الشمس و القمر وقع الظل على الأرض، ثم إنه سبحانه خلق الشمس دليلا۔ عليه، و ذلك لأن بحسب حركات الأضواء تتحرّك الأظلال فإنهما متعاقبان متلازمان لا واسطة بينهما، فبمقدار ما يزداد أحدهما ينقص الآخر، و كما أن المهتدى يهتدى بالهادى و الدليل و يلازمه، فكذا الأظلال كأنها مهتدية و ملازمة للأضواء فلهذا جعل الشمس دليلا عليها، و أما قوله تعالى: ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً فأما أن يكون المراد منه انتهاء الأظلال يسيرا يسيرا إلى غاية نقصاناتها، فسمى إزالة الأظلال قبضا لها، أو يكون المراد من قبضها يسيرا قبضها عند قيام الساعة و ذلك بقبض أسبابها و هى الأجرام التى تلقى الأظلال، فهذا هو التأويل المخلص) «۲». و فى «بدائع التفسير»: (أخبر تعالى أنه بسط الظل و مدّه، و أنه جعله متحركا تبعا لحركة الشمس و لو شاء لجعله ساكنا لا يتحرك، إما بسكون المظهر له و الدليل عليه، و إما بسبب آخر، ثم أخبر أنه قبضه بعد بسطه قبضا يسيرا ... و فى الآية وجه آخر و هو أنه سبحانه و تعالى مدّ الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة، و دحى الأرض تحتها، فألقت القبة ظلها عليها، فلو شاء سبحانه لجعله ساكنا مستقرا فى تلك الحال، ثم خلق الشمس و نصبها دليلا على ذلك الظل) «۳». هذه الآيات توضح أن جميع الكواكب سيارة متحركة، و من ضمن هذه الكواكب كوكبنا الأرض، و هو بالتالى متحرك سابح فى الفضاء مع إخوانه الكواكب فى (________________________________۱) روح المعانى، للآلوسى، ۲۰/ ۴۳،

و انظر: تفسير القرآن، لأبى مظفر السمعانى، تحقيق، ياسر ابن إبراهيم و غنيم بن عباس غنيم، الرياض، دار الوطن، الطبعة الأولى، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۷، ۴/ ۱۱۷. (۲) التفسير الكبير، للفخر الرازى، ۲۴/ ۴۷۴، و انظر: تفسير القرآن الكريم، محمد على الدرة، دمشق، دار الحكمة، ۱۹۸۲، ۱۰/ ۳۶. (۳) بدائع التفسير، ابن قيم الجوزية، تحقيق، يسرى السيد أحمد، الرياض، دار ابن الجوزى، الطبعة الأولى، ۱۴۱۴ ه/ ۱۹۹۳، ۳/ ۲۹۶. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۶۰ المجموعة الشمسية التى هى جزء من مجرتنا درب التبانة، و هذا الذى وقف عليه المفسرون من دوران الأرض و حركتها، إنما هو نابع عن فهم معانى النصوص القرآنية و دلالاتها اللغوية، و لنا أن نستخلص من معطيات الآيات ما يلى: أولا: تشير الآيات القرآنية إلى حركة الأرض و دورانها، لأن تعاقب الليل و النهار من أبرز الأدلة على دوران الأرض حول نفسها. ثانيا: وصف الحق الجبال بأنها تمر مر السحاب، و هذا لا يكون إلا إذا كان شأن الأرض كذلك لأن الجبال تبع للأرض، فهذا دليل على سرعة الأرض الهائلة فى دورانها. و هذه الآية الكريمة: وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ «۱» تكاد تكون صريحة فى دلالتها على حركة الأرض حول الشمس، و ليس من المستغرب أن يغيب هذا المعنى العلمى على أصحاب العلم و الفضل من المفسرين القدامى، لأنهم ما عاشوا عصر الثورة العلمية و التقنية العجيبة التى نعيشها اليوم، فراحوا يخضعون دلالات هذه الآية العلمية و عطاءاتها الإعجازية لعوالم القيامة و مشاهد النكبة و الهلع التى ستخيم على الكون، فجعلوا هذه الآية من نصيب يوم القيامة و أهوالها و أحداثها الجسام، التى ستنسف خلالها الجبال و تتوارى عن عالم المشاهدة بل و الحياة. و المتأمل فى هذه الآية الكريمة يرى أن خطاب اللّه لرسوله و لكل تال لكتاب اللّه، يستثير بواعث التفكير و التأمل فى كينونتنا، و يخلق فى ساحة العقل و مواطن الإدراك البشرى، دوافع التمحيص لكشف أسرار هذه الآية، أ لا۔ ترى فى نهاية الآية كيف أنه يسترعى انتباهنا و يحفّز ملكاتنا العقلية إلى التدقيق و التأمل فى صنعه المتقن المحكم فى خلقه، و كأنّ اللّه سبحانه و تعالى يقول لنا: انظروا إلى الجبال من حولكم و أمعنوا فى تصميمها الدقيق فستظنون أنها جاثمة جامدة لا تتحرك، إلا أن الحقيقة غير ذلك، فهى تمرّ مرّ السحاب، و هذا من بديع صنع اللّه و إتقانه فى ربط قوانين الحياة و نواميس الكون بعضها مع بعض، ليتكامل تنسيق الكون، و يتألق جماله البديع فالجبال التى يظنها الإنسان ثابتة هى فى الواقع متحركة، لأنها محمولة و راسية على الأرض، و الأرض تتحرك و تدور حول الشمس كذلكم الجبال و كل ما حوته الأرض يتحرك معها بحكم الجاذبية (________________________________۱) سورة النمل،

الآية: ۸۸. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۶۱ و أما قوله تعالى: أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً، ففى هاتين الآيتين برهان قوى على دوران الأرض حول نفسها

ذلک لأن (الأرض لو کانت غیر متحرکة لسکن الظل و لم یتغیر طولا أو قصرا، و هذا الدوران رحمة من عند اللّه و لولاه لظلت الشمس مسلطة علی نصف الأرض، بینما یظل النصف الآخر لیلا دائما مما یؤدی إلی هلاک البشر من شدة الحر أو البرد، کما تشیر الآیة إلی دور ضوء الشمس کمؤشر للظل نظرا لاختلاف نفاذیة الضوء خلال الأوساط المادیة المختلفة، و لاختلاف الموقع الظاهری للشمس خلال النهار، بسبب دوران الأرض حول نفسها بمعدل یؤدی إلی نسخ الظل تدریجیا، بمقدار متناسب مع مرور الزمن و لیس دفعة واحدة، و هذا هو المقصود بقوله تعالی: قَبْضاً یَسِیراً و بهذا یتّضح کیفیة مد الظل و ارتباطه بدوران الأرض، و لو شاء اللّه لجعل الظل ساکنا بإیقاف دوران الأرض حول نفسها أو بجعلها تدور حول محورها بنفس معدل دورانها حول الشمس، أی یجعل الیوم یساوی سنة أرضیة، و هذه أمور لا یقدر علیها إلا اللّه سبحانه و تعالی) «۱».

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: أفاضت کتب الفلک و کتب و موسوعات الجغرافیا، الحدیث عن دوران الأرض حول نفسها و حول الشمس، و أسهبوا عما تنتجه هذه الدورات من تعاقب اللیل و النهار و الفصول الأربعة و غیر ذلک، و سنقف عند بعض ما قاله العلماء المختصون فی هذا الشأن. (الفصول الأربعة سخّرت من حرکة الأرض أمام الشمس مع میل المحور لمنفعة الإنسان حتی یتمکن من القیام بمهمة الخلافة فی الأرض، فالأرض تقطع أثناء دورتها حول الشمس مرة کل سنة «۳۶۵ یوما» مسافة ۹۶۰۰ ملیون ک. م، و هذه الحرکة هی السبب فی حدوث ظاهرة الفصول الأربعة و یلاحظ أن هذا المدار بیضوی الشکل و بذلک یتغیر متوسط بعد الأرض عن الشمس البالغ ۶، ۱۴۶ ملیون ک. م بمقدار ۰۰۰، ۹۹۱، ۴ ک. م علی مدار السنة، و معنی هذا تغیر فی زاویة سقوط الأشعة الشمسیة علی مناطق الأرض بعدا مختلفا منها علی مدار السنة، حین سلکوها هذا المدار البیضوی الشکل حول الشمس، و هذا هو سبب حدوث الفصول الأربعة) «۲ (________________________________». ۱) الکون و الإعجاز العلمی للقرآن، منصور حسب النبی، ص ۱۵۴. (۲) المنهج الإیمانی للدراسات الکونیة، عبد العلیم خضر، ص ۲۹۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۶۲ و هناک نوعان من الحرکات للأرض (حرکة ظاهریة و حرکة حقیقیة، الحرکة الحقیقیة هی مدار الأجرام فی أفلاکها فی دورات موقوتة منتظمة، و الحرکة الظاهریة ما نشاهده من حرکات نسبیة بین الأجرام علی القبة السماویة بالنسبة لبعضها البعض، و الدورة الیومیة المحوریة، حیث تدور الأرض حول محورها دورة واحدة خلال فترة زمنیة قدرها ۲۳ ساعة و ۵۶ دقیقة، و ۴ ثوان أمام النجم البعید و ینتج عن هذه الدورة ما یسمی بالیوم النجمی، بینما تتم الأرض دورتها حول الشمس خلال ۲۴ ساعة، و هو ما یسمی بالیوم الشمسی، و من أهم نتائج الدورة المحوریة لکوکب الأرض تعاقب اللیل و النهار، و أما الدورة الانتقالیة، فتدور الأرض حول الشمس بمدار إهلیلجی، تحتل الشمس إحدی بؤرتیه بسرعة مداریة قدرها ۷۹، ۲۹ کم/ ث، و یمیل محور الأرض علی مستوی دورانها حول الشمس بزاویة ثابتة مقدارها ۴- ۲۳، و تتم الأرض دورتها خلال فترة زمنیة قدّرها العلماء ۳۶۵ یوما و ۶ ساعات و ۹ دقائق و ۴۵، ۹ ثانیة، و ینتج عن هذه الدورة تعاقب الفصول الأربعة، حیث یبقی محورها متجها نحو النجم القطبی خلال تلک الدورة) «۱». و فی کتاب «العالم الذی نقطنه»: (الأرض وحدها هی التی تتم دورة کاملة علی ذاتها بیوم واحد فتکشف عن القبة السماویة قلیلا فقلیلا، و تمر أمام الشمس التی تنیرنا و من ثم تعیدنا إلی اللیل و عند ما تغمر الشمس السماء بنیرانها طیلة النهار، فإنها تحجب عنا رؤیة النجوم التی تکمل مع ذلک دورتها) «۲». و فی «موسوعة الجیولوجیا» تعرف الأرض بأنها دائمة الحرکة: (الأرض هی عبارة عن کوکب دائم الحرکة، فلو استطعنا أن نعود ملیون سنة إلی الوراء أو أکثر، لوجدنا أن سطح الأرض مختلف تماما عما هو علیه الیوم، و لوجدنا أنه کان للقارات أشکال مختلفة أو أنها تقع فی مواقع مختلفة عما هی علیه الآن) «۳». و یقول مجموعة من البحاث فی علم (الجیولوجیا): (یولد دوران الأرض علی (________________________________۱) آفاق فلکیة، فوزیة الرویح، ۷۵.

(۲) العالم الذی نقطنه، رینیه غویر، ترجمة، خلیل الفریجات، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ۱۹۸۱، ص: ۱۶. (۳) الأرض، مقدمة للجیولوجیا الطبیعیة، تاربون لوتجنز، ترجمة، عمر سلیمان حمودة و آخرون، مطبعة مالطا، مالطا، ۱۹۸۴، ص: ۳۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۶۳ محورها قوة مرکزیة طاردة هی عند خط الاستواء أقوی منها فی أی مکان آخر، فیسبب ذلک انتفاخا بسیطا عند خط الاستواء، و تسطح عند القطبین و هذا ما یجعل قطر الأرض عند خط الاستواء أطول مما هو علیه بین القطبین) «۱». و تجدر الإشارة إلی أن کلا من «کوبرنیکوس» «۲»، و «جوهانس کیبلر» «۳»، و «جالیلیو جالیلی» «۴» کان لهم الفضل فی التحقق من دوران الأرض بشکل علمی.

الإعجاز:

الإعجاز: سبحان الذی خلق فسوّی و قدر فهدی، إنها آیات اللّه الناطقة بالحقائق العلمیة الناصعة، فکرویة الأرض و دورانها و حرکتها، حقائق قرآنیة أثبتها القرآن قبل دهر سحیق مضی، و فی هذا الزمان کشف عنها الإنسان الضعیف، فقررها «کیبلر» فی قانونه الأول الذی یتحدث فیه عن دوران الکواکب و الأرض حول الشمس، و «نیوتن» فی حدیثه عن قانون الجاذبیة، و من بعدهما أثبتوا ذلک کذلک، قوانینهم هذه کلها ما هی إلا توضیح و تفسیر لبعض الآیات القرآنیة.

(۱) بهجة المعرفة، موسوعة علمیة مصورة، الأرض، لیبیا، الشرکة العامة للنشر، ۱۹۸۳، ص: ۵۱. (۲) کوبر نیکوس، ۱۴۷۳- ۱۵۴۳، فلکی بولندی من أصل ألمانی، درس الطب و اللاهوت و الریاضیات، وضع مبادئ النظام الشمسی و دوران الأرض حول الشمس، کما قال ببعد النجوم عن أرضنا بعدا سحیقا، فساهمت نظریته فی شرح کیفیة تعاقب الفصول و بیان أزمنة الاعتدال الشمسی. انظر: موسوعة الکون و الفضاء و الأرض، موریس شربل و رشید فرحات، ص: ۱۰۸. (۳) جوهانس کیبلر ۱۵۷۱- ۱۶۳۰، عالم و مکتشف ألمانی، اهتم بعلم الفلک و علم البصریات الهندسی، و قد وضع القانون المعروف باسمه، و الذی یتناول حرکة الکواکب حول الشمس. المصدر نفسه، ص: ۱۰۸. (۴) جالیلیو جالیلی ۱۵۶۴- ۱۶۴۲، عالم إیطالی من فلورنسا، درس فی جامعة بیزا، أید نظریة کوبر نیکوس القائلة بدوران الأرض حول الشمس، مما جعله فی حرم کنسی أظلم حیاته، لکن إنجازاته فی المنفی حول دراسة الآلیات و القوی المتحرکة، و تطبیقه التحلیل الریاضی علی المعضلات الطبیعیة کانت استکمالا للثورة التی بدأت مع کوبر نیکوس. المصدر نفسه، ص: ۱۰۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۶۴

المبحث الثالث جاذبیة الأرض

اشارة

المبحث الثالث جاذبیة الأرض قال تعالی: أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً «۱». و قال تعالی: اللَّهُ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ قَراراً وَ السَّماءَ بِناءً «۲». و قال تعالی: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ کِفاتاً (۲۵) أَحْیاءً وَ أَمْواتاً (۲۶) وَ جَعَلْنا فِیها رَواسِیَ شامِخاتٍ وَ أَسْقَیْناکُمْ ماءً فُراتاً (۲۷) «۳». یبرز اللّه سبحانه تعالی فی هذه الآیات طرفا من الآلاء و النعم التی قد أرفدها علینا و نعمنا بها، و من بین هذه النعم التی یشیر إلیها القرآن الکریم نعمة الجاذبیة، الجاذبیة الأرضیة التی من شأنها أن تقر الأشیاء علی الأرض، و یکون هذا الاستقرار مناسبا و منسجما مع حجم هذه الأجسام التی تقلها الأرض، و بذلک تتحقق الحیاة علیها، و تثبت توابعها و تکون ملازمة لها دائما فی دورانها حول نفسها و حول أمّها الشمس. فقانون الجاذبیة قانون عام شامل یعمل فی الکون کله، حیث إن الکائنات کلها تتجاذب و إن لم نر نحن القوة الرابطة بین المتجاذبین، إلا أننا تعرفنا علیها من نتیجة أثر الجسم الکبیر فی الصغیر، و رأینا فیما مضی کیف أن الشمس تجذب منظومتها کلها،

و الأرض کـذلک تجـذب کل من علیها بما فی ذلک القمر، و الغلاف الجوی خاضع لقانون الجاذبیـة و لو لا الجاذبیـة لفرّ و لتلاشـت الأحیـاء، و هکـذا فـإن هـذا القـانون عـام و شامـل، و سیحدثنا عنه العلمـاء و عن هـذه القضایـا التی أومأنـا إلیهـا، غیر أن هـذا القانون (____ ۱) سورة النمل، الآیة: ۶۱. (۲) سورة غافر، الآیة: ۶۴. (۳) سورة المرسلات، الآیات ۲۵- ۲۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۶۵ الذی اکتشفه «نیوتن» «۱» و أمـاط اللثـام عنه، قـد قرره الحق تبـارک و تعـالی فی کثیر من آیـات القرآن المجیـد، و لسوف نقف الآـن عنـد مـا قاله المفسرون و اللغویون حول هذه النصوص القرآنیة. یقول ابن کثیر: (یقول تعالی: أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً أی قارة ساکنة ثابتة لا تمید و لاـ تتحرک بأهلهـا و لاـ ترجف بهم، فإنها لو کانت کـذلک لما طاب علیها العیش و الحیاة، بل جعلها من فضلـه و رحمته مهادا بساطا ثابتـة لا تتزلزل و لا تتحرک) «۲». و عنـد الطبری یقول رحمه اللّه: (اللّه الـذی له الألوهیـة خالصـة أیها الناس، الّذی جعل لکم الأرض التی أنتم علی ظهرها سکان قرارا تسـتقرون علیها، و تسکنون فوقها، و السّماء بناء، بناها فرفعها فوقکم بغیر عمد ترونها لمصالحکم، و قوام دنیـاکم إلی بلوغ آجـالکم) «۳». و فی «التفسیر الکـبیر» یقـول الرازی: (کونهـا قرارا و ذلـک لوجـوه، الأـول: أنه دحاهـا و سواها للاسـتقرار، الثانی: أنه تعالی جعلها متوسطة فی الصلابة و الرخاوة، فلیست فی الصلابة کالحجر الذی یتألم الإنسان بالاضطجاع علیه، و لیست فی الرخاوة کالماء الـذی یغوص فیه، الثالث: أنه تعالی جعلها کثیفـة غبراء لیسـتقر علیها النور، و لو کانت لطیفة لما اسـتقر النور علیها، و لو لم یستقر النور علیها لصارت من شدة بردها بحیث تموت الحیوانات، الرابع: أنه سـبحانه جعل الشـمس بسـبب میل مدارها عن مـدار منطقـة الکل، بحیث تبعـد تارة و تقرب أخری من سـمت الرأس، و لو لا ذلک لما اختلفت الفصول، و لما حصـلت المنافع) «۴ (____». ۱) إسـحاق نیـوتن، ۱۶۴۲- ۱۷۲۷، فلکی بریطـانی، اکتشف قـانون الجاذبیـة و وضع لها ثلاثـة قوانین، کان لها أثر کبیر فی دراسـة علم الفلک، و التنبیه إلی اهتزاز حرکة الکواکب و عدم انتظامها، کما اکتشف طریقة الحصول علی طبیعة الأجسام المضیـئة عن طریق تحلیل الضوء إلی طیف بواسـطة الموشور الزجاجی. انظر: الأطلس الفلکی، محمـد عصام المیدانی، ص ۸۷، و انظر: الأوائل، علی جمعـة الخویلد، بیروت، الدار العربیة للعلوم، الطبعة الأولی، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۸، ص ۱۳۸. (۲) تفسیر القرآن العظیم، لابن کثیر، ۶/ ۱۸۳. (۳) جامع البیان، للطبری، ۲۴/ ۵۲. (۴) التفسیر الکبیر، للفخر الرازی، ۲۴/ ۵۶۶. الإعجـاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحـدیث، ص: ۲۶۶ و فی «روح المعـانی»: (أی جعلها بحیث یستقر علیها الإنسان و الدواب، بإبداء بعضها من الماء و دحوها و تسویتها حسبما یدور علیه منافعهم، فقرارا بمعنی مستقرا لا بمعنی قارة غیر مضطربة) «۱». و أمـا قوله تعالی: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ کِفاتاً، (فالکفات اسم جنس أو اسم آلـة، لما یکفت أی یضم و یجمع، من کفت الشـیء إذا ضـمه و جمعه کالضمام و الجماع لما یضم و یجمع) «۲». (و إنمـا معنی الکلام، أ لم نجعل الأرض کفات أحیائکم و أمواتکم، تکفت أحیاءکم فی المساکن و المنازل، فتضمهم فیها و تجمعهم، و أمواتکم فی بطونها فی القبور، فیدفنون فیها، و جـائز أن یکون عنی بقوله: کِفاتـاً أَحْیـاءً وَ أَمْواتـاً تکفت أذاهم فی حال حیاتهم، و جیفهم بعـد مماتهم) «۳». و لو رجعنـا إلی معنی: قَراراً فی اللغـة لوجـدناها تعطینا معنی الثبات و الاسـتقرار، یقول ابن منظور: (قرارا، بطون الأرض قرارها، لأن الماء یستقر فیها، و یقال: القرار، مستقر الماء فی الروضة و قراره و مستقرّه، تناهی و ثبت) «۴». و نجـد فی «مفردات ألفاظ القرآن»: (قرّ فی مکانه یقرّ قرارا، إذا ثبت ثبوتا جامدا، و أصـله من القرّ ... قال تعالی: أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً «۵». و أما معنی: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ کِفاتاً، (فالکفات، الموضع الذی یضمّ فیه الشـیء و یقبض، و الکفت، القبض و الجمع) «۶». (أی تجمع النـاس أحیاءهم و أمواتهم، و قیل: معناه تضم الأحیاء التی هی الإنســـان و الحیوانـــات و النبـــات، و الأـــموات الـــتی هی الجمـــادات مـــن الأـــرض و المـــاء و غیر ذلـــک) «۷». (____ ۱) روح المعانی، للآلوسـی، ۲۰/ ۱۶، و انظر: التفسـیر الواضح، محمد محمود حجازی، القاهرة، مطبعة الاسـتقلال، الطبعة السادسة ۱۹۶۹، ۲۹/ ۸۰۳. (۲) المصدر نفسه، ۲۵/ ۲۸. (۳) جامع البیان، للطبری، ۲۹/ ۲۲۵. (۴) لسان العرب، ابن منظور، ۱۱/ ۱۲۴. (۵) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهانی، ص

۶۶۲. (۶) لسان العرب، ابن منظور، ۱۲/ ۱۱۷. (۷) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهانى، ص ۷۱۴. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۶۷ إذن، يتضح من معطيات ما سبق أن قَراراً و كِفاتاً كلمتان تدلان على الضمّ و الجمع و هذا هو المعنى العلمى الدقيق للجاذبية، إذ الجاذبية من شأنها أن تضم و تجمع إليها ما أحاط بها من أجسام ... فأىّ تعبير أدق من تعبير القرآن الكريم، و هو يصف حال الكرة الأرضية و هى تسير فى فلكها الذى رسم لها من قبل الخالق العظيم، و فى آن واحد تضم المخلوقات التى أوجدها اللّه سبحانه و تعالى عليها ضمّا قد حشى بالرحمة و الحنان و العطف، و كأنها أمّ رءوم بأبنائها، فلا تؤذيهم حال دورانها حول نفسها و الشمس، و لا تقذف بهم فى دوّامة التيه و الفوضى، بل إنها تقلّهم بين حناياها و تكفتهم بذراعيها بعامل الجاذبية الذى أشار اللّه إليه بقوله: قَراراً و كِفاتاً. فما أرحمك يا خالقنا و ما أعظم لطفك و حنانك بنا، فالأرض تدور و تجرى بسرعة كبيرة و نحن نعيش بين تضاعيفها و ننعم بأرزاقها و ظلالها الوارف، و لا يصيبنا أىّ أذىً و لا نشعر بأىّ خوف أو قلق، فسبحان الذى خلق كلّ شىء بقدر، ثم إن قوة الجاذبية لا تقتصر على كوكب الأرض و ما حوى، بل إنها تلف الأجرام و حتى المجرات السماوية بأسرها، ذلك أن الجزر النجمية الضخمة العظيمة فى الكون، مهما كانت متباعدة إلا أنها متماسكة فيما بينها بسبب قوة الجاذبية التى تربط أجرامها ببعض، و تمنعها من التفكك و التناثر، كما مرّ فيما مضى، و كيف أن قوة الجاذبية على عظمها لا يمكن أن ترى أبدا، و لقد أشار ربنا سبحانه و تعالى إلى الجاذبية الكونية، و أن السماء مبنية بناء دقيقا و متماسكا على أعمدة غير مرئية، و لنتأمل فى هذا قول اللّه تعالى: خَلَقَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها وَ أَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَ بَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دابَّةٍ وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ «۱»، كما أن الحق عز و جلّ أمرنا أن نجيل النظر فى السماء، لنرى كيف بنيت و كيف رفعت، و فى هذا يقول ربنا جل جلاله: أَ فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناها وَ زَيَّنَّاها وَ ما لَها مِنْ فُرُوجٍ «۲» و قوله سبحانه: وَ إِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ «۳»، و قوله سبحانه: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ وَ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَ يُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ «۴ (____». ۱)

سورة لقمان، الآية: ۱۰. (۲) سورة ق، الآية: ۶. (۳) سورة الغاشية، الآية: ۱۸. (۴) سورة الحج، الآية: ۶۵. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۶۸ هذه الآيات تشير بكل وضوح إلى أن هناك أعمدة منتشرة فى السماء، و أن السماء بنيت عليها إلا- أن هذه الأعمدة لا- ترى، و هذه الأعمدة هى قوة الجاذبية التى لا- تخضع للرؤية كما سنرى بعد قليل من أقوال العلماء. يقول القرطبى: (لها عمد و لكنا لا نراه، قال ابن عباس: لها عمد على جبل قاف و يمكن أن يقال على هذا القول: العمد قدرته التى يمسك بها السموات و الأرض و هى غير مرئية لنا) «۱». و فى «التفسير الشامل»: (خلق السموات العلى على غاية ما يكون عليه الاتساع و الامتداد و الفخامة، و على أكمل ما يكون عليه الاتساق و التوازن و الانتظام، خلائق كبيرة و كثيرة، و أجرام هائلة مبثوثة فى أجواء الفضاء، يضمها نظام دقيق و منضبط لا يعرف الخلل أو العشوائية أو الفوضى تلك هى السموات الشامخات الكبريات، قد رفع اللّه بناءها، و جعلها منسجمة رفيعة لا تستند إلى ما يمسكهن من الأعمدة المنظورة، و لكن اللّه قدر لها من النظام الكونى الوثيق ما يكفل لها تمام الدوران و الحركة و الاستمرار) «۲».

الحقائق العلمية:

الحقائق العلمية: حقيقة الجاذبية التى قررها القرآن، و أنزل الآيات التى تتحدث عنها على قلب النبى صلى اللّه عليه و سلم كشف عنها روّاد العلم بعد عصور طويلة فحدثونا عنها، و يرجع الفضل فى اكتشاف قانون الجاذبية إلى (إسحاق نيوتن)، و الذى يعرف الجاذبية فيقول: (إن جميع الأجسام و الأجرام فى هذا الكون تجذب بعضها البعض، بقوة يتوقف مقدارها على كمية الكتلتين المتجاذبتين، و على بعد المسافة بينهما و تزداد القوة، أى تتناسب طرديا مع مقدار حاصل ضرب الكتلتين، و تقل، أى تتناسب عكسيا مع مربع المسافة بينهما، و يمكن أن نقول ببساطة: إن القوة تزداد مع مقدار الكتلتين و تقل كلما بعد المسافة بينهما، و القانون أو الناموس الحاكم فى

حالة التفاحة و الأرض هو (______________________________: ۱) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبى، ۹/ ۲۱۸، و انظر: زاد المسير، لابن الجوزى، ۴/ ۳۰۲، و انظر: معالم التنزيل، للبغوى، ۳/ ۶ و انظر: حاشية محى الدين شيخ زاده على تفسير الإمام البيضاوى، تحقيق، محمد شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ۱۴۱۹ ه/ ۱۹۹۹، ۵/ ۹۰. (۲) التفسير الشامل، أمير عبد العزيز، القاهرة، دار السلام، الطبعة الأولى، ۱۴۲۰ ه/ ۲۰۰۰، ۳/ ۱۷۷۸. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۶۹ قوة الجاذبية الأرضية ثابت X كتلة الأرض X كتلة التفاحة/ مربع المسافة و الثابت هو: ثابت الجذب الكونى، و أما المسافة، فهى المسافة بين مركز أو وسط التفاحة و مركز الأرض، و يسرى القانون على جميع الكائنات و الأشياء فوق الأرض، بل على جميع الأجرام الكونية فهناك قوة جذب بين الشمس و التسعة كواكب السيارة التى تدور حولها بما فى ذلك كوكب الأرض و الكواكب تجذب بعضها البعض، و الأرض و القمر يتجاذبان) «۱». و فى موسوعة «بهجة المعرفة»: (الجاذبية هى التجاذب بين جسمين، و تتوقف قوتها على كتلتى الجسمين و على المسافة بينهما، تتوقف إذن قوة مجال الجاذبية الأرضية على كتلة الأرض، الجاذبية سبب جميع عوامل التعرية الرئيسية تقريبا، فالمطر المتساقط تحت تأثير الجاذبية و كذلك التيارات و الأنهار) «۲». و الجاذبية العامة (قانون كونى موجود فى طبيعة الأشياء كلها، و يعمل فى صمت فى الأرض و السماء، و لقد كان «لنيوتن» الفضل فى اكتشاف قانون الجاذبية و لقد قال «نيوتن» نفسه: إنه لأمر غير مفهوم أن نجد مادة لا حياة فيها و لا إحساس، و هى تشد، أى تجذب مادة أخرى دون أى رباط بينها و تعمل الجاذبية فى كل الأشياء كبيرها و صغيرها، فالكل يتجاذب و إن لم يظهر إلّا أثر الكبير فى الصغير، فالشمس تجذب الأرض، و الأرض تجذب القمر، بل و تجذب كل شىء قريب منها بقوة نشعر بها جميعا و أنت نفسك سجين الجاذبية، لأنك لا تستطيع أن ترتفع عن الأرض لأنها تجذبك إليها و أنت أيضا تجذب الأرض لك، و لكن شتان ما بين كتلتك و كتلة الأرض، و رغم هذا الجذب فإنك تستطيع التحرك على الأرض نظرا لضئالة قوة الجذب بينك و بين الأرض ... و الطائر عند ما يموت يقع على الأرض، و رفع الحجر عن الأرض يتطلب مجهودا و الصعود على الجبل أشق من النزول منه بسبب الجاذبية، و من فضل اللّه علينا أن الجاذبية الأرضية قد احتفظت لنا بغلاف جوى يحيط بأرضنا و لو لا هذه الجاذبية لهرب الهواء و انعدمت الحياة على كوكبنا) «۳ (______________________________». ۱) المجموعة الشمسية و مجال الجاذبية الكونية، أمين محمد كعورة، ص ۱۵- ۱۶. (۲) بهجة المعرفة، الأرض، ص ۵۰، و انظر: دائرة معارف القرن الواحد و العشرين، القوى الفيزيائية، بيروت، دار الكتاب اللبنانى، د. ت ۳/ ۲۴. (۳) الكون و الإعجاز العلمى فى القرآن، منصور حسب النبى، ص ۶۱. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۷۰ إذا يمكن القول: إن جاذبية الأرض هى التى (تقدم لنا نقط الاستهداء فيما نقوم به من أعمال المساحة و الهندسة، فإذا ربطنا جسما ثقيل الوزن بسلك ليّن تحمله نقطة ثابتة، نجد أن ليونة السلك تدفع به فى اتجاه الخط الذى يتبعه الجسم مدفوعا إليه نحو الأرض بقوة الجاذبية، و هو ما يستعمله البنّاءون للتأكد من استقامة البناء، و يسمى الفادم، كما أنه يجسد خطوط جاذبية الأرض، و هذه الجاذبية التى تدفع الأجسام للسقوط نحو سطح الأرض، ليست قوة خاصة بل هى حالة خاصة من حالات الجاذبية العامة، و الجاذبية التى يمارسها جسمان تخضع لمبدأ الجاذبية المعروف و هو: أن الأجسام تتجاذب بالنسبة إلى مقدار مادة كل منها، و بمقدار معاكس لمربع أبعادها، و لما كان كوكب الأرض كروى الشكل تقريبا، و هو خاضع لقانون الجاذبية، و تفوق مواده مواد الأجسام المحيطة به، فإن الجسم الذى يخضع لجاذبية الأرض يندفع نحو سطحها باتجاه مركزها الوسطى، و هو ما يمكن مشاهدته فى كل حين تأكيدا لصحة مبدأ الجاذبية المذكورة آنفا المسيطر على تحركات الفضاء) «۱».

الإعجاز:

الإعجاز: رأينا كيف أن قانون الجاذبية يشمل الكون بأسره، و يعمل بخفاء و لطف لتعود منافعه على الخلائق كلها، فسبحان الذى

بحکمته رتب قوانین الحیاة علی هذا النسق، و یسرها کلها للإنسان و سجلها آیات معجزة فی قرآنه ببیان واضح قبل أن یکتشفها العلمـــــاء، لیظـــل الإنســـان شـــاکرا و معترفـــا بفضـــل ذی الجلاـــل و الإنعـــام.

(____) الأرض فی رحاب الکون، یمنی زهار، بیروت، دار الآفاق، الطبعة الأولی، ۱۴۰۹ ه/ ۱۹۸۸، ص ۶۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۷۱

المبحث الرابع الغلاف الجوی و منافذه للأرض

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: لقد قرر ربنا تبارک و تعالی أنه أحاط الأرض بسقف یحفظها من کل سوء، و هذه الحقیقة القرآنیة أثبتها العلم الحدیث و قرر أن للأرض غلافا جویا یحیط بها، و له من المنافع و الفوائد الشیء الکثیر. ففی موسوعة «عالم المعرفة»: (الغلاف الجوی: هو مزیج من الغازات، و یتألف بالدرجة الأولی من (النیتروجین) ۷۸٪ و (الأوکسجین) ۲۱٪ و کمیة قلیلة من (الأرغون)، و بعض (ثانی أکسید الکربون)، و قد یحتوی أیضا علی بعض من بخار الماء، أما الهواء الجاف فلا یحتوی علی بخار میاه، کما یحتوی الغلاف الجوی علی ثلاث طبقات أساسیة. الطبقة السفلی: و هی (التروبوسفیر) erehpsoport. و الطبقة الوسطی: و هی (الستراتوسفیر) erehpsotarts و تتراوح سماکة طبقة (التروبوسفیر) ما بین ۱۸، ۸ کلم و الغیوم تطفو فیها، و کثیر من الطائرات تطیر فی أسفل (الستراتوسفیر) فوق الغیوم. أما الطبقة الثالثة الموجودة فوق (الستراتوسفیر) فتدعی الغلاف (الأیّونی)، و هی مهمة للناس لأنها تعکس الموجات اللاسلکیة إلی الأرض ما یسمح للموجات بالدوران حول سطح الأرض المقوس) «۱». و حتی یتجسّد الإعجاز فی قوله تعالی: سَقْفاً مَحْفُوظاً نورد بعض فوائد الغلاف الجوی للأرض لنری کیف جعله الحق سبحانه حافظا لها. (هذا الغلاف الجوی یعدّل و یلطف مستویات الحرارة القصوی من ساخنة أو باردة، فیعمل کسقف دفیئة، و یقلل من تغیرات مستوی الحرارة بین اللیل و النهار، أو بین الصیف و الشتاء، عند النهار تسخن الشمس سطح الأرض و تنقل هذه الحرارة إلی الجو، حیث تخزن و تقی من البرد الشدید عند ما تغیب الشمس، و بالعکس یقی الغلاف الجوی عند النهار من الحرارة الشدیدة بامتصاصه قسما من أشعة الشمس، و یقی الجـــو ســـطح الأـــرض مـــن قصـــف النیـــازک، إذ یقـــدر أن الأـــرض تتلقی کـــل یـــوم مـــا یقـــارب المـــائة

(____) موسوعة عالم المعرفة، الأرض، نوبلیس، ص: ۳۴۶. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۷۵ رسم یوضح طبقات الغلاف الغازی للأرض الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۷۶ ألف ملیون نیزک من مختلف الأحجام، إنما لا تدرک سطحها لأنها تحترق فی الجو بسبب الحرارة التی یولدها احتکاک النیزک بالغلاف الجوی) «۱». کذلک لو قدّر اللّه سبحانه و تعالی انعدام الغلاف الجوی للأرض لانعدمت (الحیاة علی سطحها لیس فقط لعدم وجود الأکسجین اللازم للتنفس، و لکن لسقوط النیازک بکمیات هائلة، و بکتل کبیرة تهشم رءوس الأحیاء، و تنهی بذلک علی جمیع صور الحیاة علی سطح الکرة الأرضیة، هذا بخلاف امتصاص الجو العلوی للأشعة الضارة بل القاتلة للأحیاء، مثل الأشعة فوق البنفسجیة (syar teloivartlu) و الذی نود أن ننوه إلیه أنه بدون الغلاف الجوی لا ینتقل الصوت من مکان إلی آخر و یکون بذلک قد فقدت الأحیاء التی منحها اللّه حاسة السمع) «۲». کما تتغیر الغازات فی الغلاف الغازی للکرة الأرضیة (مع ازدیاد الارتفاع فی ذلک الغلاف حیث تأخذ الغازات الثقیلة بالاضمحلال شیئا فشیئا لتحلّ محلها غازات خفیفة، فبدءا من سطح الأرض و حتی ارتفاع ۱۱۰ کیلومترات تکون السیادة لجزئیات (الآزوت)، أی (النیتروجین) و لجزئیات (الأوکسجین)، و بعد ارتفاع ۱۱۰ کیلومترات، و حتی ارتفاع ۱۶۰ کیلومترا تسود جزئیات (الأوزون)، (الأوکسجین الثقیل و الأوکسجین)، و بین ارتفاع ۹۶۰ کیلومتر، و حتی ارتفاع ۲۴۰۰ کیلومتر تسود ذرات (الهلیوم)، و بین ارتفاع ۲۴۰۰ کیلومتر، و حتی

ارتفاع ۹۶۰۰ كيلومتر تسود جزئيات (الهيدروجين)، و بين ارتفاع ۹۶۰۰ كيلومتر، و حتى ارتفاع ۶۵۰۰۰ كيلومتر تسود جزئيات شديدة التخلخل و الخفة، و يتصل أعلى هذه الطبقة مع الفضاء الخارجى المسمى فضاء ما بين الكواكب حيث تسود غازات شديدة التخلخل، لدرجة تقرب من الفراغ) «۳». و على هذا فإننا نشعر بالاختناق التدريجى (كلما ارتفعنا عن سطح البحر إلى عنان السماء و ذلك بسبب نقص الضغط الجوى و نقص (الأوكسجين)، و لقد ثبت فعلا- أن الإنسان يمكن أن يختنق عند ما يرتفع إلى ۱۰ كيلومترات، إذا لم يكن محاطا بغرفة أو (______________________________ ۱) المنظومة الشمسية، سمير عازار، ص: ۶۲. (۲) المجموعة الشمسية و احتمالات الحياة عليها، زين العابدين متولى، القاهرة، مركز جامعة القاهرة، الطبعة الأولى، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۷ ص: ۴۲. (۳) الأرض، إبراهيم حلمى غورى، ص: ۱۳۸- ۱۳۹. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۷۷ حلة مكيفة الضغط و الهواء، كما أن الدم يندفع من مسام أجسامنا لو خف الضغط عليها، و لهذا يستخدم رواد الفضاء بدلة مكيفة الضغط و أنبوبة (أكسجين) للتنفس) «۱». و تغيرات الغلاف الجوى هذه، و الشعور بالاختناق كلما ارتفعنا إلى السماء، بسبب نقص الضغط الجوى و نقص (الأوكسجين)، حقيقة صرح بها كتاب اللّه تعالى قبل أكثر من أربعة عشر قرنا، يقول مولانا عز و جلّ: فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ كَذلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ «۲». و نحن نلحظ تشبيه القرآن الدقيق للذى يصعد فى السماء، كيف يكون صدره ضيقا حرجا بسبب هذا الصعود. كما أن الحق قد أشار إلى ترقى الإنسان فى طبقات السماء فقال اللّه سبحانه تعالى: فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (۱۶) وَ اللَّيْلِ وَ ما وَسَقَ (۱۷) وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (۱۸) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ (۱۹) فَما لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (۲۰) وَ إِذا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ (۲۱) «۳». حقا، لقد ركب الإنسان طبقا عن طبق ... (ففى ۲۱ يوليو عام ۱۹۶۹ تمت رحلة سفينة الفضاء (أبوللو ۱۱) الأمريكية و التى حملت الرواد «نيل أرمسترنج» و «ألدرين» و «كولنينر» إلى القمر حيث هبط «آرمسترنج» و «ألدرين» على سطح القمر لأول مرة فى تاريخ البشرية بواسطة المركبة القمرية، بينما ظل «كولنينر» ينتظرهما فى مركبة أخرى تدعى (كولومبيا) كانت تدور حول القمر، حتى التحمت بهما المركبة القمرية بعد أداء مهمتها على سطح القمر و عادوا جميعا سالمين إلى الأرض، و قد ركبوا فعلا طبقا عن طبق. و لقد تتابعت رحلات (أبوللو ۱۲)، ۱۴، ۱۵، ۱۶، ۱۷، و انتهت فى عام ۱۹۷۲، أ ليس هذا أيضا طبقا عن طبق فى سبيل الوصول إلى القمر) «۴». و لقد أشار القرآن الكريم إلى غزو الفضاء، و أن الثقلين الإنس و الجن إن ترقّوا فى (______________________________ ۱) الكون، منصور حسب النبى، ص: ۱۸۱. (۲) سورة الأنعام، الآية: ۱۲۵. (۳) سورة الانشقاق، الآيات ۱۶- ۲۱. (۴) الكون، منصور حسب النبى، ص: ۲۳۰. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۷۸ مدارج العلم و اخترعوا الوسائل التقنية المتطورة، فإنهم سينفذون من أقطار السموات و الأرض و سيغزون الفضاء و يركبون أطباقا ... و لقد عبر القرآن الكريم عن هذه الوسائل التقنية بقوله: بِسُلْطانٍ أى العلم، و لقد استطاع الإنسان فى عصرنا أن يصنع المركبات الفضائية التى توصله إلى القمر، و لن يتوقف الأمر عند هذا الحد- أى القمر- بل سيتعداه إلى المريخ و غيره. قال تعالى يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطانٍ «۱».

الإعجاز:

الإعجاز: رأينا منافع الغلاف الغازى الذى يعتبر درعا متينا، و سياجا قد حصّن الأرض من العناصر الأجنبية التى لو لا وجود هذا الغلاف، لأحرقت الأرض و لأضرمت نيرانا كثيرة بين جنباتها و انتهت عليها الحياة، كما رأينا الدور الفعّال لهذا الغلاف، فى المحافظة على موقع الأرض بالنسبة للشمس مقارنة مع الكواكب الأخرى، و هذا يساعد فى إيصال حرارة الشمس إلى الأرض بدرجة معتدلة تنسجم و تتوافق مع الكائنات الحية كالإنسان و الحيوان و النبات فسبحان من قال: وَ جَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَ هُمْ عَنْ آياتِها

مُعْرِضُونَ «۲». نعم سبحان من أحاط الکرة الأرضیة بهذا الغلاف الغازی، و کأنه سقف فوقنا لیحفظنا من العوامل المدمرة کالشهب و النیازک. و کذلک فقد أشار القرآن الکریم إلی منافذ هذا الغلاف الغازی، فقال تعالی: وَ لَوْ فَتَحْنا عَلَیْهِمْ باباً مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فِیهِ یَعْرُجُونَ (۱۴) لَقالُوا إِنَّما سُکِّرَتْ أَبْصارُنا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (۱۵) «۳». و الإعجاز القرآنی فی قوله تعالی: باباً و روّاد الفضاء کما مرّ معنا عند ما تقلع مرکباتهم الفضائیة فی السماء، فإنها تحلّق ضمن خطوط مرسومة لها قبل إقلاعها و عند وصولها إلی الغلاف الغازی، فإنه لیس بمقدورها الخروج منه إلا عبر هذه الأبواب، و التی اصطلح علی تسمیتها علماء الفلک بمنافذ الغلاف الجوی.

(____۱) سورة الرحمن، الآیة: ۳۳. (۲) سورة الأنبیاء، الآیة: ۳۲. (۳) سورة الحجر، الآیتان ۱۴، ۱۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۷۹ مکوک فضائی ینطلق لیخترق منافذ الغلاف الجوی للأرض و ذلک بفضل التطور العلمی و التکنولوجی، و صدق اللّه العظیم: یا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطانٍ «۱».

(____۱) سورة الرحمن، الآیة: ۳۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۸۱

الفصل السابع الإعجاز القرآنی فی القمر

اشارة

الفصل السابع الإعجاز القرآنی فی القمر تمهید. المبحث الأول: القمر منیر. المبحث الثانی: انشقاق القمر. المبحث الثالث: منازل القمر. المبحث الرابع: و جمع الشمس و القمر. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۸۳

تمهید

تمهید للقمر مکانة سامیة فی قلوب الناس منذ أحقاب سحیقة مضت من الزمن، و ذلک لاعتباره أقرب الأجرام السماویة إلی الأرض، و لما ینطوی علی سرّ الروعة و البهاء عند ما یرسل أشعته الفضیة إلی الأرض، فتنفلق ظلمات اللیل بضیائه المنیر الذی یضفی علی الأرض رونقا متألقا من النور الهادئ الأخّاذ، و لذلکم فإن طائفة کبیرة من البشر قدیما اعتبرت القمر إلها یلجأ إلیه عند نزول الکوارث و الأزمات، و بذلک صبئوا فکانوا من الوثنین الذین أتی القرآن لیحررهم من معتقداتهم التی ارتبطت بالأجرام و بالشمس و القمر، حیث یقول: وَ مِنْ آیاتِهِ اللَّیْلُ وَ النَّهارُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لا لِلْقَمَرِ وَ اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِی خَلَقَهُنَّ إِنْ کُنْتُمْ إِیَّاهُ تَعْبُدُونَ «۱». و لقد اضمحلت تلک الوثنیات التی یترنّم بها الشعراء، و یشبه بها المحب حبیبه بوجه القمر و جماله، و ذابت عند ما وطئ رواد الفضاء القمر بأقدامهم و سفنهم الفضائیة، و صوّروه لنا و إذا به صخور جرداء، و فوهات مخیفة، و تضاریس داکنة سوداء، و بهذا یکون قد خف سحر القمر و جماله البرّاق، و سطعت معالم التقنیة البشریة الحدیثة، لتسطّر التحوّل التاریخی فی دنیا البشر، و تمکنها من النزول علی سطح القمر. و سوف یتناول فی هذا الفصل الحدیث عن السبق القرآنی یوم أثبت أن القمر جسم بارد یکتسب نوره من الشمس، و لیس متوهجا مثلها، کما أن القرآن قرر أن القمر کان مشتعلا فی فترة من الفترات ثم انطفأ، و سنتحدث عن معجزة عظیمة خلدها القرآن الکریم فی صفحاته، ألا و هی معجزة انشقاق القمر، التی وقعت للنبی صلی اللّه علیه و سلم و یأتی العلم الیوم لیؤکد انشقاق القمر، و نتحدث عن قرار القرآن بإمکانیة غزو الفضاء، و الصعود فی طبقاته، کما سنتطرق للحدیث عن الإعجاز القرآنی فی السنة الشمسیة و القمریة، و نذیّلها بالحدیث عن منازل القمر، و یختم الفصل بالحدیث عن نهایة القمر و عن الصورة الدقیقة التی وضعها القرآن الکریم لنهایته، و التی أکدها العلماء بشکل دقیق.

(____۱) سورة فصلت، الآیة: ۳۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۸۴

المبحث الأول القمر منیر

اشارة

المبحث الأول القمر منیر قال تعالی: وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِیهِنَّ نُوراً وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً «۱». و قال تعالی: هُوَ الَّذِی جَعَلَ الشَّمْسَ ضِیاءً وَ الْقَمَرَ نُوراً «۲». و قال تعالی: وَ جَعَلْنَا اللَّیْلَ وَ النَّهارَ آیَتَیْنِ فَمَحَوْنا آیَةَ اللَّیْلِ وَ جَعَلْنا آیَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً «۳». قبل أن نشرع فی الحدیث عن أوجه الإعجاز القرآنی فی هذه الآیات، نسوق بعض المعلومات العامة و الظروف الفیزیائیة للقمر، لتکون الصورة واضحة و دقیقة فی بحثنا، و هذه بعض الخواص و المعلومات عن القمر و التی أفادنا بها العلماء. (کتلة القمر ۸۱، ۳: ۱ من کتلة الأرض. حجم القمر ۵۰: ۱ من حجم الأرض. نصف قطره ۱۰۰: ۲۷ من نصف قطر الأرض. المجال المغناطیسی ۱۰: ۱ ملیون من مجال الأرض. طول الیوم ۲۷، ۳ یوم أرضی. و لیس للقمر غلاف هوائی بسبب قربه من الأرض، مع ضعف جاذبیته و الارتفاع الکبیر فی درجات الحرارة علیه أثناء النهار، و لا یزید قدر الغازات التی قد تتراکم منسابة من باطنه فی أی وقت عن جزء من الملیون من کتلة جو الأرض، کذلک لا یوجد علی القمر ماء سائل و لا ثلوج، و لم یجد رواد الفضاء الذین هبطوا علی القمر أثرا لمیاه جوفیة تحت سطحه، و لکن الصخور التی جلبوها لتحلیلها علی الأرض ثبت احتوائها

(____۱) سورة نوح، الآیة: ۱۶. (۲) سورة یونس، الآیة: ۵. (۳) سورة الإسراء، الآیة: ۱۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۸۵ القمر علی شکل بدر و ذلک بفعل أشعة الشمس التی تنیر سطحه علی الماء فی ترکیبها الکیمیائی، و کان رواد الفضاء علی سفن أوبللو الأمریکیة قد جلبوا ۲۰۰۰ عینة کتلتها ۳۸۲ کجم) «۱». بعد هذه المعلومات العامة الموجزة عن القمر، نبدأ فی الحدیث عن الإعجاز القرآنی فی الآیات التی صدرنا بها هذا المبحث، حیث تدل هذه الآیات دلالات علمیة مدهشة، أخبر عنها القرآن الکریم فکان سبّاقا فی میدان إثبات الحقائق العلمیة التی عرفها الناس حدیثا.

(____۱) علم الفلک العام، میرفت السید عوض و مصطفی کمال محمود، ص ۱۲۶- ۱۲۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۸۶ أما عن الآیتین الأولی و الثانیة، فهما تخبرانا أن للشمس صفتین سِراجاً، و ضِیاءً، و قد حللنا هاتین الصفتین عند حدیثنا عن الشمس، و عرفنا أن الشمس نجم ینتج بتفاعلاته النوویة و احتراقه الداخلی حرارة قویة شدیدة و ضوءا، و تلک هی صفة السراج، فالضوء الذی تصدره الشمس یکون مشحونا بالحرارة علی خلاف صفة الإنارة، فالنور من صفات القمر، و الإنارة هی ما یستنیر به المکان بدون حرارة، إذا فالقمر لیس مضیئا بذاته، و لکنه یعکس الضوء الذی یستقبله من الشمس. و هذا المعنی أکده العلماء و المفسرون، یقول الإمام ابن کثیر رحمه اللّه: (یخبر اللّه تعالی عما خلق من الآیات الدالة علی کمال قدرته و عظیم سلطانه، و أنه جعل الشعاع الصادر عن جرم الشمس ضیاء و جعل شعاع القمر نورا، هذا فن و هذا فن آخر، ففاوت بینهما لئلا یشتبها، و جعل سلطان الشمس بالنهار و سلطان القمر باللیل) «۱». أما الإمام الرازی فیقول: (النور اسم لأصل هذه الکیفیة، و أما الضوء فهو اسم لهذه الکیفیة إذا کانت کاملة تامة قویة، و الدلیل علیه أنه تعالی سمی الکیفیة القائمة بالشمس ضِیاءً و الکیفیة القائمة بالقمر نُوراً و لا شک أن الکیفیة القائمة بالشمس أقوی و أکمل من الکیفیة القائمة بالقمر) «۲». و أما الآیة الثالثة فهی تخبرنا أن اللّه سبحانه و تعالی قد محا آیة اللیل، التی هی القمر بعد أن کانت ملتهبة، محاها و طمسها، و ترک آیة النهار مبصرة مضیئة التی هی الشمس. یقول الفخر الرازی: فَمَحَوْنا آیَةَ اللَّیْلِ وَ جَعَلْنا آیَةَ

النَّهارِ مُبْصِرَةً أن يكون المراد و جعلنا نيّرى الليل و النهار آيتين، يريد الشمس و القمر، فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ و هى القمر و المراد من محو القمر الكلف الـذى يظهر فى وجهه ... و معنى المحو فى اللغة إذهاب الأثر، تقول: محوته أمحوه و انمحى و امتحى إذا ذهب أثره ... وَ جَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً و معنى كونها مبصرة، أى مضيئة و ذلك لأن الإضاءة سبب لحصول الإبصار، فأطلق سبحانه اسم الإبصار على الإضـــاءة إطلاقـــا لاســـم الســـبب على المســـبب) «۳».

(۱) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ۳/ ۱۸۱. (۲) التفسير الكبير، للفخر الرازى، ۹/ ۳۵، و انظر: حاشية الشهاب على البيضاوى، لشهاب الدين أحمد بن عمر الخفاجى، تحقيق، عبـد الرزاق المهدى، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ۱۳۱۷ ه/ ۱۹۹۷، ۹/ ۱۸۴. (۳) التفسير الكبير، للفخر الرازى، ۱۰/ ۱۶۵، و انظر: الجـامع لأحكام القرآن، للقرطبى، ۵/ ۱۴۹. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحـديث، ص: ۲۸۷ (و الليل فى نفسه آيـة، و فيه آيـات، و أظهر آيـاته هو القمر، فيقال فى القمر: آيـة الليل، و النهار فى نفسه آيـة، و فيه آيات، و أظهر آياته هى الشـمس، فيقال فى الشمس: آية النهار ... ثم إن المراد من لفظ الآية فى الموضعين واحد: ۱- فإما أن يراد بها نفس الليل و النهار، و الإضافة فى آيـة الليـل و آيـة النهـار للتبيين كإضافـة العـدد للمعـدود، أو يراد بهـا الشـمس و القمر فيكون وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ على تقـدير مضـاف فى الأول تقـديره هكـذا، و جعلنا نيرى الليل و النهار ذوى آيتين. ۲- و إما على تقـديرنا المتقـدم فإن لفظ آيَتَيْنِ صادق على الليل و النهار، و لفظ آيـة الليل و آيـة النهار صادق على الشـمس و القمر، و عليه يكون تقدير الآية هكذا: و جعلنا الليل و النهار آيتين فمحونـا قمر الليل، و جعلنا شـمس النهار مبصـرة، و هو تقـدير صـحيح لا معارض له من جهـة اللفظ و لا من جهـة المعنى، و سالم من دعوى تقدير محذوف، و مفيد لكثرة المعنى بأربع آيات، بالليل و قمره، و النهار و شمسه، فالتقدير به أولى، و لذلك فسرنا الآية عليه) «۱». و أما الجعل فهو (إيجاد ما به يكون الشـيء على صـفة لم يكن عليها، و المضاف محـذوف، تقديره جعل الشـمس ذات ضـياء، و القمر ذا نور، و الضـياء أبلغ فى كشف الظلمات من النور، و فيه صـفة زائدة على النور) «۲». و فى تفسـير «غرائب القرآن»: (و المضاف محذوف، و التقدير: و جعلنا نيّرى الليل و النهار آيتين فمحونا آية الليل التى هى القمر، حيث لم يخلق له شـعاع كشعاع الشمس، فترى به الأشياء رؤية غير بينة، و جعلنا الشمس ذات شعاع يبصر فى ضوئها كل شىء) «۳». هذه بعض أقوال المفسرين القدامى رحمهم اللّه تعـالى، و الـتى فرقـوا كمـا رأينـا بيـن ضـوء الشـمس الـذى يحـوى الحرارة و النـور، و بيـن نـور القمر الـذى هـو انعكـاس عـن ضـوء

(۱) تفسير ابن باديس، عبد الحميد بن باديس، بيروت، دار الفكر، الطبعـة الثالثة، ۱۳۹۹ ه/ ۱۹۷۹، ص: ۶۰. (۲) مجمع البيان فى تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسـى، تحقيق هـاشم المحلاتى، طهران، المكتبـة العلميـة، د. ت، ۳/ ۶۱. (۳) تفسـير غرائب القرآن و رغـائب الفرقان، نظام الـدين الحسن بن محمـد القمى النيسـابورى، تحقيق، زكريـا عميرات، بيروت، دار الكتب العلميـة، ۱۴۱۶ ه/ ۱۹۹۶، ۴/ ۳۲۹. الإعجـاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۸۸ الشـمس و شعاعها، و هذا ما قاله العلماء المعاصرون، و منهم الشيخ عبد المجيد الزندانى «۱» إذ يقول: (القمر كان مشـتعلا ثم انطفأ، قال تعالى: وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً فآية الليل القمر، و آيـة النهار الشـمس، و محونا آيـة الليل أى طمسـناها و أزلنا ضوءها، و المحو: الطمس، و لا يكون إلا بعد الإنارة، فمن هنا عرفنا أن القمر كان مشـتعلا ثم محى ضوؤه و الله أعلم، و هذا السـر لم يعرف إلا قريبا بعد أن تيسّـرت الآلات للباحثين، و هذا يشـهد أن محمدا صلى اللّه عليه و سـلم قـد جاءه الوحى بهذا من عند اللّه) «۲». إذن نسـتطيع أن نسـتخلص من معطيات الآيات القرآنية ما يلى: أولا: أن القمر جسم منير يكتسب نوره من الشمس، و لا يوجد فيه إضاءة ذاتية. ثانيا: القمر كان جسما مشتعلا ثم انطفأ.

الحقائق العلمية:

الحقائق العلميـة: هـذا ما أثبته العلم، فقـد أصـبح اليوم من المسلّم به أن القمر كان كتلـة نارية ملتهبة ثم انطفأ بعد ذلك و خمد لهيبه.

(القمر جسم مظلم أساسا، و ضوؤه انعکاس لضوء الشمس، و یتغیر الجزء المضیء من القمر من یوم لآخر فی الحجم و الشکل، فأول ما نراه یکون خطا رفیعا منحنیا مستنیرا، ثم یزداد حجمه شیئا فشیئا، حتی یصبح دائرة تامة، ثم یأخذ فی التناقص حتی یصبح خطا فی أول ظهوره، و یطلق علی هذه الأشکال أوجه القمر) «۳». و نجد نفس المعنی فی کتاب «المحیط الکونی و أسراره»: (و کما هو معروف فالقمر جسم معتم مظلم بذاته، یأخذ نوره من الشمس کما تأخذه الکواکب الأخری و یعکسه (____۱) الشیخ عبد المجید الزندانی، داعیة یمنی شهیر، و تربطنی به صلة شخصیة و حوارات حول قضایا الإعجاز فی القرآن و السنة، و هو یشغل منصب رئیس جامعة الإیمان فی الیمن حالیا، و یعتبر من الرواد فی هذا العصر فی قضایا الإعجاز فی الإسلام. (۲) کتاب التوحید، عبد المجید الزندانی، دمشق، دار الخیر، الطبعة الأولی، ۱۴۱۱ ه/ ۱۹۹۰، ص ۷۲. (۳) المنظومة الشمسیة، عبد الأمیر المرتضی المؤمن، دبی، الإمارات العربیة المتحدة، الطبعة الأولی، ۱۹۹۷، ص ۱۷۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۸۹ علینا، کما تفعل المرآة المعلقة فی الفضاء، کما أن الأرض نفسها تأخذ نورها من الشمس و تعکسه علی القمر، فیبدو جمیلا متألقا ببهائه و لمعانه) «۱». و فی کتاب «القمر»: (و یعتقد کثیر من العلماء فی الوقت الحالی، أن قمرنا نشأ بنفس الطریقة التی نشأت بها المجموعة الشمسیة، أی إن القمر انفصل علی هیئة لسان ناری أیضا فی العصور الأولی للکرة الأرضیة عند ما کانت فی حالة شبه سائلة) «۲». و یستنتج الفلکیون هذه الحقیقة (من العمر المدید لصخور النجود القمریة، أن السطوح الوعرة و المرتفعة علی القمر، تکونت بعد زمن قصیر من ولادته، و ربما کان القمر عندها کتلة منصهرة، الأمر الذی یسمح للمادة الکثیفة الغنیة بالحدید بالغوص إلی داخل القمر، فی حین تطفو المادة الأقل کثافة علی السطح، و لدی بلوغ هذه المادة الصخریة الأخیرة السطح، فقد تبردت و انعقدت مکونة بذلک القشرة القمریة، و تلا ذلک قصف النجود القمریة بأجرام صلبة من الفضاء، و نشأ عن ذلک العدید من الفوهات البرکانیة التی نراها منتشرة هناک، و فیما کان القمر یتبرد، کانت قشرته تزداد ثخانة و نظرا لهبوط المادة الأکثف إلی باطن القمر عند ما کان فی حالة منصهرة، فإن الحمم البرکانیة المندفعة من الأعماق، کانت أکثف من الصخور السطحیة التی انغمرت بها) «۳».

الإعجاز:

الإعجاز: إن هذه الحقائق العلمیة الحدیثة تتفق تماما مع النصوص القرآنیة الکریمة، و التی استعرضناها فی صدر المبحث، فالقرآن قد قرر منذ نزوله علی النبی صلی اللّه علیه و سلم أن القمر جسم منیر، و لا یوجد فیه إضاءة ذاتیة، کما قرر أن القمر کان مشتعلا یوما ما ثم خمد نوره و انطفأ، و مع مرور الأیام و تطور أدوات البحث العلمی الحدیثة، ثبت للعلماء مصداقیة هذه الحقائق القرآنیة المعجزة، فسبحان اللّه العلیم الخبیر (____. ۱) المحیط الکونی و أسراره، نجیب زبیب، ص: ۶۷، و انظر: فی أعماق الفضاء، عبد الحمید سماحة، بیروت، دار الشروق، الطبعة الثالثة ۱۴۰۰ ه/ ۱۹۸۰، ص: ۴۳، و انظر: الفلک و الأنواء فی التراث، علی عبندة، ۱۹۹۱، ص: ۵۵. (۲) القمر، محمد علی المغربی، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانیة، ۱۹۶۶، ص: ۱۰۹. (۳) استکشافات و مقدمة علم الفلک، توماست آرنی، ص: ۲۳۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۹۰ صورة تظهر القمر و فیه بعض الفوهات و الودیان السحیقة. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۹۱

المبحث الثانی انشقاق القمر

اشارة

المبحث الثانى انشقاق القمر قال تعالى: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ «۱». و قال سبحانه: وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (۱۸) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ (۱۹) «۲». انشقاق القمر معجزة من أعظم المعجزات الحسية التى خلّدها القرآن الكريم و ثبتت فى الصحاح و هى مكرمة إلهية لرسوله صلى اللّه عليه و سلم، و لم ينشقّ القمر لأحد من قبله من أنبياء اللّه و مرسليه، و قد رآها الناس رأى العين، و شاهدوا انفلاق القمر إلى فلقتين فى كبد السماء، و سألوا أهل البوادى و القوافل الرّحالة عن ذلك فما أنكر منهم أحد، إلا من ركب رأسه، و آثر الجحود السافر على دلائل الحق و براهين الهدى. روى الطبرى بسنده فى تفسيره، عن أبى عبد الرحمن السلمى قال: (نزلنا المدائن فكنّا منها على فرسخ، فجاءت الجمعة، فحضر أبىّ، و حضرت معه، فخطبنا حذيفة فقال ألا إن اللّه يقول: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ ألا و إن الساعة قد اقتربت، ألا ـ و إن القمر قد انشق، ألا ـ و إن الدنيا قد أذنت بفراق و إن اليوم مضمار و غدا السباق ...) «۳». و فى تفسير الإمام القرطبى: (... و قال قوم: لم يقع انشقاق القمر بعد و هو منتظر، أى اقترب قيام الساعة و انشقاق القمر، و أن الساعة إذا قامت انشقت السماء بما فيها من القمر و غيره، و كذا قال القشيرى، و ذكر الماوردىّ: أن هذا قول الجمهور، و قال: لأنه إذا انشق ما بقى أحد إلا رآه، لأنه آية و الناس فى الآيات سواء) «۴».

(______________________________) سورة القمر، الآية: ۱. (۲) سورة الانشقاق، الآيتان ۱۸، ۱۹. (۳) جامع البيان، للطبرى، ۱۲/ ۵۱، و انظر: معانى القرآن، يحيى بن زياد الفراء، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ۱۴۰۳ ه، ۳/ ۱۰۴. (۴) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبى، ۱۷/ ۸۲. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۹۲ و فى تفسير «البحر المحيط»: (و الأمّة مجمعة على خلاف من زعم أن قوله: وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ معناه: أنه ينشق يوم القيامة، و يرده من الآية قوله: وَ إِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (۲) فلا ـ يناسب هذا الكلام أن يأتى إلا بعد ظهور ما سألوه معينا من انشقاق القمر، و قيل: سألوا آية فى الجملة فأراهم هذه الآية السماوية، و هى من أعظم الآيات، و ذلك التأثير فى العالم العلوى) «۱». و يقول الحافظ ابن كثير: (وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ قد كان هذا فى زمان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كما ورد ذلك فى الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة ... و هذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع فى زمان النبى صلى اللّه عليه و سلم و أنه كان إحدى معجزاته الباهرات) «۲». و كما ذكر ابن كثير بأن الأحاديث فى هذه المعجزة ثابتة و كثيرة، و منها ما ورد فى صحيح البخارى من حديث ابن عبد اللّه رضى اللّه عنه قال: (انشق القمر و نحن مع النبى صلى اللّه عليه و سلم، بمنى فقال النبى صلى اللّه عليه و سلم: «اشهدوا»، و ذهبت فرقة نحو الجبل) «۳». اختلف المفسرون كما رأينا إزاء هذه القضية إلى فريقين، فريق يرى بأن معجزة انشقاق القمر قد وقعت فى عهد النبى صلى اللّه عليه و سلم و آمن من آمن يومذاك، و كفر من كفر. و فريق يرى الأمر على العكس من هذا تماما، حيث إن انشقاق القمر لم يقع بعد، و سوف ينشق القمر قبل قيام الساعة، و كما نقل القرطبى فى تفسيره عن الماوردى أن هذا قول الجمهور، لأنه إذا انشق ما بقى أحد إلا رآه، لأنه آية و الناس فى الآيات سواء. و لحسن الحظ، و لكى تتأكد هذه المعجزة القرآنية، فإن علماء الفلك هم كذلك قد ذهبوا من المسألة مذهبين، و اختلفوا إلى رأيين، فمنهم من يرى أن القمر قد انشق يوما من الأيام، و هذا الرأى هو رأى العلماء الأمريكان الذين هبطوا على سطح القمر، و منهم من يرى أن القمر سينشق فى المستقبل، و هذا رأى معظم الفلكيين.

(______________________________) البحر المحيط، محمد بن على ابن حيان الأندلسى، القاهرة، دار الفكر العربى، الطبعة الثانية، ۱۹۸۳، ۷/ ۲۱۵. (۲) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ۴/ ۴۲۷. (۳) رواه البخارى، فى فضائل الصحابة، باب انشقاق القمر، رقم (۳۶۵۶)، ۳/ ۱۴۰۴، و أحمد فى مسنده، رقم (۴۳۵۷)، ۱/ ۴۵۶. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۹۳

الحقائق العلمية:

الحقائق العلمية: أما بالنسبة لمن رأى أن القمر قد انشق يوما ما، و هم علماء الفضاء الأمريكان، فإنى أنقل رأيهم و أثبته هنا عن الأستاذ

الدكتور زغلول النجار «۱» و الذى ألقى محاضرة حول الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم، و تطرق إلى قضية انشقاق القمر، و أكد أن القمر قد انشق و دلل على ذلك من خلال سؤال طرح على علماء الفلك فى ناسا الأمريكية و هو: ما ذا استفدتم من رحلتكم إلى القمر و التى قد كلفتكم أكثر من مائة مليون دولار، و لو أنكم قدمتم هذه الأموال كمساعدة إنسانية إلى الفقراء أما كان هذا بأفضل؟. و كان الجواب: إن أعظم شيء اكتشفناه خلال رحلتنا إلى القمر، أننا قمنا بتثبيت المراجف على سطح القمر لرصد الزلازل التى تحدث فيه، و للكشف عن بنيته، و بنتيجة ما قدمته تلك المراجف من معلومات، تبين لنا أن القمر يحوى حزاما حجريا متحركا على عرضه، مما يدل بوضوح على أن القمر قد انقسم إلى قسمين يوما ما ثم التحم. و لقد كتب الدكتور زغلول مقالا فى جريدة «البيان» الإماراتية بعنوان «انشقاق القمر» و كان مما قال فيه: (لقد دوّن كل من التاريخ الهندى و الصينى القديم حادثة انشقاق القمر، و أرخوا بها، و فى محاضرة لى بكلية الطب (جامعة كارديف) فى مقاطعة (ويلز) غربى بريطانيا، منذ عدة سنوات مضت وجّه إلى أحد الحضور من المسلمين سؤالا- عن الآيات فى مطلع سورة القمر، و هل تمثل ومضة من ومضات الإعجاز العلمى فى كتاب الله؟، فأجبت بأن هذه الواقعة تمثل إحدى المعجزات الحسية التى وقعت تأييدا لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى مواجهة كفار و مشركى قريش، و إنكارهم لنبوته صلى اللّه عليه و سلم، و أن المعجزات خوارق للسنن، و على ذلك فإن السنن الدنيوية لا يمكن لها تفسير كيفية حدوث المعجزة، و لو لا ورودها فى كتاب اللّه، و فى سيرة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ما كان علينا نحن مسلمى اليوم أن نؤمن بها، و لكننا نقر بها، و نؤمن بوقوعها لورودها فى كتاب اللّه بالنص الإلهى الذى يقول فيه

(____ ۱) الدكتور زغلول النجار، مصرى الجنسية، حاصل على الدكتوراة من جامعة ويلز البريطانية فى علم الجيولوجيا عام ۱۹۶۳، حاضر فى العديد من الجامعات العربية و الغربية، و يرأس مركز البحوث القرآنية فى لندن حاليا، و يعتبر الدكتور زغلول من أبرز من تكلم فى قضايا الإعجاز الجيولوجى فى القرآن الكريم باعتدال، و تربطنى به صلة بحثية علمية فى الإعجاز القرآنى، و هذا الكلام الذى أثبته هنا إنما هو نقل عن الدكتور زغلول فى محاضرة ألقاها و حضرتها فى المركز التجارى فى إمارة دبى، بتاريخ ۱۲ رمضان ۲۰۰۱. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۹۴ ربنا: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ (۱) وَ إِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (۲) وَ كَذَّبُوا وَ اتَّبَعُوا أَهْواءَهُمْ وَ كُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (۳) وَ لَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الْأَنْباءِ ما فِيهِ مُزْدَجَرٌ (۴) حِكْمَةٌ بالِغَةٌ فَما تُغْنِ النُّذُرُ (۵) «۱» و بعد انتهاء حديثى، وقف رجل بريطانى من الحضور و استأذن فى أن يضيف شيئا إلى إجابتى فأذنت له، ثم بدأ بتعريف نفسه على أن اسمه داود موسى بيدكول، و أنه مسلم، و يرأس الحزب الإسلامى البريطانى، ثم أضاف أن هذه الآيات فى مطلع سورة القمر كانت هى السبب فى إسلامه فى أواخر السبعينات من القرن العشرين، لأنه ببحث مستفيض فى الأديان أهداه أحد المسلمين ترجمة لمعانى القرآن الكريم، و أنه عند فتح هذه الترجمة لأول مرة فوجئ بسورة القمر، فقرأ الآيات فى مطلعها، و لم يكد يصدق أن القمر قد انشق ثم التحم فأغلق الترجمة و انصرف عنها، ثم شاء اللّه سبحانه و تعالى أن يشاهد على شاشة التلفاز البريطانى (B. B. C.) برنامجا عن رحلات الفضاء، استضاف فيه المذيع البريطانى جيمس بيرك (James Burke) ثلاثة من علماء الفضاء الأمريكيين، و ذلك فى سنة ۱۹۷۸، و فى أثناء الحوار كان المذيع ينتقد الإسراف على رحلات الفضاء بإنفاق بلايين الدولارات، و الأرض يتضور فيها ملايين البشر من الجوع، و المرض، و الجهل، و التخلف، و كان جواب العلماء أنه بفضل هذه الرحلات تم تطوير عدد من التقنيات الهامة التى تطبق فى مجالات التشخيص و العلاج الطبى، و الصناعة، و الزراعة و غيرها، و فى أثناء هذا الحوار جاء ذكر أول رحلة إنزال رجل على سطح القمر، و قد تكلفت أكثر من مائة مليار دولار، و جلس المذيع يتابع عتابه على هذا الإسراف، فرد العلماء بأن هذه الرحلة قد أثبتت لهم حقيقة لو أنفقوا أضعاف هذا المبلغ لإقناع الناس بها ما صدقهم أحد، فسأل المذيع: ما هى هذه الحقيقة؟ فأجابوا: أن هذا القمر قد سبق له أن انشق ثم التحم، و أن آثار محسوسة تؤيد ذلك الحدث قد وجدت على سطح القمر و امتدت إلى داخله، فقال السيد بيدكول: حينما سمعت ذلك قفزت من الكرسى الذى كنت أجلس عليه أمام التلفاز، و قلت: معجزة تحدث لمحمد قبل ألف و

أربعمائة سنة و یرویها القرآن بهذا التفصیل العجیب، یسخّر اللّه من یثبتها للمسلمین فی عصر العلوم و التقنیة الذی نعیشه، و ینفق هذا المبلغ الکبیر، لا بد و أن یکون هذا الدین حقا، و عدت إلی ترجمة معانی

(________________________________ ۱) سورة القمر، الآیات ۱ – ۵.

الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۹۵ القرآن الکریم أقرأها بشغف شدید، و کانت آیات سورة القمر هی السبب المباشر لقبولی الإسلام دینا) «۱». و أما بالنسبة للفریق الثانی و الذی یری بأن القمر سینشق فی المستقبل، فهم کثر بل إن معظم من کتب من الفلکیین حول القمر تحدث عن انقسام القمر و انشقاقه فی المستقبل، و سأسوق هنا ما ورد فی «موسوعة المعارف الکونیة» حول هذا الموضوع: (کان القمر قریبا من الأرض عقب الانفصال منذ بلایین السنین، و أخذ یبتعد عنها تدریجیا للدوران حولها فی مدار ظلّ یتسع تدریجیا لزیادة السرعة المداریة للقمر، تعویضا عن الإبطاء الحادث فی سرعة الدوران المغزلی للأرض بتأثیر ظاهرة المد و الجزر و هذا التعویض لا بد أن یحدث تلقائیا للحفاظ علی کمیة تحرک مجموعة الأرض و القمر معا، کنظام مغلق مرتبط ببعضه البعض، و لقد ثبت علمیا و عملیا أن الأرض تبطئ بمقدار ۰۰۲، ۰ من الثانیة فی زمن الیوم الواحد کل مائة سنة، لذلک یسرع القمر فی مداره فیزداد الطرد المرکزی، لدرجة أن القمر یرتد عنّا حالیا بمعدل مسافة ۴ سم سنویا، و هذا الارتداد رغم ضآلته بالنسبة لنصف مدار قطر القمر حول الأرض حوالی «۳۸۴۰۰۰ کم» فإن الإزاحات الضئیلة الناتجة عنه تراکمت عبر ملایین السنین حتی وضعت القمر فی مداره الحالی، و یعتقد العلماء أن هذه الظاهرة و عوامل أخری تؤثر علی سرعة دوران الأرض حول نفسها، مما یؤثر بدوره علی اختلال توازن القمر فی مداره فی المستقبل، لأن زیادة سرعته حول نفسه أو حول الأرض ستؤدی حتما إلی انشقاق القمر تماما، کما یتفتت الشیء عند ما یتسارع دائرا فی خلاط کهربائی، أو عند ما تختل الجاذبیة علی نصفیه و عندئذ سیری الناس القمر منشقا) «۲». و هکذا فإن ما توصل إلیه العلماء من دراسات و أبحاث، تدل بمجملها دلالة واضحة علی أن القمر قد انشق أو بالتأکید سینشق، و فی هذا تأکید علی عظمة هذا القرآن و علی سبقه فی إثبات الحقائق العلمیة و الکونیة. و أما بالنسبة للشق الثانی من هذا المبحث، و هو قوله سبحانه و تعالی: وَ الْقَمَرِ إِذَا

(________________________________ ۱) أخذ هذا الکلام من موقع: /mth

(۲ ptth //: www. nayabla. oc. ea /nayabla /۳۰ /۱۱ /۲۲۰ /wnm .ll) المعارف الکونیة، مجموعة من العلماء، ص ۱۸۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۹۶ اتَّسَقَ (۱۸) لَتَرْکَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ (۱۹)، فإن الواقع فسّر هذه الآیة الکریمة و رکب الإنسان حقا طبقا عن طبق عند ما نزل علی سطح القمر، و اخترق طبقات السماء المتعددة. (ففی ۲۰ تموز سنة ۱۹۶۹ نزل الرائدان الأمریکیان «نیل أرمسترنغ» و «أدوین ألدرین» علی سطح القمر، کأول إنسانین یطئان جرما خارجا عن الأرض، و تلت هذه الرحلة التاریخیة الناجحة ست رحلات من طراز «أوبللو» أنزلت روادا علی سطح القمر ... و کان تاریخ نزول «أرمسترنغ» و «ألدرین» فی ۲۰ تموز ۱۹۶۹، و قد بقی الرائدان علی سطح القمر مدة ۲۲ ساعة و ۴۰ دقیقة وضعا خلالها أجهزة علمیة متنوعة، کمقیاس الزلازل لقیاس الهزات القمریة، و قیاس البراکین و غیرها إضافة إلی بعض الرموز التذکاریة کعلم أمریکا و غیره ... و قد بدأت الرحلة فی ۱۶ تموز ۱۹۶۹ و استمرت ۱۹۵ ساعة و ۲۰ دقیقة، و أنهت أعمالها فی ۲۴ تموز) «۱».

الإعجاز:

الإعجاز: مما سبق یتّضح لنا أن المفسرین رحمهم اللّه تعالی، و علماء الفلک کذلک قد اختلفوا فی وقت وقوع حادثة انشقاق القمر، فمنهم من ذهب إلی أن القمر قد انشق زمن النبی صلی اللّه علیه و سلم، و منهم من رأی بأن القمر من دلائل الساعة و أن انشقاقه سیتزامن مع الأحداث التی تواکب قیام الساعة، کما أن علماء الفلک قد اختلفوا بین مؤکد علی أن القمر قد انشق، و بین مؤکد علی أنه سینشق فی المستقبل و تبقی الآیة القرآنیة معجزة فوق هذا و ذاک، و أنها أثبتت أن القمر قد انشق، لتکون سباقة إلی إثبات هذه

الحقيقـة العلميـة التى توصل إليها باحثو اليوم. كما أنّ الناحية العلمية فى قوله تعالى: وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (۱۸) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ (۱۹) قد اتضحت و أصبحت جليّة للعالم كله، فلقد اخترق الإنسان عدة طباق و وصل إلى القمر، و ما كان أحد يتصور يوم نزول القرآن و لا يصدق بأن الإنسان سيصـعد إلى السماء، و لا حتى قبل مائتى سنة، إلا أن القرآن قد أشار إلى إمكانية غزو الفضاء إن ترقّى الإنسان فى مـدارج العلم، و ملـك زمام العلم و سـلطانه، قال تعالى: يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطانٍ «۲ (________________________________». ۱)

المنظومة الشمسية، عبد الأمير المرتضى المؤمن، ص: ۱۷۳. (۲) سورة الرحمن، الآية: ۳۳. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۹۷ صورة توضح رائد فضاء يسير على سطح القمر الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۹۸

المبحث الثالث منازل القمر

اشارة

المبحث الثالث منازل القمر قال تعالى: هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِـياءً وَ الْقَمَرَ نُوراً وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَـدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ «۱». و قـال تعالى: وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتَّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَـدِيم «۲». يشـير قوله تعـالى: قَـدَّرْناهُ مَنازِلَ إلى تنقلات القمر فى منازله التى ينزلها فى كل يوم من الشهر، و فى الآية إشارة إعجازية رائعة و هى أن القمر خلال تنقله فى منازله، إنما هو فى واقع الحال يدور حول الكرة الأرضيـة، و من من الناس قبل التقنيـة الحديثة كان يعلم أن القمر يدور حول الأرض، كما أن فى الآية تقرير واضح إلى أن هذه المنازل إنما جعلها الحق عز و جلّ لتقويم حساب الأيام و السـنين. يقول الحافظ ابن كثير: (و قدر القمر منازل، فأول ما يبدو صـغيرا ثم يتزايد نوره و جرمه حتى يسـتوسق و يكمل إبداره، ثم يشرع فى النقص حتى يرجع إلى حالته الأولى فى تمام شهر ... و قوله سبحانه و تعـالى: وَ قَـدَّرَهُ مَنـازِلَ لِتَعْلَمُوا عَـدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسـابَ فبالشـمس تعرف الأيام، و بسير القمر تعرف الشـهور و الأعوام) «۳». و يصف القرطبى رحمه اللّه منازل القمر هـذه فيقول: (قَـدَّرْناهُ مَنازِلَ ففى هـذا جوابان، أحدهما قدرناه ذا منازل، و التقدير الآخر قدّرنا له منازل ... و المنازل «ثمانيـة و عشـرون منزلا» ينزل القمر كل ليلـة منها بمنزل، و هى: الشـرطان البطين، الثريا، الدبران، الهقعة، الذراع، النشـرة، الطرف، الجبهـة، الخراتان، الصـرفة، العواء السـماك الفغر، الزبانيان، الإكليل، القلب، الشولـة، النسائم، البلـدة، سـعد الذابح، سـعد بلع، المفرغ المــؤخر، بطــن الحــوت (________________________________. ۱)

سورة يونس، الآية: ۵. (۲) سورة يس، الآية: ۳۹. (۳) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ۳/ ۱۸۱. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۹۹ فإذا صار القمر فى آخرها عاد إلى أولها، فيقطع الفلك فى ثمان و عشـرين ليلـة، ثم يسـتتر ثم يطلع هلالا، فيعود فى قطع الفلك على المنازل، و هى منقسمة على البروج لكل برج منزلان و ثلث فللحمل الشرطان و البطين و ثلث الثريا، و للثور ثلثا الثريا و الـدبران و ثلثا الهقعة، ثم كذلك إلى سائرها «۱». و أما العرجون: حَتَّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَـدِيم فهو (عود العذق الذى عليه الشـماريخ، و هو فعلون من الانفراج و هو الانعطـاف، أى سـار فى منـازله، فـإذا كـان فى آخرهـا دقّ و اسـتقوس و ضـاق حـتى صـار كـالعرجون القـديم، و «العرجون» الـذى يبقى من الكباسـة فى النخلـة إذا قطعت و «القـديم» البـالى) «۲». و فى تفسـير «الكشـاف»: عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ و هو عود العذق ما بين شـماريخه إلى منبته من النخلة ... و القديم المحلول، إذ قدم و دق و انحنى و اصـفرّ فشبه به من ثلاث أوجه) «۳». بعد هذا التطواف الموجز عن منازل القمر فى كتب المفسرين، نأتى إلى حديث علماء الفلك عن منازل القمر و تحركاته، و لا شك أن علماء الفلك قد أسـهبوا فى الحديث عن منازل القمر، و عن أوجهه إلا أننا سنقتصر على دراسة واحدة لمنازل القمر.

الحقائق العلمية:

الحقائق العلمية: ففی کتاب «القمر»: (يتخذ القمر خلال دورته الشهرية، أی الانتقالية حول الأرض مواقع محددة بالنسبة لها و للشمس، و له فی کل من تلک المواقع مظهر خاص راجع إلی مقدار المساحة التی يغمرها النور من وجهه، و الشکل الذی يتخذه ذلک الجزء المغمور بالنور، و تدعی تلک المظاهر باسم «منازل القمر» أو «وجوهه» علما بأن شروق القمر، يتأخر کل يوم عن اليوم السابق بمقدار ۵۰ دقيقة وسطيا و أول تلک الوجوه: اولاـ الهلال هو أول منزل من منازل القمر، إذ يکون القمر يومها قد ابتعد قليلاـ عن نقطة (____۱) الجامع لأحکام القرآن، القرطبی، ۸/ ۲۱. (۲) المصدر نفسه، ۸/ ۲۲. (۳) الکشاف، للزمخشری، ۳/ ۳۲۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحديث، ص: ۳۰۰ الصعود، و هو فی طريقه إلی سماء نصف الکرة الشمالی، فيری يومها فی الأفق الغربی، بعد غروب الشمس بقليل و قرب المکان الذی تغرب فيه الشمس، و قد أنارت الشمس أقصی الطرف الأيسر من السطح المعتم المتجه نحونا، و لا يتمکن من رؤية ذلک الهلال النحيل إلا أصحاب البصر الحاد، و خلال فترة قصيرة، إذ لا يلبث أن يغيب بعدها تحت الأفق، و يزداد عرض ذلک الهلال يوما بعد يوم حتی إذا ما انقضت مدة ۶ أيام و ۱۶ ساعة و ۱۱ دقيقة علی بداية الشهر القمری، فإن القمر يدخل منزلا جديدا، إذ يتخذ شکلا مغايرا للشکل السابق حيث يقال إنه فی التربيع الأول. التربيع الثانی: فی اليوم السابع من الشهر القمری، يلاحظ القمر بعد غروب الشمس بقليل، فی وسط السماء و قد غمر النور نصفه الأيسر، و عندها يقال: إنه فی التربيع الأول، إذ يکون قد أمضی ربع دورته الانتقالية الشهرية حول الأرض، و ذاک هو المنزل الثانی من منازل القمر. الأحدب الأول: و فی اليوم الثامن من الشهر القمری و ما بعده، يزداد القسم المنار من سطح القمر، کما يری بعد غروب الشمس و هو أقرب إلی الأفق الشرقی، حيث يصبح القسم الأکبر منه منارا، و ذلک بعد مضی ۱۱ يوما علی بدء الشهر القمری، و يکون صورة القمر فی شکل هلال تحدبه نحو يمينه، أی باتجاه الشرق و يدعی القمر عندها الأحدب الأول، و هو ثالث منزل من منازل القمر، أی وجوهه. البدر: و فی ليلة النصف من الشهر القمری يکون القمر قد بلغ نقطة النزول، و قد غمر النور کامل وجهه، و يتفق إشراقه من الأفق الشرقی مع غياب الشمس فی الأفق الغربی، الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحديث، ص: ۳۰۱ و يقال يومها: إن القمر فی حالة تقابل مع الشمس، إذ يکون هو و الشمس و بينهما الأرض علی استقامة واحدة، و يدعی القمر عندها بدرا، و ذاک هو رابع منزل من المنازل التی يبلغها القمر بعد مضی ۱۴ يوما علی بداية الشهر القمری. الأحدب الثانی: و يأخذ القمر يوما بعد يوم بالتأخّر فی الشروق بمقدار ۵۰ دقيقة وسطيا، کما يأخذ النور بالانحسار عن الجزء الأيسر منه، حتی إذا ما انقضت أربعة أيام علی الحالة التی کان القمر فيها بدرا، رسم الخط الفاصل بين القسم المنار منه و القسم المظلم، خطا منحنيا تحدبه نحو الطرف الأيسر منه و يدعی القمر عندها الأحدب الثانی، و هو المنزل الخامس من منازل القمر، کما يلاحظ أنه بدءا من اليوم السادس عشر من الشهر القمری، يأخذ القمر بالاقتراب من الأفق الجنوبی، يوما بعد يوم إذ يکون قد انتقل إلی سماء نصف الکرة الجنوبی. التربيع الثانی: و عند ما يمضی من الشهر القمری ۲۲ يوما، نجد أن النور لم يعد يغطی إلاـ النصف الأيمن فقط من سطح القمر، و ذلک هو المنزل السادس من منازل القمر الذی يدعی التربيع الثانی، و يلاحظ أن شروقه يومها يتأخر حوالی ۵ ساعات تقريبا بعد غروب الشمس، کما يری نهارا و هو يتحرک شيئا فشيئا باتجاه الأفق الغربی، حيث يقترب منه ظهيرة ذلک اليوم. الهلال الثانی: و فی الأيام الثلاثة التی تلی التربيع الثانی، يلاحظ أن النور لم يعد يغطی إلا قسما صغيرا من طرفه الأيمن، متخذا شکل هلال يری فی النهار، و يکون تحدبه مساء عند اقترابه من الأفق الغربی نحو يمين القمر، و ذاک هو المنزل السابع من منازل القمر. المحاق: و فی آخر يوم من الشهر القمری، يکون القمر قد بلغ نقطة الصعود، و أصبح بين الأرض و الشمس علی استقامة واحدة، و قد غمر الظلام کامل وجهه المتجه نحونا، و يکون قد غاب تحت الأفق مع مغيب الشمس، فلا يری، و يقال لحالته تلک: «حالة الاقتران» أما منزله و هو المنزل الثامن فيدعی المحاق، إذ يقال للقمر يومها: إنه محاق، لأنه محق لا تمکن رؤيته. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحديث، ص: ۳۰۲ القمر الرمادی: فی بداية الشهر القمری، حين يکون الهلال نحيلا، نجده و قد احتضن القسم المظلم الباقی من القمر و الذی يبدو لأعيننا علی شکل دائرة سوداء، و لو نظرنا لتلک الدائرة بالمرقب، لرأينا غشاء

خفیفا من نور رمادی اللون یغطیها، و ما مصدر ذلک النور إلا الأرض التی تعکس نورها نحوه، مما یجعل ذلک القسم المظلم من القمر یری بالعین المجردة. بدایة الشهر القمری و أول وجوه منازل القمر: یبدأ الیوم عند المسلمین من بعد غروب شمس الیوم السابق، بینما یبدأ الیوم عند بقیة الشعوب فی منتصف اللیلة التی تلی نهار الیوم السابق، و هذا مما جعل أول وجه من وجوه القمر لدی المسلمین الهلال، بینما تعتبر بقیة شعوب العالم وجه القمر المسمی محاقا، أول وجوهه أی منازله) «۱». و نحن المسلمین نستخدم فی دولنا الإسلامیة التقویم الهجری، و السنة القمریة التی ترتکز أساسا علی رصد الأهلة الاثنی عشر شهرا، أی ۳۵۴ یوما، بینما السنة المیلادیة أو الشمسیة ترتکز علی زمن دورة الأرض حول الشمس و التی تقدر ۳۶۵، یوما أرضیا و ربع، و هنا إعجاز قرآنی عجیب، إذ أن کل ۳۰۰ سنة میلادیة یعادلها ۳۰۹ سنة قمریة، و هذا تحقیق للمعجزة القرآنیة فی قوله تعالی: وَ لَبِثُوا فِی کَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِینَ وَ ازْدَادُوا تِسْعاً «۲». (و لبثوا فی کهفهم، و لبث الفتیة فی کهفهم أحیاء نائمین، فمنذ أن أنامهم اللّه إلی أن أیقظهم ثلاثمائة سنة و تسعا، و ذکر بعض المفسرین أن المدة ثلاثمائة سنة شمسیة، و ثلاثمائة و تسع قمریة) «۳». (تبلغ السنة الشمسیة، و هی التی تسمی الانقلابیة، لأنها عبارة عن مدة تنقضی بین مرورین متتالیین للشمس بنقطة اعتدال واحد ۲۱۷، ۲۴۲، ۳۶۵ یوما شمسیا، ینتج بمرورها الصیف و الخریف و الشتاء و الربیع، و السنة القمریة تتکون من

(_______________ ۱) انظر: القمر، إبراهیم حلمی غوری، ص ۱۴۸. (۲) سورة الکهف، الآیة: ۲۵. (۳) غایة البیان فی تفسیر القرآن، حسن علوان و آخرون، الدوحة، مطابع قطر الوطنیة، د. ت، ۳/ ۹۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۰۳ ۰۶۷، ۳۶۷، ۳۴۵ یوما، و هی المدة بین کسوفین متوالیین مقسومة علی عدد حرکات القمر الدائریة، فالفرق بین السنة الشمسیة و السنة القمریة أی الهجریة ۱۰، ۱۴۹، ۸۷۵ یوما، و بذلک یکون فی کل ۳۳ سنة فرق قدره ۹۱۷، ۸۷۹، ۳۵۸ یوما، أی ما یقرب من السنة، و علیه تزید کل مائة سنة ثلاث سنوات، و تکون ۳۰۰ سنة شمسیة یقابلها ۳۰۹ سنة قمریة و لقد تم أیضا حساب الشهر القمری حدیثا فوجد أنه ۵۳۰۵۹، ۲۹ و تکون السنة القمریة مساویة ۵۳۰۵۹، ۲۹ ۳۴۵، ۳۶ ۱۲ X یوما. و بهذا فإن ۳۰۰ سنة شمسیة تقابل ۳۰۹ سنة قمریة (هجریة) و هذه العلاقة الریاضیة واضحة فی الآیة السابقة التی تبین أیضا نسبیة الزمن، سواء قسمناه بالتقویم الشمسی أو القمری) «۱». و من المعلوم أن العرب یستعملون السنة القمریة لحساب شهورهم و سنواتهم، و لکن أصحاب الکهف و أهل زمانهم کانوا یستخدمون السنة الشمسیة، فلقد لبث أهل الکهف ۳۰۰ سنة شمسیة لأنهم یستخدمون التقویم الشمسی فی زمانهم، وَ ازْدَادُوا تِسْعاً حسب استعمال العرب و المسلمون للسنة القمریة.

الإعجاز:

الإعجاز: یتجلّی الإعجاز القرآنی فی القمر هاهنا، أن اللّه عز و جل قد جعل للقمر منازل ینزلها فی کل شهر، و هذا دلیل قطعی علی دورانه حول الأرض، و هذا ما اکتشفه العلم و أثبته، و التعبیر القرآنی المعجز دقیق: مَنازِلَ إذ فیه دلالة قطعیة علی دوران القمر حول الکرة الأرضیة، تلک الحقیقة التی لم یکن أحد یعرفها إبان نزول القرآن و بعده بقرون. کما أن الإعجاز القرآنی الحسابی الدقیق یتضح فی السنة الشمسیة و القمریة، فکل ۳۰۰ سنة شمسیة تساوی ۳۰۹ سنة قمریة، فسبحان اللّه العظیم.

(_______________ ۱) من دلائل الإعجاز العلمی فی القرآن الکریم و السنة النبویة، موسی الخطیب، ص: ۲۷۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۰۴

المبحث الرابع و جمع الشمس و القمر

اشارة

المبحث الرابع و جمع الشمس و القمر قال تعالى: وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ «۱». تتحدث هذه الآية الكريمة عن حدث من الأحداث التى ستتزامن مع قيام الساعة، و تتساور مع خراب الكون و دماره، فالشمس و القمر- كما تنص الآية القرآنية- سوف يجتمعان، و هذه الصورة القرآنية أسهب علماء الفلك بالحديث عنها، من أن الشمس سيكبر حجمها و تجتمع مع القمر، و لا شك أنهم لا يعرفون الآية القرآنية و لم يقرءوها، بحكم توغّلهم فى العلوم المادية التطبيقية و بعدهم عن القرآن، كما أنهم تحدثوا عن دوران القمر حول الأرض، و أنه خلال دورانه يبتعد شيئا فشيئا عن الأرض، و لو بنسبة قليلة إلا أن هذا الابتعاد سيوقعه فى جاذبية الشمس و يجتمع معها يوما ما، و قبل أن نصغى لهذه النتائج العلمية الفلكية، نسوق بعض أقوال المفسرين فى الآية الكريمة. يقول الإمام الرازى: (قوله: وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ فيه مسائل: المسألة الأولى، ذكروا فى كيفية الجمع وجوها أحدها: أنه تعالى قال: لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ «۲» فإذا جاء وقت القيامة أدرك كل واحد منهما صاحبه و اجتمعا، و ثانيها: جمعا فى ذهاب الضوء، فهو كما يقال مثلا: الشافعى يجمع ما بين كذا و كذا فى حكم كذا، و ثالثها: يجمعان أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران فى النار، و قيل: يجمعان ثم يقذفان فى البحر، فهناك نار اللّه الكبرى) «۳».

(۱) سورة القيامة، الآية: ۹. (۲) سورة يس، الآية: ۴۰. (۳) التفسير الكبير، للفخر الرازى، ۳۰/ ۷۲۵، و انظر: تفسير ابن عباس، إعداد، عبد العزيز بن عبد اللّه الحميدى، مكة المكرمة، مركز البحث العلمى، د. ت، ص ۹۴۹. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۰۵ و فى تفسير «غاية البيان»: (و جمع الشمس و القمر، يخسف القمر و يذهب ضوؤه، و يصطدم بالشمس لضعف ما كان بينهما من تماسك، فتكون نهاية العالم) «۱». و فى تفسير «بحر العلوم»: (و يقال: جمع الشمس و القمر، يعنى، سوى بينهما فى ذهاب نورهما، و إنما قال: و جمع الشمس و القمر، و لم يقل و جمعت، لأن المؤنث و المذكر إذا اجتمعا، فالغلبة للمذكر) «۲». و قال الإمام القرطبى: (أى جمع بينهما فى ذهاب ضوئهما، فلا ضوء للشمس كما لا ضوء للقمر بعد خسوفه ... و قال ابن عباس و ابن مسعود: جمع بينهما، أى قرن بينهما فى طلوعهما من المغرب أسودين مكوّرين مظلمين مقرنين كأنهما ثوران عقيران، و قال عطاء: يجمع بينهما يوم القيامة ثم يقذفان فى البحر، فيكونان نار اللّه الكبرى، و قال على و ابن عباس: يجعلان فى نور الحجب، و قد يجمعان فى نار جهنم، لأنهما قد عبدا من دون اللّه و لا- تكون النار عذابا لهما لأنهما جماد، و إنما يفعل ذلك بهما زيادة فى تبكيت الكافرين و حسرتهم، و قيل: يجمع الشمس و القمر فلا- يكون ثمّ تعاقب ليل و لا نهار) «۳». هذا هو النبأ القرآنى حول مصير القمر الذى سيجتمع مع الشمس، و هذه هى معطيات النصوص القرآنية الكونية، و لقد توصل علماء الفلك إلى هذه الحقيقة بعد بحث و دراسة مضنيين.

الحقائق العلمية:

الحقائق العلمية: ففى كتاب «النهاية» و الذى يتحدث عن نهاية الكون و الأفلاك، يشير إلى أن كوكب الشمس سيصبح عملاقا أحمر و يلتقم بعض كواكبه بما فيهم القمر: (... و ستبدو الأرض لمن ينظر إليها من خارجها محجوبة بغطاء مثلما يبدو لنا الزهرة الآن، و يسود منظر السحاب حمرة شديدة حتى تؤدى الحرارة إلى غليان المحيطات تماما، و تتبخر السحب و الجو إلى الفضاء، و يصبح الكوكب العارى بلا- وسيلة دفاع فى وجه العملاق الأحمر الذى يملأ كل سماء وقت النهار، و لا يوجد أى أمل بالنسبة لعطارد و الزهرة

(۱) غاية البيان، حسن علون و آخرون، ۶/ ۱۱۴، و انظر: التفسير المنير، وهبة الزحيلى، بيروت، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى ۱۴۱۱ ه/ ۱۹۹۱، ۲۹/ ۲۵۴. (۲) بحر العلوم، للسمرقندى، ۳/ ۵۲۰. (۳) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبى، ۱۹/ ۹۵. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۰۶ فهذان الكوكبان سيتم التهامهما داخل الشمس المتضخمة، و إذا ظلت الأرض تقبع فى الخارج، فإنها ستصبح ملفوحة و قفراء، بلا- حياة) «۱». (و هذا الأمر حاصل، عند ما تتضخم الشمس لتبتلع الكواكب الثلاثة الأولى، عطارد و الزهرة و الأرض و معها

القمر، فهاهنا یجتمع الشمس و القمر، حین تصیر الشمس عملاقا أحمر قبل تكویرها إلی قزم أبیض، و هذا ما سیحصل لمستقبل النظام الشمسی) «۲». و نجد نفس الحقیقة فی «المعارف الكونیة»: (فالشمس سوف تنتفخ عند شیخوختها لتصبح عملاقا أحمر، أكبر ملایین المرات من الحجم الذی هی علیه الآن، و بذلك سوف یتحول لونها من الأصفر إلی الأحمر، أی تقل درجة حرارتها السطحیة ۶۰۰۰ إلی ۳۰۰۰ لاتساع مساحة سطحها المنتفخ لتبلع عندئذ الكوكبین القریبین عطارد و الزهرة و تلتهمهما التهاما، و یتحولان بذلك إلی دخان فی باطن العملاق، و تستمر الشمس العملاقة الحمراء فی الانتفاخ فتبتلع قمر الأرض، ثم یصل سطحها بلونه الوردی إلی السحاب فوق رءوسنا، فیخطف أبصارنا لشدة الالتماع و البرق، و عندئذ تشتعل البحار و المحیطات علی سطح الكرة الأرضیة، لتحلّل مائها فی هذه الحرارة المرتفعة إلی أیدروجین یشتعل و أكسجین یساعد علی الاشتعال) «۳». و فی لقاء مع الدكتور زغلول النجار، سألته عن هذه القضیة فأجابنی نفس الحقائق العلمیة التی أثبتناها هنا، إلا أنه زاد و أشار إلی لطیفة هامة حول جمع الشمس و القمر فقال: إن القمر خلال دورانه حول الأرض یبتعد عن مساره كل فترة زمنیة شیئا من الثانیة، و بمرور السنوات و الأحقاب سوف ینفلت من جاذبیة الأرض لیقع فی جاذبیة الشمس و عندها یجمع مع الشمس، و هذا مصداق لقوله تعالی: وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ.

الإعجاز:

الإعجاز: سبحان اللّه العظیم هذا الذی توصل إلیه العلماء من حقائق كونیة، و أثبتوا أن القمر سیجمع مع الشمس، إلا أن كتاب اللّه قد سبقهم إلی تقریر هذه الحقیقة العلمیة العظیمة، مما یحتم علی الناس أجمع أن یعلنوا الخضوع و الولاء لهذا الكتاب العظیم. (______________________________ ۱) عالم المعرفة، النهایة، فرانك كلوز، ص ۲۹۲. (۲) خلق الكون، محمد باسل الطائی، ص ۴۲. (۳) المعارف الكونیة، مجموعة من العلماء، ص ۵۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۰۷

الفصل الثامن الإعجاز القرآنی فی الریاح

اشارة

الفصل الثامن الإعجاز القرآنی فی الریاح تمهید. المبحث الأول: أنواع الریاح بین القرآن و العلم. المبحث الثانی: تكوین السحب و أنواعها بین القرآن و العلم. المبحث الثالث: البرق و البرد بین القرآن و العلم. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۰۹

تمهید

تمهید الریاح هو هواء متحرك، و فیه الحیاة فوق هذه البسیطة، و لم یستأثره أحد دون الآخر، و ما ملّكها اللّه سبحانه و تعالی و وكل بها أحدا من الناس، بل زمام أمورها و تصاریف حركاتها و شئونها بید الخالق الرحیم جل جلاله. قال تعالی: وَ تَصْرِیفِ الرِّیاحِ وَ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَیْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ «۱». و قال سبحانه: وَ اخْتِلافِ اللَّیْلِ وَ النَّهارِ وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْیا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ تَصْرِیفِ الرِّیاحِ آیاتٌ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ «۲». و للریاح وظائف كثیرة، سخرها الحق سبحانه و تعالی خدمة لمخلوقاته، فالریاح تنقل الطاقة من المناطق المداریة إلی المناطق القطبیة الشحیحة بالطاقة، كما أن لها دورا فعالا فی تكاثف بخار الماء و تكوین السحب و الغیوم ... كما أنها تنقل بعض عناصر الجو من أمكنتها إلی مناطق أخری، و تنقل الأوبئة و التلوث الجوی من مكانها إلی مكان آخر، و تنقل الضباب المتنقل و الصقیع، و غیر ذلك من الظواهر الطبیعیة التی یعرفها دارسو المناخ و الغلاف

الجوى. و سيعرض موجز لأهم أنواع الرياح و أشكالها، و ذلك من منظور القرآن و العلم، ثم يوقف بعد ذلك على وجوه الرحمة و العظمة فى هذا المخلوق العجيب، لأن الرياح إما أن تكون رياح خير و بشرى، أو ريح دمار و عذاب، كما سيركز على السحب و أنواعها و طرق تشكلها، و يشار إلى وصف القرآن لهذا التشكل، ثم يثبت ما وصل إليه العلماء

(____ ۱) سورة البقرة، الآية: ۱۶۴. (۲) سورة الجاثية، الآية: ۵. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۱۰ بأحدث الأجهزة التقنية إلى ذلك، كما سيعرج للحديث عن البرق و الرعد بين العلم و القرآن، و أهم ما توصل إليه علماء المناخ بشأن البرد و ارتباطه بالشحنات الكهربائية، و دلالة ذلك من كتاب اللّه تعالى، ليتضح أن كثيرا من حقائق العلم التى أصبحت اليوم قطعية ثابتة، قد أشار بل صرح بها كتاب اللّه تعالى إبان نزوله على قلب الحبيب صلى اللّه عليه و سلم، و الله سبحانه الموفق. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۱۱

المبحث الأول أنواع الرياح بين القرآن و العلم

اشارة

المبحث الأول أنواع الرياح بين القرآن و العلم بادئ ذى بدء يشار إلى أن الرياح وردت فى كتاب اللّه تعالى بمعنى الخير و البشرى، و ذلك عند ما تجمع (رياح) و إذا أفردت (ريح) فإنها تدل على الخراب و الدمار و الهلاك، و قد عرفها صاحب «مفردات ألفاظ القرآن» فقال: (الريح معروف، فهو فيما قيل: الهواء المحرك، و عامة المواضيع التى ذكر اللّه تعالى فيها إرسال الريح بلفظ الواحد فعبارة عن العذاب، و كل موضع ذكر فيه بلفظ الجمع فهو عبارة عن الرحمة، أمثلة لذلك: فمن الريح قوله تعالى فى شأن عاد: إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ «۱». و فى الحديث عن غزوة الأحزاب قال تعالى: فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها «۲». و شبه الحق أعمال الكفرة بالرماد التى تشتد به الريح فقال: مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمالُهُمْ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عاصِفٍ «۳». و كذلك قوله تعالى: كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ أَصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ «۴». و أورد أمثلة بصيغة الجمع «الرياح» التى يدل على رحمته، من ذلك قوله تعالى: وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ «۵». و قوله سبحانه: وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ وَ لِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ «۶».

(____ ۱) سورة القمر، الآية: ۱۹. (۲) سورة الأحزاب، الآية: ۹. (۳) سورة إبراهيم، الآية: ۱۸. (۴) سورة آل عمران، الآية: ۱۱۷. (۵) سورة الحجر، الآية: ۲۲. (۶) سورة الروم، الآية: ۴۶. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۱۲ و قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ «۱». و قوله تعالى: اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً «۲». فالأظهر فيه الرحمة، و قرئ بلفظ الجمع) «۳». و يعلّل القرطبى و يعلق على هذه القضية بكلام نفيس رائع فيقول: (فمن وحّد مع الريح فلأنه اسم للجنس و يدل على القليل و الكثير، و من جمع فلاختلاف الجهات التى تهب منها الرياح، و من جمع مع الرحمة و وحد مع العذاب فإنه فعل ذلك اعتبارا بالأغلب فى القرآن نحو: الرياح مبشرات، و الريح العقيم، فجاءت فى القرآن مجموعة مع الرحمة، مفردة مع العذاب إلا فى يونس وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ «۴». و روى أن الرسول صلى اللّه عليه و سلم كان يقول إذا هبت الريح: «اللهم اجعلها رياحا و لا تجعلها ريحا» «۵» و ذلك لأن ريح العذاب شديدة ملتئمة الأجزاء كأنها جسم واحد، و ريح الرحمة لينة متقطعة فلذلك هى رياح، فأفردت مع الفلك فى يونس، لأن ريح إجراء السفن إنما هى ريح واحدة متصلة ثم وصفت بالطيب بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ فزال الاشتراك بينها و بين ريح العذاب) «۶». و إنها دقة عالية فى التعليل لدى القرطبى رحمه اللّه، فالريح هى التى تحمل الدمار و الخراب و الشر و لشدة قوتها و اتصال أجزائها لا يشعر بها الناس، حتى إذا ما

وصلت إليهم و نسفت قواعدهم و دمرت منازلهم، تراهم قد أصيبوا بالهلع و الذعر و ربما الزوال، أما الرياح فهى النسيم العليل الحافل بالخير و البركة و الهدوء و المطر و الراحة النفسية و الطمأنينة القلبية، فتبارك اللّه الذى جعل للهواء جناحين جناح رحمة و الآخر عذاب (________________________________. ۱) سورة الأعراف، ۵۷. (۲) سورة الروم، الآية: ۴۸. (۳) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهانى، ص: ۳۷۰. (۴) سورة يونس، الآية: ۲۲. (۵) مسند الشافعى، ۱/ ۱۸، و أبو يعلى، رقم: (۲۴۵۶)، ۴/ ۲۴۳، و المعجم الكبير، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبرانى، تحقيق، حمدى السلفى، الموصل، مكتبة العلوم و الحكم، الطبعة الثانية، ۱۴۰۴ ه/ ۱۹۸۳، رقم: (۱۱۵۳۱)، ۱۱/ ۲۱۳. (۶) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبى، ۱/ ۱۹۸. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۱۳ بعد هذا الإيضاح و التعريفين الهامين، نأتى للحديث عن أنواع الرياح بين العلم و القرآن، و سنتعرض الآن للقسم الأول من الرياح التى بسط الحديث عنها ربنا فى كتابه العزيز، و هى المختصة بالرحمة و الخير، الرياح. أولا: اللواقح: قال تعالى: وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ وَ ما أَنْتُمْ لَهُ بِخازِنِينَ «۱». تعلق هذه الآية الكريمة إنزال الماء من السماء بتلقيح الرياح للسحب، و تزويد السحب بقطرات الماء، و هذه حقيقة مشاهدة أثبتها علماء المناخ و أفاضوا الحديث عنها، و لكن لنجول فى تفاسير العلماء و المعاجم حتى نرى كيف فهموا هذه الآية. يقول القرطبى: (معنى لواقح، حوامل لأنها تحمل الماء و التراب و السحاب و الخير و النفع ... و جعل الريح لاقحا لأنها تحمل السحاب، أى تقله و تصرفه ثم تمر به فتستدرّه أى تنزله) «۲». و قال الزمخشرى عن اللواقح: (فيه قولان: أحدهما أن الريح لاقح، إذا جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر كما قيل للتى لا تأتى بخير ريح عقيم، و الثانى: أن اللواقح بمعنى الملاقح) «۳». و قال الطبرى: (اختلف أهل العربية فى وجه وصف الرياح باللقح، و إنما هى ملقحة لا لاقحة و ذلك أنها تلقح السحاب و الشجر، و إنما توصف باللقح الملقوحة لا الملقح، كما يقال: ناقة لاقح، كان بعض نحويى البصرة يقول: قيل: الرياح لواقح، فجعلها على لاقح، كأن الرياح لقحت، لأن فيها خيرا فقد لقحت بخير، قال: و قال بعضهم: الرياح تلقح السحاب، فهذا يدلّ على ذلك المعنى لأنها إذا أنشأته و فيها خير وصل ذلك إليه، و كان بعض نحويى الكوفة يقول: فى ذلك معنيان أحدهما أن يجعل الريح هى التى تلقح بمرورها على التراب و الماء فيكون فيها اللقاح، فيقال: ريح لاقح، كما يقال: ناقة لاقح ... و الصواب من القول فى ذلك عندى: أن الرياح لواقح (________________________________۱) سورة الحجر، الآية: ۲۲. (۲) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبى، ۵/ ۱۵، و انظر: تفسير البشائر، على الشربجى، دمشق، دار البشائر، الطبعة الأولى، ۱۴۱۸ ه ۲/ ۲۲۴. (۳) الكشاف، للزمخشرى، ۲/ ۳۸۹. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۱۴ كما وصفها به جلّ ثناؤه من صفتها، و إن كانت قد تلقح السحاب و الأشجار، فهى لاقحة ملقحة، و لقحها: حملها الماء، و إلقاحها السحاب و الشجر عملها فيه، و ذلك كما قال عبد اللّه بن مسعود) «۱». و ذهب طائفة من المفسرين إلى أن المقصود باللواقح هو تلقيح الرياح للشجر، و منهم من قرن تلقيح الشجر و تلقيح الرياح للسحب، و على رأسهم ابن كثير إذ يقول: (أى تلقح السحاب فتدر ماء و تلقح الشجر فتفتح عن أوراقها و أكمامها، و ذكرها بصيغة الجمع ليكون منها الإنتاج بخلاف الريح العقيم فإنه أفردها و وصفها بالعقيم و هو عدم الإنتاج) «۲». و معنى لواقح فى اللغة: (اللقح اسم ما أخذ من الفحال ليدس فى الآخر، و جاءنا زمن اللقاح أى التلقيح، و قد لقحت النخيل، و يقال للنخلة الواحدة: لقحت بالتخفيف و استلقحت النخلة، أى آن لها أن تلقح، و ألقحت الريح السحابة و الشجرة و نحو ذلك فى كل شىء يحمل، و اللواقح من الرياح التى تحمل الندى ثم تمجه فى السحاب فإذا اجتمع فى السحاب صار مطرا، و قيل: إنما هى ملاقح، فأما قولهم: لواقح فعلى حذف الزائد، قال اللّه سبحانه: وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ) «۳». يمكن لنا أن نستخلص من معطيات الآية القرآنية ما يلى: أولا: أن اللّه سبحانه و تعالى أرسل الرياح و سخرها لمنافع العباد، و صورة المنفعة فى هذه الآية أنها تعمل على التلقيح «لواقح». ثانيا: و التلقيح يكون للأشجار و السحب معا، إلا أن الآية هنا تتحدث عن تلقيح الرياح للسحب فقط. و لقد حمل هذه الآية عدد من المفسرين القدامى و المعاصرين، و صرفوا وجه الإعجاز فيها على أن المقصود باللواقح تلقيح الزرع و الشجر، و الذى يتمعن فى قوله

تعالى: وَ أَرْسَلْنَا الرِّیاحَ لَواقِحَ یجد أنها تستوعب كلا المعنیین، لكن ما ینبغی أن نغفل الجزء الثانی من الآیة، و هو قوله تعالى: فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَیْناكُمُوهُ فلو أن ما____

(۱) جامع البیان، للطبری، ۱۴/ ۱۴. (۲) تفسیر القرآن العظیم لابن كثیر ۳/ ۳۹۶. (۳) لسان العرب، لابن منظور، ۲/ ۵۹۷، و انظر: القاموس المحیط، للفیروزآبادی، ۱/ ۳۰۶. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۱۵ ذهبوا إلیه من أن الریاح تلقح الأشجار فقط، لاستلزم المعنى و اقتضى السیاق القرآنی أن ینبنی علیه إخراج الزرع و الثمار بدل إنزال الماء، أما و أن القرآن قد رتب و أعقب إرسال الریاح اللواقح إنزال الماء من السماء لیسقیه الناس، فقد تحتّم أن یكون المقصود باللواقح تلقیح الریاح للسحب لإنزال المطر، و یتضح الربط هذا من الفاء، التی ربطت بین السبب و المسبب، و أقامت العلاقة المتینة بین العلة و المعلول لیكون المعنى فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً و هذا هو وجه الإعجاز القرآنی فی هذا الصدد و هذا ما أثبته علماء المناخ.

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: جاء فی موسوعة «المعارف الكونیة»: (لقد اكتشف العلماء حدیثا أن الریاح علاوة على حملها لبخار الماء، فإنها تحمل معها أنویة التكثف على اختلاف أنواعها، من جسیمات صغیرة تنتشر فی الهواء بكمیات و فیرة أشبه ما تكون بالذرات، أو حطام المواد الذی نراه یسبح فی حزمة من أشعة الشمس، قوامه جسیمات من التربة و أتربة المصانع و دخان الأفران ... و بطبیعة الحال یزداد تلوث الهواء بمثل هذه الجسیمات داخل المدن و یقل فی الأریاف، و هذه الجسیمات تعمل على تماسك أو تجمع جزیئات الماء العالقة فی الهواء مع بعضها البعض لتكون نقط الماء أو بلورات الثلج، و لهذا تدعى نوى التكاثف (ielcun noitasnednoC) و بهذا فإن قوله تعالى: وَ أَرْسَلْنَا الرِّیاحَ لَواقِحَ یشیر إلى فضل اللّه تعالى على عباده بجعل الریاح تقوم بهذه الوظیفة) «۱». و هذه الحقیقة وردت فی كتب علماء المناخ، و من هذه الكتب كتاب «الغلاف و الطقس و المناخ» و مما جاء فیه: (تكوین أو تشكیل السحب یعتمد على حالة عدم استقرار الغلاف الجوی، و الحركة الراسیة كما إنه متحكم بواسطة العملیات على المقیاس الصغیر و هذه سوف یتم شرحها ... نواة التكاثف (ielcun noitasnednoC): إنه من الأهمیة بمكان ملاحظة أن التكاثف یحدث بصعوبة قصوى فی الهواء الصافی، و الخالی نسبیا من الغبار الذری المتساقط، هذا فضلا عن أن الرطوبة یجب أن تجد السطح المناسب الذی یمكن أن تتكاثف علیه، و إذا تدنت درجة حرارة الهواء الصافی إلی أقل من نقطة الندى ((tniop noitasnednoC

(۱) ____ المعارف الكونیة، إعداد نخبة من العلماء، ص: ۳۵۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۱۶ تصبح مشبعة بإفراط، و هذه النوایات یمكن أن تكون ذرات غبار أو دخان أو ملح أو أكسید الكبریتات، فتدخل هذه الذرات الغلاف الجوی عن طریق اندفاع فقّاعات الهواء ذرات الملح، و ذرات التربة الناعمة، و ناتج الاحتراق الكیمیائی، فترتفع بواسطة الریاح و تعتبر كلا منها مصدرا هاما للنویات متساویا فی المعدل، و فی المراحل المبكرة تنمو القطیرات الصغیرة بسرعة كبیرة بالمقارنة بالقطیرات الكبیرة، كما أن بزیادة حجم القطیرات یزداد معدل نموها بواسطة تناقص التكاثف، و یستمر هذا التدرج فی عملیات التكاثف لتشكیل قطرات المطر، و ینمو التساقط فی معظم السحب) «۱». ثانیا: المبشرات: قال تعالى: وَ هُوَ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ بُشْراً بَیْنَ یَدَیْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالًا سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَیِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ كَذلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ «۲». تصف هذه الآیة الكریمة الریاح بأنها بشرى و رحمة، لأنها تحمل السحاب المثقل بالماء، و الذی یساق بتدبیر الحكیم العلیم إلى الأرض المیتة لتحیا بعد ذلك، و تزهو بالخضار و تثقل الأشجار بالثمار و ینعم الإنسان بفضل اللّه و رحمته. قال القرطبی: (حَتَّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً السحاب یذكّر و یؤنّث ... و المعنى حملت الریح سحابا ثقالا بالماء، أی أثقلت بحمله ... فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ أی بالبلد، و قیل: أنزلنا بالسحاب آلة لإنزال الماء) «۳». و ریاح المبشرات هذه، تحمل البشرى بالخیر و البركة للخلائق ساكنی الأرض، و لها وظائف أخرى سخّرها اللّه سبحانه و تعالى لمصلحة

عباده، و من تلک الوظائف ما ذکره____

(۱) الغلاف و الطقس و المناخ، بیری شوری، ترجمة، عبد القادر علی، طبع الهیئة العامة لشئون المطابع الأمیریة، القاهرة، ۱۹۹۳، ص ۱۰۸. (۲) سورة الأعراف، الآیة: ۵۷. (۳) الجامع لأحکام القرآن، للقرطبی، ۴/ ۲۳۰، و انظر: حاشیة الصاوی علی الجلالین، تحقیق، علی الصباغ، بیروت، دار الجیل، د. ت ۲/ ۷۴، و انظر: تنویر الأذهان من تفسیر روح البیان، اختصار محمد علی الصابونی، القاهرة، دار الصابونی، الطبعة الأولی، ۱۹۸۸، ۱/ ۵۴۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۱۷ الحق سبحانه و تعالی: وَ مِنْ آیاتِهِ أَنْ یُرْسِلَ الرِّیاحَ مُبَشِّراتٍ وَ لِیُذِیقَکُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ لِتَجْرِیَ الْفُلْکُ بِأَمْرِهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ «۱». و لسید قطب رحمه اللّه، تعلیق جمیل علی هذه الآیة الکریمة نثبته هنا یقول: (تبشر بالمطر، و هم یعرفون الریح الممطرة بالخبرة و التجربة، فیستبشرون بها وَ لِیُذِیقَکُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ بآثار هذه البشری من الخصب و النماء وَ لِتَجْرِیَ الْفُلْکُ بِأَمْرِهِ سواء بدفع الریاح لها، أو بتکوین الأنهار من الأمطار فتجری السفن فیها، و هی تجری مع هذا بأمر اللّه و وفق سنته التی فطر علیها الکون، و حسب تقدیره سبحانه، فقد أودع کل شیء خاصیته و وظیفته و جعل من شأن هذا أن تحف الفلک علی سطح الماء فتسیر، و أن تدفعها الریاح فتجری مع التیار أو ضد التیار و کل شیء عنده بمقدار) «۲». و هذا ما کشفه علماء الطبیعة فی الآونة الأخیرة (من خاصیة دفع الماء للأجسام إلی أعلی مما یجعلها تطفو جمیعا، أو قد یطفو جزء منها و یغمر باقیها حسب قانون الطفو الفیزیائی «۳» المعروف، و الذی تنسب أبحاثه الأولی إلی عالم الطبیعة المشهور المدعو «أرخمیدس» «۴» و قد سمیت تلک الظاهرة الکونیة ظاهرة دفع الماء الأجسام إلی الأعلی، الواصفة لبعض خصائص الماء باسمه فقیل غفلة و تجاهلا: دافعة «أرخمیدس»، و أجریت لها حسابات و تطبیقات عملیة، و إنما هی فی الواقع سنة من سنن اللّه الباری سبحانه، سخر بها البحار و الأنهار و ما فیها من الماء، للناس لتجری الفلک و المراکب البحریة بأمره جل ثناؤه ... و إنما کان «لأرخمیدس» الفضل حقا فی أنه أول من کشف عن هذا القانون العام، و أماط اللثام عن هذه الحقیقة الکونیة القائمة منذ القدیم) «۵)____». ۱) سورة الروم، الآیة: ۴۶. (۲) فی ظلال القرآن، سید قطب، ۵/ ۲۷۷۴، و انظر: تفسیر الشعراوی، القاهرة، أخبار الیوم، د. ت، ۷/ ۴۱۸۲. (۳) و هو خاص بالأجسام التی یحملها الماء علی متنه. (۴) أرخمیدس، ۲۸۷- ۲۱۲ ق. م، عالم ریاضی یونانی برهن أن کل جسم إذا انغمس فی سائل، یتلقی دفعة عمودیة من أسفل إلی أعلی توازی ثقل ما شغل مکانه من السائل. انظر: صانعو التاریخ، سمیر شیخانی، بیروت، مؤسسة عز الدین، ۱۴۱۶ ه/ ۱۹۹۶، ۱/ ۵۴. (۵) مشهد الریاح و تصریفها، عبد الکریم العثمان، الریاض، الدار العالمیة للکتاب الإسلامی، الطبعة الأولی، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۷، ص: ۴۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۱۸ من هذا العرض السریع و من هذه الزاویة، اتضح معنی الاستبشار بالریاح، و کیف أنها حفلت بالبشری للناس و بالأمطار و الخواص الأخری التی ذکرناها. ثالثا: الذاریات: قال تعالی: وَ الذَّارِیاتِ ذَرْواً (۱) فَالْحامِلاتِ وِقْراً (۲) فَالْجارِیاتِ یُسْراً (۳) فَالْمُقَسِّماتِ أَمْراً (۴) «۱». لقد أقسم اللّه سبحانه و تعالی بوصف عمل الریاح الذاریة، و له جل جلاله أن یقسم بما شاء من خلقه و لیس لنا أن نقسم إلا بالله أو صفاته. یقول الزمخشری: (وَ الذَّارِیاتِ هی الریاح لأنها تذر التراب و غیره، کما قال اللّه سبحانه و تعالی: تَذْرُوهُ الرِّیاحُ «۲». و یقول صاحب «الظلال»: (وَ الذَّارِیاتِ من عملها حمل حبوب اللقاح النباتیة من أعضاء التذکیر فی الأزهار الأسدیة أو المآبر، إلی أعضاء التأنیث فی مواقعها المتنوعة، و هی المدقة أو المتاع الحاوی علی البیوض، و بالتالی تقوم الریاح بعمل التأبیر لإخصاب أزهار النباتات، و إنجاز تکون البذور) «۳». و فی «لسان العرب»: (ذرت الریح التراب و غیره تذروه و تذریه ذروا و ذریا و أذرته أطارته و سفته و أذهبته) «۴». یتّضح مما أسلفنا من أقوال العلماء أن عمل الریاح «الذاریات» متنوع، فللذاریات وظیفة فی حمل التراب و الرمال و غیرهما من مکان لآخر، و حمل غبار الطلع من أعضاء التذکیر الزهریة لتلقیح البویضة و ذلک فی عملیة التأبیر المعروفة علمیا، و ذلک إعجاز علمی حوته کلمة الذاریات لأنها تدل علی هذه الوظائف التی سخرها اللّه لخدمة الناس. و فی الصحاری یظهر أثر الریاح الذاریة فی (تشکیل سطح الأرض کعامل إرساب بالصحاری الحارة الجافة، و ذلک لتکوین الکثبان الرملیة التی هی عبارة عن تلال رملیة

(____۱) سورة الذاریات، الآیات ۱– ۴. (۲) الکشاف، للزمخشری، ۴/ ۱۳، و انظر: التفسیر الوسیط، و هبة الزحیلی، بیروت، دار الفکر المعاصر، ۲۰۰۰، ۳/ ۹۲. (۳) فی ظلال القرآن، سید قطب، ۶/ ۳۳۷۵. (۴) لسان العرب، لابن منظور، ۱۴/ ۲۸۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۱۹ حبیباتها مستدیرة یتراوح الارتفاع فیها بین بضعة أقدام إلی عشرات الأمتار ... و من فوائدها أنها تنقل هذه البذور من أماکن إنتاجها إلی مناطق أخری بعیدة عن الوطن الأم، مما یوسع انتشارها و ینوّع الغطاء النباتی فی المنطقة الزراعیة، فإن الریاح التی تذر ذلک الهشیم تنتقل إلی مسافات بعیدة، و هی تحمل معها تلک الثمار أو البذور، فإذا هدأت سرعتها و عجزت عن الاستمرار فی الإمساک بحمولتها النباتیة، وقعت تلک البذور فی تربة جدیدة، فإذا ما استقرت فیها و استوفت حاجتها من الماء و المساحة و الضوء و غیر ذلک من العوامل اللازمة للإنتاج، فإنها تنمو دون تنافس و تنوع الغطاء النباتی فی الأرض الجدیدة، و لهذا أهمیته المعتبرة عند الأخصائی الزراعی) «۱». کما أنها تحمل (بعض النباتات أو أجزاء منها من مکان إلی آخر، حاملة البذور تنثرها أینما ذهبت و مثل هذه النباتات یقال لها: (sdeew elbmut) و من هذه النباتات، کف مریم و هو نبات صحراوی یحمل أفرعا تحمل الثمار، و فی الجو الجاف تنحنی الأفرع نحو الداخل و یتکور النبات کالکرة، التی تحملها الریاح إلی مسافات بعیدة، و إذا ما وصلت الکرة إلی منطقة رطبة تستقیم الأفرع و فی نفس الوقت تتفتح الثمار و تنتشر البذور) «۲». و إلی هذا المعنی أشار الحق سبحانه و تعالی فی سورة الکهف: وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَیاةِ الدُّنْیا کَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِیماً تَذْرُوهُ الرِّیاحُ «۳».

الإعجاز:

الإعجاز: لقد قرر القرآن الکریم أن الریاح من أبرز مهماتها أنها تلقح السحب، و تثیر الغیوم لتنزل الأمطار و تنهمر المیاه، و لم یکن أحد من الناس یعرف هذه الحقیقة قبل عصرنا هذا، عصر الکشوفات العلمیة و ما ذکره المفسرون من تلقیح الریاح للسحب، لیس بسبب تقنیة علمیة اعتمدوا علیها، إنما هو استمداد من کلام اللّه المعجز، الذی آمنوا بما جاء فیه، و الذی تتجدد حقائقه علی مرّ الأیام و کرّ العصور، و الذی یسجل الحقائق العلمیة، ثم یکتشفها الناس لتکون لهم آیة و معجزة. (____۱) مشهد الریاح و تصریفها، عبد الکریم بن حسن العثمان، ص: ۱۱۶، و ما بعدها. (۲) النباتات الزهریة، شکری إبراهیم سعد، ص: ۱۷۰. (۳) سورة الکهف، الآیة: ۴۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۲۰

المبحث الثانی تکوین السحب و أنواعها بین القرآن و العلم

اشارة

المبحث الثانی تکوین السحب و أنواعها بین القرآن و العلم قال تعالی: وَ هُوَ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ بُشْراً بَیْنَ یَدَیْ رَحْمَتِهِ حَتَّی إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالًا سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَیِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ «۱». و قال سبحانه: اللَّهُ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ فَتُثِیرُ سَحاباً فَیَبْسُطُهُ فِی السَّماءِ کَیْفَ یَشاءُ وَ یَجْعَلُهُ کِسَفاً فَتَرَی الْوَدْقَ یَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذا أَصابَ بِهِ مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إِذا هُمْ یَسْتَبْشِرُونَ «۲». تعرض هاتان الآیتان الکریمتان التسلسل الواضح فی عملیة تکوین السحاب و إثارته، ثم تصاعده عن طریق الهواء المتحرک الرِّیاحِ إلی السماء، ثم نشره فی جو المعمورة، حسب تقدیر العلیم الخبیر جل جلاله و من ثم توزیعه علی خلقه لیستبشروا بنعمته تعالی و رحمته، کما أنها تشیر إلی نوع من أنواع السحب، ألا و هو السحب البساطیة، و بنظرة فی تفاسیر العلماء یزداد الأمر وضوحا و جلاء. یقول الإمام الرازی: (بین دلائل الریاح علی التفصیل الأول فی إرسالها قدرة و حکمة، أما القدرة فظاهرة، فإن الهواء اللطیف الذی یشقه الودق یصیر بحیث یقلع الشجر، و هو

لیس بذاته کذلک فهو بفعل فاعل مختار، و أما الحکمة ففی نفس الهبوب فیما یفضی إلیه من إثارة السحب، ثم ذکر أنواع السحب فمنه ما یکون متصلا و منه ما یکون منقطعا، ثم المطر یخرج منه و الماء فی الهواء أعجب علامة للقدرة، و ما یفضی إلیه من إنبات الزرع و إدرار الضرع حکمة بالغة، ثم إنه لا یعم بل یختص به قوم دون قوم و هو علامة المشیئة) «۳». و فی تفسیر «بحر العلوم»: (قال اللّه عز و جل: اللَّهُ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ فَتُثِیرُ سَحاباً یعنی

(۱) سورة الأعراف، الآیة: ۵۷. (۲) سورة الروم، الآیة: ۴۸. (۳) التفسیر الکبیر، للرازی، ۲۵/ ۱۱۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۲۱ تدفعه و تهیجه، یقال: ثار الغبار إذا ارتفع: فَیَبْسُطُهُ فِی السَّماءِ کَیْفَ یَشاءُ یعنی کیف یشاء اللّه عز و جلّ إن شاء بسطه مسیرة یوم أو أکثر وَ یَجْعَلُهُ کِسَفاً یعنی قطعا فَتَرَی الْوَدْقَ یَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ یعنی المطر یخرج من خلاله، من وسط السحاب فَإِذا أَصابَ بِهِ یعنی بالمطر مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إِذا هُمْ یَسْتَبْشِرُونَ یعنی یفرحون بنزول المطر) «۱». و یعلق علی الآیة ابن کثیر فیقول: (یبین تعالی کیف یخلق السحاب الذی ینزل منه الماء، فقال تعالی: اللَّهُ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ فَتُثِیرُ سَحاباً إما من البحر کما ذکره غیر واحد، أو مما یشاء اللّه عز و جلّ: فَیَبْسُطُهُ فِی السَّماءِ کَیْفَ یَشاءُ أی یمدّه فیکثره و ینمیه، و یجعل من القلیل کثیر، ینشئ سحابة تری فی رأی العین مثل الترس، ثم یبسطها حتی تملأ أرجاء الأفق، و تارة یأتی السحاب من نحو البحر ثقالا مملوءة) «۲». و نحتاج للوقوف علی وجه الإعجاز أن نحلل بعض المفردات الواردة هنا: تثیر، سحب، ودق، أما معنی تثیر، ففی «لسان العرب»: (ثار الدخان و الغبار و غیرهما یثور ثورا و ثؤورا و ثورانا، ظهر و سطع، و ثار القطا من مجثمه، و ثار الجراد ثورا و انثار، ظهر) «۳». و أما معنی السحب، ففی کتاب «العین»: (السحب، جرک الشیء، کسحب المرأة ذیلها و کسحب الریح التراب، و سمی السحاب لانسحابه فی الهواء) «۴». و فی «لسان العرب»: (جرک الشیء علی وجه الأرض، کالثوب و غیره، سحبه یسحبه سحبا فانسحب، جرّه فانجر، و المرأة تسحب ذیلها، و الریح تسحب التراب، و السحابة: الغیم، السحابة التی یکون عنها المطر سمیت بذلک لانسحابها فی الهواء) «۵». و أما الودق، فمعناها: (الودق: المطر، ودق، کوعد، قطر و إلیه ودوقا و ودقا، دنا منه و أمکنه و به استأنس، و بطنه اتسع أو استطلق، و السماء أمطرت، کأودقت) «۶».

(۱) بحر العلوم، للسمرقندی، ۳/ ۱۶.

(۲) تفسیر القرآن العظیم، لابن کثیر، ۶/ ۲۸۹. (۳) لسان العرب، لابن منظور، ۴/ ۱۰۹. (۴) کتاب العین، للفراهیدی، ۳/ ۱۵۱. (۵) لسان العرب، لابن منظور، ۱/ ۴۶۱. (۶) القاموس المحیط، للفیروزآبادی، ۱/ ۱۱۹۷، و انظر: لسان العرب، لابن منظور، ۱۰/ ۳۷۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۲۲ و یتسنّی لنا الآن أن نستخلص من معطیات ما سبق، أن الإثارة معناها الإظهار، و لیس کما ظن المفسرون جزاهم اللّه خیرا و رحمهم الله، أن الإثارة هی تقلیب الریاح و تحریکها، لا- بل إن المقصود بالإثارة هنا الإظهار کما رأینا فی المعاجم، ذلک لأن الریاح تحمل بخار الماء و نوی التکاثف لتکوین السحاب، ثم بعد ذلک تتم إثارته أی إظهاره لیکون مرئیا للعیان، ثم تحریکه و توزیعه بحکمة العلیم الحکیم جل جلاله، و هذه حقیقة کشف عنها العلماء.

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: ففی موسوعة «المعارف الکونیة»: (الإثارة هی تحریک السحاب، و العلم أوضح لنا أن الریاح تحمل بخار الماء و نوی التکاثف لکی یتکوّن السحاب و تتم إثارته و یظهر للأعین، و بعد ذلک یتم تحویله و تحریکه بتوجیه إلهی، و بهذا یجب علینا أن نستبعد حرکة السحاب ضمن معانی الإثارة، فالآیة هنا رتبت السوق علی الإثارة و لیس العکس، و لهذا فإن الإثارة هی بالتأکید إظهار و تکوین السحب أولا- و ذلک بالتکثیف، فکلنا یعرف الآن أن السحاب بخار کان کامنا فی الهواء غیر المشبع أو فی الهواء فوق المشبع الخالی من نوی التکاثف، ثم ظهر بالتکثیف بفعل الریاح سواء کان ذلک بحملها البخار إلی المناطق الباردة العلویة، أو بحملها نوی التکاثف، و بذلک یتضح لنا المعنی العلمی للآیة الکریمة المراد من إثارة الریاح للسحاب، أی أثر الریاح فی تکوین السحاب و

إظهاره و لیس نقله کما اعتقد المفسرون) «۱». و فی کتاب «الطقس»: (یتکوّن بخار الماء فی الجو عن طریق تبخّر میاه المحیطات و البحیرات و الأنهار، و تقوم النباتات بعد امتصاص جذورها لسوائل التربة، بإطلاق کمیات کبیرة من بخار الماء من خلال أوراقها، و تدعی العملیة «بالنقع» و یجری تبخر المیاه بشکل رئیسی من الأجزاء الأکثر دفئا من المحیطات، و من الغابات الاستوائیة، ثم تنتقل بعد ذلک باتجاه علوی حیث تحملها الریاح حتی تنفذ إلی کافة أجواء الغلاف السفلی ... و عند ما یتکثف الماء فی الجو فإنه یبدو أولا بشکل سحب، إذا کان فی طبقة هوائیة عالیة، و بشکل ضباب إذا کان قریبا من الأرض، و تتألف السحب من

(____۱) المعارف الکونیة، إعداد نخبة من العلماء، ص: ۳۵۷، و انظر: الاستمطار، محمد فیاض و أحمد خلیل، الکویت، دار سعاد الصباح، الطبعة الأولی، ۱۹۹۹، ص: ۱۵، و انظر: الطقس و المناخ، محمد عیاد مقیلی، لیبیا، نشر الجامعة المفتوحة، ۱۹۹۲، ص: ۱۳۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۲۳ قطرات مائیة بالغة فی الصغر، بحیث یمکنها العوم فی الهواء و الانجراف بواسطة تیاراته، و لن یکون فی وسع بخار الماء التکثف و التحول إلی قطیرات مرئیة، إذا کان یحتویه هواء غایة فی الصفاء و النقاء، إلا أن الهواء لا یخلو فی الواقع من جزیئات الغبار و الدخان و الملح الناجم عن رذاذ میاه البحر، بحیث یقدر محتوی الأنش المکعب منه بالآلاف من هذه الجزیئات، التی تقوم بدورها بإحاطة نفسها بقطیرات من الماء تدعی هذه القطیرات «بنوی التکاثف») «۱». و لقد ذکر علماء المناخ العدید من أنواع السحب، و بسطوا الحدیث عن طبائعها و أشکالها و لسوف نقتصر هنا علی نوعین، البساطی (tnemerite) و الرکامی (subminolumuc)، و لکن بعد أن نعرض لأهم أنواعها کما ذکر ذلک العلماء.

أنواع السحب من حیث النشأة:

اشارة

أنواع السحب من حیث النشأة: (یمکن تصنیف السحب من حیث النشأة إلی أربع فئات و هی: ۱- الارتفاع التدریجی للهواء فوق مساحات واسعة مع الارتباط بنظام الضغط المنخفض. ۲- الحمل الحراری، بحیث تنتقل الحرارة من طبقة إلی الطبقة المجاورة علی المقیاس الرکامی المحلی. ۳- الارتفاع بواسطة الاضطرابات الجویة المیکانیکیة (قوة الحمل الحراری). ۴- الصعود فوق الحواجز الجبلیة) «۲». و لقد صنف (مجموعة من العلماء المختصین السحب إلی نوعین: أولا: السحب البساطیة (tnemerite). ثانیا: السحب الرکامیة (____.«۳» (subminolumuc

۱)) الطقس، فورس إیک، ترجمة، نبیلة منسی، بیروت، معهد الإنماء العربی، ۱۹۸۱، ص: ۴۹- ۵۰، و انظر: أسرار الأرصاد الجویة الموسوعة العلمیة المبسطة، ترجمة، عیسی طنوس، بیروت، دار الحقائق، الطبعة الأولی، ۱۹۸۷، ص: ۳۰. (۲) الغلاف و الطقس و المناخ، بیری شوری، ص: ۱۱۱. (۳) المعارف الکونیة، إعداد نخبة من العلماء، ص: ۳۵۶، و انظر: معجم المصطلحات الجغرافیة، بیار جورج، ترجمة: الدکتور حمد الطفیلی، بیروت، المؤسسة الجامعیة للدراسات و النشر و التوزیع، الطبعة الأولی، ۱۴۱۴ ه/ ۱۹۹۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۲۴ و لیشرع بالنوع الأول:

السحب البساطیة.

السحب البساطیة. قال تعالی: اللَّهُ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ فَتُثِیرُ سَحاباً فَیَبْسُطُهُ فِی السَّماءِ کَیْفَ یَشاءُ وَ یَجْعَلُهُ کِسَفاً فَتَرَی الْوَدْقَ یَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذا أَصابَ بِهِ مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إِذا هُمْ یَسْتَبْشِرُونَ «۱». وقفنا قبل قلیل مع هذه الآیة الکریمة من جهة تکوین السحب، و عرفنا أن معنی أثار أی أظهر و لیس حرّک، و هذا المعنی یوافق تماما حال إثارة الریاح للسحب و إظهارها، کما أن الآیة تشیر إلی نوع من

أنواع السحب و هو السحب البساطی، كذلك أشرنا إلیه، و عرفنا رأی المفسرین حول هذه الآیة، و تأكیدا علی هذا النوع من السحب، نورد بعض دراسات العلماء و الباحثین حوله. السحب البساطیة أو الطبقیة: (و هی كما یفهم من اسمها تظهر بشكل طبقات تحجب السماء بأكملها، و لا توجد لها حدود واضحة، و یمكن تشبیهها بالضباب المرتفع، و هی من السحب المنخفضة، و قد تصل قاعدتها فی بعض الأحیان إلی سطح الأرض فتظهر بشكل ضباب، و قد یحدث أن تتكون من الضباب نفسه عند ما یرتفع بتأثیر حرارة الشمس أو الریاح أو كلیهما، و هی من السحب التی قد یصاحبها هطول خفیف من الرذاذ أو حبیبات الثلج، و یكون الهطول عادة متصلا أو متقطعا ... و منها ما یكون رقیقا شفافا لا یحجب الشمس، و منها ما یكون سمیكا معتما، و النوع السمیك منها یصاحبه فی المعتاد هطول من المطر أو الثلج أو خلیط منهما) «۲». و فی كتاب «السحب» ذكر أن السحب تنقسم إلی أربعة عشر نوعا، حسب الشكل الذی تبدو به فی السماء، و جعل السحب البساطیة فی المرتبة السادسة: (السحب المنبسطة: و هی سحب منتشرة أفقیا بشكل طبقة أو صحیفة، نجدها ممثلة فی سحب الركام المتوسط، و الركام الطبقی) «۳».

ثانیا: السحب الركامیة

ثانیا: السحب الركامیة قال تعالی: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ (____۱) سورة الروم، الآیة: ۴۸. (۲) الجغرافیة المناخیة و النباتیة، عبد العزیز شرف، الإسكندریة، دار الجامعات المصریة، الطبعة الحادیة عشر، ۱۹۸۵، ص: ۲۰۴- ۲۰۵، و انظر: مدخل إلی علم المناخ، ضاری العجمی و محمود صفر، الكویت، مكتبة الكویت، الطبعة الأولی، ۱۴۰۸ ه/ ۱۹۸۷، ص: ۱۹۰. (۳) السحب، علی حسن موسی، دمشق، دار الفكر، ۱۹۸۸، ص: ۷۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۲۵ خِلالِهِ وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ وَ يَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ «۱». تمثّل هذه الآیة الكریمة إعجازا علمیا رائعا فی علم المناخ و الریاح، و تكوین السحب الركامیة، فهی تتحدّث عن مراحل تكون السحب الركامیة، و التی تبدأ بدفع الریاح للسحاب رویدا رویدا، ثم تأتی المرحلة الثانیة و التی تتمثل بتألیف و جمع قطع السحاب، ثم تصبح هذه القطع مركومة فوق بعضها البعض، و عملیة الركم هذه تنتج نزول المطر، و بسبب التراكم التصاعدی تنشأ جبال سیارة فی السماء من البرد، و نویات البرد هذه محصورة فی السحب الركامیة، و لم نقرأ فی السحب البساطیة أنها تحتوی البرد أو البرق و الرعد، ثم إن الآیة تخبر أن هذا البرد له برق، و البرق هو نتیجة حتمیة للبرد و غیر هذه الحقائق و الأسرار تحتویها هذه الآیة، و سوف نری أن العلم وصل بشكل دقیق إلی ما أوضحتها الآیة القرآنیة، بعد ما تطور علم الأرصاد الجویة، و استعمل العلماء أجهزة الاستشعار عن بعد و الرادارات و الأقمار الصناعیة و غیرها، و لكن نقف عند تفسیر الآیة مع علماء التفسیر، و شرح مفرداتها مع اللغویین. یقول ابن كثیر: (یذكر تعالی أنه بقدرته یسوق السحاب أول ما ینشئها و هی ضعیفة، و هو الإزجاء ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ أی یجمعه بعد تفرقه ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً أی متراكما، أی یركب بعضه بعضا فَتَرَى الْوَدْقَ أی المطر يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ أی من خلله ... وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ معناه أن فی السماء جبال برد ینزل اللّه منها البرد ... فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ یحتمل أن یكون المراد بقوله: فَيُصِيبُ بِهِ أی بما ینزل من السماء من نوعی المطر و البرد، فیكون قوله: فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ رحمة لهم وَ يَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ أی یؤخر عنهم الغیث، و یحتمل أن یكون المراد بقوله سبحانه: فَيُصِيبُ بِهِ أی بالبرد نقمة علی من یشاء، لما فیه من نثر ثمارهم و إتلاف زروعهم و أشجارهم و یصرفه عمن یشاء أی رحمة بهم، و قوله: يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ أی یكاد ضوء برقه من شدته یخطف الأبصار إذا اتبعته و تراءته) «۲». و فی تفسیر «روح المعانی»: (أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحاباً الإزجاء سوق الشیء برفق (____۱) سورة النور، الآیة: ۴۳. (۲) تفسیر القرآن العظیم، ابن كثیر، ۶/ ۶۶، و انظر: الأساس فی التفسیر، سعید حوی، القاهرة، دار السلام، الطبعة الثانیة، ۱۹۸۹، ۷/ ۳۷۹۲. الإعجاز

القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۲۶ و سهولة و قیل: سوق الثقیل برفق و غلب علی ما ذکر بعض الأجلة فی سوق شیء یسیر أو غیر معتد به، و منه البضاعة المزجاة أی المسوقة شیئا بعد شیء علی قلة و ضعف، و قیل: أی التی تزجی أی تدفع للرغبة عنها، ثُمَّ یُؤَلِّفُ بَیْنَهُ بأن یوصل سحابة بسحابة، و قال غیر واحد: السحاب واحد کالعماء و المراد یؤلف بین أجزائه و قطعه، و هذا لأن بَینَه لا تضاف لغیر متعدد، و بهذا التأویل یحصل التعدد ... ثُمَّ یَجْعَلُهُ رُکاماً أی متراکما بعضه فوق بعض فَتَرَی الْوَدْقَ أی المطر شدیدا کان أو ضعیفا إثر تراکمه و تکاثفه، یَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ أی من فتوقه و مخارجه التی حدثت بالتراکم و الانعصار، و هو جمع خلل کجبال و جبل ... وَ یُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ أی من السحاب، فإن کل ما علاک سماء، و کأن العدول عنه إلی السماء للإیماء إلی أن للسمو مدخلا فیما ینزل، بناء علی المشهور فی سبب تکون البرد، و جوز أن یراد بها جهة العلو و للإیماء المذکور ذکرت مع التنزیل مِنْ جِبالٍ أی من قطع عظام تشبه الجبال فی العظم علی التشبیه البلیغ ... لأن اللّه تعالی خلق فی السماء جبالا من برد کما خلق فی الأرض جبالا من حجر، و لیس فی العقل ما ینفیه من قاطع فیجوز إبقاء الآیة علی ظاهرها کما قیل ... فَیُصِیبُ بِهِ أی بما ینزل من البرد مَنْ یَشاءُ أی یصیبه فیناله ما یناله من ضرر فی ماله و نفسه وَ یَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ یَشاءُ أن یصرفه عنه فینجو من غائلته، و رجوع الضمیرین إلی البرد هو الظاهر ... یَکادُ سَنا بَرْقِهِ أی ضوء برق السحاب الموصوف بما مر من الإزجاء و التألیف و غیرهما، و إضافة البرق إلیه قبل الإخبار بوجوده فیه، للإیذان بظهور أمره و استغنائه علی التصریح به و رجوع الضمیر إلی البرد أی برق البرد الذی یکون معه لیس بشیء، و تقدم الکلام فی حقیقة البرق فتذکر، سَنا ممدودا سَنا بَرْقِهِ بضم الباء و فتح الراء جمع برقة بضم الباء و هی المقدار من البرق کالغرفة و اللقمة ... و هو هنا کنایة عن قوة الضوء، یَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ أی یخطفها من فرط الإضاءة و سرعة ورودها، و فی إطلاق الأبصار مزید تهویل لأمره و بیان لشدة تأثیره فیها، کأنه یکاد یذهب بها و لو عند الإغماض، و هذا من أقوی الدلائل علی کمال القدرة، لأنه تولید للضد من الضد) «۱». و هناک بعض المفردات الواردة فی الآیة الکریمة، ستأخذ معانیها من المعاجم، مثل: یزجی، و یؤلف و سنا، و رکام، أما معنی یزجی، ففی «لسان العرب»: (التزجیة،

(______________________________ ۱) روح المعانی، للآلوسی، ۱۸/

۱۹۹- ۲۰۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۲۷ دفع الشیء کما تزجی البقرة ولدها أی تسوقه، و یقال: أزجیت الشیء إزجاء، أی دافعت بقلیله، و یقال: أزجیت أیامی زجیتها أی دافعتها بقوت قلیل ... و الریح تزجی السحاب أی تسوقه سوقا رفیقا) «۱». و أما معنی یؤلف، ففی «مفردات ألفاظ القرآن»: (الإلف، اجتماع مع التئام، و المؤلّف، ما جمع من أجزاء مختلفة) «۲». و معنی الرکام: (رکم الرکم، جمعک شیئا فوق شیء حتی تجعله رکاما مرکوما، کرکام الرمل و السحاب و نحو ذلک، من الشیء المرتکم بعضه علی بعض، رکم الشیء یرکمه إذا جمعه و ألقی بعضه علی بعض، و هو مرکوم بعضه علی بعض ... و فی التنزیل العزیز ثُمَّ یَجْعَلُهُ رُکاماً یعنی السحاب) «۳». و أما معنی سنا: (سنا، سنت النار تسنو سناء، علا ضوؤها، السنا مقصور ضوء النار و البرق و قد أسنی البرق، إذا دخل سناه علیک بیتک، أو وقع علی الأرض، أو طار فی السحاب) «۴». هذا معنی الآیة کما ورد فی کتب المفسرین، و معاجم اللغویین، و هذا هو الوصف العلمی للسحب و خصائصها و نتائجها، و لقد أوضح القرآن الکریم هذه الحقائق فی آیة سورة النور هذه، و لدی عرضنا للآیة و تمعننا فیها بشکل دقیق، سنلحظ هذه القراءة العلمیة فی الآیة الکریمة، و هی تتحدث عن تکوین السحب، و عملیة تراکمه، ثم کیف یخرج المطر منه و ینزل البرد علی من یرسله من عباده و یصرفه عمن یشاء من عباده سبحانه و تعالی، و إنه حقا لوصف قرآنی عجیب و دقیق للسحب الرکامیة التی أشیر إلیها آنفا، و بنظرة دقیقة فی الآیة الکریمة تتّحد معطیاتها کما یلی: أولا- تقرر الآیة الکریمة أن أوّل مرحلة من مراحل تکوین السحاب الرکامی، إنما تکون بدفع الهواء للسحاب بشکل هادئ، أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ یُزْجِی سَحاباً أی یسوق السحاب إلی حیث یشاء فالإزجاء هو السوق کما قرر ذلک علماء اللغة و التفسیر.

(______________________________ ۱) لسان العرب، لابن منظور، ۱۲/

۲۶۲. (۲) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهانی، ص ۸۱. (۳) لسان العرب، لابن منظور، ۱۲/ ۲۵۱. (۴) المصدر نفسه، ۱۴/ ۴۰۳،

و انظر: کتاب العین، للفراهیدی، ۷/ ۳۰۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۲۸ ثانیا: بعد سوقه و تجمیع أجزائه ثُمَّ یُؤَلِّفُ بَیْنَهُ أی یجمعه، فالتألیف هو الجمع، و تلک هی المرحلة الثانیة من تکوین السحابة الرکامیة، فالحق عز و جل یجمع بین السحب المتوزعة لتکون سحابة واحدة، و ثُمَّ للترتیب مع التراخی، أی تحتاج عملیة تألیف السحب و جمعها إلی شیء من الوقت، و الإشارة العجیبة هنا فی التألیف، و هل یکون التألیف إلا بین المتنافرین، فکذلک یکون التألیف فی السحابة بین الشحنات الکهربائیة السالبة و الموجبة. ثالثا: ثم تأتی عملیة رکم السحاب بعضه علی بعض، ثُمَّ یَجْعَلُهُ رُکاماً أی متجمعا، یرکب بعضه فوق بعض، و تلک هی المرحلة الثالثة فی تکوین السحاب الرکامی بالنمو الرأسی کما أثبت العلم. رابعا: کما أن الآیة تشیر إلی نزول المطر عند تکامل الرکم، فَتَرَی الْوَدْقَ یَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ الودق، المطر مِنْ خِلالِهِ بمعنی من فتوقه و مخارجه، و هذا الذی أشارت إلیه أبحاث الأرصاد من مراحل نزول المطر فی السحاب الرکامی بعد تمام مرحلة الرکم، أی بعد أن یضعف الرفع فی السحاب، أو ینعدم فینزل المطر علی الفور، فیخرج المطر من مناطق الخلل فی جسم السحابة. خامسا: ثم إن الآیة تتحدّث عن نشوء جبال من البرد فی السماء، جراء هذا الرکام الهائل من السحاب، وَ یُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِیها مِنْ بَرَدٍ فَیُصِیبُ بِهِ مَنْ یَشاءُ وَ یَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ یَشاءُ، و قد یصل حجم حبات البرد إلی حجم البرتقالة و بذلک یکون المعنی، و ینزل من السماء بردا أی من جبال لا بد و أن یکون فیها شیء من برد، و الجبال هی السحب الرکامیة التی فی شکل الجبال. سادسا: یَکادُ سَنا بَرْقِهِ یَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ ففی الآیة إشارة علمیة واضحة إلی أن البرد یولد البرق، و هذا ما أثبته العلم، حیث یقوم البرد بتوزیع الشحنات الکهربائیة فی جسم السحابة أثناء صعوده و هبوطه، ثم یقوم بالتوصیل بین الشحنات الکهربائیة المختلفة، فیحدث تفریغا کهربیا هائلا و لهذا نسب اللّه البرق إلی البرد.

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: تحدّث علماء المناخ عن السحاب الرکامی بشکل مستفیض، خاصة و أن الأجهزة الحدیثة سهلت علیهم الکثیر من العقبات، کما أنها وفّرت لهم کمّا هائلا من المعلومات التی کانت فی عالم المجهول بالنسبة لهم، و لسوف نستعرض بعضا مما قدمه العلماء الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۲۹ من خلال تجاربهم و أبحاثهم فی الحدیث عن السحاب الرکامی، لنری أن ما وصلوا إلیه هو ذاته الذی حدثتنا عنه آیة النور المعجزة.

أنواع الغیوم:

أنواع الغیوم: (جرت العادة علی تقسیم أنواع الغیوم إلی أربعة أنواع رئیسیة، کل منها یقسم إلی عدة أقسام فرعیة، و تشمل الأصناف التالیة: ۱- الغیوم العالیة: و تتکون من بلورات جلیدیة، و یتراوح ارتفاع قاعدتها ما بین أکثر من ۶ کم فی المناطق المداریة، إلی أکثر من ۳ کم فی العروض العلیا. ۲- الغیوم المتوسطة: و یتراوح ارتفاع قاعدتها ما بین ۳، ۵ کم فی العروض المداریة إلی حوالی ۲ کم فی العروض العلیا. ۳- الغیوم المنخفضة: و یتراوح ارتفاع قاعدتها من سطح الأرض إلی حوالی ۲ کم فی العروض المختلفة. ۴- الغیوم التراکمیة: و تشمل غیوم ذات امتداد عمودی، مثل الغیوم التراکمیة الصغیرة الحجم التی تظهر أثناء الطقس المعتدل، أو الغیوم السمحاقیة التی یتجاوز امتدادها العمودی فی المناطق المداریة ۱۳ کم، و یصاحب هذه الغیوم العواصف الرعدیة و الأمطار الغزیرة) «۱». و نجد فی موسوعة المعارف الکونیة الحدیث عن السحب الرکامیة، و مما جاء فیها: (و منها السحب الرکامیة العادیة فی الطقس الصباحی، و السحب الرکامیة الضخمة الماطرة، و یتشکل هذان النوعان فی الطبقة السفلی فی الجو علی ارتفاع حوالی ۱ کم، و قمّتها فی الطبقة العلیا بحدود ۵- ۸ کم ... و أما مقدارها الأفقی فیتراوح من ۱- ۱۰ کم للنوع الأول، و بضع عشرات الکیلومترات للنوع الثانی و یلعب الانتقال الرأسی إلی أعلی للکتل الهوائیة بسرعة ۱۰ متر/ ثانیة، دورا ضخما فی تکوینها و خلافا للسحب البساطیة، فإن فترة انتقالها محدودة و تقاس بالساعات أو بعشرات الدقائق، و السحب الرکامیة الضخمة الماطرة التی تتمیز أبعادها الکبیرة و ارتفاعها الزائد

(____۱) مبـادئ المنـاخ الطـبیعی، إبراهیم العرود، عمان، دار الشـروق، الطبعـة الأولی، ۱۹۹۷، ص ۱۴۷، و انظر: العلوم الجویـة و تطبیقاتها، محمـد أحمد الشـهاوی، القاهرة، دار الفكر العربی، الطبعـة الأولی، ۱۴۲۰ ه/ ۲۰۰۰، ص: ۵۱. الإعجـاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحـدیث، ص: ۳۳۰ كالجبال ... تسبب هطولات قویة و بردا لمدة قصیرة تقدّر بعشـرات الدقائق لكنها غزیرة ... و السحاب الركامی الضخم الممطر یشبه الجبال، و قد یجود بـالبرد فی العواصف الصـیفیة ... و هطولات البرد محلیـة لدرجـة أنها قـد تصـیب حقلا و تترك حقلا مجاورا، و تسـبب أضـرارا جسـیمة للمزروعات و المبانی و الكائنات الحیـة، حیث یصل قطرها أحیانا إلی قطر البرتقالة أو الرمان) «۱». كما أن العلماء تحدّثوا عن تشـكل البرد، و أوضـحوا أن البرد إنمـا یتم تكوینه داخل السـحب الركامیـة، و هـذا ما صـرحت به الآیـة الكریمـة، ففی كتاب «أسـرار الأرصاد الجویـة» نجـد هذا المعنی بكل جلاء: (یتكون المطر داخل الغیوم، و تتحول قطرات الماء إلی جلید إذا انخفضت درجة حرارة الغیمة إلی أقل من الصفر، و یمكن أن یؤدی ذلك إلی تساقط البرد، و ینشأ البرد عادة فی الغیوم الكبیرة التی تشبه زهرة القنبیط (غیوم الركام) حیث تحدث داخل الغیمة تیارات عمودیة قویة، فتتجمد قطرات الماء و تبدأ بالسقوط، لكن التیار الصاعد یرفعها ثم تهبط قلیلا و تصـعد، مما یؤدی إلی تضـخمها و تحولها إلی جلیـد، و هكـذا فإن لقطعـة البرد نواة صـغیرة مؤلفـة من عدة طبقات، و عند ما یغلب وزنها قوة التیارات الصاعدة، یتساقط البرد علی الأرض، و كل كتلة من الجلید نسـمیها حبة برد، یتفاوت حجمها، منها الكبیر و الصغیر، و بلغ وزن بعض حبات البرد ۳۰۰ غرام، و هی قادرة علی تحطیم النوافذ و إتلاف المحاصـیل) «۲». و أكد العلماء أن السحب الركامی فقط یحتوی علی البرق و الرعد، و هذا ما قررته الآیة الكریمة المعجزة، جاء فی كتاب «العواصف و الأعاصیر»: (العاصـفة الرعدیة هی ظاهرة جویـة كهربائیة، و هی من التفریغات الكهربائیة الفجائیة التی تظاهرها ومضة ضوئیة (البرق) و صوت حاد (الرعد) و تتمثل غیوم العواصف الرعدیـة، بغیوم الركام المزنی فقط، لما تتّصف به من نمو رأسـی كبیر، و فعالیـة كهربائیـة شدیـدة، فهی إن دلت فإنها تـدل علی حالـــــة اضـــــطراب عنیفـــــة فی الجـــــو، و عـــــدم اســـــتقرار شدیـــــد فی أعمـــــاق كـــــبیرة من (____۱) المعارف الكونیـة، إعداد نخبة من العلماء، ص ۳۶۰، و انظر: الأرصاد الجویـة، محمـد الهونی و إبراهیم سویـدان، لیبیا، نشـر القوات البحریة، ۱۹۷۹، ص: ۲۸. (۲) أسرار الأرصاد الجویة، موسوعة علمیة مبسـطة، ص: ۵۲، و انظر: الطبیعـة الجویـة، محمـد جمال الدین الفندی، الكویت، مكتبة الفلاح الطبعة الثانیة، ۱۹۷۷، ص: ۲۰۰. الإعجـاز القرآنی فی ضـوء الاكتشـاف العلمی الحـدیث، ص: ۳۳۱ الجو، و توفّر رطوبـة عالیـة، و لـذا لاـ بد لتشكّل غیوم العواصف الرعدیة من وجود قوة رفع شدیدة للهواء الرطب) «۱».

الإعجاز:

الإعجاز: من الـذی أخبر رسول اللّه صـلی اللّه علیه و سلم بهـذه المراحل المتعـددة فی تكوین السـحب، و فی هذا الوصف الدقیق من تراكم السـحب، و نزول المطر من خلالها، و كیف تتخذ شكلا جبلیا الذی ینزل منه البرد، ثم تفرز برقا یكاد أن یذهب بالأبصار ... إن وسائل علم الأرصاد الجوی لم تكن موجودة فی البیئـة الرملیـة القاحلـة التی بعث فیها محمد صـلی اللّه علیه و سـلم، إنه وحی السـماء، أنزلـــــــه الـــــــذی یعلـــــــم الســـــــر و أخفی. صـــــــورة تظهر الســـــــحاب الركـــــــامی «۲» (____۱) العواصف و الأعاصیر، علی حسن موسـی، دمشـق، دار الفكر، ۱۹۸۹، ص: ۷۹. (۲) dip cipwohs od yrellaG eman? php. z/ sw. oooziz:// ptth ۱۲۷۱ D etad ybredro. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحـدیث، ص: ۳۳۲ صورة یتضح فیها السحاب البساطی و الـذی یحمـل الأمطار «۱ (____). ۱) D ptth :/ oooziz. sw/ z. php? eman Gallery od showpic dip- ۱۷۲۱ ordeby- date. الإعجاز القرآنی فی

ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۳۳

المبحث الثالث البرق و البرد بین القرآن و العلم

اشارهٔ

المبحث الثالث البرق و البرد بین القرآن و العلم قال سبحانه و تعالی: هُوَ الَّذِی یُرِیکُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ یُنْشِئُ السَّحابَ الثِّقالَ (۱۲) وَ یُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَ الْمَلائِکَهُ مِنْ خِیفَتِهِ وَ یُرْسِلُ الصَّواعِقَ فَیُصِیبُ بِها مَنْ یَشاءُ وَ هُمْ یُجادِلُونَ فِی اللَّهِ وَ هُوَ شَدِیدُ الْمِحالِ (۱۳) «۱». تبرز الآیهٔ الکریمهٔ مظهرا من مظاهر قدرهٔ اللّه سبحانه و تعالی، و هذا مظهر یتمثّل فی آیهٔ من آیات الله، إنه البرق. (و البرق: الذی هو لمعان السحاب) «۲»، و هو ذو جناحین، جناح فاض بالبشری و الحبور، لأنه یبشّر بهطول المطر و درّ الغیث من السماء لتنتشر الرحمهٔ علی العباد، و جناح یحمل الإنذار، و یدخل الهلع و القلق علی النفوس، فترتعد الفرائص، و تصفرّ الوجوه و تنزوی القوی. البرق الشدید و الصواعق قد تکون سببا فی إحداث الضرر

(______________________________) ۱) سورهٔ الرعد، الآیتان: ۱۲، ۱۳. (۲)

مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهانی، ص ۱۱۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۳۴ فالله سبحان تعالی یرینا البرق الذی یحمل هذین المعنیین- الخوف و الطمع- لتلهج ألسنتنا بذکر اللّه و تسبیحه و تحمیده، لأن الکون کله یسبح اللّه من ملائکهٔ و رعد و برق و شجر و حجر، لکننا نحن معاشر البشر لا ندرک کنه هذا التسبیح حقیقهٔ، و یرسل العزیز الجبار الصواعق فیصیب بها من یشاء من عباده و یعذب بها من یرید، لیعلم الذین غفلوا عن اللّه أن اللّه شدید المحال، شدید البطش و القوهٔ یحکم ما یرید و یفعل ما یشاء. و لقد أشار الحق سبحانه و تعالی إلی أن البرق و الصواعق التی یرسلها تسبب الهلاک و الموت. قال تعالی: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ یُزْجِی سَحاباً ثُمَّ یُؤَلِّفُ بَیْنَهُ ثُمَّ یَجْعَلُهُ رُکاماً فَتَرَی الْوَدْقَ یَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَ یُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِیها مِنْ بَرَدٍ فَیُصِیبُ بِهِ مَنْ یَشاءُ وَ یَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ یَشاءُ یَکادُ سَنا بَرْقِهِ یَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ «۱». فالصواعق قاتله، و مهلکهٔ للممتلکات و مزهقهٔ للأرواح، و مدمرهٔ لقواعد البشر المعمریهٔ و العملیهٔ و البریهٔ و البحریهٔ ... زد علی ذلک فإن الشحنات الکهربائیهٔ التی تصدر عن البرق، تؤدّی إلی العمی قال تعالی فی ذلک: یَکادُ سَنا بَرْقِهِ یَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ. إن هذه الحقائق التی ذکرها القرآن الکریم عن الصواعق و البرق و الرعد، معجزهٔ کشف العلم عنها یوم توفّرت له أجهزهٔ البحث المتطورهٔ ... و الآیهٔ الکریمهٔ أخذت معنا مبحثا کاملا، و کنا قد استعرضنا آراء المفسرین و اللغویین فیها، إلا أننا نورد هنا قولا واحدا فیما یتعلق بالبرد و البرق فی هذه الآیهٔ الکریمهٔ، یقول ابن کثیر: (وَ یُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِیها مِنْ بَرَدٍ معناه أن فی السماء جبال برد ینزل اللّه منها البرد ... یَشاءُ یحتمل أن یکون المراد بقوله: فَیُصِیبُ بِهِ أی بما ینزل من السماء من نوعی المطر و البرد، فیکون قوله: فَیُصِیبُ بِهِ مَنْ یَشاءُ رحمهٔ لهم وَ یَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ یَشاءُ أی یؤخر عنهم الغیث، و یحتمل أن یکون المراد بقوله سبحانه: فَیُصِیبُ بِهِ أی بالبرد نقمهٔ علی من یشاء، لما فیه من نثر ثمارهم و إتلاف زروعهم و أشجارهم و یصرفه عمن یشاء أی رحمهٔ بهم، و قوله سبحانه: یَکادُ سَنا بَرْقِهِ یَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ أی یکاد ضوء برقه من شدته یخطف الأبصار إذا اتبعته و تراءته) «۲ (______________________________). ۱) سورهٔ النور، الآیهٔ:

۴۳. (۲) تفسیر القرآن العظیم، لابن کثیر، ۶/ ۶۶، و انظر: التفسیر الکاشف، محمد جواد مغنیهٔ، بیروت، دار العلم للملایین، الطبعهٔ الرابعهٔ ۱۹۹۰، ۴/ ۳۸۶. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۳۵ و لنأخذ مفردتین من الآیهٔ و نری معناهما اللغوی، برق، و رعد. أما البرق، فهو: (البرق، واحد بروق السحاب، و البرق الذی یلمع فی الغیم، و جمعه بروق و برقت السماء تبرق برقا، و أبرقت جاءت ببرق، و البرقهٔ، المقدار من البرق و قرئ: یکاد سنا برقه فهذا لا محالهٔ جمع برقهٔ، و مرت بنا اللیلهٔ سحابهٔ براقهٔ و بارقهٔ، أی سحابهٔ ذات برق) «۱». و أما الرعد، فمعناه: (الصوت الذی یسمع من السحاب، و أرعد القوم و أبرقوا، أصابهم رعد و برق، و

رعدت السماء ترعد و ترعد رعدا و رعودا و أرعدت، صوتت للإمطار) «۲». و من الممكن أن نستخلص بعض المعطيات من الآية القرآنية، ثم سنرى أن ما حددته الآية من حقائق علمية، جاء العلم ليثبته و يكتشفه فى عصرنا. أولا: تحدد الآية الكريمة وجود البرد فى السحب الركامية على وجه الخصوص. ثانيا: أثبتت الآية أن للبرد برقا، و أن البرد هو الذى يسبب حصول البرق، و ذلک فى قوله سبحان و تعالى: يَكادُ سَـنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ، فالضمير فى بَرْقِهِ يعود إلى أقرب مذكور، ألا و هو البرد، و العجب أن جلّ المفسرين رضى اللّه عنهم، أرجعوا الضمير إلى السحاب، و ليس إلى أقرب مذكور «البرد». ثالثا: أشارت الآية الكريمة إلى أن لمعان البرق يؤدى إلى العمى، يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ و هذا ما أكّده العلماء على ما سنرى.

الحقائق العلمية:

الحقائق العلمية: تحدّث العلماء و بإسهاب شديد عن البرد و البرق، و أوضحوا أن السحب الركامية هى وحدها التى يكون فيها البرد، و الذى بسببه يحصل البرق، ففى «موسوعة المعارف الكونية»: (لقد ثبت علميا أن جميع السحب مشحونة كهربائيا، و تبلغ الشحنات أقصاها فى السحب الركامية العاصفية ... و تبعد الواحدة عن الأخرى من ۱ إلى ۱۰ کم، و الصاعقة مؤلفة من بروق متعددة، تم تصويرها بآن واحد تشكل معظمها بين السحب و سطح الأرض، و لكن يوجد منها ما يتشكل بين السحب نفسها و تسمى هذه بالبروق (____۱) لسان العرب، لابن منظور، ۱۰/ ۱۴. (۲) المصدر نفسه، ۳/ ۱۷۹، و انظر: كتاب العين، للفراهيدى، ۲/ ۳۳. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۳۶ الخطية و التى يصل فيها طول الخط الواحد بضعة كيلومترات، و قد تتمحض العاصفة عن عدة آلاف عملية من عمليات التفريغ الكهربى (البرق) و قد يصل طول الشرارة الواحدة ۱، ۵ کم، عند ما يتم التفريغ بين السحابة و الأرض (صاعقة)، أما طولها عند ما يحدث التفريغ بين السحب فهو يزيد عن ذلک كثيرا، و عند ما تكون الصاعقة قريبة منا لا يصعب تمييز تفرغ الشرارات و تعددها فى كل اتجاه، و قد تستغرق الواحدة منها زهاء ثانية كاملة قبل أن يتلاشى وميضها، و قد يتعذر علينا رؤية الشرارة نفسها حيث تضىء السحب و السماء فجأة بنور ساطع يطلق عليه أحيانا اسم صحائف البرق) «۱». و نفس الحقائق فى كتاب «أسرار الأرصاد الجوية»: (العواصف ظواهر عنيفة من حالات الطقس مصحوبة بالبروق و الصواعق و سقوط البرد و الأمطار الغزيرة، تنشأ العواصف داخل الكتل السحب الضخمة من نوع الركام، التى يصل ارتفاعها من ۱۰- ۱۶ کم، و تبلغ حرارة قمة الغيمة- ۵۰ درجة فى أوربا، و- ۷۲ درجة فى خط الاستواء، تحدث داخل الغيمة حركات صعود و هبوط و تتشكل عندها قطرات البرد، و إن عدم التوازن داخل الغيمة يعود إلى الشحن الكهربائية الموجبة و السالبة، تكون قمة الغيمة مشحونة إيجابيا، و قاعدتها مشحونة سلبيا كمدخرة، و أحيانا يكون شحن الغيمة معكوسا، و عند ما يحدث خلل فى التوازن على السطح الخارجى للغيمة، أى بين القاعدة المشحونة سلبيا و الأرض المشحونة إيجابيا، أو بين قاعدة الغيمة السالبة و الأرض الموجبة، و اعتبارا من اللحظة التى يحصل فيها تصادم مباشر بين منطقتين سالبة و موجبة يحدث التفريغ الكهربائى و ينطلق البرق) «۲». و عند ما يتحدث العلماء عن نشأة الشحنات الكهربائية فى الغيوم الرعدية، فإنهم يجعلونها تعتمد على مفهومين أساسيين، أولهما: (إن قطرات الماء فوق المبردة أثناء تجمدها، تأخذ بالتجمد باتجاه الداخل بدءا من سطحها، و هذا يؤدى إلى إبقاء داخلها (لبها) أدفأ من سطحها، و يكون داخلها الأدفأ مشحونا بشحنة سالبة، شوارد HO، فى حين يكون سطحها الأبرد موجب الشحنة بسبب هجرة شوارد الهيدروجين H+ مع انخفاض تدرج الحرارة. (____۱) المعارف الكونية، إعداد نخبة من العلماء، ص: ۳۷۰. (۲) أسرار الأرصاد الجوية، موسوعة علمية مبسّطة، ص: ۵۴. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۳۷ ثانيهما: أنه عند ما تتفتت حبات البرد الهشّة أثناء عملية التجمد، فإن شظايا الجليد الصغيرة الحاملة لشحنات موجبة، تنطلق مندفعة إلى أعلى حجيرة الحملان مع التيارات الصاعدة، و هذا ما يفسر كون الجزء الأعلى من الغيمة الرعدية، الذى درجة حرارته

دون- ۲۰ درجهٔ ذو شحنهٔ إیجابیهٔ، و بالمثل فإن کریات البرد الأثقل المشحونهٔ سلبیا تسقط باتجاه قاعدهٔ الغیمهٔ لتکسبها شحنتها الکهربائیهٔ السالبهٔ و هناک عملیهٔ أخری یمکن بفعلها أن تتولد الشحنات الکهربائیهٔ فی الغیمهٔ الرعدیهٔ، تقوم علی ما ینتج من التصادم الحاصل بین بلورات الجلید البـاردهٔ، و کریات البرد الهش الأحرّ، إذ ینجم عن التراکم الجاری لقطرات الماء فوق المبرد علی کریات البرد، نشوء سطوح غیر منتظمهٔ تتسخن نتیجهٔ انطلاق الحرارهٔ الکامنهٔ فی قطرات الماء عند تجمدها، و یتولد من جراء صدمات بلورات الجلید الباردهٔ لهذه السطوح غیر المنتظمهٔ تولد شحنات سالبهٔ تکتسبها تلک السطوح، بینما تکتسب البلورات الجلیدیهٔ الأبرد شحنهٔ موجبهٔ، و مرهٔ أخری تأخذ تأثیرات ظاهرهٔ الفعل الجاذبی الثقالی دورها فی توزع الشحنات الکهربائیهٔ فی داخل الغیمهٔ) «۱». و نفس المعنی فی کتاب «الأرصاد الجویهٔ»: (تتکون العاصفهٔ الرعدیهٔ بصفهٔ عامهٔ من برق و رعد و ریاح قویهٔ مصحوبهٔ بأمطار غزیرهٔ و برد و کرات من الثلج، و تحدث السحب الرکام المزنی السوداء الضخمهٔ، و تستمد العاصفهٔ الرعدیهٔ الجزء الأکبر من طاقتها من الحرارهٔ الکامنهٔ الناتجهٔ من تکثف بخار الماء فی الغلاف الجوی، و العوامل المساعدهٔ لتکوینها هی: ۱- وجود کمیات من بخار الماء فی الغلاف الجوی. ۲- تکثف بخار الماء و انطلاق الحرارهٔ الکامنهٔ منه. ۳- حالهٔ عدم استقرار فی الغلاف الجوی. ۴- وجود تیارات صاعدهٔ قویهٔ) «۲ (________________________________». ۱) العواصف الرعدیهٔ، علی موسی، ص ۹۰- ۹۱، و انظر: الجو و تقلباته، علی حسن موسی، دمشق، دار الفکر، ۱۹۸۸، ص ۱۱۴. (۲) الأرصاد الجویهٔ، محمد أحمد النطاح، لیبیا، الدار الجماهیریهٔ، الطبعهٔ الأولی، ۱۹۹۰، ص: ۳۷۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۳۸

الإعجاز:

الإعجاز: هذه بعض أقوال علماء المناخ، و لا- داعی لسرد المزید مما توصل إلیه العلماء فی هذا المجال من نتائج حول السحب الرکامیهٔ، و ما تتضمن من برد و برق و رعد، و لکن لنتساءل هل کان فی عهد محمد صلی اللّه علیه و سلم أجهزهٔ الاستشعار عن بعد حتی قرر هذه الحقائق، أم هل کان لدیه مکوک فضائی و أقمار اصطناعیهٔ لیرسل تلامذته إلی الفضاء کی یصور له هذه الحقائق عن السحب و ما حوت؟ إن هذا التوافق المدهش بین ما سجلته الآیهٔ الکریمهٔ حول السحب الرکامیهٔ و خصائصها، و بین ما وصل إلیه العلم لیدل دلالهٔ قاطعهٔ علی صدق نبوهٔ محمد صلی اللّه علیه و سلم من جههٔ، و علی أن ما جاء به هو من عند اللّه تعالی، أ فلا ینبغی علی رواد العلوم و المعارف أن یحنوا رءوسهم إجلالا لهذه المعجزات القرآنیهٔ العظیمهٔ. إنها ومضات سریعهٔ تعرفنا من خلالها علی الریاح و أنواعها و الریح و عواقبها، و السحب و أشکالها و علی البرق و الرعد و الصواعق، فکل هذه من جنود اللّه العظیم، لینبه بها عباده لیتقوه و یخافوه. صورهٔ تظهر الصواعق و البرق و الرعد «۱» (________________________________۱) أخذت هذه الصورهٔ من کتاب المعارف الکونیهٔ، إعداد مجموعهٔ من العلماء، ص ۳۷۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۳۹

الفصل التاسع الإعجاز القرآنی فی الجبال

اشارهٔ

الفصل التاسع الإعجاز القرآنی فی الجبال تمهید. المبحث الأول: تکوین الجبال. المبحث الثانی: الجبال تحافظ علی توازن الأرض. المبحث الثالث: الرواسی الشامخات و الماء الفرات. المبحث الرابع: حرکهٔ الجبال و تعدد صخورها. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۴۱

تمهید

تمهید الجبال کلمة تدل علی الشموخ و الکبریاء، و وصف یخیب من حاول الاتصاف به إلا الجبال، فهی التی تنزوی أمامها رقاب الجبابرة، و تنقطع لدیها الأعناق المشرئبة التی تحاول أن تطیل شموخها، و فی ذلک یخاطب الحق تبارک و تعالی أولئک الذین یمشون فی الأرض متبخترین متکبرین قائلا: وَ لا تَمْشِ فِی الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّکَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولًا «۱». و مع تلک العظمة التی اتصفت بها الجبال فإن الحق ساقها فی معرض المدح و الثناء، و معرض ضرب الأمثال فی العبودیة و الخشوع لسلطان القرآن و أنوار البیان، قال تعالی: لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلی جَبَلٍ لَرَأَیْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْیَةِ اللَّهِ وَ تِلْکَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ یَتَفَکَّرُونَ «۲». إلا أن الجبال لم تغترّ بعظمتها، و لم تتباه بمظاهر الرفعة و الإباء التی أودعها اللّه فیها، فلما عرض الحق جل جلاله الأمانة علیها، تسرّب إلیها الرعب و داخلها الخوف، لشدّة تحمل الأمانة و المسئولیة و التکالیف السماویة، فآثرت أن تنقاد للحق طواعیة دون اختیار أو عزم، لأنها أدرکت بصدق ثقل الأمانة، و هو موقف الحساب و موطن الجزاء یوم الدین، قال اللّه سبحانه و تعالی: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ فَأَبَیْنَ أَنْ یَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ کانَ ظَلُوماً جَهُولًا «۳». إذن، جدیر بالباحثین أن یحرکوا الطاقة العقلیة و العلمیة فی دراسة هذه الآیة الدالة علی بدیع صنع الله، و تألق مخلوقاته، لیصلوا إلی مقام التفکر الذی أمروا به، و من ثمّ إلی مقام الخشوع و الولاء المطلق للخالق العظیم سبحانه و تعالی.

(____ ۱) سورة الإسراء، الآیة: ۳۷. (۲) سورة الحشر، الآیة: ۲۱. (۳) سورة الأحزاب، الآیة: ۷۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۴۲ و سوف یتناول فی هذا المبحث بعونه تعالی، الحدیث عن تکوین الجبال و کیفیة نشأتها، و ما توصل إلیه الباحثون فی ذلک و ما قد قرره کتاب اللّه عز و جل، و من ثم یتحدث عن أبرز و أهم فوائد الجبال ألا و هی محافظتها علی توازن الکرة الأرضیة، و کیف أن الحق تبارک و تعالی جعلها سببا فی تثبیت الأرض و اتزانها، ثم ینتقل لتحلل العلاقة الوثیقة بین الجبال الشامخات الشاهقات و بین الماء العذب الفرات، و السر فی أن القرآن یقرن بینهما، فی حین إذا ذکر الجبال دون وصف الشامخات لا یأتی بهذا الربط، و یختم الحدیث عن الجبال بالإشارة إلی حرکتها و تعدد صخورها و ألوانها، بین القرآن و العلم. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۴۳

المبحث الأول تکوین الجبال

اشارة

المبحث الأول تکوین الجبال قال تعالی: وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها وَ أَلْقَیْنا فِیها رَواسِیَ «۱». و قال سبحانه: وَ أَلْقی فِی الْأَرْضِ رَواسِیَ أَنْ تَمِیدَ بِکُمْ «۲». و قال جل ثناؤه: وَ هُوَ الَّذِی مَدَّ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِیها رَواسِیَ وَ أَنْهاراً «۳». تتحدّث هذه الآیات عن نشأة الجبال و تکوینها، فبعد أن مدّ اللّه سبحانه و تعالی الأرض و بسطها جعلت تمید، فألقی فیها رواسی شامخات لیثبتها من حرکتها المضطربة، لیتسنّی للمخلوقات التی أودعها اللّه فیها العیش الهادئ الهانئ. و الإعجاز العلمی فی قوله تعالی: وَ الْقِیَ و الإلقاء کما نعلم یکون من أسفل إلی أعلی، کما فی قوله تعالی: وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (۳) وَ أَلْقَتْ ما فِیها وَ تَخَلَّتْ (۴) «۴»، و من الأعلی إلی الأسفل، و من النوعین کانت نشأة الجبال، و فی نظرة لما قاله المفسرون تزداد الصورة بیانا و وضوحا. یقول الطبری: (و جعل فی الأرض جبالا ثابتة، و الرواسی، جمع راسیة و هی الثابتة، یقال: منه أرسیت الوتد فی الأرض، إذا أثبته) «۵». و فی «روح المعانی»: (و جعل فیها رواسی، أی جبالا ثوابت، من الرسو، و هو ثبات الأجسام الثقیلة، و لم یذکر الموصوف لإغناء غلبة الوصف بها عن ذلک ... و أما الارتفاع فله سبب بالذات و سبب بالعرض، أما الأول: فکما إذا نقلت الریح الفاعلة

(____۱) سورة ق، الآیة: ۷. (۲) سورة النحل، الآیة: ۱۵. (۳) سورة الرعد، الآیة: ۳. (۴) سورة الانشقاق، الآیتان ۳، ۴. (۵) جامع البیان، للطبری، ۳۱/ ۶۳، و انظر: تفسیر غریب القرآن، عبد اللّه بن مسلم بن قتیبة، بیروت، دار الهلال، ۱۹۹۱، ص: ۲۴۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۴۴ للزلزلة طائفة من الأرض و جعلتها تلا- من التلال، و أما الثانی: فأن یکون الطین بعد تحجره مختلف الأجزاء فی الرخاوة و الصلابة، و تتفق میاه قویة الجری أو ریاح عظیمة الهبوب، فتحفر الأجزاء الرخوة و تبقی الصلبة ثم لا تزال السیول و الریاح تؤثر فی تلک الحفر إلی أن تغور غورا شدیدا، و یبقی ما تنحرف عنه شاهقا، و الأشبه أن هذه المعمورة قد کانت فی سالف الدهر مغمورة فی البحار، فحصل هناک الطین اللزج الکثیر ثم حصل بعد الانکشاف و تکونت الجبال) «۱». و یقول الرازی: (و الاستدلال بأحوال الجبال و إلیه الإشارة بقوله سبحانه: وَ جَعَلَ فِیها رَواسِیَ من فوقها ثابتة باقیة فی أحیازها، غیر منتقلة عن أماکنها، یقال: رسا هذا الوتد و أرسیته و المراد ما ذکرنا) «۲». و فی تفسیر «السراج المنیر»: (و ألقینا فیها رواسی، أی جبالا ثوابت کانت سببا لثباتها، و خالفت عادة المراسی فی أنها من فوق، و المراسی التی تعالجونها أنتم من تحت) «۳». رسم بیانی لامتداد القارات و الجبال فی النطاق الأرضی إضعاف الأجزاء البارزة منها علی السطح (____۱) روح المعانی، للآلوسی، ۱۳/ ۱۱۳، و انظر: الفتوحات الإلهیة، سلیمان بن عمر العجیلی، بیروت، دار الفکر، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴ ۴/ ۳۱۵. (۲) التفسیر الکبیر، للرازی، ۱۹/ ۸. (۳) السراج المنیر، للخطیب الشربینی، بیروت، دار المعرفة، الطبعة الثانیة، د. ت، ۴/ ۸۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۴۵ و نجد المعنی ذاته فی المعاجم لو بحثنا عن الرواسی، ففی لسان العرب: (رسا الشیء یرسو رسوا و أرسی ثبت، و أرساه هو، و رسا الجبل یرسو إذا ثبت أصله فی الأرض، و جبال راسیات و الرواسی من الجبال الثوابت الرواسخ ... راسیة و رست قدمه ثبتت فی الحرب، و رست السفینة ترسو رسوا بلغ أسفلها القعر و انتهی إلی قرار الماء فثبتت و بقیت لا تسیر) «۱». و فی «المصباح المنیر»: (رسا الشیء یرسو رسوا و رسوا، ثبت فهو راس، و جبال راسیة و راسیات و رواس، و أرسیته بالألف للتعدیة، و رست أقدامهم فی الحرب، و رسوت بین القوم أصلحت، و ألقت السحابة مراسیها، دامت) «۲». یتسنّی لنا الآن و قد عرضت طائفة من أقوال المفسرین و أصحاب المعاجم، أن یستخلص من معطیات النصوص القرآنیة ما یلی: أولا: عبّر القرآن الکریم عن عملیة نشأة و تکوین الجبال بالفعل «ألقی»، و الإلقاء یکون من أعلی إلی أسفل، کقوله تعالی: وَ أَلْقِ ما فِی یَمِینِکَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا إِنَّما صَنَعُوا کَیْدُ ساحِرٍ وَ لا یُفْلِحُ السَّاحِرُ حَیْثُ أَتی «۳»، و کقوله سبحانه: وَ أَلْقِ عَصاکَ فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ کَأَنَّها جَانٌّ وَلَّی مُدْبِراً وَ لَمْ یُعَقِّبْ یا مُوسی لا تَخَفْ إِنِّی لا یَخافُ لَدَیَّ الْمُرْسَلُونَ «۴». و کذلک یکون الإلقاء من أسفل إلی أعلی کقوله تعالی: وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (۳) وَ أَلْقَتْ ما فِیها وَ تَخَلَّتْ (۴) «۵»، و تعتبر هاتان الطریقتان من أبرز الطرق التی تتم من خلالها تشکیل الجبال، و هذا ما سنتعرف علیه بعد قلیل. ثانیا: یستخدم القرآن الکریم أحیانا لفظ (رواسی) عوضا عن (جبال)، و فی ذلک تصریح واضح بأن الجبال هی بمثابة الرواسی للأرض، و التی تثبتها و تقرها.

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: سیساق طائفة من أقوال و دراسات علماء الجیولوجیا، و التی سنری من خلال عرضها أن نشأة و تکوین الجبال إنما تتم بفعل الإلقاء من الأعلی إلی الأسفل، کتکوین (____۱) لسان العرب، لابن منظور، ۱۴/ ۳۲۱. (۲) المصباح المنیر، للمقری، ۱/ ۲۲۷. (۳) سورة طه، الآیة: ۶۹. (۴) سورة النمل، الآیة: ۱۰. (۵) سورة الانشقاق، الآیتان ۳، ۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۴۶ الجبال الرسوبیة، و التی تتکوّن بفعل التعریة بسبب الریاح أو ماء الأنهار و غیرها، أو کتکوین الجبال البرکانیة، و التی تتکون بسبب النشاط البرکانی الذی یقذف و یلقی من داخله إلی الأعلی الحمم و

الفوهات و التى تتحول بعد ملايين السنين إلى جبال. بركان نشط يقذف الحمم من داخله، و يلقى بالأحجار و الصهارة و التى تكوّن الجبال البركانية و سنرى أن هذا هو الذى أثبته العلم فى القرن العشرين، بعد اعتقاد ساد القرون الماضية أن الجبال هى ما نرى فوق البسيطة لا غير، فكشف العلم عن نشأة الجبال و أطوار تكونها، و قد قرر ذلك كتاب ربنا منذ أربعة عشر قرنا، و إليك ما توصل إليه الجيولوجيون فى ذلك: الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۴۷ - بالنسبة لتكوين الجبال الرسوبية، أى الإلقاء من أعلى إلى أسفل، فيقول الدكتور محمد جمال الدين الفندى: (إن المياه تجرى إلى المنخفضات التى تسمى بالبحار الجيولوجيا و تغمرها، و هذه تكون عادة بحارا ضحلة متّسعة ممتدة فى وسط القارات أو أعلى حوافها و تصير قيعانها بمرور الزمن الجيولوجى مأوى لأثقال عظيمة جدا من الرسوبيات، تأتى بها عوامل التعرية من مناطق الارتفاع كالجبال و الهضاب، و كلما عظمت تلك الأحمال هبطت تحت وطأتها قيعان البحار، و تظل هذه الرسوبيات تتراكم هكذا حتى تكون جذور الجبال مستقبلة نتيجة للضغط الشديد، فتلتوى و تنثنى و ترتفع رويدا رويدا طافية فوق مواد المنطقة، التى تحمل القشرة و تفصلها عن باطن الأرض، و أخيرا تطل من سطح الماء، و ينحسر الماء عنها إلى أماكن أخرى مكونا بحارا جيولوجية جديدة، و تلك هى الثورات الجيولوجية أو حركات بناء الجبال) «۱». و يصف العالم الجيولوجى ليون موريه «۲» تكوين الجبال بكلا الطريقتين المذكورتين فيقول: (من السلاسل الجبلية، سلاسل المقعرات الأرضية، و التى تنجم عن انضغاط حفر الترسب الكبرى بفعل حركات تماسية، و التى دعيناها المقعرات الأرضية، و التى تراكمت فيها خلال حقب طويلة ثخانات كبيرة من روسوبات بحرية عميقة، و يكون توافق المظاهر البحرية العميقة مع المناطق الملتوية هو قاعدة عامة، بحيث أمكن القول: أن السلاسل الجبلية تتشكل دوما فوق موقع المقعرات الأرضية، كما يمكننا اعتبار طيات القاع كرد فعل للحركات التماسية التى تبقى لوحدها فى الأصل، ففى حين الانضغاط الأقصى على مقعر أرض ما، فإن مشارف المنطقة تتحدب بتأثير الجهد (______________________________ ۱) اللّه و الكون، محمد جمال الدين الفندى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتب، الطبعة الثانية، ۱۹۸۷، ص ۲۲۳، و انظر: ما هى الجيولوجيا، وليم ماثيوز، ترجمة مختار رسمى ناشد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتب، ۱۹۹۵، ص ۲۲۰، و انظر: الجيولوجيا و الكائنات الحية، دولت عبد الرحيم إبراهيم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتب، ۱۹۹۵، ص: ۱۸. (۲) ليون موريه: يحتل مكانة مرموقة بين علماء الجيولوجيا، بل يعد صاحب مدرسة جيولوجية قائمة بذاتها، و هو عضو المجمع، و عميد فخرى لكلية العلوم، و أستاذ فى المعهد العالى الوطنى للهيدروليك فى غرينوبل. انظر: مقدمة المترجم، ص: ۹. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۴۸ و تعطى معقدا من طيات قاع، يؤدى كما تؤدى موجة قاع بحرية إلى نهوض قارة برمتها، و تأتى اندفاعات بركانية تؤدى إلى نشوء الجبال) «۱». كذلك فإن (الأحواض البحرية تتكون بسبب انخفاض بسيط على سطح الأرض نتيجة الحركات الأرضية، ثم يمتلئ هذا المنخفض بالمياه و تعيش فيه الكائنات البحرية، و تترسب فيه المواد الرسوبية إلى أن يمتلئ بالرسوبيات، و أخيرا تضغط جوانبه مسببة تكوّن الثنيات و الجبال، و عليه يجب عدم الاستغراب إذا ما تسلّقنا قمة جبل ما، و لاحظنا وجود القواقع البحرية المتحجرة، أو آثار الأسماك المطبوعة على صخور الجبل، لأن تلك الجبال كانت فى يوم ما رسوبيات مترسبة فى قيعان البحار) «۲». و قد أسهب العلماء فى ذكر أنواع الجبال و طرق تكوينها، من ذلك ما ورد فى كتاب «أساسيات علم الجيولوجيا» إذ نجد فيه: (و هناك ثلاثة أنواع أساسية من الجبال: ۱- جبال جيوسنكلينية: و يطلق عليها أحيانا اسم أحزمة الطيات، لكثرة وجود الطيات فى داخلها و هى تتكون نتيجة لرفع و طىّ الرسوبيات المتراكمة فى الأحواض البحرية، و تعرف الحركات الأرضية التى تتحكم فى تكوين مثل هذه الجبال باسم: الحركات الأرضية البانية للجبال. ۲- جبال بركانية: و التى تكون سلاسل جبلية مغمورة فى قيعان المحيطات، على طول الحدود البناءة و تتكون هذه الجبال من الانبثاقات البازلتية، و التى تكوّن قيعان المحيطات أثناء عملية انتشار قاع البحار. ۳- جبال تصدّعية: و توجد فى وسط ألواح قارية ثابتة، و أحيانا تتكون الرسوبيات التى تؤدى إلى تكوين مثل هذه الجبال فى أحواض ترسيبية) «۳». (______________________________ ۱) الوجيز فى الجيولوجيا، ليون

موریه، ترجمة، یوسف خوری و عبد الرحمن حمیدة، دمشق، دار طلاس، الطبعة الأولی، ۱۹۸۷، ص ۵۷۲ و انظر: علوم الأرض و البیئة، فتحی أبو ناصر، عمان، دار الیازوری، الطبعة الأولی، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۹، ص ۶۰. (۲) الجیولوجیا للجمیع، عادل حاتم جوزی، بغداد، دار الرشید، ۱۹۸۰، ص ۷۵. (۳) أساسیات علم الجیولوجیا، محمد حسن و آخرون، عمان، مرکز الکتب الأردنی، ۱۹۹۰، ص: ۱۸۶، و انظر: کوکب اسمه الأرض، جورج جامو، ترجمة، الدکتورة هذارة، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ۱۹۷۴، ص: ۱۱۰، و انظر: الأرض و أسرارها، جورجیت بارتلمی، ترجمة، میشیل خوری، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ۱۹۹۱، ص: ۴۰، و انظر:- الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۴۹ و فی الکتاب القیم «الأرض مقدمة للجیولوجیا الطبیعیة»: (لقد حدثت عملیات نشوء الجبال فی التاریخ الجیولوجی الحدیث بعدة مواقع حول العالم، و تشمل هذه الأحزمة الجبلیة الحدیثة الکوردیلیر الأمریکیة، و التی تمتد علی طول الحافة الغربیة للأمریکیتین ... و معظم هذه الأحزمة الجبلیة قد تکونت خلال المائة ملیون سنة الماضیة، و قد ابتدأ بعضها فی التکون، بما فی ذلک الهیمالایا فی مدة لا تزید عن ۴۰ ملیون سنة مضت ... و تتألف أحزمة بناء الجبال عادة من مرتفعات متوازیة من الصخور الرسوبیة و البرکانیة المطویة و المتصدّعة، التی تکون بعض أجزائها قد تحولت تحولا شدیدا، و اقتحمت بأجسام ناریة حدیثة نوعا، و فی معظم الحالات تکون الصخور الرسوبیة قد تراکمت فی بحار عمیقة و قد زاد سمکها عن ۱۵۰۰۰ متر، و کذلک من صخور أقل سمکا تراکمت فی بحار ضحلة، و علاوة علی ذلک فلا بد أن تکون هذه الصخور المشکّلة أکبر عمرا فی معظمها من حادثة بناء الجبال التی تضمنتها، مما یشیر بالضرورة إلی فترة غیر قصیرة من التراکم الهادئ المتبوع بحادثة مفاجأة من الطی و التصدّع) «۱».

الإعجاز:

الإعجاز: هذا طرف من الحدیث عن نشأة الجبال الرسوبیة و الجبال و البرکانیة ... و رأینا کیف أن الجبال الرسوبیة تتکون مما تلقیه الأنهار و الریاح بعد عملیة الحت و التعریة فی الیابسة، و ثوران البراکین فی قاعات البحار و المحیطات، لتکوّن بعد ذلک الجبال، أ لیس هذا إلقاء؟، و دلیلا علی عظمة القرآن الکریم و هو یثبت هذه الحقیقة الجیولوجیة الرائعة، وَ أَلْقی فِی الْأَرْضِ رَواسِیَ، و ما الجبال البرکانیة إلا أجسام ضخمة مؤلفة من صخور، و فتات برکانی قذفتها فوهات البراکین بشدّة، ثم تساقطت علی أطرافها و تراکمت فکانت الجبال، أ لیس هذا کذلک إلقاء؟، ألقاه اللّه من البحار و البراکین لتتکون الجبال، فسبحان من أشار إلی هذه الحقیقة الرائعة و سجلها فی کتابه لتکون سابقة فی مضمار إثبات الحقائق العلمیة، فقال تقدست أسماؤه: وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها وَ أَلْقَیْنا فِیها رَواسِیَ.

________________________________کوکب الأرض، إعداد و نشر، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، الکویت، الطبعة الثانیة، ۱۹۸۷، ص: ۴۴، و انظر: موسوعة عالم المعرفة، بیروت، دار نوبلیس، الطبعة الأولی ۱۹۹۶، ۴/ ۳۲۱. (۱) الأرض مقدمة للجیولوجیا الطبیعیة، تاربوک و لو تجنز، ص: ۵۰۹. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۵۰

المبحث الثانی الجبال تحافظ علی توازن الأرض

اشارة

المبحث الثانی الجبال تحافظ علی توازن الأرض قال تعالی: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً (۶) وَ الْجِبالَ أَوْتاداً (۷) «۱». و قال تعالی: وَ جَعَلْنا فِی الْأَرْضِ رَواسِیَ أَنْ تَمِیدَ بِهِمْ «۲». و قال تعالی: وَ الْجِبالَ أَرْساها «۳». تسجّل هذه الآیات قاعدة جیولوجیة فی القرآن الکریم، و هذه القاعدة هی: وتدیّة الجبال، فالحق سبحانه و تعالی فی معرض الامتنان علی عباده، و فی سیاق الرحمة التی غمرهم بها یذکّرهم بأنه هو

الـذی جعل الجبال أوتادا، و وزعها بدقة و حکمة فائقة، مما یساعد علی توازن الأرض، بحیث لا تمید و لا تضـطرب، فکما أن الأوتاد تثبت الخیمـة و تعمل علی اسـتقرارها، فکـذلک الجبال جعلها اللّه للأرض کالأوتاد للخیمـة. یقول الإمام القرطبی رحمه اللّه: (أَنْ تَمِیدَ بِهِمْ أی لئلا تمیـد عند الکوفیین، و کراهیة أن تمید علی قول البصـریین، و المید: الاضـطراب یمینا و شـمالا، ماد الشـیء یمید میدا إذا تحرک، و مادت الأغصان تمایلت و ماد الرجل تبختر، قال وهب بن منبه: لما خلق اللّه الأرض فجعلت تمیـد و تمور، فقالت الملائکـة: إن هـذه غیر مقرّة أحدا علی ظهرها فأصـبحت و قد أرسـیت بالجبال، و لم تدر الملائکة مما خلقت الجبال) «۴». و فی «روح المعانی»: (وَ الْجِبـالَ أَوْتـاداً أی کالأوتـاد، ففیـه تشـبیه بلیـغ أیضـا، و المراد أرسـینا الأـرض بالجبـال کمـا یرسـی الـبیت بالأوتـاد) «۵».

(______________________________________۱) سورة النبأ، الآیتان ۶، ۷. (۲) سورة الأنبیاء، الآیة: ۳۱. (۳) سورة النازعات، الآیة: ۳۲. (۴) الجامع لأحکام القرآن، للقرطبی، ۵/ ۶۰. (۵) روح المعانی، للآلوسی، ۲۹/ ۱۴، و انظر: التسـهیل لعلوم التنزیـل، محمـد بن أحمـد الغرنـاطی، بیروت، دار الأـرقم، د. ت، ۲/ ۴۴۴. الإعجـاز القرآنی فی ضوء الاکتشـاف العلمی الحدیث، ص: ۳۵۱ و عند ابن کثیر (وَ الْجِبالَ أَوْتاداً أی جعل لها أوتادا أرساها بها و ثبتها و قررها، حتی سکنت و لم تضطرب بمن علیها) «۱». و فی «التفسیر البیانی»: (و الجبال أرساها، الإرساء، التثبت و الترسیخ، و قالوا: ألقت السفینة مراسیها إذا استقرت، علی أن المادة یکثر مجیئها فی الجبال، لوضوح الثبات و الرسوخ فیها، و القرآن یستغنی أحیانا بالرواسی عن الجبال، فیشـهد هذا بأن صـفة الرسو تبـدو أوضح ما تبدو فی الجبال) «۲». و فی «البحر المحیـط»: (وَ الْجِبـالَ أَوْتاداً أی ثبتنا الأرض بالجبال، کما ثبت البیت بالأوتاد) «۳». و فی الحـدیث الـذی رواه الترمذی و غیره، عن أنس بن مالک رضـی اللّه عنه عن النبی صـلی اللّه علیه و سـلم قال: «لما خلق اللّه الأرض جعلت تمید فخلق الجبال فعاد بها علیها فاستقرت، فعجبت الملائکة من شدة الجبال قالوا: یا رب هل من خلقک شیء أشد من الجبال قال: نعم، الحدیـد، قالوا: یا رب فهل من خلقک شـیء أشـد من الحدید، قال: نعم، النار، فقالوا: یا رب فهل من شـیء أشد من النار، قال: نعم، الماء قالوا: یا رب فهل من شـیء أشـد من الماء، قال: نعم، الریح، فقالوا: یا رب فهل من خلقک شـیء أشد من الریح، قال: نعم، ابن آدم تصـدق بصدقة بیمینه یخفیها من شـماله» «۴». و معنی الوتـد فی اللغـة: (الوتد بالکسر و الوتد، ما رز فی الحائط أو الأـرض مـن الخشـب، و الجمـع أوتـاد، قـال اللّـه تعـالی: وَ الْجِبـالَ أَوْتـاداً ... و وتـدته أنـا أتـده وتـدا وتـدة و وتـدته، أثبتـه) «۵».

(______________________________________۱) تفسـیر القرآن العظیم، لاـبن کثیر، ۸/ ۳۰۶. (۲) التفسیر البیانی للقرآن، عائشـة بنت الشاطئ، القاهرة، دار المعارف، الطبعـة الثانیة، ۱۳۸۸ ه/ ۱۹۶۸، ص: ۱۵۲. (۳) البحر المحیط، لأبی حیان الأندلسی، ۹/ ۵۴۱، و انظر: تبصیر الرحمن و تیسیر المنان، علی ابن أحمد المهائی، بیروت، عالم الکتب ۱۹۸۳، ۲/ ۳۱. (۴) رواه الترمذی فی سننه، رقم: (۳۳۶۹)، ۵/ ۴۵۴، و قال أبو عیسی: هذا حدیث غریب لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه، و رواه أبو یعلی، أحمد بن علی أبو یعلی الموصلی، تحقیق، حسن سلیم أسد، دمشق، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولی، ۱۴۰۴ ه/ ۱۹۸۴ رقم: (۴۳۱۰)، ۷/ ۲۸۶. (۵) لسـان العرب، لاـبن منظور، ۳/ ۴۴۵. الإعجـاز القرآنی فی ضـوء الاکتشـاف العلمی الحـدیث، ص: ۳۵۲ و فی القـاموس المحیـط: (الوتـد بالفتـح و بالتحریـک و ککتف، ما رز فی الأرض أو الحائط من خشب و أوتاد الأرض جبالها، و من البلاد رؤساؤها) «۱». یتبیّن لنا من خلال هذا العرض، و من معطیات الآیات القرآنیة و ما قاله المفسرون و أصحاب المعاجم، أن اللّه سبحانه و تعالی خلق الجبال و جعلها بمثابـة الوتد الذی یشد الخیمة، و الجبال هی بدورها تقوم علی تثبیت الأرض کی لا تمید و تضـطرب، و هذه الحقیقة الجیولوجیة تحدث عنها علماء الجیولوجیا تحت مسمی (وتدیة الجبال).

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: ففی کتاب «من الآیات العلمیة»: (أثبتت الدراسات أن کل قارة بها جبالها التی تتمیز بها، و أن هناک سلسلة من الجبال موزّعة علی سـطح الأرض توزعا دقیقا محکما، و أن ارتفاع الجبال یتناسب و مکانه من الکرة الأرضـیة، و نوع الصـخور المکونة له، و

طبیعة الأرض من حوله، و أنه بما توجد بعض الجبال التی لا یزید ارتفاعها علی ألف متر، فهناك مثلا (جبل إفرست) فی سلسلة جبال الهمالایا الذی یقرب ارتفاعها من تسعة آلاف متر، و وجد كذلك أن الجبال الثقیلة دائما أسفلها مواد هشة و ضعیفة، و أن تحت المیاه توجد المواد الثقیلة الوزن، و ذلك حتی تتوزّع الأوزان فی المناطق المختلفة للكرة الأرضیة، و وجد العلماء أن هذا التوزیع یتمشّی مع مرونة القشرة الأرضیة و درجة حرارتها، ثم كانت الحقیقة العلمیة القاطعة التی وصل إلیها العلماء و التی تقرر: أن توزیع الجبال علی الكرة الأرضیة إنما قصد به حفظها من أن تمید إلی الشمس أو تحید عنها، و أنها فعلا السبب الأول و الرئیسی لحفظ توازن الأرض، فكأن الجبال هی أوتاد للأرض تحفظها فی مكانها و تحفظ علیها حركتها) «۲». و فی كتاب «أساسیات علم الأرض»: (إن التوزیعات فی كثافات القشرة الأرضیة علی أجزاء مختلفة منها یحرز وضعا متوازنا بین أجزاء القشرة الأرضیة فی المناطق المختلفة و هو ما یطلق علیه مصطلح اتزان القشرة الأرضیة ysatsosl. إن الاتزان النظری لكتل القشرة الأرضیة الشاهقة الارتفاع لكلا الجبال و القارات (__________ ۱) قاموس المحیط، للفیروزآبادی، ۱/ ۴۱۳. (۲) من الآیات العلمیة، عبد الرزاق نوفل، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصریة، الطبعة الأولی، ۱۹۶۶، ص: ۵۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۵۳ التی تكون طافیة علی قاعدة صخریة عالیة الكثافة و تخضع لضغط عظیم و فی وضع تجاوز حالة المرونة تكون فیها الأجزاء المرتفعة من سطح القشرة الأرضیة فی حالة توازن مع صخر الطبقة السفلیة الكثیفة، و لكن یجب أن ندرك أن الأحداث الجیولوجیة من وقت لآخر تفسر لنا نظام الاتزان فی القشرة الأرضیة ...) «۱». و یقول الشیخ عبد المجید الزندانی: (لقد تأكد الباحثون عام ۱۹۵۶، أن تحت كل جبل عرقا لهذا الجبل و امتداد له قد غرس فی الطبقة العجینیة أو اللزجة التی تحت طبقة الصخور، و قد جعل اللّه هذا الامتداد تحت كل جبل ماسكا للقارات من أن تطوف أثناء دوران الأرض، فهذه الأوتاد المغروسة فی الطبقة اللزجة التی تحت القارات تثبّت القارات كما یثبت الوتد الخیمة إذا غرس بین التراب، و لكن هذا السرّ الذی لم یتأكد منه الباحثون إلا عام ۱۹۵۶، كما ذكر ذلك الدكتور فاروق الباز المختص فی علم الجیولوجیا و الفضاء، و مدیر معهد سمیس سونیان لعلوم الأرض و الفضاء، إن هذا السر قد ذكره القرآن قبل ألف و أربع مائة عام، فقال تعالی: وَ الْجِبالَ أَوْتاداً أی جعلها اللّه أوتادا فی هذه الأرض) «۲».

الإعجاز:

الإعجاز: حقیقة وتدیّة الجبال تحدث عنها القرآن الكریم فی العدید من الآیات المباركة، ثم یأتی العلماء لیكتشفوا أن اللّه سبحانه و تعالی جعل الجبال مغروسة فی طبقات الأرض لیتسنّی للعباد أن یعیشوا علی ظهرها، إنه السبق القرآنی فی إثبات الحقائق العلمیة، فسبحان من ثبّت لنا الأرض بالجبال لننعم بوافر السعادة، و نتفیأ ظلال الرحمة الربانیة، إنه إعجاز القرآن الرائع، و صدق ربّ العزة القائل: سَنُرِیهِمْ آیاتِنا فِی الْآفاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ حَتَّی یَتَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ «۳». (__________ ۱) أساسیات علم الأرض، الجیولوجیا الفیزیائیة، محمد بن عبد الغنی عثمان مشرف، ص: ۵۱۶. (۲) كتاب التوحید، عبد المجید الزندانی، ص: ۷۲. (۳) سورة فصلت، الآیة: ۵۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۵۴ صورة رقم: (۲۴)، توضح وتدیة الجبال، و دورها فی تثبیت و حفظ توازن الأرض. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۵۵ صورة رقم: (۲۵)، سبحان من جعل هذه الراسیات أوتادا للأرض (۱). الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۵۶

المبحث الثالث الرواسی الشامخات و الماء الفرات

اشارة

المبحث الثالث الرواسى الشامخات و الماء الفرات قال اللّه تعالى: وَ جَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ وَ أَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً «۱». فى هذه الآيهٔ الكريمهٔ معجزهٔ قرآنيهٔ كبيرهٔ، و إشارهٔ علميهٔ جيولوجيهٔ فريدهٔ، فالآيهٔ تشير إلى علاقهٔ متينهٔ بين الجبال الشامخات و الماء الفرات، و الذى يتأمل قوله تعالى: شامِخاتٍ يدرك روعهٔ الإعجاز فى بيان القرآن هذا، فالله سبحانه و تعالى يلفت انتباهنا إلى حقيقهٔ علميهٔ مرئيهٔ فى عالم الشهادهٔ، فكلما كانت الجبال ذات شموخ و ارتفاع و علو كان نصيب الماء فيها أغزر، و استأهلت لتكون محطهٔ لواردات الثلوج المتراكمهٔ، و ذاك الماء الذى ينساب من قممها و سفوحها يكون عذبا فراتا سائغا للشاربين ... و بجولهٔ فى تفاسير العلماء، نرى دقهٔ هذا الارتباط الوثيق بين شموخ الجبال و غزارهٔ المياه. يقول ابن كثير: وَ جَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ يعنى الجبال أرسى بها الأرض لئلا تميد و تضطرب وَ أَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً أى عذبا زلالا من السحاب، أو مما أنبعه من عيون الأرض) «۲». و عند القرطبى: (رَواسِيَ شامِخاتٍ يعنى الجبال، و الرواسى الثوابت، و الشامخات الطوال، و منه يقال: شمخ بأنفه إذا رفعه كبرا، قال: وَ أَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً أى و جعلنا لكم سقيا، و الفرات، الماء العذب يشرب و يسقى منه الزرع، أى خلقنا الجبال و أنزلنا الماء الفرات) «۳».

(______________________________۱) سورهٔ المرسلات، الآيهٔ ۲۷. (۲) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ۸/ ۳۰۳، و انظر: لباب التأويل فى معانى التنزيل، علاء الدين على بن محمد الخازن، بغداد مكتبهٔ المثنى، د. ت، ۴/ ۳۶۹. (۳) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبى، ۱۹/ ۱۶۰، و انظر: تفسير القرآن، منصور بن محمد السمعانى، تحقيق، ياسر إبراهيم و غنيم عباس الرياض، دار الوطن، ۱۹۹۷، ۶/ ۱۳۰. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۵۷ و فى «روح المعانى»: (شامِخاتٍ مرتفعات، و منه شمخ بأنفه، و وصف جمع المذكر بجمع المؤنث فى غير العقلاء مطرد، كأشهر معلومات و تنكيرها للتفخيم، أو للإشعار بأن فى الأرض جبالا لم تعرف و لم يوقف عليها، فأرض اللّه تعالى واسعهٔ و فيها ما لم يعلمه إلا اللّه عز و جل، و قيل: للإشعار بأن فى الجبال ما لم يعرف و هو الجبال السماويهٔ، و هو مما يوافق أهل الفلسفهٔ الجديدهٔ إذ قالوا بوجود جبال كثيرهٔ فى القمر، و ظنّوا وجودها فى غيره، و تعقب بأنه تفسير بما لم يعرف وَ أَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً أى عذبا، و ذلك بأن خلقناه فى أصولها، و أجريناه لكم منها فى أنهار، و أنبعناه فى منابع تستمد مما استودعناه فيها، و قد يفسر بما هو أعم من ذلك، و الماء المنزل من السماء) «۱». و فى تفسير «أنوار التنزيل»: (وَ جَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ جبالا ثوابت طوالا و التنكير للتفخيم، أو الإشعار بأن فيها ما لم يعرف و لم ير، و قوله تعالى: وَ أَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً بخلق الأنهار و المنابع فيها) «۲». و يقول الإمام الرازى: (من الاستدلال بأحوال الجبال، أن بسببها تتولد الأنهار على وجه الأرض و ذلك أن الحجر جسم صلب، فإذا تصاعدت الأبخرهٔ من قعر الأرض و وصلت إلى الجبل احتبست هناك فلا تزال تتكامل، فيحصل تحت الجبل مياه عظيمهٔ، ثم إنها لكثرتها و قوتها تثقب و تخرج و تسيل على وجه الأرض، فمنفعهٔ الجبال فى تولد الأنهار هو من هذا الوجه، و لهذا السبب ففى أكثر الأمر أينما ذكر اللّه الجبال قرن بها ذكر الأنهار مثل ما فى هذه الآيهٔ) «۳». إن الإنسان ليصاب بالدهشهٔ عند ما يقرأ تفسير هؤلاء العلماء رضى اللّه عنهم، و هم يتحدثون عن هذه الحقائق العلميهٔ الجيولوجيهٔ منذ قرون مضت، و لم يكن فى عصرهم و لا حتى بعدهم بقرون الآليات و المعدات التقنيهٔ المتطورهٔ، التى من شأنها أن تكشف عن أسرار المياه و ارتباطها بالجبال الشامخات، و لكنهم يستلهمون هذه المعطيات العلميهٔ من وحى القرآن العظيم، الذى حوى علم الأولين و علم الآخرين.

(______________________________۱) روح المعانى، للآلوسى، ۲۸/ ۱۷۸، و انظر: فتح الرحمن فى تفسير القرآن، عبد المنعم تعليب، القاهرهٔ، دار السلام، الطبعهٔ الأولى ۱۴۱۶ ه/ ۱۹۹۵، ۷/ ۳۸۳۶. (۲) أنوار التنزيل، للبيضاوى، ۵/ ۴۳۳. (۳) التفسير الكبير، للرازى، ۱۹/ ۸ و انظر: تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر المخزومى، تحقيق، عبد الرحمن السورتى، بيروت، المنشورات العلميهٔ، د. ت، ۲/ ۷۱۶. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۵۸ إذن، ندرك من معطيات النص القرآنى أن الجبال كلما كانت شامخهٔ عاليهٔ، كان الماء أوفر من جههٔ، و من جههٔ أخرى كان عذبا فراتا، و ليس ملحا أجاجا، فما ذا قال العلم فى هذا؟.

الحقائق العلمية:

الحقـائق العلميـة: إن هـذا التصور القرآنى الـدقيق، و هـذه الإشارة العلميـة الربانيـة، قـد كشف عنها العلم، و أثبتها علماء الجيولوجيا ... (فهـذه الآيـة القرآنيـة معجزة تربـط بين ارتفـاع الجبال و تكون الجليـد الـذى يكلل هاماتها، لانخفاض حرارتها تحت الصـفر، فالبرودة تكثف بخار الماء الموجود بالجو على قمم هـذه الجبال، إذا زاد ارتفاعها عنـد حـد خاص يتوقف على موقعها قـدره ۲، ۱، ۷، ۲، ۵، ۵ كم، بالنسبة لجبال النرويج و الألب و الكليمنجارو على الترتيب، لأن هـذه الارتفاعات هى الحد الأدنى لتكوّن الثلج الدائم لانخفاض حرارتها بالدرجة اللازمة لتكثيف البخار من الهواء الرطب المحيط بها فى هذه المناطق على الترتيب، و هذا الماء يتجمّد على هيئة ثلج يغطى القمم و السفوح الشامخة الباردة، و ينصـهر هذا الثلج تحت ضـغط الجليد العلوى المتراكم فوقه باستـمرار، فيسيل الماء العذب على سفوح هـذه الجبال بتأثير الجاذبية إلى أسـفل، و لن تنفد هذه الثلوج على قمم الجبال باستـمرار ذوبان أطرافها السـفلى، لأنها كما تسيل باستـمرار تتجـدد أيضا باستـمرار عمليـة التكثف لبخار الماء من الجو المحيط بهـذه القمم، و لو لا هـذه الظاهرة العجيبـة لجفت الأنهـار إذا انقضت فصول الأمطـار عنـد منابعهـا، و تنكير المـاء فى هـذه الآيـة يفيـد العموم، بحيث يشـمل كلا من ماء الأمطار و الماء المنحـدر من جليد شوامخ الجبال التى تعمل كالإسفنج، لتجميع و ترشيح الماء العذب النقى من بخار الجو المحيط) «۱». و فى «دائرة المعارف الثقافيـة» نجـد حول هـذه الحقيقـة ما يلى: (عنـد ما تـدفع الرياح كتلـة هوائية حارة مشبعة ببخار الماء، و تصادف فى طريقها منطقة جبلية، تصطدم الكتلة الهوائية بالجبال فتوقف مسيرتها، لكن الريح تستمر فى دفعها، مما يجبرها على الارتفاع، و كلما ارتفعت هـذه الكتلـة انخفضـت درجـات الحرارة المحيطـة، ممـا يـؤدى

(۱) المعارف الكونيـة، إعداد نخبة من العلماء، ص ۲۹۹. الإعجـاز القرآنى فى ضوء الاكتشـاف العلمى الحـديث، ص: ۳۵۹ قمم الجبـال الـتى تغطيهـا الثلوج هى من نعم اللّه لتخزين المياه على سطح الأرض. إلى تكثف قسم كبير من رطوبتها، و تشكيل تراكم غيمى يكلل القمة فى النهاية على شكل ضباب) «۱». (... إن الارتفاعات العاليـة، تؤدى إلى انخفاض درجة حرارة هذه القمم، التى تستطيع بذلك تكثيف بخار الماء فى الهواء الرطب المحيط بها، و هـذا الماء المتكثف يتجمـد على هيئة ثلج، يغطى هذه القمم الشامخة و ينصـهر هذا الثلج تحت ضـغط الطبقات الثلجية المتراكمـة فـوقه، و يتحـول إلى مـاء عـذب يسـيل على سـفوح الجبـال منحـدرا بتـأثير الجاذبيـة إلى أسـفل) «۲».

(۱) دائرة المعـارف الثقافيـة، الأرض، بيروت، المركز الثقافى الحـديث، الطبعـة الأولى، ۲۰۰۰، ۳/ ۴۸. (۲) من دلائـل الإعجـاز العلمى، موسى الخطيب، ص ۲۵۴. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۶۰

الإعجاز:

الإعجاز: إن هـذه الحقائق العلمية التى سلفت، جمعها كتاب اللّه بجملة واحدة: وَ جَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ وَ أَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً، و ليس من المستغرب أن يكشـفها العلم الحـديث لأنها تنزيل من لـدن العليم الخبير، ثم إن هذه الآيات تلفت انتباهنا إلى أن نسبر أغوار الكون، و نكشف عن أسـراره و خفاياه لينعم الإنسان بها، فكم هى آلاء اللّه و نعمه الوافرة كثيرة علينا، فالجبال الشاهقات منابع لسيلان الأنهار العذبـة النقيـة، و جمال الحياة و زهوتها بهـذه الأنهار التى تملأ الوديان و السـهول و شق التربة القاحلة فتحيلها إلى جنة خضـراء زاهيـة ... إنه جمـال الكون و بهـاؤه المنعكس عن جلالـل اللّه و جمـاله ... أمـا ينبغى أن نطأطئ الرأس إجلالا لإعجاز القرآن فى هـذه الآيات الباهرات، و اعترافا بنعم اللّه و آلائه التى أرفـدها علينا و أغدقنا بها. صورة رقم: (۲۷)، مشهد رائع يوضح الماء الفرات المناسب مـن قمـم الجبـال على سـفوحها فسـبحان اللّـه العظيـم «۱».

(____۱) أخذت هذه الصورة من موقع:

D ۴۰۷۴ orderby date http://ziz ooo. ws/ z. php? name Gallery do showpic pid الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۶۱ صورة رقم: (۲۸)، مشهد آخر یبین الثلوج التی تکلل هامات الجبال، و ترشح الماء لیکون عذبا فراتا، و صدق اللّه العظیم إذ یقول: وَ جَعَلْنا فِیها رَواسِیَ شامِخاتٍ وَ أَسْقَیْناکُمْ ماءً فُراتاً، هذا خلق اللّه «۱».

(____۱) أخذت هذه الصورة من موقع:

D ۸۴۷۰۴ orderby date http://ziz ooo. ws/ z. php? name Gallery do showpic pid الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۶۲

المبحث الرابع حرکة الجبال و تعدّد صخورها

اشارة

المبحث الرابع حرکة الجبال و تعدّد صخورها قال تعالی: وَ تَرَی الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِیَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِی أَتْقَنَ کُلَّ شَیْءٍ إِنَّهُ خَبِیرٌ بِما تَفْعَلُونَ «۱». و قال سبحانه: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها وَ مِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِیضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَ غَرابِیبُ سُودٌ (۲۷) وَ مِنَ النَّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ کَذلِکَ إِنَّما یَخْشَی اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِیزٌ غَفُورٌ (۲۸) «۲». تشیر الآیة الکریمة الأولی إلی أن للجبال حرکة سریعة، و هی لیست ثابتة جامدة کما یتخیّل أو یظن، و هذه حقیقة قرآنیة سجلها کتاب اللّه تعالی، ثم کشف عنها علماء الجیولوجیا بعد قرون، کما تشیر الآیة الثانیة إلی تعدد صخور الجبال و تعدد ألوانها کذلک، و فی الآیة إشارة إلی إمکانیة تغیر ألوان الصخور مع الزمن، و لنبدأ فی بحث هاتین الآیتین من کتب التفاسیر. یقول ابن کثیر: (وَ تَرَی الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِیَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ أی تراها کأنها ثابتة باقیة علی ما کانت علیه، و هی تمر مر السحاب أی تزول عن أماکنها) «۳». و فی «تفسیر بحر العلوم»: (أی تحسبها واقفة مکانها و یقال: مستقرة وَ هِیَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ حتی تقع علی الأرض فتستوی، أی فی أعین الناظرین کأنها واقفة) «۴». و فی «إرشاد العقل السلیم»: (وَ هِیَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ حال من ضمیر الجبال فی تحسبها، أو فی جامدة، أی تراها رأی العین ساکنة، و الحال أنّها تمرّ مرّ السّحاب التی

(____۱) سورة النمل، الآیة: ۸۸. (۲) سورة فاطر، الآیتان، ۲۷، ۲۸. (۳) تفسیر القرآن العظیم، لابن کثیر، ۶/ ۱۹۴. (۴) بحر العلوم، للسمرقندی، ۲/ ۶۱۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۶۳ تسیرها الرّیاح سیرا حثیثا، و ذلک أنّ الأجرام العظام إذا تحرکت نحو سمت لا تکاد تتبین حرکتها، و قد أدمج فی هذا التشبیه تشبیه حال الجبال بحال السّحاب فی تخلخل الأجزاء و انتفاشها) «۱». و أما الآیة الثانیة، فیقول القرطبی: (و الجدد، جمع جدة، و هی الطرائق المختلفة الألوان، و حمر مختلف ألونها، و غرابیب سود، الغربیب الشدید السواد ففی الکلام تقدیم و تأخیر و المعنی، و من الجبال سود غرابیب، و العرب تقول للشدید السواد الذی لونه کلون الغراب، أسود غربیب) «۲». و فی «أنوار التنزیل»: (وَ مِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ أی ذو جدد أی خطط و طرائق، یقال: جدة الحمار للخطة السوداء علی ظهره، و قرئ جُدَدٌ بالضم جمع جدیدة، بمعنی الجدة جُدَدٌ بفتحتین و هو الطریق الواضح، بِیضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها بالشدة و الضعف، وَ غَرابِیبُ سُودٌ عطف علی بِیضٌ أو علی جُدَدٌ کأنه قیل: و من الجبال ذو جدد مختلفة اللون، و منها، أی من الجبال، وَ غَرابِیبُ متحدة اللون، و هو تأکید مضمر یفسره ما بعده، فإن الغربیب تأکید للأسود و من حق التأکید أن یتبع المؤکد) «۳». و معنی جدد فی اللغة، ففی «مفردات ألفاظ القرآن»: (جدد، جمع جدة، أی طریق ظاهرة، من قولهم: طریق مجدود، أی مسلوک مقطوع، و منه جادة الطریق) «۴». و أما غرابیب فمعناها: (جمع غربیب، و هو المشبه للغراب فی السواد، کقولک: أسود کحلک الغراب) «۵». و لعل من المفید أن نشیر إلی

أن عـددا ليس بالقليل ممن تناول تفسير الآية الأولى، أخضعها إلى عوالم الآخرة و مشاهد النكبة و الخراب التى ستسيطر على الكون إبـان قيام (______________________________ ۱) إرشـاد العقـل السـليم، لأبى السعود، ۴/ ۲۷۶. (۲) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبى، ۷/ ۲۱۹، و انظر: تفسير القرآن الكريم إعرابه و بيانه، محمـد طه الـدرة، دمشق، دار الحكمـة، ۱۹۸۲ /۱۱ /۵۹۷. (۳) أنوار التنزيل، للبيضاوى، ۴/ ۴۱۷. (۴) مفردات ألفاظ القرآن، للأصـفهانى، ص: ۱۸۸. (۵) المصـدر نفسه، ص: ۶۰۵. الإعجـاز القرآنى فى ضوء الاكتشـاف العلمى الحـديث، ص: ۳۶۴ الساعـة، و اعتبر مرور الجبال كالسـحاب كناية على نسفها و زوالها، و كان منطلق هذا التفسير وقوع الآية فى سياق نصوص قرآنية تتحدث عن مشاهد يوم القيامة. و الحق فى هذه القضـية، أن الآية تتحدث عن مرور الجبال و حركتها فى الدنيا و ليس فى أهوال الآخرة، و لسبب بسيط ألا و هو أن اللّه عز و جل قال: وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً ... و الرؤيا هنا رؤيا بصرية، و الحسبان أبدا لا يكون فى الآخرة، إذ إن الآخرة كلها يقين و كلها حق و كلهـا وقـائع مرئيـة، لاـ تخضع إلاـ لليقينيـات، أما الحسـبان و الشك و الظن، فهى حالات تعترى الناس فى الـدنيا، و لا مكان لها يوم الـدين، و بناء على هـذا فالآيـة تشـير إلى أن الإنسان إذا نظر إلى الجبال، حسـبها جامـدة لكنها فى واقع الأمر ليست كـذلك، إنما هى متحركة حركة سـريعة، و هذه الحقيقة كانت غامضة لمن سـلف من الناس، و لكن مع التقدم العلمى و الثورة التقنية التى نعيشها اليوم، تأكد للعلماء أن الجبال تتحرك حركة سريعة، ذلك أن الجبال جزء أساسى من الأرض، و لقد ثبت لنا أن الأرض تدور دورانا سريعا، و عليه فإن الجبال مسرعة بسرعة الأرض، و هناك أدلة أخرى على حركة الجبال نقف مع العلماء ليحدثونا عنها.

الحقائق العلمية:

الحقائق العلميـة: (لقـد شـبه الحق الجبال بالسـحاب المتحرك تشبيها بليغا، نعرف سـره من الحقائق التالية: ۱- حركة الأرض: السـحاب كمـا هو معروف لاـ يتحرك بـذاته، و لكنه يتحرك محمولاـ على الريـاح، و إرسـال الرياح يتم بحركتها لتهب من مكان لآخر فتساعد على تكوين و إظهـار السـحب، ثم تحريـك هـذا السـحاب محمولاـ على الريـاح، و بهـذا فالسـحاب متحرك راكب الريـاح، و بالمثل فالجبال تجرى لأنها تمتطى كوكب الأرض المنطلق فى الفضاء أى بحركة غير ذاتية، و لهذا فالجبال تمر مرّ السـحاب، فما أروع التشبيه و ما أعمق الإشارة إلى حركـة الأرض و هى تحمل معها الجبال، بينما الناس كانوا يحسـبون حتى أن كليهما ساكن و جامد. ۲- إزاحة القارات: لقـد ثبت علميا أن القشـرة الأرضـية تتحرك باسـتمرار حركـة بطيئة، و نسـتطيع أن نتخيل القارات بجبالها و كأننا معها ركاب مسافرون على ظهر ألواح قارية ضـخمة، لطبقة أرضـية تدعى (الليثوسـفير) بسمك متوسط قدره ۶۰ ميلا تحت أقـدامنا، و هذه الألواح تنزلق ببطء، طافيـة على طبقـة الرداء البلاستيكيـة المنصـهرة الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحـديث، ص: ۳۶۵ تقريبا، و التى تـدعى (الأثينوسـفير)، كما أن الجبال قـد تصل بجـذورها إلى هـذه الطبقة لتطفو كما تفعل القشـرة، فالقارات بجبالها الطافية فوق الرداء تشـبه السـفن العملاقـة الطافيـة فوق البحـار فى رسوهـا بل و فى حركتها ... و على هـذا فالجبال مع قاراتها تمر طافيـة على ألواح (الليثوسـفير) مرورا بطيئـا، لا تسـتطيع إدراكه فتحسـبها جامـدة و هى تمر مر السـحاب) «۱». و لقـد كشف علم الجيولوجيـا حـديثا عن الحقيقـة العلميـة (التى تؤكـد التغير المسـتمر لما يبدو لنا ثابتا و خالدا كالصـخور و الجبال، و هذا التغير قد يحدث تدريجيا عبر ملايين السـنين، و قـد يحـدث فجائيا عند حدوث الكوارث الطبيعية كما حدث فى زلزال (ألاسـكا) عام ۱۹۶۴، الـذى هزّ جبلا عاليا هزا عنيفا لدرجـة أن جزءا كبيرا من قمة الجبل تحطم ... إن كل ظواهر التعرية تتم بتقدير إلهى ينظم كل شـىء فى ترتيب متقن محكم، فالجبال ليست ساكنة أو دائمة و لكنها تمرّ مرّ السـحاب، فهى تتشكل و تزول تدريجيا عبر ملايين السنين، أو تزول بصورة مفاجأة كما فى حالة الكوارث الطبيعية) «۲». و أمـا قوله تعالى: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها وَ مِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَ غَرابِيبُ سُودٌ (۲۷) وَ مِنَ النَّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ كَذلِكَ إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (۲۸) «۳». فإن هـذه الآيـة تخلق مثيرا فى كيان العلماء لتنبههم إلى حقيقـة جيولوجيـة، قـد أشار إليها كتاب الله، و هذه

الحقيقة تتمثل فى اختلاف و تنوع صخور الجبال و ألوانها، و إنما يعود اختلاف ألوانها إلى اختلاف تركيبها و تكوينها، و لكن منشأها واحد و هو الأرض، و عليه فإن هذا الاختلاف و التنوع وراءه أصل واحد، و فى هذا تأكيد على وحدانية الخالق سبحانه و تعالى. (______________________________١) المعارف الكونية، نخبة من العلماء، ص ٣٢٢- ٣٢٣، و انظر: كوكب الأرض، حسن أبو العينين، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الطبعة الحادية عشر، ١٩٩٦، ص: ٣٧٦ و ما بعدها، و انظر: قواعد الجيومورفولوجيا العامة، جودت حسنين جودت، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦، ص: ١٠٥- ١٠٦. (٢) من دلائل الإعجاز العلمى، موسى الخطيب، ص ٢٥١. (٣) سورة فاطر، الآيتان ٢٧، ٢٨. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ٣٦٦ و لقد قسم العلماء الصخور إلى (ثلاثة أنواع رئيسية: ١- صخور نارية:) suoengI (، و هذه الصخور هى صهير السائل الساخن (الماجما) المنبعث من تحت سطح الأرض و هى عدة أنواع: أ- الصخور الجرانيتية. ب- الصخور الأنديسيتية. ت- الصخور البازلتية. د- الصخور الفلزبركانية. و هذه الصخور المتبردة من الصهير الذى تقترب الأيونات من بعضها و تفقد حرية الحركة، و عند ما يصل التبريد حدا كافيا تحد قوة الترابط الكيميائى من حركة الذرات و تجبرها على الانتظام فى بنية بلورية ... ثم تتصلب تباعا، و تختلف ألوان هذه الصخور فمنها الأخضر و الأبيض و الأحمر هذه من ألوان الجرانيت و يكون البازلت أسودا أو رماديا قاتما) «١». (٢- الصخور الرسوبية:) yratnemideS (، و قد تجمعت هذه الصخور فى الأحقاب المنصرمة فى البحار و هى عدة أنواع: أ- الصخور الرسوبية الحتاتية. ب- الصخور الرسوبية الكيميائية. ت- الصخور الرسوبية العضوية. إن للصخور الرسوبية أهمية خاصة فى استنباط تاريخ الأرض، فهى تتكون عند سطح الأرض فى طبقات، و كل طبقة تسجل طبيعة البيئة التى ترسبت فيها وقت ترسبها، و هذه التراكمات التى تسمى طبقات تمثل الخاصية الوحيدة المميزة للصخور الرسوبية) «٢». (٣- صخور متحولة:) cihpromateM (، و هذه الصخور فى أصلها كانت رسوبية أو نارية بشتى أنواعها ثم تحولت بعد ذلك بسبب الضغط الشديد و الحرارة القوية فى أعماق الأرض إلى صخور متنوعة، و أثناء عمليات التحول الشديد يمكن أن يكون انتقال الأيونات كافيا ليسبب فصل المعادن عن بعضها______________________________ ...

(١) الأرض مقدمة للجيولوجيا الطبيعية، تاربوك و لوتجنز، ص ٧٥. (٢) المصدر نفسه، ص ١٧٣. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ٣٦٧ و يتحول صخر (الجرانيت) إلى صخر (النايس)، و يتحول الحجر الطينى إلى (اردواز) و عمليات التحول تسبب كثيرا من التغيرات فى الصخور بما فى ذلك الزيادة فى كثافة الصخور و نمو البلورات الكبيرة و تغير اتجاه الحبيبات المعدنية، الذى ينشأ عنه مظهر محزم يسمى بالتورّق، و استبدال المعادن المتكونة فى درجة حرارة منخفضة بأخرى متكونة فى درجات حرارة مرتفعة) «١».

الإعجاز:

الإعجاز: و هكذا فإن الحق سبحانه و تعالى يسجل فى كتابه المجيد الحقائق العلمية المتوالية، فلقد قرر أن الجبال ليست ثابتة و لا جامدة، إنما تمر مرّ السحاب، و يأتى علماء الجيولوجيا ليكتشفوا هذا القانون الربانى فى حركة الجبال، ثم إن هذه الحقائق العلمية، عن الصخور و تشكلها و تلونها و تباينها جمعتها آية قرآنية: وَ مِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَ غَرابِيبُ سُودٌ، و فى الآية إشارة إلى ضرورة البحث فى علوم الجيولوجيا و الفيزياء و الكيمياء، التى تتشابك هذه العلوم مع بعضها لتصل إلى الكشف عن أسرار و حقائق الكون، الذى أرسى الحق تبارك و تعالى قواعدها بين دفّتى كتابه العظيم. (______________________________١) الأرض مقدمة للجيولوجيا الطبيعية، تاربوك و لوتجنز، ص: ١٩٣. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ٣٦٩

الفصل العاشر الإعجاز القرآنی فی البحار

اشارة

الفصل العاشر الإعجاز القرآنی فی البحار تمهیـد. المبحث الأول: ظلمات البحار و تنوع الأمواج. المبحث الثانی: مرج البحرین یلتقیان. المبحث الثـالث: و البحر المسـجور. المبحث الرابع: اهتزاز الأرض بماء السـماء. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحـدیث، ص: ۳۷۱

تمهید

تمهیـد الماء آیـة من آیات اللّه البدیعـة، و شارة ناطقـة علی عظمة الخالق، فی بث روح الحیاة فی الکائنات کلها، و الحیاة هی سـر من أسـرار اللّه فی الکون، و بین المـاء و الحیـاة تلازم وثیق، فلا حیاة بـدون ماء و لقـد جعل العلیم الخبیر جل جلاله الماء سـببا لاسـتمرار الحیاة و بقائها، فمقوّمات الحیاة و عناصر تکوینها المختلفة، لا یکتب لها البقاء و لا یمکن أن تستنشق روح الحیاة إلا بالماء، فمن الماء الدافق خلق الإنسان و تکوّن، و من الماء مع التراب تزهو دنیا النباتات، و تتکاثر بقیة المخلوقات و تسعد بنعمة الماء الزلال، قال تعالی: أَ وَ لَمْ یَرَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ کانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ کُلَّ شَیْءٍ حَیٍّ أَ فَلا یُؤْمِنُونَ «۱». و لقد جعل الحق عز و جل للماء دورة متکاملة لاسـتمرار الحیاة، بدءا من حرارة الشـمس فبخار الماء فتکوین السـحب ثم إمطار الماء من السماء، لتتفجر البراعم الخضـراء الحیـة من أکمامهـا، و ترتوی الأنعـام، و ینعم الإنسـان، و تزهو الـدنیا، قـال تعـالی: إِنَّ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّیْلِ وَ النَّهارِ وَ الْفُلْکِ الَّتِی تَجْرِی فِی الْبَحْرِ بِما یَنْفَعُ النَّاسَ وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْیا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ بَثَّ فِیها مِنْ کُلِّ دَابَّةٍ وَ تَصْرِیفِ الرِّیاحِ وَ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَیْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ «۲». و لقـد ورد فی القرآن الکریم الحـدیث عن الماء العـذب و الماء الأجاج المالـح، و أخـذ الحـدیث عن البحار شوطا و مساحـة لیست بالقلیلـة فی کتاب اللّه تعالی، و ذلک للأهمیـة الآنفة، و لسوف یتناول فی هذا الفصل قضایا بحریة عرضـها الحق عرضا غایة فی البیان الإعجاز، من ذلک الحدیث عن مرج البحار و التقائها دون امتزاج أو بغی، و ما فیها من دلالات علمیـة و قرآنیـة، و کـذلک الحـدیث عن ظلمات البحار المتنوعة، و ما حوت من (______________________________ ۱) سورة الأنبیاء، الآیة: ۳۰.

(۲) سورة البقرة، الآیة: ۱۶۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۷۲ عجائب کثیرة کوجود أمواج داخلیة تم الکشف عنها فی زماننا، و قـد ذکرها ربنا فی کتابه المجیـد بکل وضوح، ثم نعرج للحدیث عن قسم القرآن بالبحر المسـجور، و الذی تعرف علیه إنسان عصـرنا و اکتشف وجود الحمم و البراکین الثائرة الملتهبة فی قیعان البحار، ثم نعرض قضـیة اهتزاز التربة بماء السماء و ما رافق هذه العملیة من إعجازات ربانیة. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۷۳

المبحث الأول ظلمات البحار و تنوع الأمواج

اشارة

المبحث الأـول ظلمـات البحار و تنوع الأمواج قال تعالی: أَوْ کَظُلُماتٍ فِی بَحْرٍ لُجِّیٍّ یَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ یَدَهُ لَمْ یَکَدْ یَراها وَ مَنْ لَمْ یَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ «۱». تشیر هذه الآیة الکریمة إلی حقیقة علمیة رائعـة فی علم البحـار، فهی تحـدثنا عن بعض مزایـا البحر العجیب، و تکشف لنـا طرفـا من مشاهـده المدهشـة، ألاـ و هو وجود أمواج داخلیـة للبحر، و ظلمات متعـددة فیه، و قبل سوق الحقائق العلمیـة التی تفسر هـذه الآیة و تؤکد حقائقها الثابتة، نسـتعرض بعض أقوال

أهل العلم من المفسرين لنقف عند رؤيتهم العلمية لهذه الآية، و لنرى ذلك من خلال كلامهم عن معانى المصطلحات القرآنية من الناحية اللغوية. ففى تفسير «فتح البيان»: (فى بحر لجى، معظم الماء، و الجمع لجج، و هو الذى لا يدرك عمقه، ثم وصف سبحانه و تعالى هذا البحر بصفة أخرى فقال: يَغْشاهُ أى يعلو هذا البحر مَوْجٌ فيستره و يغطيه بالكلية، و الموج: ما ارتفع من الماء، ثم وصف هذا الموج بقوله: مِنْ فَوْقِهِ أى من فوق هذا الموج مَوْجٌ ثان متراكم فيه إشارة إلى كثرة الأمواج و تراكم بعضها فوق بعض، ثم وصف الموج الثانى فقال: مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ فيجتمع حينئذ جوف البحر و أمواجه و السحاب المرتفع فوقه) «۲». و يقول القرطبى رحمه اللّه: (فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ قيل: هو منسوب اللجة، و هو الذى لا يدرك قعره و اللجة معظم الماء، و الجمع لجج، و اللج البحر إذا تلاطمت أمواجه ... يَغْشاهُ مَوْجٌ أى يعلو ذلك البحر اللجى: مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ أى من فوق الموج موج، و من فوق هذا الموج الثانى، سحاب سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ و المراد (______________________________ ۱)

سورة النور، الآية: ۴۰. (۲) فتح البيان فى مقاصد القرآن، للقنوجى، ۹/ ۲۳۸. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۷۴ بهذه الظلمات ظلمة السحاب و ظلمة الموج و ظلمة الليل و ظلمة البحر، فلا يبصر من كان فى هذه الظلمات شيئا و لا كوكبا ... إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ أى الناظر لَمْ يَكَدْ يَراها أى من شدة الظلمات) «۱». و فى تفسير «بحر العلوم»: (أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يعنى: مثل الكافر كمثل رجل يكون فى بحر عميق فى الليل، كثير الماء يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ يعنى يكون فى ظلمة البحر، و ظلمة الليل، و ظلمة السحاب، فكذلك الكافر فى ظلمة الكفر، و ظلمة الجهل و ظلمة الجور و الظلم، و يقال: يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ يعنى المعاصى، و من فوقه العداوة و الحسد و البغضاء، و مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ يعنى الخذلان من اللّه تعالى. ثم قال: ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ كما قال للمؤمن: نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ فيكون للكافر ظلمة على ظلمة، قوله ظلمة، و عمله ظلمة، و اعتقاده ظلمة، و مدخله ظلمة، و مخرجه ظلمة و مصيره إلى الظلمة، و هو النار، و يقال: شبه قلب الكافر بالبحر العميق، و شبه أعضاءه بالأمواج الثلاث، طبع اللّه على قلوبهم و سمعهم و أبصارهم، فهذه الظلمات الثلاث تمنعه عن الحق، ثم قال: (إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها يعنى لم يكن أقرب إليه من نفسه، فإذا أبرز يده لم يكد يراها من شدة الظلمة، و مع ذلك لم ير نفسه) «۲». و عند الطبرى: (و مثل أعمال هؤلاء الكفار فى أنها عملت على خطأ و فساد و ضلالة و حيرة من عمالها فيها و على غير هدى، مثل ظلمات فى بحر لجّىّ، و نسب البحر إلى اللّجة، وصفا له بأنه عميق كثير الماء، و لجة البحر معظمه، يغشاه موج يقول: يغشى البحر موج، من فوقه موج يقول: من فوق الموج موج آخر يغشاه، من فوقه سحاب يقول: من فوق الموج الثانى الذى يغشى الموج الأوّل سحاب، فجعل الظلمات مثلا لأعمالهم، و البحر اللجى مثلا لقلب الكافر، يقول: عمل بنية قلب قد غمره الجهل و تغشّته الضلال و الحيرة كما يغشى هذا البحر اللّجىّ موج من فوقه موج من فوقه سحاب، فكذلك قلب هذا الكافر الذى مثل عمله مثل هذه الظلمات، يغشاه الجهل (______________________________ ۱) الجامع لأحكام القرآن، للإمام

القرطبى، ۶ / ۱۸۸، و انظر: تفسير روح البيان، إسماعيل حقى البروسوى، بيروت، دار الفكر، د. ت ۶ / ۱۶۲. (۲) بحر العلوم، للسمرقندى، ۲/ ۵۳۸. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۷۵ باللّه بأن اللّه ختم عليه فلا يعقل عن اللّه، و على سمعه فلا يسمع مواعظ اللّه، و جعل على بصره غشاوة فلا يبصر به حجج الله، فتلك ظلمات بعضها فوق بعض) «۱». و لو فتشنا عن معنى لُجِّيٍّ فى المعاجم، فسنجد: (لجة البحر حيث لا يدرك قعره، و لج الوادى جانبه، و لج البحر عرضه، و لج البحر الماء الكثير الذى لا يرى طرفاه ... و لجة الأمر، معظمه، و لجة الماء بالضم معظمه، و خص بعضهم به معظم البحر، و كذلك لجة الظلام، و جمعه لج و لجج و لجاج) «۲». و فى «العين»: (و لجة البحر حيث لا ـ ترى أرض و لا ـ جبل، و لجج القوم، دخلوا فى لجة، و بحر لجى أى واسع اللجة) «۳». سبحان اللّه، ما هذا الوصف الدقيق لأمواج البحار و طبائعها، و الذى يتأمل الآية الكريمة، و يدقق بأقوال المفسرين ثم يربط ذلك فى الزمن الذى نزلت فيه هذه الآية، و بالعصر الذى قال فيه المفسرون هذا الكلام، يقف مشدوها مستغربا من ذلك، لأنهم يتحدثون عن حقائق العلم التى وصل إليها إنسان القرن العشرين، و ما يدريهم هم بهذه الأمواج السطحية و الداخلية و الظلمات

الدامسـة فی أعماق البحر، هل سبروا أغوار البحار و رأوها، هل التقطوا صورا فضائیـة و شاهدوها؟ نعم إنهم شاهدوها بمنظار العقیدة و الیقین، و رأوها من خلال مرآة القرآن المعجز الکریم. بوسعنا الآن أن نسـتنبط من الآیة الکریمة ثلاث حقائق و هی: ۱- هناک أمواج داخلیة فی أعماق البحر تحت الأمواج السـطحیة. ۲- و هـذه الأـمواج غیر موجودة فی أیّ بحر، و إنما یجب أن یکون عمیقا. لُجِّیٍّ. ۳- المناخ الـذی یحیط فی تلک المنطقـة ملبد بالسـحب و الغیوم. تلک هی التصورات القرآنیة حول قضـیتنا هذه، و قبل أن نثبت الحقائق العلمیة التی وصل إلیها البحاث، نشیر إلی لفتة لطیفة فی هذا الصدد، و هی قوله تعالی: أَوْ کَظُلُماتٍ ففی الآیة إعجاز لأنها تتحدث عن ظلمـات فی أعمـاق البحر، و لقـد تکررت مرتیـن لتوکیـد هـذه الظلمـات، و لـم یقـل الحق: ظلاـم، إنمـا قـال: کظُلُمـاتٍ و هـذه (____۱) جامع البیـان، للطبری، ۱۸ / ۱۱۵.

(۲) لسان العرب، لابن منظور، ۲/ ۳۵۵. (۳) العین، للفراهیدی، ۶/ ۱۹. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۷۶ الظلمات بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ فما هو المقصود من هذه الظلمات، لقد کشف العلم عن السر الکامن من وراء هذه الکلمة و إلیک بیانه.

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: (طیف النور، لو طبقت المنشور سینعکس إلی سبعة ألوان، و وجد العلماء أنه إذا وصل إلی عشرة أمتار سیختفی اللون الأحمر قبل تحوله إلی ظلمـة، فیصبح لون الدم بعد عشـرة أمتار أسودا، فإذا وصل إلی ثلاثین مترا، یبدأ ظلام آخر حیث یختفی اللون البرتقـالی و یتحول إلی ظلمـة ثانیـة، فـإذا وصل إلی خمسـین مترا، یبـدأ ظلام جدیـد ثالث فیختفی اللون الأصـفر، فیصـبح ظلام اللون الأـحمر فوق ظلاـم اللون البرتقـالی و فوق ظلاـم اللون الأصـفر، ظلمـات متراکمـة، ثم إذا ما وصل إلی مسافـة ۱۰۰ مـترا یختفی اللون الأخضـر، و إلی عمق خمس مائة متر، تختفی الألوان کلها إلا الأسود، فیبقی ممیزا و کأنه ظل یتحرک أمام الرائی هناک، و علی عمق ۱۰۰۰ متر تنعـدم الرؤیا تماما، أ لیست هـذه ظُلُماتٌ بَعْضُـها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ یَدَهُ لَمْ یَکَـدْ یَراها لشدة الظلام أو الظلمات المطبقة) «۱». و حول هذه الحقیقة یتحدث کبار علماء البحار فی کتاب کتبه ثلاثون عالما من العلماء المتخصصـین فی الملاحة البحریة، و جمع أبحاثهم ریتشارد فیتر «۲» و عنون هذا الکتاب ب «علم المحیطات» و فی تأکید هذه الحقیقة و توضیحها، یقول الکابتن جاک کوسـتو «۳» فی مبحث من مباحث هذا الکتاب: (عند ما یخترق ضوء النهار البحر فإن اللونین الدافئین الأحمر و البرتقالی یزولان بسـرعة و علی عمـق ۵۰ مـترا لاـ یبقی غیر الأـلوان الخضـراء و الزرقـاء و الأرجوانیـة مـن ألـوان الطیـف، و مـع ذلـک إذا أدخلنـا الضـوء (____۱) مقتبسـة مـن محاضـرة عن البحـار

للداعیة طارق سویدان، شریط کاسیت. (۲) ریتشارد فیتر، کان منسقا لبرامج ندوات صوت أمریکا لعلم وصف المحیطات، و هو یشغل الآن منصب السـکرتیر التنفیـذی لمجلس شـئون المحیطات بالأکادیمیـة القومیـة للعلوم و المجلس القومی للبحث العلمی. انظر: مقدمة المترجم ص: ۶. (۳) جاک کوسـتو، مـدیر متحف المحیطات فی موناکو عام ۱۹۴۳، أثناء خدمته فی البحریة الفرنسـیة اخترع الکابتن کوسـتو الرئـة المائیة و منذ عام ۱۹۵۰ و هو یشـغل منصب قبطـان سـفینة کالیبسو لبعثات مسـح المحیطات، و کالیبسو هو الاسم الـذی اختـاره لمرکبته الـتی تغوص تحت المـاء. انظر: المـترجم ص: ۱۴. الإعجـاز القرآنی فی ضـوء الاکتشـاف العلمی الحـدیث، ص: ۳۷۷ صناعیا تحت الماء، فإن الأصقاع و حیوانات البحر العمیقة سرعان ما تدب فیها الحیاة بصبغة زاهیة لم یکن فی الحسبان أن تکشف عن نفسـها، و علی عمق ثلاثمائـة متر یشع ضوء أحادی بلون کاف نسـتطیع به أن نری أشـکال الصـخور أو حرکة الأسـماک، و علی عمق ألف متر و حتی فی أفضل الظروف و أنسـبها، فاللیل أبدی للعین البشـریة، فالرؤیة تکون أحیانا سیئة فی مصبات الخلجان و الموانئ أو المـدن، و لکن المـاء یکون صافیا بصـفة عامـة أو شدیـد الصـفاء فی المحیط المفتوح أو العمق الأخضـر، و عنـد ما یبـدو الماء صافیا کالبلور فإن الرؤیـة لا تزیـد عادة علی ثلاثین مترا للغواصـین شأنها فی ذلک شأن ضـباب مدینـة مثل لندن) «۱». سـبحان اللّه، من أخبر محمدا صـلی اللّه علیه و سلم بهذه الظلمات فی البحر؟. إن الذی أخبره عن الظلمات البحریة هو الذی أنبأه عن الأمواج الداخلیة، و عن

العلاقة بین السحب الجویة و الأمواج. قال تعالی: أَوْ كَظُلُماتٍ فِی بَحْرٍ لُجِّیٍّ یَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ الآیة تتحدث عن وجود أمواج داخلیة فی أعماق البحر، و أخری سطحیة من فوقها سحاب، فما ذا قال العلم فی ذلک؟. فی کتاب «علم المحیطات» عقد فصل بعنوان «الأمواج» و تحدث عن الأمواج بنوعیهما الخارجیة و الداخلیة، أما عن الأمواج الداخلیة فقال: (لقد تکلمنا لحد الآن عن الأمواج التی تقع فی المنطقة الواقعة بین سطح الماء و الهواء، و لکن یمکن للأمواج أن تمتد بین أی سائلین مختلفی الکثافة، فمثلا بین الزئبق و الهواء، و بین النفط و الماء، و بین طبقات ماء المحیط ذات درجات الکثافة المختلفة، و کلما کان الاختلاف کبیرا فی الکثافة بین السائلین، کلما انتقلت الأمواج بصورة أسرع، فمثلا لکون الزئبق کثیف جدا بالمقارنة مع الهواء فإن الأمواج فوق الزئبق ستنتقل بسرعة کبیرة، و من جهة أخری فالماء أکثف من الزیت بکثیر لذلک سوف تتحرک الأمواج بین السائلین بصورة بطیئة، و عند تواجد طبقتین من ماء المحیط ذات درجات کثافة مختلفة قلیلا، یمکن أن تتکون الأمواج بین هاتین الطبقتین و تدعی هذه الأمواج الداخلیة (lanretni evaw و تنتشر ببطء متناه) «۲».

(۱) علم المحیطات، ریتشارد فیتر، ترجمة، میشیل تکلا، القاهرة، مطبوعات کتابی، د. ت، ص: ۲۰. (۲) علم المحیطات، کیث ستو، ترجمة، تلفان عناد أحمد، البصرة، نشر جامعة البصرة، ۱۹۸۶، ص: ۵۲۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۷۸ (و لقد تحدث العلماء عن صنف من الأمواج الداخلیة و یدعی أمواج التسونامی) imanust (و هی نوع من الأمواج التی تسیر بسرعة هائلة تبلغ ۶۰۰ قدم فی الثانیة، و تحدث فی الطبقات العمیقة من المحیطات نتیجة الزلازل و البراکین و أحیانا الانفجارات الذریة، و هذه الأمواج قلیلة الحدوث، إلا أنها خطیرة جدا، و ینشأ عنها خسائر فادحة، علاوة علی أنه لا یمکن التنبؤ بها) «۱». و فی کتاب «الماء و الحیاة بین العلم و القرآن»: (و نحن نعلم بأن هناک أمواجا علی سطح البحر تعرفها جمیعا، و هی صغیرة الحجم بالنسبة لما کشفه العلم سنة ألف و تسعمائة بواسطة علماء (إسکندینافة) و هی الأمواج الداخلیة فی أعماق البحر المحیط، و دعم ذلک ما قامت به الأقمار الصناعیة من استشعار عن بعد، و تصویر لهذا النوع الجدید من الأمواج سنة ألف و تسعمائة و ثلاث و سبعین و الذی ما عرفه إنسان قبل التاریخ و لا بعده إلا منذ سبع سنوات فقط، و طول هذه الأمواج السحیقة العملاقة یبلغ عشرة کیلومترات، و سمکها آلاف الأمتار ... و المسافة بین الموجة السحیقة و الأخری المجاورة لها فی الأعماق تبلغ ۳- ۴ ک. م، و هذا نوع کبیر جدا إذا قورن بالأمواج السطحیة التی توجد فوق سطح المحیط، و التی ما کنا نعرف غیرها من أنواع الأمواج إلا أخیرا، و هذا النوع السحیق یسود فی البحار المظلمة، مثل المحیط الهادی و الأطلنطی، فالمحیط الهادی سحیق الغور و أعمق مناطق العالم تقع فیه، و هو أخدود (الماریاناز) الذی یصل عمقه إلی ۳۶۰۵۶ قدما، و هذه المناطق المظلمة هی التی یستحیل وصول ضوء الشمس إلیها، لعمقها الشدید، و تراکم طبقات المیاه الکثیفة، و قیام الطبقة السطحیة من المحیط بإعکاس ضوء الشمس ... و لذلک فقد صمم الخالق الأعظم أنواع الأسماک هناک بلا عیون، لأنها لا تستخدمها فی الرؤیة، و تعیش هذه الأسماک هناک بسمعها و لکن لا تبصر، و هذا الظلام لا یکون کما رأینا فی کل بحار الدنیا، و إنما البحار العمیقة فقط، و الغریب أن محمدا صلی اللّه علیه و سلم قال بذلک رغم أن ما یحیط بالجزیرة العربیة من الشرق هو الخلیج العربی و هو لیس بحرا لجیا، و البحر الأحمر من الغرب، و هو بحر داخلی قلیل العمق، و بحر العرب من الجنوب و هو الآخر لیس بحرا لجیا ... إنه لإعجاز حقا أن یخبرنا القرآن منذ ألف و أربعمائة عام بتلک الظاهرة، فالظلمات

(۱) علم البحار و المحیطات، میلاد سعید الرماح، لیبیا، نشر القوات البحریة، ۱۹۷۹، ص: ۶۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۷۹ التی ذکرها القرآن لا- توجد فی البحار المحیطة بمهبط رأس الرسول صلی اللّه علیه و سلم و موطنه، فمن کشف لمحمد هذه الأسرار؟ و من کشف له عن ظلمات السحب فی هذه المناطق التی یتمیز مناخها بالاضطرابات و الأعاصیر و تراکم السحب السوداء فی سماءها؟ إنه اللّه سبحانه و تعالی الذی أخبره عن طریق الوحی بکل ذلک و جعله سهل الفهم علی حسب مدارک ابن الصحراء، و ابن عصر الفضاء

علی حد سواء) «۱».

الإعجاز:

الإعجاز: لقد أثبت القرآن الکریم أن هناک أمواجا داخلیة غیر الأمواج السطحیة، و هذه الأمواج تتواجد فی المحیطات العمیقة اللجیة، و التی تتلبد سماؤها بالغیوم، أما البحار التی قعرها قریب و سماؤها صافیة، فلا یوجد فیها أمواج داخلیة، و هذا ما أکده العلم و قرره، فالأمواج الداخلیة تتواجد فی المحیط الهادی و الأطلنطی ... فهل ملک محمد صلی اللّه علیه و سلم الأقمار الصناعیة لتصویر هذه الأمواج أم أنه وحی السماء (________________. ۱) انظر: الماء و الحیاة بین العلم و القرآن، عبد العلیم عبد الرحمن خضر، جدة، الدار السعودیة، الطبعة الأولی، ۱۹۸۵، ص ۱۹۶. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۸۰

المبحث الثانی مرج البحرین یلتقیان

اشارة

المبحث الثانی مرج البحرین یلتقیان قال تعالی: «مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ یَلْتَقِیانِ (۱۹) بَیْنَهُما بَرْزَخٌ لا یَبْغِیانِ (۲۰) فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ (۲۱) یَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ (۲۲)» «۱». و قال تعالی: أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً وَ جَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً وَ جَعَلَ لَها رَواسِیَ وَ جَعَلَ بَیْنَ الْبَحْرَیْنِ حاجِزاً أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَکْثَرُهُمْ لا یَعْلَمُونَ «۲». و قال تعالی: وَ هُوَ الَّذِی مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَ جَعَلَ بَیْنَهُما بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً «۳». فی هذه الآیات إعجاز علمی رائع فی عالم البحار، حیث إنها تتحدث عن بحرین یختلطان لکن دون امتزاج، بسبب وجود برزخ بینهما، و قبل أن نثبت الحقائق العلمیة التی تفسر هذه الآیات، نورد أقوال المفسرین لنری کیف فهموا هذه الآیات القرآنیة التی تتضمن بعض الظواهر الکونیة، و لنقف عند التحلیل اللغوی لبعض المصطلحات القرآنیة هنا. قال الطبری رحمة اللّه: (و اللّه الذی خلط البحرین، فأمرج أحدهما فی الآخر، و أفاضه فیه، و أصل المرج الخلط، ثم یقال للتخلیة: مرج، لأن الرجل إذا خلی الشیء حتی اختلط بغیره، فکأنه قد مرجه ... و إنما قیل للمرج مرج من ذلک، لأنه یکون فیه أخلاط من الدوابّ، و یقال: مرجت دابتک: أی خلیتها تذهب حیث شاءت) «۴».

(________________۱) سورة الرحمن، الآیات: ۱۹– ۲۲.

(۲) سورة النمل، الآیة: ۶۱. (۳) سورة الفرقان، الآیة: ۵۳. (۴) جامع البیان، للطبری، ۱۸/ ۱۵، و انظر: معانی القرآن، لأبی إسحاق إبراهیم بن الری الزجاج، تحقیق، عبد الجلیل شلبی، بیروت عالم الکتب، الطبعة الأولی، ۱۴۰۸ ه/ ۱۹۸۸، ۵/ ۱۰۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۸۱ و قال الزمخشری: (مرج البحرین، أرسل البحر المالح و البحر العذب، متجاورین متلاقیین لا فصل بین الماءین فی مرأی العین، بَیْنَهُما بَرْزَخٌ حاجز من قدرة اللّه تعالی لا یَبْغِیانِ لا یتجاوزان حدّیهما و لا یبغی أحدهما علی الآخر بالممازجة) «۱». و عند الرازی: (مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ أی خلاهما و أرسلهما یقال: مرجت الدابة إذا خلیتها ترعی و أصل المرج الإرسال و الخلط، سمی الماءین الکبیرین الواسعین بحرین، قال ابن عباس: مرج البحرین أی أرسلهما فی مجاریهما کما ترسل الخیل فی المرج و هما یلتقیان، و قوله: هذا عَذْبٌ فُراتٌ و المقصود من الفرات البلیغ فی العذوبة حتی یصیر إلی الحلاوة، و الأجاج نقیضه، و أنه سبحانه بقدرته یفصل بینهما و یمنعهما التمازج، و جعل من عظیم اقتداره برزخا حائلا من قدرته، و هاهنا سؤالات: السؤال الأول: ما معنی قوله: وَ حِجْراً مَحْجُوراً؟ الجواب: هی الکلمة التی یقولها المتعوذ و قد فسرناها، و هی هاهنا واقعة علی سبیل المجاز، کأن کل واحد من البحرین یتعوذ من صاحبه و یقول له حجرا محجورا، کما قال: لا یَبْغِیانِ أی لا یبغی أحدهما علی صاحبه بالممازجة، فانتفاء

البغی ثمـة کـالتعوذ، و هاهنا جعل کل واحـد منهما فی صورة الباغی علی صاحبه، فهو یتعوذ منه و هی من أحسن الاسـتعارات) «۲». و فی «أنوار التنزیـل»: (خلاهمـا متجـاورین متلاصـقین بحیث لا یتمازجان، من مرج دابته إذا خلاها، هـذا عَـذْبٌ فُراتٌ قامع للعطش، من فرط عـذوبته وَ هـذا مِلْحٌ أُجـاجٌ بلیغ الملوحـة و قرئ مِلْحٌ علی فعل، و لعل أصـله مالـح فخفف کبرد فی بارد، وَ جَعَلَ بَیْنَهُما بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً حاجزا من قـدرته، وَ حِجْراً مَحْجُوراً و تنافرا بلیغا، کأن کلا منهما یقول للآخر ما یقوله المتعوذ للمتعوذ عنه، و قیل: حدا محـدودا، و ذلک کدجلـة تـدخل البحر فتشـقه فتجری فی خلاله فراسـخ لا یتغیر طعمها و قیل: المراد بالبحر العـذب، النهر العظیم مثل النیـل و بـالبحر الملـح البحر الکبیر، و بالبرزخ ما یحول بینهما من الأرض فتکون القـدرة فی الفصل و اختلاف الصـفة، مع أن مقتضـی طبیعـة أجزاء کـل عنصـر أن تضـامت و تلاصـقت و تشـابهت فی الکیفیـة) «۳».

(_______________ ۱) الکشاف، للزمخشری، ۴/ ۴۵، و

انظر: معرض الإبریز من الکلام الوجیز عن القرآن العزیز، عبـد الکریم الأسـعد، الریاض، دار المعراج، الطبعـة الأولی، ۱۴۱۹ ه/ ۱۹۹۸، ۳/ ۹۳۵. (۲) التفسـیر الکبیر، للرازی، ۲۴/ ۴۷۵. (۳) أنوار التنزیـل، للبیضاوی، ۴/ ۲۲۱. الإعجـاز القرآنی فی ضوء الاکتشـاف العلمی الحدیث، ص: ۳۸۲ و نفس المعنی فی «تفسـیر القرآن»: (وَ هُوَ الَّذِی مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ أی خلـط البحرین، و قیـل: أرسـل البحرین، و قوله: هذا عَذْبٌ فُراتٌ العذب، یسمی کل ماء عذب فراتا، و یسمی کل ماء ملح بحرا، و أُجاجٌ أی شدید الملوحة، و قیل: مرّ، و قوله: وَ جَعَلَ بَیْنَهُمـا بَرْزَخـاً الیبس بین البحرین و البرزخ هو الحـاجز، و قوله: وَ حِجْراً مَحْجُوراً أی مانعـا ممنوعـا) «۱». و نحلل بعض المصـطلحات القرآنیـة الواردة هنا مثل: مرج، و أجاج، و برزخ من المعاجم: ففی «لسان العرب»: (مرج، مرج الـدین و الأمر اختلط و اضـطرب، و منه الهرج و المرج، و یقال إنما یسکن المرج لأجل الهرج، ازدواجا للکلام ... و المرج الخلط و مرج اللّه البحرین العذب و الملح: خلطهما حتی التقیا) «۲». و معنی الأجاج، من الأجـة (و الأجة الاختلاط و شدة الحر، و قد ائتج النهار و تأج و تأجج، و ماء أجاج، ملح مر) «۳». و فی «مختار الصـحاح»: (الأجیج تلهب النار، و قد أجت تؤج أجیجا، و أججها غیرها فتأججت و ائتجت، و ماء أجاج أی ملح مر) «۴». و أما البرزخ فهو: (البرزخ ما بین کل شـیئین، و فی الصـحاح، الحاجز بین الشـیئین، و البرزخ ما بین الدنیا و الآخرة قبل الحشر من وقت الموت إلی البعث، فمن مات فقـد دخل البرزخ ... و البرزخ ما بین کل شـیئین، و منه قیل للمیت: هو فی برزخ لأنه بین الـدنیا و الآخرة ... و البرازخ جمع برزخ، و قوله تعـالی: بَیْنَهُما بَرْزَخٌ لا یَبْغِیانِ یعنی حاجزا من قـدرة اللّه سبحانه و تعالی، و قیل: أی حاجز خفی) «۵». یتّضـح لنا من هـذا العرض أن المقصود من قوله تعالی: مَرَجَ أی خلط، و بَرْزَخ أی حاجزا، و لزیادة الإیضاح نقول: إن کلمـة البحر إذا أطلقـت فی لغـة العرب، تنصـرف إلی البحر المعهـود ذی المـاء الکـثیف المالـح، أمـا إن خصـصت بقیـد، کقولنـا: «بحر

(_______________ ۱) تفسـیر القرآن، للإمـام أبی مظفر

السـمعانی، تحقیق، یاسـر بن إبراهیم و غنیم بن عباس غنیم، الریاض، نشـر دار الوطن، الطبعة الأولی ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۷، ۴/ ۲۶. (۲) لسان العرب، لابن منظور، ۲/ ۳۶۴. (۳) القاموس المحیط، للفیروزآبادی، ۱/ ۲۲۹. (۴) مختار الصحاح، للرازی، ۱/ ۳. (۵) لسان العرب، لابن منظور، ۳/ ۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحـدیث، ص: ۳۸۳ عذب» فینصـرف المعنی إلی المخصص و إلی المقید، فالبحر العذب أی النهر، و هذا ما رأیناه فی بعض التفاسیر، و بوسعنا الآن بعد هذه الإشارات أن نحلل الآیات القرآنیة، ثم نثبت الحقائق العلمیة علی ضوء ذلک. تتحدّث الآیة الأولی عن بحرین یلتقیان و یختلطان، إلا أن هذا الاختلاط کان سلمیا، لا ظلم فیه و لا بغی و لا تعـدّی علی حقوق أحـد، فلم یبغ أحـدهما علی الآخر بوجود البرزخ، الحاجز بینهما و المعنی نفسه تتحدث عنه الآیة الثانیة، فهی تشـیر إلی وجود حاجز بین البحرین، إن هـذه الحقیقـة العلمیـة اعتقـد بها المسـلمون قـدیما، کما رأینا من عرض أقوال المفسـرین لکنهم لم یروها فی عالم الشهادة، فاعتقادهم بها کان نابعا من یقینهم الجازم الذی لا یخامره أدنی ریب، أن هذا الکلام هو کلام الخالق العظیم، و بالتـالی فحقـائقه کلهـا صادقـة و واقعـة، فالرجـل کـان ینظر فی البحر، أو یرکبه فلاـ یری حواجز و لاـ فواصـل فیه، إلی أن جاء العلم الحدیث و کشف عن هذه الحقیقة الکونیة و المعجزة القرآنیة، و أثبت أن هناک حواجز حقیقیة بین البحار.

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: (نشرت بعثة (السیر جون أمری) مع بعثة الجامعة المصریة بخفر السواحل لدراسة أعماق البحر الأحمر و المحیط الهندی فی جنوب عدن، و بعض الملاحظات التی تسترعی النظر و مما جاء أن البعثة وجدت المیاه فی خلیج العقبة تختلف فی خواصها و ترکیبها الطبیعیة و الکیمیائیة عن المیاه فی البحر الأحمر، و حققت البعثة بواسطة قیاس الأعماق، وجود حاجز مغمور عند مجمع البحرین یبلغ ارتفاعه أکثر من ألف متر و تبعد قمته نحو ۳۰۰ متر عن سطح البحر. و تماثل هذه النتیجة ما وصلت إلیه السفینة (مباحث) فی رحلتها الأولی فی المحیط الهندی و البحر الأحمر، إذ حققت وجود حاجز مغمور بین البحرین، و أثبتت المشاهد بالتحلیل الکیمیائی، أن میاه المحیط الهندی تختلف فی خواصها الطبیعیة و (الکیمیائیة) عن میاه البحر الأحمر، و یعلل علماء البحار الاختلاف فی خواص الماء فی المحیط الهندی و البحر الأحمر، و فی خواصه فی خلیج العقبة و البحر الأحمر بوجود الحاجز المغمور عند ملتقی کل بحرین) «۱ (____». ۱)

لفتات علمیة من القرآن، یعقوب یوسف، الریاض، الدار السعودیة للنشر و التوزیع، الطبعة الثانیة، ۱۹۹۷، ص: ۵۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۸۴ هذا عن التقاء البحرین، لکن ما معنی قوله تعالی: وَ هُوَ الَّذِی مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَ جَعَلَ بَیْنَهُما بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً. هذه الآیة تتحدث عن التقاء نهر و بحر هذا عَذْبٌ فُراتٌ وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ و هما مختلطان لکن فی نفس الوقت یوجد بینهما فاصل، برزخ. إن هذا المفهوم القرآنی، فسّره العلم الحدیث و أکد حقائقه الثابتة ... فقد أثبتت الدراسات أن البحر الأبیض المتوسط فی لقائه مع المحیط الأطلسی عند مضیق جبل طارق بینهما برزخ، و من خلال التحلیل الکیمیائی لمیاه کل منهما و جدوا أن البحر الأبیض المتوسط بالمقارنة مع المحیط الأطلسی حار و یختلف فی ملوحته، فالبحر المتوسط أکثر ملوحة من الأطلسی و أکثر حرارة، و یختلف کل منهما فی الکائنات الحیة. (أما بالنسبة لالتقاء الأنهار مع البحار و اختلاطهما مع وجود البرزخ فقد أصبحت هذه الحقیقة من القضایا الثابتة علمیا و یعبر عنها بالاصطلاح العلمی ب ظاهرة التوتر السطحی) Surface Tension (، و ملخصها ما یلی: أن کلا من الماء العذب و الملح، نظرا لاختلاف کثافتهما لا یتحد مع الآخر و لا یختلط به، و إنما تنزع جزئیات الماء فی کل منهما إلی الانکماش و التجاذب محدثة توترا فی سطح کل منهما الأمر الذی یکوّن أغلفة شفافة فاصلة بین الکتلتین لا یمکن رؤیتها و بذلک لا تبغی إحداهما علی الأخری بالاختلاط ... و فی الخلیج العربی تندفع الأنهار الجوفیة العذبة قرب البحرین و قطر، فی میاه الخلیج المالحة دون أن یختلط أحدهما بالآخر، و عند ملتقی نهر (الکنج و الجامونا) و فی مدینة (الله آباد) یتّحد ماء النهرین مع بقاء غشاء التمدد السطحی، فاصلا بینهما طوال مسیرتهما و عند لقاء نهر النیل بمیاه البحر المتوسط المالح، یندفع خط من الماء الحلو و یشق طریقه وسط میاه البحر المالحة دون أن یختلط بها، و فی باکستان الشرقیة یسیر نهران من (تشاتغام) إلی مدینة (أرکان) فی (بورما) و یمکن مشاهدة النهرین فی نهر واحد، یفصل بینهما شریط من الماء الملحی یسیر کل من الماء العذب و الملح فی جانب دون اختلاط أو ذوبان، و عند حدوث المد البحری بفعل جاذبیة القمر لیلا، یرتفع مستوی الماء البحری عند الشواطئ و بالتالی عند أفواه الأنهار التی تصب فی الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۸۵ البحار، و تندفع میاه البحر المالحة متوغلة فی عمق مصب النهر العذب لمسافات کبیرة فوق ماء النهر، و یبقی الملح ملحا و العذب عذبا) «۱». و فی کتاب «علم البحار» عقد فصل بعنوان (أنهار عظیمة فی البحر) و تحدث عن وجود العدید من الأنهار فی البحار و الخلجان و المحیطات، و مما جاء فیه: (توجد أعظم أنهار الدنیا فی البحر، و یبدو نهر (المیسیسیبی)، أو حتی نهر (النیل)، أو نهر (الأمازون) بجانبها و کأنه غدیر، و یبدو غریبا أن تستطیع تیارات من المیاه أن تتحرک لمثل هذا البعد خلال میاه أخری دون أن تختلط بها، و فی بعض الأحیان تتمیز ضفتاه بوضوح یشبه تقریبا وضوحها لو کان المجری علی الأرض، و قد توقفت مرة باخرة خفر السواحل الأمریکیة المسماة (تمبا) علی حافة أحد هذه الأنهار البحریة الغریبة، لقیاس درجة حرارة الماء و کانت درجة الحرارة عند

مقدم الباخرة ۵۶ درجة، و عند مؤخرتها ۳۴ درجة فقط، و قد يختلف أيضا تيار الماء المتحرك فى لونه عن ماء البحر المحيط به، و فى بعض الأحيان يكون سطحه هائجا، أو قد يغطيه الضباب، و أعظم الأنهار البحرية هذه هو تيار الخليج، فهو ينساب خارجا من خليج (المكسيك بين كوبا و فلوريدا)، و هناك يتحرك بسرعة خمسة كيلومترات فى الساعة، أو بسرعة مشى الإنسان العادية، و عرضه ۱۴۵ كيلومترا، و عمقه فى بعض الأماكن من ۸۰۰ متر، و يمر بليون طن من الماء تقريبا على طول ساحل (فلوريدا) كل دقيقة ... و يحمل تيار الخليج عند انسيابه من البحار الحارة ماء دافئا، و يحتفظ بجزء كبير من دفئه و هو يعبر المحيط (الأطلسى)، و توجد أنهار عظيمة فى المحيط (الهادى) أيضا) «۲». لكن فى نهاية الآية نجد إشارة أخرى هى قوله تعالى: وَ حِجْراً مَحْجُوراً و هذه الإشارة تعتبر زيادة عن الآيتين السابقتين، فما معنى وَ حِجْراً مَحْجُوراً؟. الحجر لغة: (المنع، و أصل الحجر فى اللغة، ما حجرت عليه أى منعته من أن يوصل إليه، و كل ما منعته منه) «۳ (________________________________». ۱) الماء و الحياة بين العلم و القرآن، عبد العليم عبد الرحمن خضر، ص: ۱۶۷، و ما بعدها. (۲) علم البحار، هاشم أحمد محمد، نشر: هلا بوك شوب، د. ت، ص: ۳۵. (۳) لسان العرب، لابن منظور، ۳/ ۵۷. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۸۶ فالحجر المحجور: هو المكان الذى يمنع الدخول إليه و الخروج منه، و هذا المعنى القرآنى أثبته العلم الحديث فى أبحاثه و دراساته البحرية. (و ذلك يتم عند التقاء النهر العذب بالبحر المالح فتتشكل منطقة ثالثة ليست بحرا و لا نهرا تسمى (منطقة المصب) فيتضح للرائى النهر و يتميز عن البحر، لكن منطقة المصب تختلف عن البحر و النهر من ناحية الكثافة و الملوحة و حتى فى الكائنات الحية، و هنا تظهر ومضة الإعجاز القرآنى فى قوله سبحانه و تعالى: وَ حِجْراً مَحْجُوراً فمما ثبت أن الكائنات الحية التى تعيش فى منطقة النهر لو دخلت فى منطقة المصب لماتت، و كذلك فإن الكائنات الحية التى تعيش فى منطقة البحر لو دخلت منطقة المصب تموت، و الكائنات الحية التى فى منطقة المصب لو دخلت منطقة النهر أو البحر تموت أ ليس حجرا محجورا، لا ـ إله إلا اللّه و سبحان الخالق العظيم، ما أدرى محمدا بهذه المعلومات البحرية و هذه الخصائص العلمية، إنه الحق) «۱». و فى كتاب «علم المحيطات»: (الفرق بين البحار و المصبات يرجع إلى مسألة الحجم، و يحدّد الدوران فى بحر ما، فيما إذا كان معدل التبخر يزيد على معدل الماء العذب الذى يدخل البحر، فإذا كان التبخر أكبر، فإن المياه السطحية ستصبح أكثر ملوحة باستمرار و تغطس، و تجدد مياه القاع، أما إذا كان الماء العذب الداخل أكبر فإن مياه السطح تميل إلى أن تبقى على السطح، و تميل مياه القاع إلى أن تكون راكدة و عديمة الحياة، و بصورة خاصة إذا كان البحر مفصولا عن المحيط بواسطة عتبة ضحلة، و توجد المصبات عادة فى الأماكن التى يمتزج فيها الماء العذب مع الماء المالح، و هى المناطق التى تكون أكثر عرضة لتأثيرات التلوث) «۲».

الإعجاز:

الإعجاز: من الذى أخبر محمدا صلى اللّه عليه و سلم بهذه القوانين البحرية و بهذه التفاصيل العلمية؟ و هو النبى الأمى الذى لم يركب البحر قط، بل كان يعيش بين بحار من الرمال و الجبال الجرداء ... إن الذى أنبأه بذلك هو العليم الخبير، الذى أذن لإنسان عصرنا أن يكشف (________________________________ ۱) لقطة من محاضرة الداعية الإسلامى الكويتى طارق سويدان عن البحار، شريط كاسيت. (۲) علم المحيطات، كيث ستو، ترجمة، تلفات عناد أحمد، البصرة، نشر جامعة البصرة، ۱۹۸۶، ص: ۴۸۳. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۸۷ عن بعض وجوه إعجاز القرآن الكريم ليتحقق قول اللّه تعالى: سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ. صورة رقم: (۳۰)، تظهر مكان التقاء نهر الميسيسيبى بالبحر (دلتا المسيسبى) الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۸۸

المبحث الثالث و البحر المسجور

اشارة

المبحث الثالث و البحر المسجور قال تعالى: وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ «۱». هذا قسم اللّه سبحانه و تعالى بالبحر، و قد وصف هذا البحر بأنه مسجور، و القسم كما هو معلوم يؤتى به للتوكيد، و كلام اللّه لا يحتاج لتوكيد، و من أصدق من اللّه قيلا، لكن لينبه الغافلين و يرشد الطائعين، و يقيم الحجة على الكافرين. و هذا التوكيد على أن البحر مسجور، سيق فى معرض الحديث عن دلائل قدرة اللّه و عظمته و تهديد الكافرين المعرضين عن دين اللّه و شرعه، فهو حديث عن بحر مسجر فى الدنيا، غير الحديث المعهود عن قيام الساعة و نهاية الحياة و دمار الكون و تسجير البحار و ذلك فى قوله تعالى: وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ «۲» فهذه الآية تتحدث عن نهاية الكون و تسجير البحار، و إذا، كما هو معروف ظرف لما يستقبل من الزمن، أى فى المستقبل إبان خراب الكون ستسجر البحار و تتحول كلها إلى كتل نارية. و ما يهمنا هنا، هو قسم اللّه عز و جل بوجود بحر مسجور فى الأرض التى تقلنا، و هذا البحر بل و البحار بان تسجيرها فى زمن العلم، لكن قبل التعرض للحقائق العلمية فى ذلك، سنتعرف على معنى المسجور لغة من خلال تحليل العلماء لهذه الكلمة فى تفاسيرهم و كتب اللغة. يقول الإمام الطبرى: (اختلف أهل التأويل فى معنى البحر المسجور، فقال بعضهم: الموقد، و تأوّل ذلك و البحر الموقد المحمى، ذكر من قال ذلك عن سعيد بن المسيب، قال: قال علىّ رضى اللّه عنه لرجل من اليهود: أين جهنم؟ فقال: البحر، فقال: ما أراه إلا صادقا، و البحر المسجور و إذا البحار سجرت مخففة ... و عن مجاهد،

(____ ۱) سورة الطور، الآية: ۶. (۲) سورة التكوير، الآية: ۶. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۸۹ وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ قال: الموقد) «۱». و فى «إرشاد العقل السليم»: (وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ أى المملوء و هو البحر المحيط أو الموقد) «۲». و يقول الزمخشرى: وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (أى المملوء، و قيل الموقد) «۳». و عند القرطبى: (وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ قال مجاهد: الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور ... و قال عبد اللّه بن عمرو: لا يتوضأ بماء البحر لأنه طبق جهنم) «۴». و فى «مفردات ألفاظ القرآن»: (السجر، تهييج النار، يقال: سجرت التنور، و منه وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) «۵». و فى «لسان العرب»: (سجره ملأه، سجرت النهر ملأته، و قوله تعالى: وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ لا وجه له إلا أن تكون ملئت نارا، و قوله تعالى: وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ جاء فى التفسير أن البحر يسجر فيكون نار جهنم، سجر يسجر و انسجر امتلأ، و كان على بن أبى طالب عليه السّلام يقول: المسجور بالنار أى مملوء، قال المسجور فى كلام العرب المملوء و قد سكرت الإناء و سجرته إذا ملأته) «۶». إذن يتضح لنا من هذا الكلام، أن المقصود بالمسجور هو الموقد أو المهيج بالنار، و قسم اللّه سبحانه و تعالى هذا فيه دلالة صريحة على وجود بحار مسجرة بالنيران، إذ أن المقصود بالبحر المسجور هنا هو من بحار الدنيا و ليس الآخرة، و قد شاء اللّه سبحانه و تعالى أن تتجلّى هذه الحقيقة القرآنية فى عصر العلم، و يصل علماء البحار إلى التأكد الجازم من وجود براكين ملتهبة بالنار فى القيعان.

(____ ۱) جامع البيان، للطبرى، ۲۷/ ۱۰، و انظر: صفوة التفاسير، للصابونى، بيروت، دار إحياء التراث، الطبعة الأولى، ۱۹۹۵، ۳/ ۱۸۶. (۲) إرشاد العقل السليم، لأبى السعود، ۸/ ۱۴۶. (۳) الكشاف للزمخشرى، ۴/ ۲۲، و انظر: الدر المصون، محمد السمين، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ۱۹۹۴، ۶/ ۱۹۵. (۴) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبى، ۹/ ۴۲. (۵) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهانى، ص: ۲۲۷. (۶) لسان العرب، لابن منظور، ۴/ ۳۴۵. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۹۰

الحقائق العلمية:

الحقائق العلمية: يقول الدكتور جمال الدين الفندى فى كتابه «طبيعيات البحر و ظواهره»: (أثبتت الدراسات أن فى قشرة قاع المحيط يوجد بعض الثغرات أو الشقوق العميقة، نتيجة التصدع بتقلصات القشرة لإحداث التوازن و اختلافات الحرارة، و ما يتبع هذه الاختلافات من تمدّد بالتسخين و تقلص بالبرودة، و على طول مثل هذه الأماكن المتمددة الضعيفة، تندفع الحمم البركانية المنصهرة

من باطن الأرض من خلال قشرة القاع ثم تنبثق متدفقة فی البحر، إلا أنها تلقی مقاومة بسبب ثقل مياه البحار، و برغم ذلک فإن براكين البحر أيضا تقذف حممها إلی أعلی، كما تبنی فوهاتها المخروطية صاعدة نحو السطح بتوالی تراكم الحمم المنصهرة، و قد تسبب الانفجارات البركانية نسف الجزر أو اختفائها، و من أمثلة ذلک ما حدث فی عام ۱۸۸۳ عند ما انفجرت جزيرة (كاراكاتوا) من مجموعة جزر الهند الشرقية برمتها، و بعد يومين من تعاقب الانفجارات البركانية أصبحت هذه الجزيرة التی كانت تعلو سطح البحر بنحو ۱۴۰۰ قدم، مجرد شعبة منخفضة عن سطح الماء بنحو ۱۰۰۰ قدم، و لم يبق ظاهرا منها إلا جزء من حافة قمتها الأصلية) «۱». و عقد فصلا جورج جامو فی كتابه «كوكب اسمه الأرض» تحت عنوان: جهنم تحت أقدامنا، و تحدث فيه عن تسجير قاع البحر، و النار و البراكين النشطة فيه، يقول فی مطلعه: (ازدياد الحرارة مع العمق: إن سحب الدخان الأسود المتصاعد من فوهات البراكين الثائرة، و الحمم الملتهبة المتدفقة علی جوانبها، و عيون المياه الساخنة، كل هذا دعا الأقدمين إلی الاعتقاد بوجود نار متقدة ليست بعيدة تحت أقدامنا أعدت للخاطئين ...) «۲». و فی «موسوعة الظواهر الطبيعية»: (و لانفجار البراكين فی قيعان المحيطات و البحار أثر نشوء الأمواج العالية و السريعة، التی تحطم و تكتسح ما تصادفه فی طريقها ... أما البراكين أو جبال النار فهی المنافذ التی تقذف منها المواد الأرضية الباطنية المنصهرة، عند ما يشتد ضعفها) «۳».

(۱) طبيعيات البحر و ظواهره، محمد جمال الدين الفندی، ص: ۲۱۰، و انظر: البحار و ما فيها، روبرت كاون، ترجمة عبد الحافظ حلمی القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ۱۹۷۴، ص: ۱۱۷. (۲) كوكب اسمه الأرض، جورج جامو، ص: ۷۴. (۳) موسوعة الظواهر الطبيعية، خليل بدوی، عمان، دار عالم الثقافة، الطبعة الأولی، ۲۰۰۰، ص: ۸۰ و انظر: كوكب الأرض، مؤسسة الكويت للتقدم العلمی، ص: ۳۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۳۹۱

الإعجاز:

الإعجاز: لقد قرر كتاب اللّه تعالی أن قاع البحار مسجرة بالنار، و لم يكن يعلم قبل و مع نزول القرآن الكريم هذه الحقيقة العظمی، حتی بداية القرن العشرين حيث تبين للعلماء أن قاع البحار مسجرة و مضطرمة بالنيران، غير أن الحق قرّر هذه الحقيقة البحرية بقوله: وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ، فمن الذی أخبر محمدا صلی اللّه عليه و سلم بأن البحر قاعه ملتهب و متفجر بالبراكين التی تقذف الحمم النارية، و رسول اللّه لم يركب البحر قط، و لم يكن فی عصره غواصات بحرية تصور تلک المشاهد العجيبة فی قاع البحر؟ إنه الحق. رسم يوضح البراكين تحت البحار الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۳۹۲

المبحث الرابع اهتزاز الأرض بنزول ماء السماء

اشارة

المبحث الرابع اهتزاز الأرض بنزول ماء السماء قال تعالی: وَ تَرَی الْأَرْضَ هامِدَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ «۱». و قال سبحانه و تعالی: وَ مِنْ آياتِهِ أَنَّکَ تَرَی الْأَرْضَ خاشِعَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ إِنَّ الَّذِی أَحْياها لَمُحْيِ الْمَوْتی إِنَّهُ عَلی كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ «۲». فی هاتين الآيتين حقائق علمية و عطاءات جيولوجيا مدهشة، فالقرآن يصف سطح الأرض بأنه هامد و خاشع، ثم إنه يعقب علی ذلک بحيث إذا نزل ماء السماء، حدث فی الأرض اهتزاز مما يؤدی إلی زيادة فی الأرض. هذه الصورة القرآنية هی صورة وصفية لأدق الحقائق العلمية، التی وفّق إنسان عصرنا للكشف عنها و التعرف علی مراحلها بدقة، و حری بنا أن نقف عند ما قاله المفسرون و أصحاب اللغة فی هاتين الآيتين الكريمتين. يقول الإمام الطبری: (و تری الأرض يا محمد يابسة

دارسة الآثار من النبات و الزرع، و أصل الهمود الدروس و الدثور، و يقال منه: همدت الأرض تهمد همودا) «۳». و عند الرازی: (وَ تَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً و همودها يبسها و خلوها من النبات و الخضرة فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ و الاهتزاز الحركة على سرور فلا يكاد يقال اهتز فلان لكيت و كيت إلا إذا كان الأمر من المحاسن و المنافع فقوله: اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ أى تحركت بالنبات و انتفخت، أما قوله: وَ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ فهو

(۱) سورة الحج، الآية: ۵. (۲) سورة فصلت، الآية: ۳۹. (۳) جامع البيان، للطبرى، ۱۷/ ۸۹. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۹۳ مجاز، لأن الأرض ينبت منها و اللّه تعالى هو المنبت لذلك، لكنه يضاف إليها توسعا، و معنى مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ من كل نوع من أنواع النبات من زرع و غرس، و البهجة حسن الشيء و نضارته، و البهيج بمعنى المبهج) «۱». و قال الإمام القرطبى: (الاهتزاز: شدّة الحركة، يقال: هززت الشيء فاهتز، أى حركته فتحرك و هزّ الحادى الإبل هزيزا فاهتزت هى إذا تحركت فى سيرها بحدائه، و اهتز الكوكب فى انقضاضه و كوكب هازّ، فالأرض تهتز بالنبات لأن النبات لا يخرج منها حتى يزيل بعضها من بعض إزالة خفية فسماه اهتزازا مجازا ... و الاهتزاز فى النبات أظهر منه فى الأرض، وَ رَبَتْ أى ارتفعت و زادت و قيل: انتفخت و المعنى واحد، و أصله الزيادة، ربا الشيء يربو ربوّا أى زاد، و منه الربا و الرّبوة) «۲». و يقول سيد قطب رحمه اللّه فى تفسيره «الظلال»: (الهمود درجة بين الحياة و الموت، و هكذا تكون الأرض قبل الماء، و هو العنصر الأصيل فى الحياة و الأحياء، فإذا نزل عليها الماء اهتزت و ربت، و هى حركة عجيبة سجّلها القرآن قبل أن تسجّلها الملاحظة العلمية بمئات الأعوام، فالتربة الجافة حين ينزل عليها الماء تتحرك حركة اهتزاز، و هى تشرب الماء فتنتفخ و تربو ثم تفتح بالحياة عن النبات من كل زوج بهيج، و هل أبهج من الحياة و هى تتفتح بعد الكمون، و تنتفض بعد الهمود) «۳». و أما الآية الثانية و التى ذكرت خاشِعَةً دون هامِدَةً فيقول الإمام الرازى: (الخشوع التذلل و التصاغر، و استعير هذا اللفظ لحال الأرض حال خلوها عن المطر و النبات فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ أى تحركت بالنبات، و ربت، انتفخت لأن النبت إذا قرب أن يظهر ارتفعت له الأرض و انتفخت، ثم تصدعت عن النبات، ثم قال: إِنَّ الَّذِی أَحْياها لَمُحْيِ الْمَوْتى يعنى أن القادر على إحياء الأرض بعد موتها هو القادر على إحياء هذه الأجساد بعد موتها) «۴».

(۱) التفسير الكبير، للرازى، ۲۳/ ۲۰۷، و انظر: محاسن التأويل، محمد القاسمى، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، ۱۹۷۸، ۱۲/ ۹. (۲) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبى، ۱۲/ ۵. (۳) فى ظلال القرآن، سيد قطب، ۴/ ۲۴۱۱. (۴) التفسير الكبير، للرازى، ۲۷/ ۵۷۰. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۹۴ و فى تفسير «النكت و العيون»: (وَ مِنْ آياتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خاشِعَةً خاشعة، أى ذليلة بالجدب لأنها مهجورة) «۱». و بالعودة إلى معاجم اللغة نتبين معنى كل من «خاشعة، و هامدة، و اهتزت، و ربت»، أما معنى خاشعة، ففى لسان العرب: (الخاشعة المتغبرة المتهشمة و أراد المتهشمة النبات، و بلدة خاشعة أى مغبرة لا منزل بها، و إذا يبست الأرض و لم تمطر قيل قد خشعت قال تعالى: وَ تَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ و العرب تقول: رأينا أرض بنى فلان خاشعة) «۲». و أما هامدة، ففى «مفردات ألفاظ القرآن»: (أرض هامدة: لا نبات فيها، و نبات هامد: يابس، قال تعالى: وَ تَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً «۳». و فى كتاب «العين»: (الهمود الموت كما همدت ثمود، و رماد هامد إذا تغير و تلبد، و ثمرة هامدة إذا اسودت و عفنت، و أرض هامدة مقشعرة لا نبات فيها إلا يبيس متحطم، و الهامد من الشجر اليابس) «۴». و معنى اهتزت أى (تحركت، و اهتز النبات: إذا تحرك لنضارته قال تعالى: فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ) «۵». و معنى ربت (ربا: إذا زاد و علا قال تعالى: فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ أى زادت زيادة المتربى) «۶». هذا هو التحليل اللغوى لمفردات الآية الكريمة، و تلك هى معانيها فى كتب المفسرين، و لنا أن نستخلص بعض النتائج من معطيات هذه النصوص القرآنية، بعد ما سلف من توضيح العلماء.

(۱) تفسير النكت و العيون، على بن

محمد الماوردی، بیروت، دار الکتب العلمیة، د. ت، ۵/ ۱۸۴. (۲) لسان العرب، لابن منظور، ۸/ ۷۲، و انظر: المعجم الجامع لغریب مفردات القرآن، عبد العزیز السیروان، بیروت، دار العلم للملایین، الطبعة الأولی، ۱۹۸۶، ص: ۴۲۸. (۳) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهانی، ص: ۸۴۵. (۴) العین، للفراهیدی، ۴/ ۳۱، و انظر: تفسیر مفردات ألفاظ القرآن الکریم، سمیح عاطف الزین، بیروت، دار الکتاب العربی، الطبعة الثالثة، ۱۴۱۴ ه، ۱۹۹۴، ص: ۸۹۹. (۵) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهانی، ص: ۸۴۰. (۶) المصدر نفسه، ص: ۳۴۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۹۵ أولا: عند ما تکون الأرض هامدة لا حراک فیها، فإذا أنزل اللّه علیها الماء أحدثت أولا اهتزازا. ثانیا: المرحلة الثانیة بعد الاهتزاز تربو، أی تزداد. ثالثا: المرحلة الثالثة بعد الزیادة تنتج الزروع و الثمار، و تکثر المحاصیل و یزداد الإنتاج. و یشار إلی قضیة هامة و هی: أن هناک فرقا دقیقا بین الأرض الهامدة و الأرض الخاشعة، فالأرض الهامدة هی الیابسة القاحلة التی لا حیاة فیها، بسبب ما أصابها من جدب و قحط و انعدام الماء، و هذا بخلاف الأرض الخاشعة التی یوجد فیها النباتات و الزروع، إلا أن العطش و قلة الماء و ندرة الأمطار جعلتها مصفرة الأوراق، ذابلة الأغصان، بأمسّ الحاجة إلی قطرات الماء، و هذا المشهد هو مشهد الخشوع و الانکسار فی الأرض، و یستلهم هذا المعنی من معطیات ما مرّ من المعاجم.

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: ما هو الاکتشاف العلمی الدقیق فی هذا الصدد، لمعرفة ذلک سنثبت هنا لقطة من محاضرة الشیخ عبد المجید الزندانی حول هذه الآیة، ناقلا لنا الاکتشافات العلمیة الدقیقة لتفسیر و توضیح معانی هذه الآیة الکریمة. یقول: فی عام ۱۸۲۷ اکتشف العلماء أن حبیبات الطین تهتز، و ترکیب حبیبات الطین ما یلی: الحبیبة: هی أصغر جزء من الطین بعد أن تفتته إلی أجزاء صغیرة، فالطین مکون من هذه الحبیبات فهی صغیرة جدا لا تری بالعین، قطرها: ثلاثة من ألف من الملیمتر، هذه الحبیبة الطینة تترکب من صحائف معدنیة بعضها فوق بعض، و إذا نزل المطر شحن الأرض بشحنات کهربائیة، هذه الشحنات الکهربائیة تختلف بسبب ترکیب المعادن الموجودة فی الحبیبات، فیحدث نوع من التنافر بین هذه الحبیبات فتهتز الحبیبات، ما سبب الاهتزاز؟ یقول: الشحنات الکهربائیة و دخول الماء من عدة جهات یحدث اهتزازا، و هذا الاهتزاز بعده ینشأ دخول الماء بین الصحائف، أی یسمح هذا الاهتزاز بدخول الماء بین الصحائف و إذا دخل الماء بین الصحائف تنمو هذه الحبیبة و تربو، و الربا کما أشرنا هی الزیادة، أی تربو بالماء الذی دخل بین الصحائف، و بعد أن تربو تحاط بغلاف من الماء، فتعتبر کل حبیبة من الحبیبات مخزنا للماء تمد النبات طوال الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۹۶ شهرین أو ثلاثة أشهر، و إلا من أین یجد النبات مددا لو لا تحول حبیبات التربة إلی مخازن ماء تمد النبات بالحیاة، و بالتالی یستمرّ النبات فی النمو، ثم بعد ذلک قال: ثلاث خطوات نستنتجها من هذا: ۱- اهتزاز. ۲- زیادة، تربو الحبیبات. ۳- ثم إنبات للنبات. و إلی هذا تشیر الآیة القرآنیة وَ تَرَی الْأَرْضَ هامِدَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَیْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ کُلِّ زَوْجٍ بَهِیجٍ. من أخبر محمدا صلی اللّه علیه و سلم بهذا، إذن، الذین یکتبون تاریخ العلم علیهم أن یقولوا: اهتزازات ذکرها اللّه فی قرآنه نزل بها الوحی علی قلب محمد صلی اللّه علیه و سلم) «۱». و أما عن میکانیکیة انتفاخ التربة، فإن عملیة الانتفاخ تتم بسبب (وجود الشحنات السالبة فوق سطح المعدن الطینی، و التی هی السبب الرئیسی فی جذب الأیونات الموجبة القابلة للتبدل الموجودة فی ماء التربة، و ذلک لمعادلة الشحنة السالبة الموزعة علی سطوح حبیبات التربة. إن وجود الطبقة المزدوجة من الأیونات الموجبة و السالبة، یؤثر علی بعض خواص التربة منها خاصیة الانتفاخیة، حیث إن (الأیونات) الحرة إذا ما تعرضت للماء فإنها ستؤدی إلی نمو الطبقة (الأیونیة) المزدوجة بشکل کبیر، و هذا النمو سیدفعها إلی التحرک بعیدا عن سطح المعدن الطینی و بالتالی یؤدی إلی تباعد الجزیئات عن بعضها البعض، و بذلک یزداد حجم التربة و یحصل الانتفاخ و یتم إنبات النبات) «۲».

(____۱) محاضرة الشیخ عبد المجید

الزندانی بعنوان: إنه الحق، شریط كاسیت. (۲) الأرض الهامدة و الأرض الخاشعة، أحمد الدلیمی، الموصل، مطبعة الزهراء، ۱۴۲۱ ه/ ۲۰۰۰، ص: ۲۱، و انظر: الجغرافیة الحیویة حسن أبو سمور، عمان، دار صفاء، الطبعة الأولی، ۱۴۲۰ ه، ۱۹۹۹، ص: ۸۰، و انظر: مورفولوجیا النباتات الزهریة، مصطفی الحدیدی، الریاض، دار المریخ، ۱۴۱۴ ه، ۱۹۹۴، ص: ۴۶۳، و انظر: فسیولوجیا النبات، علی الهلال، الریاض، النشر العلمی و المطابع، ۱۴۲۰ ه، ص: ۲۲۶، و انظر: فسیولوجیا النبات، روبرت دیفلین و فرانسیس ویزام، ترجمة، محمد شرقاوی و آخرون، القاهرة المجموعة العربیة للنشر، ۱۹۸۵، ص: ۸۰۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۹۷

الإعجاز:

الإعجاز: إن هذا السبق القرآنی فی تصنیف التربة الطینیة و نباتاتها، إلی أرض خاشعة و أرض هامدة، ثم الوصف الدقیق لعملیة اهتزاز التربة و انتفاخها بسبب ماء السماء، لا یمكن أن یعرفه إنسان مضی عصره منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، و لا بد لمن یكتشف هذه الحقائق الیوم، و یتعرّف علی أسرارها أن یعلن الإیمان بالله تعالی و التصدیق بنبوة محمد صلی اللّه علیه و سلم. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۹۸

الخاتمة

الخاتمة و أخیرا فهذا ما قد ألهمنیه ربی سبحانه و تعالی، من الدراسة فی قضایا الإعجاز العلمی فی القرآن الكریم، و التی تربط صفحات الكون المفتوح بصفحات القرآن المقروء، و هذا الربط یسهم فی إبراز آیات العظمة الإلهیة و دلائل الوحدانیة، لینطق كل جزء من هذا العالم المدهش، بروعة الإبداع و تألّق الصنعة. و القرآن دعانا إلی التدبر و التمعن و التفكیر فی العالم حولنا، لنشاهد ید القدرة التی خلقت الخلق فی نظام رتیب، و دقة بالغة، و ألا نكون من الغافلین عن هذه الآیات، قال تعالی: وَ كَأَیِّنْ مِنْ آیَةٍ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ یَمُرُّونَ عَلَیْها وَ هُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ «۱». لقد رأینا كثیرا من الحقائق العلمیة، التی تكشّفت للعلماء فی عصرنا، قد سبقهم القرآن لإثباتها و تقریر واقعها، لكن الذی قدمه العلماء هو الكشف عما هو موجود، و مع الأسف فإن الذی یكشف أسرار هذا الكون، و ینقّب عن غوامضه و خفایاه هم غیر المسلمین، فبعد أن برع أسلافنا فی العلوم الكونیة و الطبیعیة، و خلّفوا لنا ثروة هائلة من المخطوطات، قام الغرب بترجمتها و الاستفادة منها فأصبحت منارة لبدایة طریق النهضة و الثورة العلمیة، فی حین نجد أن المسلمین أعرضوا عن تراثهم التجریبی هذا؟. لقد قدّم علماؤنا جزاهم اللّه خیرا كمّا هائلا من الأحكام التشریعیة و العلمیة، و استنبطوا الأحكام الفقهیة الكثیرة من آیات الأحكام فی كتاب اللّه و سنة المصطفی صلی اللّه علیه و سلم فتركوا لنا آلاف المجلدات و عمروا المكتبة الإسلامیة و أثروها بخدمتهم للقرآن الكریم و للسنة المطهرة. لكن لنتساءل إذا كان الفقهاء قد استنبطوا من آیات الأحكام تشریعا ینظم حیاة الفرد المسلم و الأمة المسلمة، فلما ذا لا یقوم غیر الفقهاء من العلماء، و یتشرفوا بخدمة

(۱) سورة یوسف، الآیة: ۱۰۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۹۹

القرآن الكریم باستنباط الإعجاز العلمی المستور وراء كل آیة علمیة أو كونیة فی القرآن الكریم، و كما هو معلوم أن الآیات الكونیة تفوق آیات الأحكام بكثیر. إن كلمة الحج علی سبیل المثال، ورد ذكرها فی القرآن تسع مرات، فكان نتیجة ذلك أن سطّر حولها مئات المجلدات و الموسوعات الفقهیة، فكیف إذا درسنا البحر و الأرض و الشمس و النجوم و الإنسان و النبات ... و التی ذكرها القرآن الكریم عشرات المرات فما ذا تكون النتیجة؟ إن كثیرا من أبنائنا الذین برعوا فی العلوم الكونیة، تراهم منبهرین بما عند غیرنا من حضارة، و متی یعود أمثال هؤلاء إلی رشدهم، و یعكفوا علی كتاب ربهم لیخدموه بما قد نالوا من معارف كونیة فیسخر الفیزیائی قوانینه لدراسة الآیات الفیزیائیة فی القرآن، و یدرس الفلكی مواقع و أنواع

النجوم و الكواكب بما يستلهمه من إشارات القرآن و معطياته، و يقف الطبيب بعلمه على الوصف القرآنی لخلق الإنسان و يشاهد عالم الزراعة و النبات العرض القرآنی لعالم النبات فی صفحاته ... و قد بدت و لله الحمد بوادر هذا الاتجاه فی عصرنا الحديث، فرأينا بعض المجامع العلمية تتجه إلى خدمة هذا الأمر، حيث وجدنا فی مصر و السعودية و غيرهما من البلاد، من يبذل جهودا مشكورة لإظهار الإعجاز العلمی فی الكتاب و السنة، و لكن الأمر يحتاج إلى مزيد من البحث و التنقيب فی هذا المجال الرائع الأخّاذ. و لقد احتوت هذه الرسالة عشرة فصول، الثلاثة الأولى منها كانت دراسة تاريخية للإعجاز فی القرآن الكريم، و السبعة الأخرى للتطبيقات المعاصرة، أما الفصل الأول فقد تحدثت فيه عن مفهوم المعجزة و حدّها كما وضعه العلماء، و عن الفارق بين معجزات الأنبياء و معجزات نبينا محمد صلى اللّه عليه و سلم، كما تحدثت عن تحدى القرآن الكريم للعرب أن يأتوا مثله، و مراحل هذا التحدى، و إيضاح عجزهم عن ذلك و اعترافهم هم و العالم بعظمة القرآن العظيم، و فی الفصل الثانی تعرضت للحديث عن منشأ إعجاز القرآن، و كيف أن القول بالصرفة كان الباعث الأول لظهور هذا المصطلح، و سقت ردود العلماء لمن قال بالصرفة، ثم استعرضت وجوه القرآن الكريم مبينا اختلاف العلماء فی تعدد هذه الوجوه، و فی الفصل الثالث ركزت على الإعجاز العلمی فی القرآن، و عرضت أبرز من تناوله من العلماء القدامى و المعاصرين، و بينت أنهم سلكوا فی قضية الإعجاز العلمی ثلاثة مسالك، مسلك يدعو للعمل على إظهار الإعجاز العلمی فی القرآن الكريم، إلا أنه وقع فی مطبات كثيرة و شطط غير محمود، عند ما أخضع الآيات القرآنية للنظريات المعاصرة مما صح منها و مما لم يثبت، و بذلك يكون الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۴۰۰ قد تجاوز الحد و تعسف و غالى فی منهجه هذا، و آخرون تبنوا قضية الإعجاز و لكن بتحفظ و حذر، فلم يأخذوا من قضايا العلم إلا ما ارتقى إلى مستوى الحقيقة العلمية القطعية، دون الفرضيات أو النظريات، و هؤلاء قد أصابوا فی منهجهم و عملهم هذا، و فريق ثالث ضرب بقضية الإعجاز العلمی عرض الحائط و اعتبرها نوعا من أنواع السذاجة و تضييع الأوقات، و هؤلاء قد جانبوا الصواب بمنهجهم هذا لأنهم أنكروا ما هو موجود بل ذاخر به كتاب اللّه تعالى، و ختم الفصل بالترجيح بين هذه المسالك. و جاء الفصل الرابع بمدخل عرض فيه أهمية الإعجاز العلمی و الدعوة إليه فی عصرنا، و أن الإسلام هو دين توج رسالته بالعلم، كما تحدث هذا الفصل عن التطبيقات المعاصرة لقضايا الإعجاز و بالشروط و الضوابط التی وضعها علماء التفسير لذلك، فكان فيه الحديث عن الجانب الفلكی فی كتاب اللّه تعالى من حيث مولد الكون و منشئه، و تمدد الكون و توسعه، و نهاية الكون و فناؤه، و كل ذلك بين القرآن و العلم، و أما الفصل الخامس فقد تعرض للحديث عن الإعجاز القرآنی فی الشمس من حيث تحركاتها و انتقالاتها، و توهجها و لهيبها، و إشارة القرآن إلى تعدد الشموس و الأقمار، ثم الحديث عن موت الشمس و نهايتها بين القرآن و العلم، و أما الفصل السادس فقد تحدث عن الإعجاز القرآنی فی الأرض، و ذلك من جهة كرويتها، و دورانها، و جاذبيها، و غلافها الجوی، و نقصانها و تآكلها ثم موتها، و فی الفصل السابع تعرضت للحديث عن الإعجاز القرآنی فی القمر، و أظهرت سبق القرآن فی إثباته لإنارة القمر و كيف يستمد نوره من الشمس، و لا نور ذاتی له، ثم تحدثت عن انشقاقه و منازله جمعه فی آخر عهده مع الشمس ثم موته. و كان الحديث فی الفصل الثامن عن إعجاز القرآن فی الرياح، و أشرت إلى أنواع الرياح بين القرآن و العلم، و إلى تكوين السحب و أنواعها بين القرآن و العلم، ثم تعرضت للحديث عن لفتات إعجازية فی البرد و البرق، و فی الفصل التاسع تحدثت عن الجبال و طرق تكوينها، و كيف أن الخالق جل جلاله جعلها سببا لتثبيت الأرض و قرارها، ثم أوضحت السر القرآنی فی ربطه بين الجبال الشامخات و الماء الفرات، و ختمت الفصل بالحديث عن حركة الجبال و تعدد صخوره، و جاء الفصل العاشر و الأخير للحديث عن البحار و ما أودع اللّه سبحانه فيها من عجائب و أسرار، كتلك الظلمات المتعاقبة و الأمواج المتنوعة سواء داخل البحر أو على سطحه، و كيف سجل الحق جل جلاله حقيقة التقاء البحار دون امتزاج بسبب الحاجز المائی بينها، ثم تعرضت للحديث عن البحر الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۴۰۱ المسجور و ما كشف عنه العلماء فی هذا الصدد، و ختم الفصل بالإشارة إلى حقيقة اهتزاز الأرض بماء السماء و سبب ذلك بين القرآن و العلم. علما أن هذا العمل قد دعّم بصور علمية شارحة، فالآيات التی نتحدث عن إعجاز القرآن فيها

نعرض لها من الصور العلمية ما ينسجم و يتوافق معها، كذلك من الجداول و الإحصائيات العلمية ما يوضح جانب الإعجاز العلمى فيها قدر الإمكان، بالإضافة إلى اللقاءات و المقابلات الشخصية مع بعض العلماء البارزين فى هذا المجال. و فى هذه الرسالة جمعت تلك الفصول و عمدت فيها لإبراز ثلاثة وصايا أو جوانب: الجانب الأول: أن فى القرآن أنباء و حقائق علمية ستبقى متجددة مساورة للركب الحضارى و العلم الإنسانى مدى الدهر، فإعجازاته مستمرة مع كل جيل، فما رأينا نحن الآن من حقائق علمية كشف عنها العلماء و وجدنا أن القرآن ذكرها قد غابت عن أسلافنا، و إن هناك حقائق لم تظهر بعد تعتبر بالنسبة لنا فى تلافيف الغيب المستقبلى و التى ستكون مشاهدة و مرئية للأجيال القادمة من أبنائنا. الجانب الثانى: بناء على هذا، فإن البحث فى هذا الموضوع مفتوح بل هو خصب، لذلك أهيب بذوى الاختصاص، و أولى الأمر من قادة المسلمين بتهيئة الجوّ المناسب، و تسخير أدوات البحث العلمى للبحّاث و الدارسين فى جوانب الإعجاز العلمى فى القرآن، و توفير الإمكانات البحثية فى سبيل تحقيق ذلك الهدف. الجانب الثالث: فإن ما قدمته فى رسالتى المتواضعة هذه، إن خدم المكتبة الإسلامية فى شىء و انتفع بها الناس من المسلمين و غيرهم، فذلك رجائى و أملى فى دنياى و آخرتى، و إن تكن الأخرى فمعذرتى إلى خالقى و مولاى جل جلاله، فإنا قد كوّنا على الخطأ و الضعف و عزائى فى ذلك عفو من اللّه جل جلاله و رحمة و رضوان تشملنى يوم الدين. و آخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين، و الصلاة و السلام على المبعوث بالمعجزات الباهرات رحمة للعالمين و آله و صحبه و التابعين. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۴۰۳

الفهارس

اشارة

الفهارس فهرس الآيات. فهرس الأحاديث. فهرس المصادر و المراجع. فهرس الموضوعات. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۴۰۵

فهرس الآيات

بِهِمْ بِرِیحٍ طَیِّبَةٍ/ یونس/ ۲۲/ ۲۲۶ ۲۸- وَ ما کانَ هـذَا الْقُرْآنُ أَنْ/ یونس/ ۳۷/ ۱۶ ۲۹- أَمْ یَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ/ یونس/ ۳۸/ ۲۱، ۲۲، ۲۳ ۳۰- قُلِ انْظُرُوا ما ذا فِی السَّماواتِ/ یونس/ ۱۰۱/ ۹۳، ۱۱۳ ۳۱- أَمْ یَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ/ هود/ ۱۳/ ۱۹، ۲۳، ۴۷ ۳۲- وَ کَأَیِّنْ مِنْ آیَةٍ فِی السَّماواتِ/ یوسف/ ۱۰۵/ ۲۹۶ ۳۳- وَ هُوَ الَّذِی مَدَّ الْأَرْضَ/ الرعد/ ۳/ ۸۴، ۱۷۵، ۱۸۰، ۲۵۲ ۳۴- هُوَ الَّذِی یُرِیکُمُ الْبَرْقَ/ الرعد/ ۱۲، ۱۳/ ۲۴۵ ۳۵- وَ ما کانَ لِرَسُولٍ أَنْ یَأْتِیَ/ الرعد/ ۳۸/ ۵ ۳۶- الر کِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَیْکَ/ إبراهیم/ ۱/ ۶۷، ۹۸، ۱۱۱ ۳۷- مَثَلُ الَّذِینَ کَفَرُوا بِرَبِّهِمْ/ إبراهیم/ ۱۸/ ۲۲۵ ۳۸- وَ سَخَّرَ لَکُمُ الشَّمْسَ/ إبراهیم/ ۳۳/ ۱۴۸ الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۰۷ الآیة السورة رقم الآیة رقم الصفحة ۳۹- وَ قالُوا یا أَیُّهَا الَّذِی نُزِّلَ/ الحجر/ ۶/ ۲۵ ۴۰- وَ لَوْ فَتَحْنا عَلَیْهِمْ باباً/ الحجر/ ۱۴، ۱۵/ ۱۹۶، ۲۰۱ ۴۱- وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها وَ أَلْقَیْنا/ الحجر/ ۱۹/ ۱۸۰ ۴۲- وَ أَرْسَلْنَا الرِّیاحَ لَواقِحَ/ الحجر/ ۲۲/ ۸۲، ۸۳، ۲۲۵، ۲۲۶ ۴۳- فَإِذا سَوَّیْتُهُ وَ نَفَخْتُ/ الحجر/ ۲۹/ ۷۱ ۴۴- وَ أَلْقى فِی الْأَرْضِ رَواسِیَ/ النحل/ ۱۵/ ۲۵۲ ۴۵- وَ نَزَّلْنا عَلَیْکَ الْکِتابَ تِبْیاناً/ النحل/ ۸۹/ ۷۴، ۸۷، ۹۵، ۹۸ ۴۶- وَ إِذا بَدَّلْنا آیَةً مَکانَ آیَةٍ/ النحل/ ۱۰۱، ۱۰۲/ ۱۷ ۴۷- قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ/ النحل/ ۱۰۲/ ۱۸ ۴۸- وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ یَقُولُونَ/ النحل/ ۱۰۳/ ۱۸ ۴۹- إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ یَهْدِی لِلَّتِی/ الإسراء/ ۹/ ۹۸، ۱۱۱ ۵۰- وَ جَعَلْنَا اللَّیْلَ وَ النَّهارَ آیَتَیْنِ/ الإسراء/ ۱۲/ ۲۰۴، ۲۰۶ ۵۱- وَ لا تَقْفُ ما لَیْسَ لَکَ بِهِ/ الإسراء/ ۳۶/ ۱۰۴ ۵۲- وَ لا تَمْشِ فِی الْأَرْضِ مَرَحاً/ الإسراء/ ۳۷/ ۲۵۱ ۵۳- قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ/ الإسراء/ ۸۸/ ۱۹، ۴۷، ۵۱، ۵۲، ۵۲ ۵۴- وَ لَبِثُوا فِی کَهْفِهِمْ/ الکهف/ ۲۵/ ۲۱۸ ۵۵- وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَیاةِ/ الکهف/ ۴۵/ ۲۳۱ ۵۶- وَ یَوْمَ نُسَیِّرُ الْجِبالَ/ الکهف/ ۴۷/ ۱۴۲ ۵۷- ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ/ الکهف/ ۵۱/ ۱۱۳ ۵۸- فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَها تَحْمِلُهُ/ مریم/ ۲۷، ۳۲/ ۱۰ ۵۹- وَ ما تِلْکَ بِیَمِینِکَ یا مُوسی طه/ ۱۷، ۲۲/ ۸ الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۰۸ الآیة السورة رقم الآیة رقم الصفحة ۶۰- وَ أَلْقِ ما فِی یَمِینِکَ تَلْقَفْ/ طه/ ۶۹/ ۲۵۳ ۶۱- وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْجِبالِ فَقُلْ/ طه/ ۱۰۵/ ۱۴۲ ۶۲- أَ وَ لَمْ یَرَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّ/ الأنبیاء/ ۳۰/ ۷۹، ۱۱۴، ۱۲۵ ۶۳- وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ کُلَّ/ الأنبیاء/ ۳۰/ ۲۷۵ ۶۴- وَ جَعَلْنا فِی الْأَرْضِ رَواسِیَ/ الأنبیاء/ ۳۱/ ۲۵۹ ۶۵- وَ جَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً/ الأنبیاء/ ۳۲/ ۱۹۶، ۲۰۱ ۶۶- وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ اللَّیْلَ/ الأنبیاء/ ۳۳/ ۱۸۳ ۶۷- یَوْمَ نَطْوِی السَّماءَ/ الأنبیاء/ ۱۰۴/ ۱۴۰، ۱۴۲ ۶۸- وَ تَرَی الْأَرْضَ هامِدَةً/ الحج/ ۵/ ۲۹۲ ۶۹- وَ أَذِّنْ فِی النَّاسِ بِالْحَجِّ/ الحج/ ۲۷/ ۱۸۰ ۷۰- أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَکُمْ/ الحج/ ۶۵/ ۱۹۳ ۷۱- فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً/ المؤمنون/ ۱۴/ ۱۰۰ ۷۲- لَیْسَ عَلَیْکُمْ جُناحٌ/ النور/ ۲۹/ ۵۷ ۷۳- أَوْ کَظُلُماتٍ فِی بَحْرٍ/ النور/ ۴۰/ ۹۹، ۲۷۶، ۲۷۹ ۷۴- أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ یُزْجِی/ النور/ ۴۳/ ۹۹، ۲۳۷، ۲۴۵ ۷۵- وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا/ الفرقان/ ۴، ۵/ ۲۵ ۷۶- وَ قالُوا أَساطِیرُ الْأَوَّلِینَ/ الفرقان/ ۵/ ۱۸، ۲۸ ۷۷- أَ لَمْ تَرَ إِلی رَبِّکَ کَیْفَ/ الفرقان/ ۴۵، ۴۶/ ۱۸۳، ۱۸۶ ۷۸- وَ هُوَ الَّذِی مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ/ الفرقان/ ۵۳/ ۸۱، ۲۸۲ ۷۹- تَبارَکَ الَّذِی جَعَلَ/ الفرقان/ ۶۱/ ۱۵۴، ۱۵۸ ۸۰- وَ إِذا مَرِضْتُ فَهُوَ یَشْفِینِ/ الشعراء/ ۸۰/ ۷۰ الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۰۹ الآیة السورة رقم الآیة رقم الصفحة ۸۱- قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِینَ/ الشعراء/ ۱۵۳، ۱۵۶/ ۸ ۸۲- وَ أَلْقِ عَصاکَ فَلَمَّا/ النمل/ ۱۰/ ۲۵۳ ۸۳- وَ وَرِثَ سُلَیْمانُ داوُدَ/ النمل/ ۱۶، ۱۹/ ۹ ۸۴- أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ/ النمل/ ۶۱/ ۱۹۰، ۱۹۱، ۲۸۲ ۸۵- وَ تَرَی الْجِبالَ تَحْسَبُها/ النمل/ ۸۸/ ۱۴۲، ۱۸۳، ۱۸۶، ۲۶۹ ۸۶- فَلَمَّا قَضی مُوسَی الْأَجَلَ/ القصص/ ۲۹، ۳۲/ ۷ ۸۷- أَ وَ لَمْ یَرَوْا کَیْفَ یُبْدِئُ/ العنکبوت/ ۱۹/ ۱۱۳ ۸۸- قُلْ سِیرُوا فِی الْأَرْضِ/ العنکبوت/ ۲۰/ ۱۱۳ ۸۹- وَ مِنْ آیاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّماءُ/ الروم/ ۲۵/ ۱۴۲ ۹۰- وَ هُوَ الَّذِی یَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ/ الروم/ ۲۷/ ۱۴۰ ۹۱- وَ مِنْ آیاتِهِ أَنْ یُرْسِلَ الرِّیاحَ/ الروم/ ۴۶/ ۲۲۵، ۲۲۹ ۹۲- اللَّهُ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ/ الروم/ ۴۸/ ۸۳، ۲۲۵، ۲۳۳، ۲۳۶ ۹۳- خَلَقَ السَّماواتِ بِغَیْرِ عَمَدٍ/ لقمان/ ۱۰/ ۱۹۲ ۹۴- وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ/ لقمان/ ۲۹/ ۱۴۸ ۹۵- فَأَرْسَلْنا عَلَیْهِمْ رِیحاً/ الأحزاب/ ۹/ ۲۲۵ ۹۶- إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ/ الأحزاب/ ۷۲/ ۲۵۱ ۹۷- وَ لِسُلَیْمانَ الرِّیحَ غُدُوُّها/ سبأ/ ۱۲/ ۹ ۹۸- یُولِجُ اللَّیْلَ فِی/ فاطر/ ۱۳/ ۱۷۶ ۹۹- أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ/ فاطر/ ۲۷، ۲۸/ ۲۶۹، ۲۷۱ ۱۰۰- أَ وَ لَمْ نُعَمِّرْکُمْ ما/ فاطر/ ۳۷/ ۲۵ ۱۰۱- وَ الشَّمْسُ تَجْرِی لِمُسْتَقَرٍّ/ یس/ ۳۸/ ۸۵، ۱۴۸ الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۱۰ الآیة السورة رقم الآیة رقم الصفحة ۱۰۲- وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ/ یس/ ۳۹/ ۲۱۵ ۱۰۳- وَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ/ یس/ ۴۰/ ۷۹، ۱۷۹ ۱۰۴- لَا الشَّمْسُ یَنْبَغِی/ یس/ ۴۰/ ۱۵۲، ۱۶۷، ۲۲۰ ۱۰۵- خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ/ الزمر/ ۵/ ۱۷۵، ۱۸۳ ۱۰۶- قُلْ هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ/ الزمر/ ۹/ ۱۰۴ ۱۰۷- اللَّهُ

نَزَّلَ أَحْسَنَ/ الزمر/ ۲۳/ ۴۸، ۵۸ ۱۰۸- قُلْ أَ فَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّى/ الزمر/ ۶۱/ ۵۰ ۱۰۹- الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ/ غافر/ ۶۴/ ۱۹۰ ۱۱۰- لَخَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ/ غافر/ ۷۵/ ۷۲ ۱۱۱- حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ/ فصلت/ ۱، ۵/ ۲۷ ۱۱۲- قُلْ أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ/ فصلت/ ۹، ۱۱/ ۱۱۷، ۱۱۹ ۱۱۳- ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِيَ/ فصلت/ ۱۱/ ۷۹، ۱۱۶ ۱۱۴- وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا/ فصلت/ ۲۶/ ۴۸ ۱۱۵- وَ مِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ وَ النَّهارُ/ فصلت/ ۳۷/ ۱۴۶، ۱۵۹، ۱۶۰، ۲۰۳ ۱۱۶- وَ مِنْ آياتِهِ أَنَّكَ تَرَى/ فصلت/ ۳۹/ ۲۹۲ ۱۱۷- سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي/ فصلت/ ۵۳/ ب، ۹۵، ۱۶۷، ۲۶۱ ۱۱۸- وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ/ الجاثية/ ۵/ ۲۲۴ ۱۱۹- وَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ/ الجاثية/ ۱۳/ ۹۳ ۱۲۰- فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا/ محمد/ ۱۹/ ۱۰۵ ۱۲۱- أَ فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّماءِ/ ق/ ۶/ ۹۵، ۲۷، ۱۹۲ الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۱۱ الآية السورة رقم الآية رقم الصفحة ۱۲۲- وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها وَ أَلْقَيْنا/ ق/ ۷/ ۲۵۲ ۱۲۳- وَ الذَّارِياتِ ذَرْواً/ الذاريات/ ۱، ۴/ ۲۳۰ ۱۲۴- وَ السَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ/ الذاريات/ ۷/ ۱۸۴، ۱۹۷ ۱۲۵- وَ فِي الْأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ/ الذاريات/ ۲۰/ ۱۷۴ ۱۲۶- وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ/ الذاريات/ ۲۱/ ۷۲ ۱۲۷- وَ السَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ وَ إِنَّا/ الذاريات/ ۴۷/ ۸۳، ۱۲۷، ۱۲۸ ۱۲۸- وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ/ الطور/ ۶/ ۲۸۹ ۱۲۹- اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ/ القمر/ ۱/ ۱۳، ۷۹، ۲۰۹، ۲۱۱ ۱۳۰- فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ/ القمر/ ۱۱/ ۱۹۷ ۱۳۱- وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ/ القمر/ ۱۷/ ۶۲ ۱۳۲- إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً/ القمر/ ۱۹/ ۲۲۵ ۱۳۳- الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبانٍ/ الرحمن/ ۵/ ۷۱ ۱۳۴- وَ السَّماءَ رَفَعَها وَ وَضَعَ/ الرحمن/ ۷/ ۱۵۲، ۱۵۳ ۱۳۵- مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ/ الرحمن/ ۱۹، ۲۰/ ۸۱ ۱۳۶- مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ/ الرحمن/ ۱۹، ۲۲/ ۲۸۲ ۱۳۷- كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ/ الرحمن/ ۲۶/ ۱۶۸ ۱۳۸- يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ/ الرحمن/ ۳۳/ ۲۰۰، ۲۰۱، ۲۱۳ ۱۳۹- فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَكانَتْ/ الرحمن/ ۳۷/ ۱۴۴، ۱۶۸ ۱۴۰- إِذا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا/ الواقعة/ ۴، ۵/ ۱۴۱ ۱۴۱- لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا/ الحديد/ ۲۵/ ۱۰۶ ۱۴۲- يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ/ المجادلة/ ۱۱/ ۱۰۴ الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۱۲ الآية السورة رقم الآية رقم الصفحة ۱۴۳- لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ/ الحشر/ ۲۱/ ۲۵۱ ۱۴۴- هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ/ الجمعة/ ۲/ ۸۷ ۱۴۵- اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ/ الطلاق/ ۱۲/ ۷۹ ۱۴۶- الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ/ الملك/ ۳/ ۱۷۶ ۱۴۷- وَ قالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ/ الملك/ ۱۰/ ۱۰۵ ۱۴۸- أَ لا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ/ الملك/ ۱۴/ ۱۰۹ ۱۴۸- وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ/ الحاقة/ ۱۴/ ۱۴۱ ۱۴۹- وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ/ الحاقة/ ۴۱، ۵۶/ ۱۸ ۱۵۰- يَوْمَ تَكُونُ السَّماءُ كَالْمُهْلِ/ المعارج/ ۸/ ۱۶۹ ۱۵۱- وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً/ نوح/ ۱۶/ ۱۵۴، ۱۵۸، ۲۰۴ ۱۵۲- لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ/ الجن/ ۱۲/ ۳ ۱۵۳- إِنْ هذا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ/ المدثر/ ۲۵/ ۲۹ ۱۵۴- بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ/ القيامة/ ۴/ ۱۱۰ ۱۵۵- وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ/ القيامة/ ۹/ ۱۶۸، ۲۲۰، ۲۲۲ ۱۵۶- فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ/ المرسلات/ ۸/ ۱۴۱ ۱۵۷- أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً/ المرسلات/ ۲۵، ۲۷/ ۱۹۰، ۱۹۱ ۱۵۸- وَ جَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ/ المرسلات/ ۲۷/ ۲۶۴، ۲۶۶، ۲۶۸ ۱۵۹- أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً/ النبأ/ ۶، ۷/ ۲۵۹ ۱۶۰- وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً/ النبأ/ ۱۳/ ۱۵۴ ۱۶۱- أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ/ النازعات/ ۲۷، ۳۰/ ۱۱۹ ۱۶۲- وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها/ النازعات/ ۳۰/ ۱۷۵، ۱۷۸ الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۱۳ الآية السورة رقم الآية رقم الصفحة ۱۶۳- وَ الْجِبالَ أَرْساها/ النازعات/ ۳۲/ ۲۵۹ ۱۶۴- إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ/ التكوير/ ۱/ ۱۴۱، ۱۶۸، ۱۶۹، ۱۷۲ ۱۶۵- وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ/ التكوير/ ۶/ ۷۷، ۲۸۹، ۲۹۰ ۱۶۶- فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ/ التكوير/ ۱۵، ۱۶/ ۱۸۳ ۱۶۷- وَ إِذَا الْبِحارُ فُجِّرَتْ/ الانفطار/ ۳ ۱۶۸- يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّكَ/ الانفطار/ ۶، ۸/ ۷۱ ۱۶۹- إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ/ الانشقاق/ ۱/ ۷۷ ۱۷۰- وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ/ الانشقاق/ ۳، ۴/ ۲۵۲، ۲۵۳ ۱۷۱- فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ/ الانشقاق/ ۱۶، ۲۱/ ۲۰۰ ۱۷۲- وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ/ الانشقاق/ ۱۸، ۱۹/ ۲۰۹، ۲۱۳ ۱۷۳- وَ إِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ/ الغاشية/ ۱۸/ ۱۹۲ ۱۷۴- وَ الْأَرْضِ وَ ما طَحاها/ الشمس/ ۶/ ۱۷۹ ۱۷۵- اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ/ العلق/ ۱/ ۸۷، ۱۰۴ ۱۷۶- يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَراشِ/ القارعة/ ۴، ۵/ ۱۴۱ ۱۷۷- وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ/ الفيل/ ۳/ ۷۹ ۱۷۸- تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ/ الفيل/ ۴/ ۷۹ الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۱۴

فهرس الأحاديث

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع أولا: القرآن الكريم ثانيا: الكتب الآتية ۱- الآحاد و المثانی، أحمد بن عمرو بن الضحاک الشيبانی، الرياض، دار الراية، تحقيق، باسم فيصل الجوابرة الطبعة الأولی، ۱۴۱۱ ه. ۲- آفاق فلكية، فوزية محمد الرويح، الكويت، جامعة الكويت، الطبعة الأولی، ۱۹۹۷. ۳- أبجد العلوم فی بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجی، بيروت، دار الكتب العلمية تحقيق، عبد الجبار زكار، ۱۹۷۸. ۴- الإتقان فی علوم القرآن، جلال الدين السيوطی، بيروت، عالم الكتاب، د. ت. ۵- الأجرام السماوية، غيدو روجيری، ترجمة، عبد اللطيف أبو عرقوب، طرابلس، الدار الجماهيرية، الطبعة الأولی، ۱۹۸۴. ۶- أجمل تاريخ للكون، جويل دورونی و آخرون، ترجمة، موسی خوری، بيروت، دار الكتاب العربی، ۱۹۹۶. ۷- أحاديث حول اللامرئی، جان أودوز و آخرون، ترجمة، نور الدين عبيد، الطبعة الأولی، ۲۰۰۰ دمشق، مكتبة الأهلی. ۸- احتمالات نهاية الكون، إعداد قسم التأليف و الترجمة فی دار الرشيد، دمشق- بيروت، دار الرشيد، ۱۴۰۸ ه/ ۱۹۸۸. ۹- إحياء علوم الدين، الإمام أبی حامد محمد بن محمد بن الغزالی الطوسی، بيروت، دار الفكر ۱۹۹۵. ۱۰- إرشاد العقل السليم تفسير القرآن الكريم، محمد بن مصطفی العمادی أبو السعود، بيروت دار إحياء التراث العربی، د. ت. ۱۱- الأرصاد الجوية، محمد أحمد النطاح، ليبيا، الدار الجماهيرية، الطبعة الأولی، ۱۹۹۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۴۱۶ ۱۲- الأرصاد الجوية، محمد الهونی و إبراهيم سويدان، ليبيا، نشر القوات البحرية، ۱۹۷۹. ۱۳- الأرض، إبراهيم حلمی غوری، بيروت، دار الشرق العربی، د. ت. ۱۴- الأرض فی رحاب الكون، يمنی زهار، بيروت، دار الآفاق، الطبعة الأولی، ۱۴۰۹ ه ۱۹۸۸. ۱۵- الأرض و أسرارها، جورجيت بارتلمی، ترجمة، ميشيل خوری، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ۱۹۹۱. ۱۶- الأرض، مقدمة للجيولوجيا الطبيعية، تاربون لوتجنز، ترجمة، عمر سليمان حمودة و آخرون مطبعة مالطا، مالطا، ۱۹۸۴. ۱۷- الأرض الهامدة و الأرض الخاشعة، أحمد الدليمی، الموصل، مطبعة الزهراء، ۱۴۲۱ ه/ ۲۰۰۰. ۱۸- الأساس فی التفسير، سعيد حوی، القاهرة، دار السلام، الطبعة الثانية، ۱۹۸۹. ۱۹- أساسيات علم الأرض، الجيولوجيا الفيزيائية، محمد بن عبد الغنی عثمان مشرف. ۲۰- أساسيات علم الجيولوجيا، محمد حسن و آخرون، عمان، مركز الكتب الأردنی، ۱۹۹۰. ۲۱- الاستمطار، محمد فياض و أحمد خليل، الكويت، دار سعادة الصباح الطبعة الأولی، ۱۹۹۹. ۲۲- أسرار الأرصاد الجوية الموسوعة العلمية المبسطة، ترجمة، عيسی طنوس، بيروت، دار الحقائق الطبعة الأولی، ۱۹۸۷. ۲۳- الإسلام و قوانين الوجود، محمد جمال الدين الفندی، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتب، ۱۹۸۲. ۲۴- الإسلام يتحدی، وحيد الدين خان، القاهرة، دار البحوث العلمية، ترجمة، ظفر الإسلام خان، الطبعة الثانية، ۱۳۹۳ ه/ ۱۹۷۳. ۲۵- إشارات الإعجاز فی مظان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النورسی، بيروت، دار المحراب للطباعة، تحقيق، إحسان قاسم الصالحی د. ت. ۲۶- أضواء البيان فی إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطی، بيروت، عالم الكتاب، د. ت. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۴۱۷ ۲۷- الأطلس الفلكی، عصام الميدانی، دمشق، دار دمشق، ۱۹۹۶. ۲۸- الإعجاز العلمی فی الإسلام، محمد كامل عبد الصمد، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولی، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴. ۲۹- الإعجاز العلمی فی القرآن الكريم، سليمان الطراونة، عمان، دار الفرقان، الطبعة الأولی ۱۴۲۱ ه/ ۲۰۰۰. ۳۰- الإعجاز فی دراسات السابقين،

عبـد الكريم الخطيب، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الثانية ۱۳۹۵ ه/ ۱۹۷۵. ۳۱- إعجاز القرآن، محمـد بن الطيب الباقلانى، بيروت، دار إحياء العلوم، تعليق، محمـد سكر، الطبعـة الثالثة، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴ م. ۳۲- إعجاز القرآن و البلاغـة النبويـة، لمصـطفى صادق الرافعى، بيروت، دار الكتـاب العربى، د. ت. ۳۳- أعلام الحضارة، سـمير شـيخانى، بيروت، مؤسسة عز الدين، ۱۴۰۱ ه/ ۱۹۸۱. ۳۴- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين، خير الدين الزركلى، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة السادسة، ۱۹۸۴. ۳۵- أعماق الكون، سـعد شعبان، القاهرة، دار الكتاب العربى، د. ت. ۳۶- الله و الكون، محمـد جمال الدين الفندى، القاهرة، الهيئـة المصـرية العامـة للكتب، الطبعة الثانية ۱۹۸۷. ۳۷- الإنسـان بين العلم و الـدين، شـوقى أبـو خليـل، بيروت- دمشق، دار الفكر، الطبعـة الرابعة ۱۴۲۰ ه/ ۱۹۹۹. ۳۸- الانفجار الكبير، أميـد شـمشك، ترجمـة، أورخان محمـد على، عمّان، دار البشـير، الطبعة الأولى ۱۴۱۹ ه/ ۱۹۹۸. ۳۹- أنوار التنزيل، عبـد الله بن عمر البيضاوى، تحقيق، عبـد القادر عرفات، بيروت، دار الفكر ۱۴۱۶ ه/ ۱۹۹۶. ۴۰- الأوائل، على جمعـة الخويلـد، بيروت، الـدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۸. ۴۱- البحـار و ما فيها، روبرت كاون، ترجمة عبد الحافظ حلمى القاهرة، مؤسسة سجل العرب ۱۹۷۴. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحـديث، ص: ۴۱۸ ۴۲- بحر العلوم، نصـر بن محمد السمرقندى، تحقيق، محمود مطرجى، بيروت، دار الفكر العربى ۱۹۹۷. ۴۳- البحر المحيط، محمد بن على ابن حيان الأندلسـى، القاهرة، دار الفكر العربى، الطبعـة الثانية ۱۹۸۳. ۴۴- بحوث منهجية فى علوم القرآن، موسـى إبراهيم، عمّان، دار عمار، الطبعة الثانية، ۱۴۱۶ ه ۱۹۹۶. ۴۵- بدائع التفسير، ابن قيم الجوزية، تحقيق، يسرى السيد أحمد، الرياض، دار ابن الجوزى، الطبعة الأولى، ۱۴۱۴ ه/ ۱۹۹۳. ۴۶- بداية الكون، جون فايفر، ترجمة، محمد الشحات، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ۱۹۷۵. ۴۷- البداية و النهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى أبو الفداء، بيروت، مكتبة المعارف، د. ت. ۴۸- البرهان فى علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشـى، بيروت، دار المعرفـة، تحقيق، محمد إبراهيم، ۱۳۹۱ ه. ۴۹- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، كمال الـدين عبـد الواحد الزملكانى، بغـداد، مطبعـة العانى، تحقيق، أحمد مطلوب و خديجة الحديثى، الطبعة الأولى، ۱۳۹۴ ه/ ۱۹۷۴. ۵۰- بلوغ سنن الرشد فى المجرة، تمثى فرس، ترجمة، هنرى مطر، عمّان، مركز الكتب الأردنى ۱۹۹۰. ۵۱- بهجة المعرفة، موسوعة علمية مصورة، الأرض، ليبيا، الشـركة العامة للنشر، ۱۹۸۳. ۵۲- البيـان فى علوم القرآن، محمـد على الحسن، بيروت، دار الفكر العربى، الطبعـة الأولى، ۱۹۹۸. ۵۳- تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدين السيد محمد مرتضى الحسينى الزبيدى، بيروت دار الفكر، تحقيق، على شيرى ۱۴۱۴ ه. ۵۴- تأويل مختلف الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، بيروت، المكتب الإسلامى، تحقيق، محمد الأصفر، الطبعة الأولى، ۱۹۸۹. ۵۵- تبصير الرحمن و تيسير المنـان، على بن أحمـد المهـائى، بيروت، عـالم الكتب ۱۹۸۳. الإعجـاز القرآنى فى ضـوء الاكتشـاف العلمى الحديث، ص: ۴۱۹ ۵۶- التحرير و التنوير، محمـد الطاهر ابن عاشور، بيروت، مؤسسة التاريخ، الطبعة الأولى، ۱۴۲۰ ه/ ۲۰۰۰ م. ۵۷- التسـهيل لعلوم التنزيـل، محمـد بن أحمـد الغرنـاطى، بيروت، دار الأرقم، د. ت. ۵۸- التصـوير الفنى فى القرآن الكريـم، لسيد قطب، القاهرة، دار الشـروق، ۱۹۹۷. ۵۹- تفسـير البشائر، على الشـربجى، دمشق، دار البشائر، الطبعـة الأولى، ۱۴۱۸ ه. ۶۰- تفسير بن باديس، عبـد الحميـد بن باديس، بيروت، دار الفكر، الطبعـة الثالثـة، ۱۳۹۹ ه ۱۹۷۹ م. ۶۱- تفسـير ابن عباس، إعـداد، عبـد العزيز بن عبد الله الحميـدى، مكة المكرمة، مركز البحث العلمى، د. ت. ۶۲- التفسـير البيانى للقرآن، عائشة بنت الشاطئ، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية، ۱۳۸۸ ه/ ۱۹۶۸. ۶۳- تفسير جزء عمّ، محمد عبده، بيروت، دار الهلال، ۱۹۸۵. ۶۴- تفسير الجلالين، محمد بن أحمد بن محمد المحلى و جلال الـدين السيوطى، القـاهرة، دار الحـديث، الطبعـة الأولى، د. ت. ۶۵- تفسـير روح البيـان، إسـماعيل حقى البروسوى، بيروت، دار الفكر، د. ت. ۶۶- تفسير السراج المنير، للخطيب الشربينى، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الثانية، د. ت. ۶۷- التفسير الشامل، أمير عبد العزيز، القاهرة، دار السلام، الطبعة الأولى، ۱۴۲۰ ه/ ۲۰۰۰. م. ۶۸- تفسير الشعراوى، القاهرة، أخبار اليوم، د. ت. ۶۹- التفسير العلمى للقرآن، أحمـد عمر أبو حجر، دمشق، دار قتيبـة، الطبعة الأولى، ۱۴۱۱ ه ۱۹۹۱ م. ۷۰- تفسـير غرائب القرآن و رغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد القمى النيسابورى تحقيق، زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، ۱۴۱۶ ه/ ۱۹۹۶. ۷۱- تفسير غريب

القرآن، عبـد الله بن مسـلم بن قتیبـة، بیروت، دار الهلال، ۱۹۹۱. ۷۲- تفسـیر القرآن، لأبی مظفر السـمعانی، تحقیق، یاسر بن إبراهیم و غنیم بن عباس غنیم الریاض دار الوطن، الطبعـة الأولی، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۷ م. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۲۰ ۷۳- تفسیر القرآن، عز الدین بن عبد السلام الدمشقی، بیروت، دار ابن حزم، الطبعة الأولی ۱۴۱۶ ه/ ۱۹۹۶. ۷۴- تفسیر القرآن، منصور بن محمد السـمعانی، تحقیق، یاسـر إبراهیم و غنیم عباس الریاض، دار الوطن، ۱۹۹۷. ۷۵- تفسـیر القرآن العظیم، إسماعیل بن عمر بـن کـثیر، بیروت، دار الفکر، ۱۴۰۱ ه. ۷۶- تفسـیر القرآن الکریـم، محمـد علی الـدرة، دمشق، دار الحکمـة، ۱۹۸۲. ۷۷- تفسیر القرآن الکریم، محمود شـلتوت، القاهرة، دار الشـروق، الطبعـة السادسة، ۱۳۹۴ ه ۱۹۷۴ م. ۷۸- تفسـیر القرآن الکریم إعرابه و بیـانه، محمـد طه الـدرة، دمشق، دار الحکمة، ۱۹۸۲. ۷۹- التفسـیر الکاشف، محمـد جواد مغنیـة، بیروت، دار العلم للملایین، الطبعـة الرابعة، ۱۹۹۰. ۸۰- التفسـیر الکـبیر، محمـد فخر الـدین الرازی، بیروت، دار الفکر، ۱۹۹۳. ۸۱- تفسـیر مجاهـد، مجاهـد بن جبر المخزومی، تحقیـق، عبـد الرحمن السورتی، بیروت، المنشورات العلمیـة، د. ت. ۸۲- تفسـیر المراغی، أحمد مصـطفی مراغی، بیروت، دار الکتب العلمیـة، الطبعة الأولی، ۱۴۱۸ ه، ۱۹۹۸. ۸۳- تفسیر مفردات ألفاظ القرآن الکریم، سـمیح عاطف الزین، بیروت، دار الکتاب العربی، الطبعة الثالثة، ۱۴۱۴ ه، ۱۹۹۴. ۸۴- تفسـیر المنار، محمد رشید رضا، بیروت، دار الفکر، الطبعة الثالثة، د. ت. ۸۵- التفسیر المنیر، وهبة الزحیلی، بیروت، دار الفکر المعاصـر، الطبعـة الأولی ۱۴۱۱ ه/ ۱۹۹۱. ۸۶- تفسـیر النکت و العیون، علی بن محمـد الماوردی، بیروت، دار الکتب العلمیة، د. ت. ۸۷- التفسیر الواضح المسیر، محمد علی الصابونی، بیروت، مؤسسة الریان، الطبعة الأولی، ۱۴۲۲ ه/ ۲۰۰۱ م. ۸۸- التفسـیر الواضح، محمد محمود حجازی، القاهرة، مطبعة الاسـتقلال، الطبعة السادسة ۱۹۶۹. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۲۱ ۸۹- التفسـیر الوسـیط، وهبة الزحیلی، بیروت، دار الفکر المعاصر، ۲۰۰۰ ۹۰- التفسیر و المفسرون، محمد حسن الـذهبی، القاهرة، دار الکتب الحدیثة، الطبعة الأولی، ۱۳۸۱ ه/ ۱۹۶۱. ۹۱- تنویر الأذهان من تفسـیر روح البیان، اختصار محمد علی الصـابونی، القـاهرة، دار الصـابونی، الطبعـة الأولی، ۱۹۸۸. ۹۲- التوقیف علی مهمـات التعـاریف، محمـد عبـد الرءوف المناوی، دمشق- بیروت، دار الفکر المعاصر، تحقیق، محمد رضوان الدایة الطبعة الأولی، ۱۴۱۰ ه. ۹۳- الثقب الأسود، محمد رضوان المصری، دمشق، دار المعارف للطباعـة، الطبعـة الأولی، ۱۹۸۶. ۹۴- الثقوب السوداء و الأکوان الطفلـة، سـیتفن هوکنغ، ترجمـة، حاتم النجدی، دمشق، دار المعارف للطباعة، الطبعة الأولی، ۱۹۹۸. ۹۵- الثقوب الکونیـة السوداء، فائز فوق العادة، دمشق، دار المعرفة، الطبعة الأولی، ۱۴۰۹ ه ۱۹۸۸ م. ۹۶- ثلاث رسائـل فی الإعجاز، الرسالـة الشافیـة، للجرجانی، تحقیق، محمـد خلف الله و محمـد سـلام القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانیة ۱۳۸۷ ه/ ۱۹۶۸ م. ۹۷- جامع البیان عن تأویل آی القرآن، محمد بن جریر بن یزید الطبری، بیروت، دار الفکر ۱۴۰۵ ه. ۹۸- الجامع لأحکام القرآن، محمـد بن فرح القرطبی، تحقیق، أحمد عبد العلیم البردونی، القاهرة، دار الشـعب، الطبعة الثانیة، ۱۳۷۲ ه. ۹۹- الجغرافیة الحیویة، حسن أبو سـمور، عمان، دار صـفاء، الطبعة الأولی، ۱۴۲۰ ه/ ۱۹۹۹ م. ۱۰۰- الجغرافیة الفلکیة، أمین طربوش، دمشق، دار الفکر، الطبعة الأولی، ۱۴۰۶ ه/ ۱۹۸۶ م. ۱۰۱- الجغرافیة المناخیة و النباتیة، عبد العزیز شـرف، الإسکندریة، دار الجامعات المصـریة، الطبعة الحادیة عشـر، ۱۹۸۵ م. ۱۰۲- الجواب الصـحیح لمن بـدل دین المسـیح، أحمـد بن عبد الحلیم بن تیمیة، الریـاض، دار العاصـمة الطبعة الأولی، ۱۴۱۴ ه، تحقیـق علی حسـن ناصـر و آخرون. الإعجـاز القرآنی فی ضـوء الاکتشـاف العلمی الحدیث، ص: ۴۲۲ ۱۰۳- الجواهر الحسان، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبی، بیروت، مؤسسة الأعلمی، د. ت. ۱۰۴- جواهر القرآن، الإمـام أبی حامـد محمـد بن محمـد بن الغزالی الطوسـی، بیروت، دار إحیاء علوم الـدین، تحقیق، محمـد رشـید رضا القبانی، الطبعة الثانیة، ۱۴۰۶ ه/ ۱۹۹۶ م. ۱۰۵- الجواهر فی تفسـیر القرآن الکریم، طنطـاوی جوهری، بیروت، دار إحیاء التراث العربی، الطبعة الرابعة، ۱۴۱۲ ه/ ۱۹۹۱. ۱۰۶- الجـو و تقلبـاته، علی حسن موسـی، دمشـق، دار الفکر، ۱۹۸۸. ۱۰۷- الجیولوجیـا للجمیع، عادل حاتم جوزی، بغـداد، دار الرشـید، ۱۹۸۰. ۱۰۸- الجیولوجیـا و الکائنـات الحیـة، دولت عبـد الرحیم إبراهیم، القاهرة، الهیئـة المصـریة العامة للکتب، ۱۹۹۵. ۱۰۹- حاشیة الشهاب علی البیضاوی، لشهاب الدین أحمد بن عمر الخفاجی، تحقیق، عبد الرزاق المهدی، بیروت، دار

الکتب العلمیة، الطبعة الأولی، ۱۳۱۷ ه/ ۱۹۹۷. ۱۱۰- حاشیة الصاوی، علی الجلالین، تحقیق، علی الصباغ، بیروت، دار الجیل، د. ت. ۱۱۱- حاشیة محی الدین شیخ زاده علی تفسیر الإمام البیضاوی، تحقیق، محمد شاهین، بیروت، دار الکتب العلمیة، الطبعة الأولی ۱۴۱۹ ه/ ۱۹۹۹ م. ۱۱۲- الحرارة و الدینامیکا الحراریة، مارک وزنماسکی و ریتشارد دیثمان، ترجمة، محسن سالم رضوان، القاهرة، دار ماکجروصیل الطبعة الأولی، ۱۹۸۲ م. ۱۱۳- الحیوان، عمر بن بحر بن محبوب الجاحظ، بیروت، دار الهلال، تحقیق، یحیی الشامی، الطبعة الثالثة، ۱۹۹۷. ۱۱۴- خلق الکون، محمد باسل الطائی، بیروت، دار النفائس، الطبعة الأولی، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۸ م. ۱۱۵- دائرة المعارف الثقافیة، الأرض، بیروت، المرکز الثقافی الحدیث، الطبعة الأولی، ۲۰۰۰. ۱۱۶- دائرة معارف القرن الواحد و العشرین، القوی الفیزیائیة، بیروت، دار الکتاب اللبنانی، د. ت. ۱۱۷- دراسات فی علوم القرآن الکریم، فهد الرومی، الریاض، مکتبة التوبة، الطبعة السابعة، ۱۴۱۹ ه/ ۱۹۹۸ م. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۲۳ ۱۱۸- الدر المصون، محمد السمین، بیروت، دار الکتب العلمیة، الطبعة الأولی، ۱۹۹۴ م. ۱۱۹- الدر المنثور، عبد الرحمن بن جلال الدین السیوطی، بیروت، دار الفکر، ۱۹۹۳. ۱۲۰- الدرر الکامنة فی أعیان المائة الثامنة، أحمد بن علی ابن حجر العسقلانی، بیروت، دار الکتب العلمیة، تحقیق، عبد الوارث محمد علی، الطبعة الأولی، ۱۴۱۸ ه ۱۹۹۷ م. ۱۲۱- الدقائق الثلاث الأولی من عمر الکون، ستیفن ونبرغ، ترجمة، وائل الأتاسی، دمشق منشورات وزارة الثقافة ۱۹۸۶. ۱۲۲- دلائل الإعجاز فی علم المعانی، للإمام البلاغی عبد القاهر الجرجانی، بیروت- صیدا، المکتبة العصریة، تحقیق، یاسین الأیوبی، الطبعة الأولی، ۱۴۲۱ ه/ ۲۰۰۰ م. ۱۲۳- دلیل فیلیب للنجوم و الکواکب، باتریک مور، ترجمة، عبد القوی عیاد الریاض، النشر العلمی و المطابع، الطبعة الأولی، ۱۴۲۱ ه/ ۲۰۰۰ م. ۱۲۴- الدینامیکا الحراریة، فرانسیس و ستون سیرس، ترجمة، رضا جاد جرجس و طاهر مجید الشریتی، البصرة، طبع کلیة التربیة جامعة البصرة، د. ت. ۱۲۵- الدینامیکا الحراریة، أبوت فان هیس، ترجمة، أحمد فؤاد باشا و سعید بسیونی الجزائری القاهرة، الدار الدولیة للنشر، الطبعة الرابعة، ۱۹۹۸. ۱۲۶- رحلة فی الکون و الحیاة، أحمد محمد عوف، القاهرة، الهیئة المصریة العامة للکتاب، ۱۹۹۶ م. ۱۲۷- روح المعانی و السبع المثانی، محمد الألوسی أبو الفضل، بیروت، دار إحیاء التراث العربی، د. ت. ۱۲۸- زاد المسیر فی علم التفسیر، عبد الرحمن بن علی بن محمد الجوزی، بیروت، المکتب الإسلامی، الطبعة الثالثة، ۱۴۰۴ ه. ۱۲۹- الزلزال الکونی الأعظم، عبد العلیم عبد الرحمن خضر، جدة، الدار السعودیة، الطبعة الأولی ۱۴۱۳ ه/ ۱۹۹۳. ۱۳۰- السحب، علی حسن موسی، دمشق، دار الفکر، ۱۹۸۸. ۱۳۱- سر الفصاحة، عبد الله بن سنان الخفاجی الحلبی، بیروت، دار الکتب العلمیة، الطبعة الأولی ۱۴۰۳ ه/ ۱۹۸۲ م. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۲۴ ۱۳۲- السماء فی اللیل، عبد القادر عابد و علی عبندة، عمان، دار الفرقان، الطبعة الأولی ۱۴۰۵ ه/ ۱۹۸۵. ۱۳۳- سنن البیهقی الکبری، أحمد بن الحسین بن علی بن موسی البیهقی، مکة المکرمة، دار الباز تحقیق، محمد عبد القادر عطا، ۱۴۱۴ ه/ ۱۹۹۴. ۱۳۴- سنن الترمذی، محمد بن عیس الترمذی السلمی، بیروت، دار إحیاء التراث العربی، تحقیق أحمد شاکر و آخرون، د. ت. ۱۳۵- سنن الدارمی، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمی، بیروت، دار الکتاب العربی، الطبعة الأولی ۱۴۰۷ ه. ۱۳۶- سیر أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبی، بیروت، مؤسسة الرسالة، تحقیق، شعیب الأرناءوط و محمد نعیم. ۱۳۷- السیرة الحلبیة، علی بن برهان الدین الحلبی، بیروت، دار المعرفة، ۱۴۰۰ ه. ۱۳۸- السیرة النبویة، عبد الملک بن هشام الحمیری، بیروت، دار الجیل، تحقیق، طه سعد، الطبعة الأولی، ۱۴۱۱ ه. ۱۳۹- شذرات الذهب فی أخبار من ذهب، عبد الحی ابن العماد الحنبلی الدمشقی، بیروت، دار الکتب العلمیة، د. ت. ۱۴۰- شرح المواقف، لعلی بن محمد الجرجانی، القاهرة، منشورات الشریف الرضی، الطبعة الثانیة ۱۳۷۳ ه. ۱۴۱- الشفا بتعریف حقوق المصطفی، للقاضی أبی الفضل عیاض بن موسی الیحصبی، بیروت، دار الکتاب العربی، تحقیق، علی محمد البجاوی، د. ت. ۱۴۲- الشمس، إبراهیم غوری، بیروت، دار الشرق العربی، د. ت. ۱۴۳- الشموس المتفجرة، إسحاق عظیموف، ترجمة السید عطا، القاهرة، الهیئة المصریة العامة للکتاب، ۱۹۹۴ م. ۱۴۴- صانعوا التاریخ، سمیر شیخانی، بیروت، مؤسسة عز الدین، ۱۴۱۶ ه/ ۱۹۹۶. ۱۴۵- صحیح البخاری، محمد بن إسماعیل البخاری، بیروت، دار الیمامة، تحقیق، مصطفی البغا الطبعة الثالثة، ۱۴۰۷/

۱۹۸۷. ۱۴۶- صحیح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التمیمی البستی، بیروت، مؤسسة الرسالة، تحقیق شعیب الأرناءوط، الطبعة الثانیة، ۱۴۱۴ ه/ ۱۹۹۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۲۵ ۱۴۷- صحیح ابن خزیمة، محمد بن إسحاق بن خزیمة النیسابوری، بیروت، المکتب الإسلامی تحقیق، محمد مصطفی الأعظمی، ۱۳۹۰ ه. ۱۴۸- صحیح مسلم، مسلم بن الحجاج القشیری النیسابوری، بیروت، دار إحیاء التراث العربی، تحقیق، محمد فؤاد عبد الباقی، د. ت. ۱۴۹- صفوة التفاسیر، للصابونی، بیروت، دار إحیاء التراث، الطبعة الأولی، ۱۹۹۵. ۱۵۰- ضحی الإسلام، أحمد أمین، القاهرة، النهضة المصریة، الطبعة السابعة، ۱۹۶۱. ۱۵۱- طبائع الاستبداد و مصارع الاستعباد، عبد الرحمن الکواکبی، بیروت، دار النفائس، الطبعة الأولی، ۱۹۸۴. ۱۵۲- طبقات الشافعیة، لأبی بکر أحمد بن محمد بن عمر، بیروت، عالم الکتاب تحقیق، الحافظ عبد العلیم خان، الطبعة الأولی، ۱۴۰۷ ه. ۱۵۳- طبقات الفقهاء، إبراهیم بن علی بن یوسف الشیرازی، بیروت، دار القلم، تحقیق، خلیل المیس، د. ت. ۱۵۴- الطبیعة الجویة، محمد جمال الدین الفندی، الکویت، مکتبة الفلاح الطبعة الثانیة، ۱۹۷۷. ۱۵۵- طبیعیات البحر و ظواهره، محمد جمال الدین الفندی. ۱۵۶- طرائف علم الفلک، فیکتور کوماروف، ترجمة عبد الله حبة، موسکو، دار میر، ۱۹۸۵. ۱۵۷- الطقس و المناخ، محمد عیاد مقیلی، لیبیا، نشر الجامعة المفتوحة، ۱۹۹۲. ۱۵۸- الطقس، فورس إیک، ترجمة، نبیلة منسی، بیروت، معهد الإنماء العربی، ۱۹۸۱. ۱۵۹- العالم الذی نقطنه، رینیه غویر، ترجمة، خلیل الفریجات، دمشق، منشورات وزارة الثقافة ۱۹۸۱. ۱۶۰- عالم المعرفة، الکون، کارل ساغان، ترجمة، نافع أیوب لبس، الکویت، المجلس الوطنی للثقافة، ۱۴۱۴ ه/ ۱۹۹۳ م. ۱۶۱- عالم المعرفة، النهایة، فرانک کلوز، ترجمة، مصطفی إبراهیم فهمی، الکویت، المجلس الوطنی للثقافة و الفنون، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴ م. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۲۶ ۱۶۲- العبر فی خبر من غبر، محمد بن أحمد بن عثمان بن قایماز الذهبی، الکویت، مطبعة حکومة الکویت، تحقیق، صلاح الدین المنجمد، الطبعة الثانیة، ۱۹۴۸. ۱۶۳- عقائد الثلاث و السبعین فرقة، لأبی محمد الیمنی، المدینة المنورة، مکتبة العلوم و الحکم، تحقیق محمد الغامدی، الطبعة الثانیة ۱۴۲۲ ه/ ۲۰۰۱ م. ۱۶۴- علم البحار، هاشم أحمد محمد، نشر هلا بوک شوب، د. ت. ۱۶۵- علم البحار و المحیطات، میلاد سعید الرماح، لیبیا، نشر القوات البحریة، ۱۹۷۹. ۱۶۶- علم الفلک، عبد السلام غیث، عمان، جامعة الیرموک، ۱۹۹۲. ۱۶۷- علم الفلک، هاشم أحمد، بیروت، هلابون، د. ت. ۱۶۸- علم الفلک العام، مرفت السید عوض و مصطفی کمال محمود، القاهرة، دار الفکر العربی الطبعة الأولی، ۱۴۲۰ ه/ ۲۰۰۰ م. ۱۶۹- علم الفلک و فلسفة النسق الکونی، فائز فوق العادة، الکویت، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی الطبعة الأولی، ۱۹۹۲. ۱۷۰- علم الفلک و الکون، عواد الزحلف، عمان، دار المناهج، الطبعة الأولی، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۸ م. ۱۷۱- علم المحیطات، ریتشارد فیتر، ترجمة، میشیل تکلاء القاهرة، مطبوعات کتابی، د. ت. ۱۷۲- علم المحیطات، کیث ستو، ترجمة، تلفات عناد أحمد، البصرة، نشر جامعة البصرة، ۱۹۸۶. ۱۷۳- علوم الأرض و البیئة، فتحی أبو ناصر، عمان، دار الیازوری، الطبعة الأولی، ۱۴۱۸ ه ۱۹۹۹ م. ۱۷۴- العلوم الجویة و تطبیقاتها، محمد أحمد الشهاوی، القاهرة، دار الفکر العربی، الطبعة الأولی ۱۴۲۰ ه/ ۲۰۰۰ م. ۱۷۵- العلوم فی القرآن، محمد جمیل الحبال و مقداد الجواری، بیروت، دار النفائس، الطبعة الأولی ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۸ م. ۱۷۶- العواصف و الأعاصیر، علی حسن موسی، دمشق، دار الفکر، ۱۹۸۹. ۱۷۷- غایة البیان فی تفسیر القرآن، حسن علوان و آخرون، الدوحة، مطابع قطر الوطنیة، د. ت. ۱۷۸- الغلاف و الطقس و المناخ، بیری شوری، ترجمة، عبد القادر علی، طبع الهیئة العامة لشئون المطابع الأمیریة، القاهرة، ۱۹۹۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۲۷ ۱۷۹- الفائق فی غریب الحدیث، محمود بن عمر الزمخشری، بیروت، دار المعرفة، تحقیق، علی البجاوی، و محمد إبراهیم، الطبعة الثانیة، د. ت. ۱۸۰- فتح الباری شرح صحیح البخاری، أحمد بن علی بن حجر العسقلانی، القاهرة، دار الریان تعلیق، محمد فؤاد عبد الباقی، الطبعة الثانیة، ۱۹۸۸. ۱۸۱- فتح البیان فی مقاصد القرآن، صدیق بن حسن القنوجی، صیدا، المکتبة العصریة ۱۹۹۲. ۱۸۲- فتح الرحمن فی تفسیر القرآن، عبد المنعم تعلیب، القاهرة، دار السلام، الطبعة الأولی ۱۴۱۶ ه/ ۱۹۹۵ م. ۱۸۳- فتح القدیر، محمد بن علی الشوکانی، بیروت، دار إحیاء التراث العربی، د. ت. ۱۸۴- الفتوحات الإلهیة، سلیمان بن عمر العجیلی، بیروت، دار الفکر، ۱۴۱۵ ه/

۱۹۹۴. ۱۸۵- الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى، بيروت، دار المعرفة، تحقيق، محمد محى الدين عبد الحميد، د. ت. ۱۸۶- فسيولوجيا النبات، روبرت ديفلين و فرانسيس ويزام، ترجمة، محمد شرقاوى و آخرون، القاهرة المجموعة العربية للنشر، ۱۹۸۵. ۱۸۷- فسيولوجيا النبات، على الهلال، الرياض، النشر العلمى و المطابع، ۱۴۲۰ ه. ۱۸۸- الفصل فى الملل و الأهواء و النحل، على بن أحمد بن حزم الظاهرى، بيروت، دار المعرفة الطبعة الثانية، ۱۳۹۵ ه/ ۱۹۷۵ م. ۱۸۹- الفضاء و الشهب، محمد فتحى عوض الله، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتب، ۱۹۷۳ م. ۱۹۰- فضل العلم و العلماء، لابن قيم الجوزية، جمع و ترتيب صالح الشامى، بيروت، المكتب الإسلامى، الطبعة الأولى، ۱۴۲۲ ه/ ۲۰۰۱ م. ۱۹۱- فكرة إعجاز القرآن، نعيم الحمصى، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ۱۴۰۰ ه ۱۹۸۰ م. ۱۹۲- الفهرست، محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، بيروت، دار المعرفة، ۱۳۹۸ ه/ ۱۹۷۸ م. ۱۹۳- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، محمد بن أبى بكر بن أيوب الزرعى ابن القيم، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴ م. ۱۹۴- فى ظلال القرآن، سيد قطب، القاهرة، دار الشروق، الطبعة الخامسة و العشرون، ۱۴۱۷ ه ۱۹۹۶. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۴۲۸ ۱۹۵- قالوا فى الإسلام و القرآن و الرسول، حسين سليم، بيروت، دار رشاد برسن، ۲۰۰۲. ۱۹۶- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، بيروت، دار الفكر، ۱۹۹۵. ۱۹۷- قبس من نور القرآن، محمد على الصابونى، بيروت، مؤسسة الريان، الطبعة الرابعة، ۱۴۱۹ ه/ ۱۹۹۸ م. ۱۹۸- القرآن الكريم أضواء على الشرق و الغرب، محمد قبيسى، بيروت، مؤسسة الرحاب الحديثة الطبعة الأولى، ۱۹۹۶. ۱۹۹- قصة الكون عجب و بهاء، كليفورد سيماك، ترجمة، عبد القوى عياد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ۱۹۷۵. ۲۰۰- قصة نشوء الكون، مخلص الريس و على موسى، دمشق، دار دمشق، الطبعة الأولى، ۱۹۹۰. ۲۰۱- القمر، إبراهيم، حلمى غورى، بيروت، دار الشرق العربى، د. ت. ۲۰۲- القمر، محمد على المغربى، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية، ۱۹۶۶. ۲۰۳- قواعد الجيومورفولوجيا العامة، جودت حسنين جودت الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية ۱۹۹۶. ۲۰۴- كتاب التوحيد، عبد المجيد الزندانى، دمشق، دار الخير، الطبعة الأولى، ۱۴۱۱ ه/ ۱۹۹۰ م. ۲۰۵- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدى، تحقيق، مهدى المخزومى و إبراهيم السامرائى بيروت، دار الهلال، د. ت. ۲۰۶- الكشاف، محمود بن عمر الزمخشرى، بيروت، دار إحياء التراث العربى، الطبعة الأولى ۱۴۱۷ ه/ ۱۹۹۷ م. ۲۰۷- كوكب اسمه الأرض، جورج جامو، ترجمة، الدكتورة هذارة، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ۱۹۷۴. ۲۰۸- كوكب الأرض، حسن أبو العينين، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الطبعة الحادية عشر، ۱۹۹۶. ۲۰۹- كوكب الأرض، إعداد و نشر، مؤسسة الكويت للتقدم العلمى، الكويت، الطبعة الثانية ۱۹۸۷. ۲۱۰- الكون، هوبرت ريفرز، ترجمة درويش الحلوجى، القاهرة، دار المستقبل العربى، الطبعة الأولى ۱۹۹۶ م. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۴۲۹ ۲۱۱- الكون البحث عن لحظة الميلاد، هوبرت ريفز، ترجمة، درويش الحلّوجى، القاهرة، المستقبل العربى، الطبعة الأولى، ۱۹۹۶. ۲۱۲- الكون ذلك المجهول، جلال عبد الفتاح، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ۱۹۹۴. ۲۱۳- الكون و أحجار الفضاء، محمد فتحى عوض، دمشق، دار الوثبة، الطبعة الثانية، ۱۹۸۳. ۲۱۴- الكون و الإعجاز العلمى فى القرآن، منصور حسب النبى، القاهرة، دار الفكر العربى، الطبعة الثانية، ۱۹۹۱. ۲۱۵- الكون و الطاقة، إعداد المكتب العالمى للبحوث، بيروت، المكتب العالمى ۱۴۱۰ ه/ ۱۹۸۹. ۲۱۶- كيف نتعامل مع القرآن العظيم، د. يوسف القرضاوى، القاهرة، دار الشروق، الطبعة الأولى ۱۴۱۹ ه/ ۱۹۹۹ م. ۲۱۷- لباب التأويل فى معانى التنزيل، علاء الدين على بن محمد الخازن، بغداد مكتبة المثنى، د. ت. ۲۱۸- لباب النقول فى أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد السيوطى، بيروت، دار إحياء العلوم، د. ت. ۲۱۹- اللباب فى علوم الكتاب، عمر بن على الدمشقى، تحقيق، على معوض و آخرون، بيروت دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ۱۴۱۹ ه/ ۱۹۹۸. ۲۲۰- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى، د. ت. ۲۲۱- لفتات علمية من القرآن، يعقوب يوسف، الرياض، الدار السعودية للنشر و التوزيع، الطبعة الثانية، ۱۹۹۷. ۲۲۲- لوامع الأنوار البهية، محمد السفارينى الحنبلى، بيروت، المكتب الإسلامى، الطبعة الثالثة ۱۴۱۱ ه/ ۱۹۹۱. ۲۲۳- ما هى الجيولوجيا، وليم ماثيوز، ترجمة مختار رسمى ناشد، القاهرة، الهيئة المصرية

العامة للکتب، ۱۹۹۵. ۲۲۴- الماء و الحیاة بین العلم و القرآن، عبد العلیم عبد الرحمن خضر، جدة، الدار السعودیة، الطبعة الأولی، ۱۹۸۵. ۲۲۵- مباحث فی إعجاز القرآن، مصطفی مسلم، جدة، دار المنارة، الطبعة الأولی، ۱۴۰۸ ه ۱۹۸۸ الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۳۰ ۲۲۶- مباحث فی علوم القرآن، صبحی الصالح، بیروت، دار العلم للملایین، الطبعة العشرون ۱۹۹۷. ۲۲۷- مباحث فی علوم القرآن، مناع القطان، الریاض، مکتبة المعارف الطبعة الأولی، ۱۴۱۳ ه ۱۹۹۲ م. ۲۲۸- مبادئ الطاقة الشمسیة و تطبیقاتها، سهیل فاضل و إلیاس الکبة، بیروت، دار الحداثة، الطبعة الثالثة، ۱۹۸۷. ۲۲۹- مبادئ المناخ الطبیعی، إبراهیم العرود، عمان، دار الشروق، الطبعة الأولی، ۱۹۹۷. ۲۳۰- المجرات و الکوازرات، ولیام کاوفمان، ترجمة، عبد الکریم السامرائی، بغداد، دار الشئون الثقافیة العامة، الطبعة الأولی، ۱۹۸۹. ۲۳۱- مجلة العربی، الکویت، العدد ۳۱۳ دیسمبر، ۱۹۸۴. ۲۳۲- مجمع البیان فی تفسیر القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسی، تحقیق هاشم المحلاتی، طهران المکتبة العلمیة، د. ت. ۲۳۳- المجموعة الشمسیة و احتمالات الحیاة علیها، زین العابدین متولی، القاهرة، مرکز جامعة القاهرة، الطبعة الأولی، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۷. ۲۳۴- المجموعة الشمسیة و مجال الجاذبیة الکونیة، الأمین محمد کعورة، القاهرة، المکتب المصری الحدیث، د. ت. ۲۳۵- محاسن التأویل، محمد القاسمی، بیروت، دار الفکر، الطبعة الأولی، ۱۹۷۸. ۲۳۶- المحرر الوجیز فی تفسیر الکتاب العزیز، عبد الحق بن عطیة، تحقیق، عبد الله الأنصاری و عبد العال إبراهیم، الدوحة، مطابع قطر الطبعة الأولی، ۱۴۰۹ ه/ ۱۹۸۸. ۲۳۷- المحیرات الفلکیة، عبد الرحیم بدر، الکویت، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، الطبعة الأولی ۱۹۸۴. ۲۳۸- المحیط الکونی و أسراره، نجیب زبیب، بیروت، دار الأمیر، الطبعة الأولی، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴. ۲۳۹- المحیط الکونی و أسراره، نجیب زبیب، ص ۶۷، و انظر: فی أعماق الفضاء، عبد الحمید سماحة بیروت، دار الشروق، الطبعة الثالثة ۱۴۰۱ ه/ ۱۹۸۰. ۲۴۰- مختار الصحاح، محمد بن أبی بکر الرازی، بیروت، مکتبة لبنان ناشرون، تحقیق، محمود خاطر، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۳۱ ۲۴۱- مدارک التنزیل و حقائق التأویل، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفی، بیروت، دار النفائس د. ت. ۲۴۲- مدخل إلی علم المناخ، ضاری العجمی و محمود صفر، الکویت، مکتبة الکویت، الطبعة الأولی، ۱۴۰۸ ه/ ۱۹۸۷. ۲۴۳- مراح لبید لکشف معنی القرآن المجید، محمد بن عمر نووی الجاوی، تحقیق، محمد أمین الضناوی، بیروت، دار الکتب العلمیة، الطبعة الأولی، ۱۴۱۷ ه/ ۱۹۹۷. ۲۴۴- المستشرقون، نجیب العقیقی، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الرابعة د. ت، ۲/ ۱۰۲. ۲۴۵- مسند أبی یعلی، أحمد بن علی أبو یعلی الموصلی، تحقیق، حسن سلیم أسد، دمشق، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولی، ۱۴۰۴ ه/ ۱۹۸۴. ۲۴۶- مسند أحمد، أحمد بن حنبل الشیبانی، القاهرة، مؤسسة قرطبة، د. ت. ۲۴۷- مسند الشافعی، محمد بن إدریس الشافعی، بیروت، دار الکتب العلمیة، د. ت. ۲۴۸- مسند عبد بن الحمید، عبد بن حمید بن نصر الکسی، القاهرة، مکتبة السنة، تحقیق، صبحی السامرائی و محمود الصعیدی، الطبعة الأولی، ۱۴۰۸ ه/ ۱۹۸۸. ۲۴۹- مشاهیر القرن العشرین، محمد بوذینة، تونس، مطبعة تونس، الطبعة الأولی، ۱۹۹۴. ۲۵۰- مشهد الریاح و تصریفها، عبد الکریم العثمان، الریاض، الدار العالمیة للکتاب الإسلامی الطبعة الأولی، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۷. ۲۵۱- المصباح المنیر، أحمد بن محمد بن علی المقری الفیومی، بیروت، المکتبة العلمیة، د. ت. ۲۵۲- المعارف الکونیة، إعداد، نخبة من العلماء، القاهرة، دار الفکر العربی، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۸. ۲۵۳- معالم التنزیل، حسین بن مسعود البغوی، تحقیق، خالد العک، بیروت، دار المعرفة، الطبعة الثانیة، ۱۴۰۷ ه/ ۱۹۸۷. ۲۵۴- معانی القرآن، لأبی إسحاق إبراهیم بن الری الزجاج، تحقیق، عبد الجلیل شلبی، بیروت عالم الکتب، الطبعة الأولی، ۱۴۰۸ ه/ ۱۹۸۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۳۲ ۲۵۵- معانی القرآن، یحیی بن زیاد الفراء، بیروت، عالم الکتب، الطبعة الثالثة، ۱۴۰۳ ه. ۲۵۶- معانی القرآن الکریم، لأبی جعفر النحاس، تحقیق، محمد علی الصابونی، مکة المکرمة، نشر جامعة أم القری، الطبعة الأولی، ۱۴۰۹ ه. ۲۵۷- المعجزة الخالدة، حسن ضیاء الدین عتر، بیروت، دار ابن حزم، الطبعة الثانیة، ۱۴۰۹ ه ۱۹۸۹. ۲۵۸- المعجزة القرآنیة، محمد حسن هیتو، بیروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولی، ۱۴۰۹ ه ۱۹۸۹. ۲۵۹- المعجزة الکبری، محمد أبو زهرة، القاهرة، دار الفکر العربی، د. ت. ۲۶۰- معجم أعلام المورد، منیر بعلبکی، بیروت، دار العلم للملایین، الطبعة الأولی، ۱۹۹۲. ۲۶۱- معجم الأدباء، یاقوت

بن عبد الله الرومی البغدادی، بیروت، دار صادر، د. ت. ۲۶۲- المعجم الجامع لغریب مفردات القرآن، عبد العزیز السیروان، بیروت، دار العلم للملایین، الطبعة الأولی، ۱۹۸۶. ۲۶۳- معجم الفرق الإسلامیة، شریف یحیی الأمین، بیروت، دار الأضواء، الطبعة الأولی، ۱۴۰۶ ه/ ۱۹۸۶. ۲۶۴- المعجم الکبیر، سلیمان بن أحمد أبو القاسم الطبرانی، تحقیق، حمدی السلفی، الموصل، مکتبة العلوم و الحکم، الطبعة الثانیة، ۱۴۰۴ ه/ ۱۹۸۳. ۲۶۵- معجم مقاییس اللغة، لأبی الحسین أحمد بن فارس، بیروت، دار الجیل، تحقیق، عبد السلام هارون، د. ت. ۲۶۶- معرض الإبریز من الکلام الوجیز عن القرآن العزیز، عبد الکریم الأسعد، الریاض، دار المعراج، الطبعة الأولی، ۱۴۱۹ ه/ ۱۹۹۸. ۲۶۷- المغرب فی ترتیب المعرب، ناصر الدین بن علی المطرز، تحقیق، محمد فاخوری و عبد المجید مختار، حلب، مکتبة أسامة بن زید، الطبعة الأولی، ۱۹۷۹. ۲۶۸- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهانی، تحقیق، صفوان داودی، دمشق، دار القلم الطبعة الثانیة، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۷. ۲۶۹- مفکرون من عصرنا، سامی خشبة، القاهرة، المکتبة الأکادیمیة، الطبعة الأولی، ۱۴۲۲ ه ۲۰۰۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۳۳ ۲۷۰- مقالات الإسلامیین و اختلاف المصلین، أبو الحسن الأشعری، صیدا- بیروت، المکتبة العصریة، تحقیق، محی الدین عبد الحمید، د. ت. ۲۷۱- المقدمة، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، بیروت- صیدا، المکتبة العصریة، تحقیق، درویش جویدی، ۱۴۲۲ ه. ۲۷۲- مقدمة فی علم الفلک، توماس آرنی، ترجمة، د. أحمد الحصری، دمشق، دار طلاس، الطبعة الأولی، ۱۹۹۸. ۲۷۳- المکان و الزمان فی العالم الکونی الحدیث، ب. د. دیفیس، ترجمة، أدهم السمان، دمشق مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولی، ۱۴۰۹ ه/ ۱۹۸۸. ۲۷۴- الملل و النحل، محمد بن عبد الکریم الشهرستانی، بیروت، دار المعرفة، تحقیق، محمد کیلانی ۱۴۰۴ ه. ۲۷۵- من الآیات العلمیة، عبد الرزاق نوفل، القاهرة، مکتبة الأنجلو المصریة، الطبعة الأولی، ۱۹۶۶. ۲۷۶- من الذرة إلی المجرة، حمادة العائدی، عمان، دار الفکر، الطبعة الأولی، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴. ۲۷۷- من الذرة إلی المجرة، محمد صالح المحب، بیروت، دار الفکر اللبنانی، د. ت. ۲۷۸- من دلائل الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، موسی الخطیب، القاهرة، مؤسسة الخلیج العربی، الطبعة الأولی، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴. ۲۷۹- مناهل العرفان فی علوم القرآن، محمد عبد العظیم الزرقانی، بیروت، دار الفکر، تحقیق، مکتب البحوث و الدراسات، الطبعة الأولی ۱۹۹۶. ۲۸۰- المنظومة الشمسیة، سمیر عازار، بیروت، دار النهار، ۱۹۹۱. ۲۸۱- المنظومة الشمسیة، عبد الأمیر المرتضی المؤمن، دبی، الإمارات العربیة المتحدة، الطبعة الأولی ۱۹۹۷. ۲۸۲- المنظومة الشمسیة، علی موسی و مخلص الریس، دمشق، دار دمشق، الطبعة الأولی، ۱۴۰۳ ه/ ۱۹۸۳. ۲۸۳- من علم الفلک القرآنی، عدنان الشریف، بیروت، دار العلم للملایین، الطبعة الثالثة، ۱۹۹۷. ۲۸۴- المنهج الإیمانی للدراسات الکونیة، عبد العلیم عبد الرحمن خضر، جدة، الدار السعودیة، الطبعة الثالثة، ۱۴۰۷ ه/ ۱۹۸۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۳۴ ۲۸۵- الموافقات فی أصول الشریعة، إبراهیم بن موسی بن محمد اللخمی الغرناطی الشاطبی، بیروت دار المعرفة، الطبعة الرابعة، ۱۴۲۰ ه/ ۱۹۹۹ م. ۲۸۶- موجز فی تاریخ الزمان، ستیفن هوکنغ، ترجمة، مصطفی فهمی، القاهرة، مکتبة الأسرة ۲۰۰۱. ۲۸۷- مورفولوجیا النباتات الزهریة، مصطفی الحدیدی، الریاض، دار المریخ، ۱۴۱۴ ه، ۱۹۹۴ م. ۲۸۸- موسوعة الظواهر الطبیعیة، خلیل بدوی، عمان، دار عالم الثقافة، الطبعة الأولی، ۲۰۰۰. ۲۸۹- موسوعة عالم المعرفة، بیروت، دار نوبلیس، الطبعة الأولی ۱۹۹۶. ۲۹۰- موسوعة غینیس فی علم الفلک، باتریک موور، ترجمة، مرکز التعریب و البرمجة، بیروت، الدار العربیة للعلوم، الطبعة الأولی، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴ م. ۲۹۱- الموسوعة الفلکیة، خلیل بدوی، عمّان، عالم الثقافة، الطبعة الأولی، ۱۹۹۹. ۲۹۲- الموسوعة الکاملة الکون، بیروت نوبیلس، الطبعة الأولی، ۱۹۹۷. ۲۹۳- موسوعة الکون و الفضاء و الأرض، موریس شربل و رشید فرحات، بیروت، دار الفکر العربی، الطبعة الأولی، ۱۹۹۹. ۲۹۴- موسوعة الکویت العلمیة للکیمیاء، الکویت، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، الطبعة الأولی ۱۹۸۶. ۲۹۵- موطأ مالک، مالک بن أنس الأصبحی، القاهرة، دار إحیاء التراث العربی، تحقیق، محمد فؤاد عبد الباقی، د. ت. ۲۹۶- المیکروکمبیوتر و علم الفلک، محمد رشاد الدین مصطفی، بیروت، دار الراتب، د. ت. ۲۹۷- النبوات، أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة، القاهرة، المطبعة السلفیة، د. ت. ۲۹۸- النجم الغریب مولد الشمس و موتها، جون غریبین، ترجمة، فائز فوق العادة، دمشق، دار الشیخ، الطبعة الأولی،

۱۹۸۸. ۲۹۹- نحن و الكون، عبد الوهاب سليمان، الكويت، مؤسسة الكويت التقدم العلمی، الطبعة الأولی ۱۹۹۶. ۳۰۰- نشأة الكون، السموات السبع، محمد جمال الدين الفندی، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ۱۹۷۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۴۳۵ ۳۰۱- هذا خلق الله، الدكتور عبد الحليم كامل، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، الطبعة الأولی، ۱۹۹۴. ۳۰۲- هل من كائنات عاقلة خارج الأرض، نزار دندش، بيروت، دار المؤلف، الطبعة الأولی ۱۴۲۰ ه/ ۲۰۰۰. ۳۰۳- هل نحن وحدنا فی هذا الكون، محمد عبده يمانی المنامة، بيت القرآن، الطبعة الأولی، ۱۴۱۷ ه/ ۱۹۹۶. ۳۰۴- الوجيز فی تفسير الكتاب العزيز، علی بن أحمد الواحدی، تحقيق، صفوان داودی، دمشق دار القلم، الطبعة الأولی، ۱۴۱۵ ه. ۳۰۵- الوجيز فی الجيولوجيا، ليون موريه، ترجمة، يوسف خوری و عبد الرحمن حميدة، دمشق، دار طلاس، الطبعة الأولی، ۱۹۸۷. ۳۰۶- الوسيط فی تفسير القرآن المجيد، علی بن أحمد الواحدی النيسابوری، تحقيق، علی معوض و آخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولی، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴ م. ثالثا: مواقع الإنترنت. /dopa pa/ ۰۱۰۶۰۹ . ۱- ptth:// www. nayabla. oc. ea/ nayabla/ ۲۰۰۲/ ۱۱/ ۳۰/ wnm/ ۱۱. mth . ۳- ptth:// prwtna. cfsg. asan. vog/ dopa/ pa ۹۹۰۴۱۹. lmth ۲. -ptth :// prwtna. cfsg. asan. vog lmth. ۰۱۰۴۲۳ pa/ dopa/ vog. asan. cfsg. prwtna//: ptth- ۴. lmth. ۰۱۰۲۰۴ pa/ dopa/ vog. asan. cfsg. prwtna//: ptth -۵. lmth. ۰۰۱۱۱۸ pa/ dopa/ vog. asan. cfsg. prwtna//: ptth- ۶. lmth. ۹۶۰۵۲۰ pa/ dopa/ vog. asan. cfsg. prwtna//: ptth -۷. lmth. ۰۳۰۳۱۰ pa/ dopa/ vog. asan. cfsg. prwtna//: ptth- ۸. lmth. ۹۵۰۷۲۴ pa/ dopa/ vog. asan. cfsg. prwtna//: ptth -۹. lmth. ۰۱۰۵۰۸ pa/ dopa/ vog. asan. cfsg. prwtna//: ptth- ۱۰. lmth. ۹۵۰۶۲۸ pa/ dopa/ vog. asan. cfsg. prwtna//: ptth -۱۱. lmth. ۰۱۰۵۰۸ pa/ dopa/ vog. asan. cfsg. prwtna//: ptth- ۱۲. MTH. ۹ EGAPWEN/ moc. s serprekcedelbuod. www//: ptth -۱۳. mth. iiawaH/ moc. sserprekcedelbuo d. www//: ptth- ۱۴. lmth. weivrevo/ gro. stenalpenin. www//: ptth -۱۵. mth. egapemoh/ gne/ ralos/ moc. sepacstenalp//: ptth- ۱۶. mth. yawyklim/ sd/ pac/ ralos/ moc. sepacstenalp//: ptth -۱۷. mth. murbrehsag/ sotohp/ skaep/ aidepolcycne/ moc. yrawkaep. www//: ptth -۱۸ mth. mehc/ ۱ - mehc/ yrassolg/ yrtsimehc -lareneg/ aymek/ ten. aibaraloohcs. www//: ptth -۱۹. yrellaG eman ?php. z/ sw. oooziz//: ptth -۲۰ cipwohs od ۳۲۹ dip Detad ybredro. dna yrellaG eman ? php. z/ sw. oooziz. www//: hHh -۲۱ cipwohs od ۲۰۳۵ dip Detad yb redro. yrellaG eman ?php. z/ sw. oooziz//: ptth -۲۲ cipwohs od ۴۰۷۴ dip Detad ybredro. yrellaG eman ?php. z/ sw. oooziz//: ptth -۲۳ cipwohs od ۴۱۱۳ dip Detad ybredro. yrellaG eman ?php. z/ sw. oooziz//: ptth -۲۴ cipwohs od ۳۲۳ dip Detad ybredro. yrellaG eman ?php. z/ sw. oooziz//: ptth -۲۵ ybredro. Detad dip ۴۰۷۷ od cipwohs الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۴۳۷

الفهرس

تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ في سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١). قالَ الإمامُ عليّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحـار – في تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب٢٨، ج١/ ص٣٠٧). مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذي" – رَحِمَهُ الله – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذي قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبيّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام عليّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللّهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، في سَنَةِ ١٣٤٠ الهجريّة الشمسيّة (=١٣٨٠ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم. مركز "القائميّة" للتحرِّي الحاسوبيّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ١٣٨٥ الهجريّة الشمسيّة (=١٤٢٧ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمع من خِرّيجي الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة... الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلى التَّحَرِّي الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت – عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة في الجامعة، و... – مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التي يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – في آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – في أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَى. – من الأنشطة الواسعة للمركز: الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل في الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و... د) إبداع الموقع

الانترنتی" القائمیّهٔ "www.Ghaemiyeh.com و عـدّهٔ مَواقِعَ اُخرَ ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّهٔ، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّهٔ و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابهٔ الأسئلهٔ الشرعیّهٔ، الاخلاقیّهٔ و الاعتقادیّهٔ (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرهٔ SMS ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّهٔ و اعتباریّهٔ، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّهٔ، الجوامع، الأماکن الدینیّهٔ کمسجد جَمکرانَ و... ط) إقامهٔ المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسهٔ "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسهٔ ی) إقامهٔ دورات تعلیمیّهٔ عمومیّهٔ و دورات تربیهٔ المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلهٔ السَّنَهٔ المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان" ومُفترَق"وفائی/"بنایه"القائمیّهٔ "تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّهٔ الشمسیّهٔ (=۱۴۲۷ الهجریهٔ القمریّهٔ) رقم التسجیل: ۲۳۷۳ الهویّهٔ الوطنیّهٔ: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقع: www.ghaemiyeh.com البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱) الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التِّجاریّهٔ و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحَظهٔ هامّهٔ: المیزانیّهٔ الحالیّهٔ لهذا المرکز، شَعبیّهٔ، تبرّعیّهٔ، غیر حکومیّهٔ، و غیر ربحیّهٔ، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّهٔ و العلمیّهٔ الحالیّهٔ و مشاریع التوسعهٔ الثّقافیّهٔ؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّهٔ) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحهٔ بقیّهٔ الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.



مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩